المجلد الثاني من شرح الشفا العمر العرضي الحلبي

ق ١٩

١٣١٨

عدد ورقه
٢١٨

NURUOSMANİYE KÜTÜPHANESİ

Kısmı :	Nuruosm.
Yeni Kayıt No.	734 /2
Eski Kayıt No.	1018
Tasnif No.	297.2(077)=927

١٠١٨

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله

وقف عمدة ملوك الدوران وسلسلة آل عثمان مشكاة انوار انواع الحسان
مصباح مشارق محاسن المعارف محيي السنة امام الامة السلطان ابن السلطان
السلطان ابو المحاسن والمواهب عثمان خان ابن السلطان مصطفى خان
لا زالت ايامه مصابيح الاقبال وساعاته الحميدة مفاتيح ابواب الآمال
وانا الداعي لدولته الحاج ابراهيم حنيف المفتش
باوقاف الحرمين المحترمين
غفر له

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الرابع في قسمه تعالى لعظيم قدره المذكور هنا انه تعالى اقسم
بحياته وبذاته واقسامه بها مشعر بعظيم قدره فكان اقسامه في الحقيقة
ليس الا بعظيم قدره ان قلت ما فائدة القسم من مالك الملك عز وجل ان
كان السامع للكلام المشتمل على القسم مؤمنا صدق مضمونه بلا قسم وان
كان كافرا لم يصدق بقسم كما لم يصدق بغيره قلت فيه فوائد منها تحقيق
الخبر وتاكيده فان بعض الاخبار مخالف لدواعي النفس كاخبار الله عز وجل
عباده بانه ما من دابة في الارض الا على الله رزقها فان الف النفس لحمل
هم الرزق قد يعيق الانسان عن الطمانينة بضمان الله عز وجل رزق
العبد فرفع ذلك الوسواس والوهم بهذا القسم وهو قوله عز من قائل
فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون ولهذا قالت الملائكة
لما نزلت نبا لمن الجا الجليل الى القسم وقد قيل في الجواب ان القران نزل بلغة
العرب ومن عاداتها الاقسام اذا ارادت ان تؤكد امرا واجاب عن ذلك
ابو القاسم القشيري بان الله عز وجل ذكر القسم لكمال الحجة وتاكيدها
فان قلت كيف يقسم الخالق عز وجل بالمخلوق قلت قد اجاب عن
ذلك الحسن البصري رضي الله عنه كما اخرجه عنه ابن ابي حاتم فقال ان الله عز
وجل يقسم بما شا من خلقه وليس لاحد ان يقسم الا بالله عز وجل وقيل
ان اقسام الله عز وجل بمصنوعاته على حذف مضاف فالتقدير ورب
التين ورب الزيتون ورب الشمس فان قلت هل للمخلوق اذا احلف

ان

[illegible]

ان يحلف بغير الله عز وجل قلت مذهبنا ان الحلف بالمخلوق كالنبي والكعبة
وجبريل والصحابة والال مكروه لقوله صلى الله عليه وسلم لا تحلفوا باباكم ولا
بامهاتكم ولا تحلفوا الا بالله عز وجل رواه النسائي وابن حبان وفي
الصحيحين ان الله عز وجل ينهاكم ان تحلفوا باباكم فمن كان حالفا فلا
يحلف الا بالله عز وجل وان النبي صلى الله عليه وسلم ادرك عمر بن الخطاب
وهو يسير في ركب فسمعه يحلف بابيه فقال ان الله عز وجل
ينهاكم ان تحلفوا باباكم فمن كان حالفا فليحلف بالله عز وجل او
ليصمت قال عمر رضي الله عنه فما حلفت بها بعد ذلك ذاكرا ولا اثرا
اي حاكيا عن غيره انه حلف بها وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما لان
احلف بالله عز وجل مائة مرة فاثم خير من ان احلف بغيره فابر كذا
ذكره النووي في شرح مسلم ورواه الطبراني في معجمه ورجاله رجال الصحيح
وروى الحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من
حلف بغير الله عز وجل فقد كفر وروي فقد اشرك وحمل هذا على من
اعتقد فيما حلف به من التعظيم ما يعتقده في الله عز وجل قال
الشافعي رضي الله عنه اخشى ان يكون الحلف بغير الله عز وجل معصية
قال اصحابه معناه محرما ماثوما عليه فمن حلف بغير الله عز وجل لا تنعقد
يمينه ولم تتعلق الكفارة بالحنث فيه خلافا لاحمد بن حنبل رضي الله عنه
في الحلف بالنبي صلى الله عليه وسلم خاصة فانه قال تنعقد به لانه احد
ركني الشهادة كاسم الله عز وجل نعم ان سبق اللسان اليه لم يوصف بالكراهة

ويكون بمثابة لغو اليمين وعلى يحمل ما في الصحيحين من قوله صلى الله عليه وسلم
للاعرابي الذي قال لا ازيد على هذا ولا انقص افلح وابيه ان صدق واجيب
ايضا بان هذه كلمة تجري على اللسان لا يقصد بها اليمين وقيل الحديث
منسوخ بحديث النهي عن الحلف بالاباء قال الله عز وجل لعمرك انهم لفي
سكرتهم يعمهون اللام في لعمرك لام الابتدا تدخل على المبتدا وعلى خبر ان
وفائدتها تاكيد مضمون الجملة التي دخلت عليها والمخاطب بالكاف في لعمرك
قيل هو لوط عليه السلام قال الزمخشري في كشافه لعمرك على ارادة القول اي
قالت الملائكة للوط عليه السلام لعمرك الى اخره اي في غوايتهم التي اذهبت
عقولهم وتمييزهم بين الخطا الذي هم عليه وهو اتيان الذكور وبين الصواب
الذي تشير به عليهم من ترك الذكور الى البنات يعمهون فكيف يقبلون
قولك ويصغون الى نصيحتك ثم ان الزمخشري نقل الوجه الذي يقول ان
المخاطب به النبي صلى الله عليه وسلم واقول لا يبعد كون المخاطب به
لوطا عليه السلام لان المفسرين الذين هم اساس التفسير اجمعوا على ان
المخاطب به نبينا صلى الله عليه وسلم كما سياتي نقله عن المصنف وسبق
المصنف الى ذلك القاضي ابو بكر بن العربي قال ان المفسرين اجمعوا على
ان الله عز وجل اقسم بحياة النبي صلى الله عليه وسلم وان ما قاله الزمخشري
من ان المخاطب به لوط عليه السلام جعله القاضي ابو بكر بن العربي وجها
مستنبطا من عند نفسه فقال ما الذي يمنع ان يقسم الله عز وجل بحياة
لوط عليه السلام ويبلغ به من التشريف ما شا وكلما يعطيه الله عز وجل للوط

عليه السلام

عليه السلام من فضل يعطي ضعفيه من شرف لمحمد صلى الله عليه وسلم لانه اكرم على
الله عز وجل منه اولا تراه اعطى ابرهيم عليه السلام الخلة وموسى عليه السلام
التكليم واعطى ذلك ايضا لمحمد صلى الله عليه وسلم فاذا اقسم الله عز وجل بحياة
لوط عليه السلام فحياة محمد صلى الله عليه وسلم ارفع واقول اذا كان المخاطب
به محمدا صلى الله عليه وسلم تحصل نكتة الاعتراض الواقع في اثنا قصة لوط
فان الله عز وجل اخبر عن قوم لوط بما اخبر فاراد الله عز وجل ان يخبر
نبيه صلى الله عليه وسلم بان هذا الذي صدر عنهم اصروا عليه ولم ينزجروا
عنه وعظ نبيهم عليه السلام بل داموا على غيهم وضلالهم وصدر هذا
الاخبار بان اقسم بحياته صلى الله عليه وسلم وجعل جواب القسم انهم
داموا على عمههم ثم عاد الى اخباره بان القوم بعد ذلك استحقوا
ان ينزل بهم العذاب هذا ابتداء على ان الضماير الغايبة التي في الاية
عائدة الى قوم لوط عليه السلام واما اذا قلنا بعودها على قريش فبعد
اخباره عن كفر قوم لوط وتكذيبهم لنبيهم عليه السلام قال له وحياتك
ان قريشا مثلهم ثم عاد واخبره بما اصاب اولئك من العذاب فكانه
يقول هكذا افعل بمن كذب من انزلت عليه سبعا من المثاني والقران
العظيم وعلى كل حال فما احلى هذا الاعتراض وما اعذبه في الذوق
وهب ان ما قاله الزمخشري امر محتمل لكن ينبغي ان يقصد في
القران ما يليق به من اعجازه وملاحظة النكات الزائدة على اصل المعنى
فان قلت قيل ان في عود الضمير الى قريش بعد الانقطاع الاية عما

تعدى يعطي الى الثاني
باللام مجازا مثل
يجرد

بعدها وما قبلها قلت على تقدير انقطاعها عنهما من حيث المعنى لا تنقطع
عنهما من حيث المقصود الذي سيقت الايات بل القصة كلها لاجله
وهو انذار الكفار الذين بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم فان القصد لم
تسق الا لانذار هذه الامة كيف وقد عنونت بقوله نبئ عبادي اني انا
الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم ثم ذكر القصة فبهذا الاعتبار
لم تنقطع عنهما باعتبار ما قصد منها وقوله سكرتهم اي ضلالتهم وفي
الغريبين السكر اختلاط العقل حتى يحتبس صاحبه عن التصرف في سبل
الاصابة وقوله تعالى وجاءت سكرة الموت اي اختلاط العقل لشدة الموت
فشبه ما اتصف به قوم لوط عليه السلام من عدم التمييز بين الخطا
والصواب بالسكر الذي هو اختلاط العقل لعارض فهو استعارة مصرحة
وقوله يعمهون اي يتحيرون ويترددون والعمه للبصائر بمنزلة العمى
للابصار اتفق اهل التفسير المراد بهم المفسرون على طبقاتهم من الصحابة — بيان المراد باهل التفسير
كالخلفاء الاربعة وابن مسعود وابن عباس وابي بن كعب ومن التابعين
كمجاهد وعطا بن ابي رباح وعكرمة مولى ابن عباس وسعيد بن جبير
واصحاب ابن مسعود من اهل الكوفة وعلماء المدينة كزيد بن اسلم ومالك
ابن انس ثم بعد هولاء جماعة الفوا تفاسير تجمع اقوال الصحابة والتابعين
كتفسير ابن عيينة ووكيع بن الجراح وليس في هذه التفاسير غير ذلك فهولاء
اجمعوا على ان المخاطب بقوله عز وجل لعمرك هو محمد صلى الله عليه وسلم ولم يحكوا
خلافا ولا يخرق هذا الاجماع ما اورده الزمخشري من هذا الوجه الذي احتمله
لفظ

لفظ القران فان تفسير القران لا يعتمد فيه الا ما نقل عن الصحابة فانهم شاهدوا
نزوله ولهذا قالوا ان اعظم التفاسير واحسنها واصحها تفسير ابن جرير
الطبري ودونه في المرتبة تفسير ابن عطية فانه اتبع للسنة ومع ذلك لا
يذكر كلام السلف على وجهه واما الزمخشري ونحوه كالبيضاوي فانهما
خلطا التاويل بالتفسير وذكرا ما يحتمله اللفظ العربي وان لم يكن منقولا عن
السلف قال ابن تيمية ان الصحابة والتابعين والائمة اذا كان لهم
في الاية تفسير وجا قوم فسروا الاية بقول اخر لاجل مذهب اعتقدوه وذلك — صار مشاركا للمعتزلة وغيرهم من اهل البدع في مثل هذا وكان من جملة من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين صح
المذهب ليس من مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم الى ما يخالف ذلك
كان مخطئا في ذلك بل مبتدعا لانهم كانوا اعلم بتفسيره ومعانيه كما انهم اعلم
بالحق الذي بعث الله عز وجل به رسوله صلى الله عليه وسلم وبالجملة فهذا الوجه
الذي ذكره الزمخشري ان لم يكن هو اول قائل به فقد قلد من قال به ممن استخرجه
من معنى الكلام والذي اجمع عليه نقلة التفسير الذين اشرنا الى بعضهم هو
ان المخاطب بهذا محمد صلى الله عليه وسلم في هذا اي في قوله لعمرك انهم لفي سكرتهم
يعمهون انه قسم من الله عز وجل بمدة حياة محمد صلى الله عليه وسلم المعبر عنها
بالعمر وقد ذكرنا ان الله عز وجل يقسم بما شا وقد اقسم هنا بحياة نبينا صلى الله
عليه وسلم واما نحن فهل لاحدنا ان يقسم بعمر الله عز وجل وقد وقع في صحيح
البخاري باب قول الرجل لعمر الله ثم استشهد على جواز ذلك بما وقع في
حديث الافك فقام اسيد بن حضير فقال لسعد بن عبادة رضي الله عنهما
لعمر الله لنقتلنه وقال الزجاج العمر الحيوة فمن قال لعمر الله كانه حلف

بقا الله عز وجل واللام للتوكيد والخبر محذوف اي اقسم به ومن ثم قال المالكية
والحنفية ينعقد بها اليمين لان بقا الله عز وجل من صفة ذاته وعن مالك رضي
الله عنه قال لا يعجبني الحلف بذلك وقال الشافعي واسحق رضي الله عنهما
لا يكون لعمر الله يمينا الا بالنية لانه يطلق على العلم وعلى الحق وقد يراد
بالعلم المعلوم وبالحق ما اوجبه الله عز وجل وعن احمد رضي الله عنه
كالمذهبين والراجح عنه كالشافعي رضي الله عنه واجابوا عن الاثر بان الله
عز وجل يقسم من خلقه بما شا وليس لهم ذلك لثبوت النهي عن الحلف
بغير الله عز وجل وقد عد الايمة ذلك في فضائل نبينا صلى الله عليه وسلم
وايضا فان اللام ليست من ادوات القسم لانها محصورة في الواو والباء
والتا واصله ضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال كلام
المصنف صريح في اصالة العمر بضم العين وان اصل العمر بفتحها والظاهر
ان المراد بالاصل الامر المستمر اي الذي ينطق به عند ارادة مدة الحيوة
انما هو العمر بضم العين ونطقهم به امر كثير مستمر ولا ينطقون بالفتح الا
في القسم فقط فكان نطقهم به خلاف المستمر ونظيره يقال اكل الميتة الامر هو
للمضطر خلاف الاصل اي خلاف الامر المستمر والا فالعمر والعمر بفتح
العين وضمها لغتان يراد بهما الحيوة ومدة البقا في القاموس العمر بالفتح
وبالضم وبضمتين الحيوة انتهى والذي نفهمه ان العمر مفتوح العين
يستعمل في القسم ففي النهاية الاثيرية العمر بالفتح العمر ولا يقال في القسم
الا بالفتح اي مع جواز ان يستعمل بالفتح في غير القسم وفي الحديث عمرك الله تبقيا اي

اسال

اسال الله عز وجل تعميرك وان يطيل عمرك وفي حديث لقيط لعمر الهك وهو
قسم ببقا الله عز وجل ودوامه فان ادخلت على عمر اللام كان مرفوعا
بالابتدا والخبر محذوف تقديره لعمر الله قسمي او ما اقسم به وان لم يعرف
باللام نصبته نصب المصادر فقلت عمر الله وعمرك الله وقال
ابو الهيثم النحويون ينكرون ان يراد بلعمرك القسم بحياة المخاطب
ويقولون معنى لعمرك لدينك الذي يعمر وانشد
من الخفيف ايها المنكح الثريا سهيلا ٭ عمرك الله كيف يلتقيان ٭ اي عبادتك الله
فنصب ومعناه وبقائك يا محمد وقيل وعيشك في القاموس العيش
الحيوة وقيل وحياتك هذا والقول الذي قبله بمعنى واحد غير ان اللفظ
مختلف وهذه نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف وانما كان ذلك نهاية
التعظيم والتشريف لانبا هذا القسم عن ان حياته وبقاءه وعيشه
امر معظم الله عز وجل لا يشاركه فيه مخلوق لان روحه الكريمة التي هي
سبب الحيوة والبقا والعيش هي اكمل الارواح فانه تعالى لما خلق
الارواح المدبرة للاجسام كان اول ما خلق روح محمد صلى الله عليه وسلم
ثم صدرت عنها الارواح وكان لها وجود في عالم دون عالم الشهادة
واعلمه الله عز وجل بنبوته وبشره بها وادم لم يكن الا كما قال بين الما والطين
ثم انتهى الزمان بالاسم الباطن في حق محمد صلى الله عليه وسلم الى الوجود جسمه
الشريف وارتباط الروح به فانتقل حكم الزمان في جريانه الى الاسم
الظاهر فظهر محمد صلى الله عليه وسلم بذاته جسما وروحا فكان الحكم له باطنا

اولا في جميع ما ظهر من الشرائع على ايدي الانبياء والرسل ثم صار الحكم له
ظاهرا فنسخ كل شرع ابرزه الاسم الباطن بحكم الاسم الظاهر لبيان
اختلاف حكم الاسمين وان كان المشرع واحدا وهو صاحب الشرع
الحقيقي فانه قال كنت نبيا ولم يقل كنت انسانا ولا كنت موجودا
فاخبر انه صاحب النبوة قبل وجود الانبياء ثم انه صلى الله عليه وسلم
باق الى الان قال الشيخ محيي الدين بن عربي في الباب الثالث عشر
من الفتوحات المكية واما القطب الواحد فهو روح محمد صلى الله عليه وسلم
وهو الممد لجميع الانبياء والرسل والاقطاب من حين النشئ الانساني
الى يوم القيمة قيل له متى كنت نبيا فقال صلى الله عليه وسلم وادم بين الماء
والطين فالمراد لحياته وبقائه وعيشه التي اقسم الله عز وجل بها روحه
التي هي في هذا المقام من الكمال ولا ينبغي ان يراد بعمره هنا مدة
اشتمال روحه الشريف لجسده فان ذاك عمر عرفي واما محمد صلى الله عليه
وسلم فان عمره منذ خلقه الله عز وجل الى ابد الاباد اذ لا ينقطع امداده
وتصرفه باذن ربه عز وجل في حالة من الحالات قال ابن عباس رضي الله
عنهما ما خلق الله عز وجل وما ذرا وما برا نفسا اكرم عليه من محمد صلى
الله عليه وسلم ذرا بالذال المعجمة اي خلق وبرا الله الخلق برا اي خلقهم كذا في
القاموس وهو يقتضي انهما مترادفان وعطف احد المترادفين على الاخر
واقع في فصيح الكلام منه انما اشكو بثي وحزني الى الله ومنه فلا تخاف
ظلما ولا هضما ونحو ذلك والقصد منه التاكيد والاسهاب اذا كان المقام

يقتضيه

يقتضيه كما هنا فان المقصود من هذا الكلام تعميم افضلية محمد صلى الله عليه وسلم
على سائر نفوس الكائنات فالمقام مقام اسهاب وتاكيد لكن صاحب
النهاية فسر ذرا بخلق ثم قال وكان الذرء مختص بخلق الذرية ومنه حديث
عمر رضي الله عنه كتب الى خالد واني لاظنكم ال المغيرة ذرء النار اي خلقها
الذين خلقوا لها واما برا فسره بانه خلق الخلق من غير مثال ثم قال
ولهذه اللفظة من الاختصاص بخلق الحيوان ما ليس لغيرها من المخلوقات
قلما تستعمل في غير الحيوان فيقال برا الله عز وجل النسمة وخلق
السموات والارض انتهى فيكون بين ذرا وبرا تغاير وقوله
نفسا في الغريبين للهروي قال اهل اللغة النفس في كلام العرب على وجهين
احدهما قولك خرجت نفس فلان اي روحه وفلان في نفسه ان يفعل كذا
اي في روحه والثاني ان معنى النفس حقيقة الشي وجملته يقال
قتل فلان نفسه والمعنى انه وقع في الهلاك بذاته كلها انتهى وقال
العسكري نفس الشي حقيقته يقال هلكت نفس زيد اي هلك هو
وعلى هذا فسر قوله عز وجل تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك اي تعلم
ما اعلم ولا اعلم ما تعلم ثم قال وقد يجي بمعنى الانسان قال تعالى النفس
بالنفس اي الانسان بالانسان انتهى والظاهر ان النفس هنا بمعنى
الحقيقة وهي الحقيقة الشخصية اي ما خلق الله عز وجل ذاتا من الذوات
اكرم من محمد صلى الله عليه وسلم ومنها الملائكة فكلام ابن عباس مما يدل على ان
نبينا صلى الله عليه وسلم افضل من خواص الملائكة بل مذهب اهل السنة

الى تفضيل جميع الانبيآء على خواص الملائكة خلافا للمعتزلة ومحل الخلاف
في غير نبينا صلى الله عليه وسلم اما هو فافضل الخلق بلا خلاف لا يفضل
عليه ملك مقرب ولا غيره كذا ذكره الشيخ تاج الدين السبكي في منع
الموانع والشيخ سراج الدين البلقيني في منهج الاصلين والشيخ بدر الدين
الزركشي في شرح جمع الجوامع وقال انهم استثنوه وان الامام فخر الدين
الرازي نقل في تفسيره الاجماع على ذلك وصرح باستثنآء نبينا صلى الله
عليه وسلم من الخلاف السنوسي المغربي في شرح عقيدة الجزائري
اللامية **وما سمعت الله عز وجل اقسم** سمع هذه هي المعلقة بذات
وقد الحقها النحويون بافعال القلوب المتعدية لمفعولين فان سمع
لا يتعدى الا الى مفعول واحد فان كان ذلك المفعول مما يسمع فهو
ذاك وان كان عينا فهو مفعول ايضا والجملة الواقعة بعده مفعول
ثان وقيل حال وهو على حذف مضاف ففي نحو سمعت زيدا يتكلم تقديره
سمعت صوت زيد في حال انه يتكلم وهذا اختيار ابن عصفور والاول
اختيار ابن مالك والجمهور قال ابو حيان ويحتمل ان يكون سمعت
زيدا على حذف مضاف وهو متعلق السمع فيقدر في سمعت زيدا
سمعت كلام زيد وهنا يقدر وما سمعت اقسام الله عز وجل وحذف
المضاف لفهم المعنى جائز وتجعل جملة يتكلم في محل نصب على انها حال اي
سمعت كلام زيد حال كونه يتكلم وههنا سمعت اقسام الله عز وجل
حالة كونه قد اقسم وفي هذا التقدير فرار مما قيل ان افعال الحواس كلها

تتعدى

تتعدى الى مفعول واحد **بحياة احد غيره** اي غير النبي صلى الله عليه وسلم نقل شيخ
اشياخنا الشهاب القسطلاني في المواهب اللدنية خبر ابن عباس
رضي الله عنهما كما نقله المصنف الا انه عقبه بتلاوة الاية فقال بعد قوله
بحياة احد غيره قال الله عز وجل لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون قال
شيخنا الرضي بن الحنبلي وكلمة غير هنا كما في لفظ ابن الجوزي الاتي مجرورة
اما على انها صفة احد فلا يستفاد انه اقسم بحياته كما لو نصبت
وانما يستفاد مجرد انه لم يقسم بحياة من سواه واما على انها بدل
فيستفاد كلاهما وتكون تلاوة الاية لاثبات احدهما وهو الوجه
الذي لا محيد عنه جاله انتهى واقول بل يستفاد مما نقل المصنف من
خبر ابن عباس حيث لم يتعرض لتلاوة الاية انه لم يقسم بحياة احد
سواه وانه اقسم بحياته على كل تقدير سوا جعل غير صفة ام حالا
ام بدلا اما على البدلية فظاهر ووجه ظهوره ان غيرا في هذا التركيب اذا كانت
بدلا فهي اداة استثنآء من احد لان المستثنى اذا وقع بعد كلام تام
غير موجب فالمختار فيه البدلية من المستثنى منه مع ان معنى الاستثنا
مراد فيه كما في قوله عز وجل ما فعلوه الا قليل فقليل مرفوع على انه بدل
من الضمير المرفوع وهو فاعل فعل مع ارادة معنى الاستثنآء منه فيكون
غير في وجه كونها بدلا اداة استثنا ومن المقرر ان اداة الاستثنا
تثبت لما بعدها خلاف حكم ما قبلها فان كان ما قبلها نفيا صار حكم ما
بعدها الاثبات وان كان مثبتا صار حكم ما بعدها النفي وحينئذ فمعنى

كلام ابن عباس رضي الله عنهما على هذا التقدير ما سمعت الله عز وجل اقسم
بحياة احد الا بمحمد ابي فاني سمعت الله عز وجل اقسم بحياته في كتابه
العزيز واما على كون غير صفة لاحد او حالا فلنقرر اولا ما ذهب اليه
فهم شيخنا من ذكر وهو ان من المقرر ان غيرا اذا كانت صفة فانها
لم توجب شيئا للاسم الذي بعدها ولم تنف عنه شيئا فنحو جاني رجل
غير زيد لم تنف عن زيد المجي كما لم تثبته وههنا المعنى على كونها صفة
ما سمعت الله عز وجل اقسم بحياة احد مغاير لمحمد صلى الله عليه وسلم
فلا يلزم ان يثبت لمحمد صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل اقسم بحياته
واما على تقدير ان غيرا حال فكذلك لان الحال تقرب من الصفة لكن لنا
في ذكر المباحث الاول انا اذا جعلنا غيرا صفة لاحد يدل ذلك
بمنطوقه على نفي سماعه لاقسام الله بحياة احد موصوف بانه مغاير
لمحمد صلى الله عليه وسلم فان قلت هذا مفهوم مخالفة وهو ليس بحجة عند
من يكون حنفيا تابعين في ذكر امامهم رضي الله عنه والتقييد بوصف
لا يدل على اثبات خلافه لما لم يوجد فيه ذلك الوصف قلت ذلك خاص
عند الحنفية بالخطابات الواردة عن الشارع اما كلام غير الشارع
كابن عباس رضي الله عنهما ونحوه من الناس فانه يدل ولهذا قالت
الحنفية لو قال ماله علي اكثر من مائة درهم كان مقرا بالمائة عملا
بانصباب النفي الى الاكثر فيلزم ان يكون له عنده مائة وقال الحياني من
الحنفية في حواشي الهداية في باب جنايات الحج ان شمس الائمة ذكر في السير

الكبير

الكبير ان تخصيص الشي بالذكر لا يدل على ان الحكم لغيره بخلافه انما هو في خطابات
الشرع فاما في معاملات الناس وعرفهم فانه يدل الثاني انا اذا جعلنا
غيرا منصوبا على انه حال فذلك لا ينافي الاستثنا لان غيرا الاستثنائية
منصوبة عند الفارسي واختاره ابن مالك على الحالية وحيث كانت مع
كونها منصوبة على الحالية اداة استثنا فيلزم ان يثبت لما اضيفت
اليه ما نفي عن غيرها لان الاستثنا من النفي اثبات وعكسه فهي اذا
نصبت على الحالية كما اذا كانت بالا الثالث ان ما قلتم في ما اذا قصد
بها الاستثنا في ما اذا كانت بالا انما يتمشى على مذهبنا من ان
الاستثنا من النفي اثبات وعكسه لا على مذهبه اذ هو حنفي والحنفية
يخالفون في الامرين فيقولون ان الاستثنا اخراج من النفي بلا اثبات
واخراج من الاثبات بلا نفي **قال ابو الجوزاء** بجيم مفتوحة بعدها واو
ساكنة ثم زاي ثم همزة ولا يلتبس بابي الحوراء بحاء مهملة ثم واو ساكنة ثم
را مهملة فابو الجوزاء بالجيم الذي ذكر هنا هو تابعي كبير وهو اوس بن
عبد الله بن خالد الربعي البصري يروي عن ابن عمرو وابن عباس وكان قد
صحب ابن عباس اثنتي عشرة سنة روى عنه عمرو بن مالك البكري
قتل في الجماجم سنة ثلاث وثمانين وكان عابدا فاضلا وكان يواصل
اياما قال عمرو بن مالك ان ابا الجوزاء لم يكذب قط ولهذا عده ابن حبان
في الثقات قال حافظ عصره الشهاب بن حجر العسقلاني ذكره ابن عدي
في الكامل وحكى عن البخاري انه قال في اسناده نظر ويختلفون فيه ثم شرح

ترجمة ابي الجوزاء

ابن عدي مراد البخاري فقال يريد انه لم يسمع من مثل ابن مسعود وعائشة
وغيرهما الا انه ضعيف عنده وقد اخرج له البخاري حديثا واحدا من روايته عن
ابن عباس قال كانت اللات رجلا يلت السويق وقد روى له اصحاب
الكتب الستة واما ابو الحوراء بالحاء فهو ربيعة بن شيبان البصري
يروى عن الحسن بن علي رضي الله عنهما ما اقسم الله عز وجل بحياة احد غير
محمد صلى الله عليه وسلم غير بمعنى الا فتفيد اثبات ضد ما نفي عما قبلها لما
اضيفت اليه وقوله لانه اكرم البرية عنده تعليل لاقسامه تعالى به وعدم
اقسامه بغيره لان من افرد عبدا من عباده بان اقسم بحياته ولم يقع منه انه
اقسم بحياة غيره فاي اكرمية اعظم من ذلك واكرم اسم تفضيل من الكرم والكريم
هو الجامع لانواع الخير والشرف والفضائل وسمي يوسف بن يعقوب
عليهما السلام كريما لانه اجتمع له شرف النبوة والعلم والجمال والعفة وكرم
الاخلاق والعدل ورياسة الدنيا والدين واما البرية فيجوز ان
ينطق بها مهموزة اخذا لها من برأه الله عز وجل خلقه وبيا مشددة
اخذا لها من البرى اي التراب وفي النهاية في مادة برا الذي اخره يا
البرية الخلق براه الله عز وجل يبروه بروا اي خلقه وتجمع على البرايا
والبريات من البرى وهو التراب هذا اذا لم يهمز ومن ذهب الى ان
اصله الهمز اخذه من برا الله عز وجل الخلق يبروهم اي خلقهم ثم ترك فيها
الهمز تخفيفا ولم يستعمل مهموزا انتهى ويرد عليه ان نافعا قرا البرية
بالهمز وفي الغريبين للهروي العرب تترك الهمزة في خمسة احرف البرية

قوله الذي اخره يا فيه نظر تحرر

واصلها

واصلها برات والنبوة واصلها انباة والذرية واصلها ذرات والروية
واصلها روات والخابية واصلها خباة فان قلت هل يدخل في البرية
الملائكة قلت نعم ان كانت البرية من برات وان كانت من البرى وهو
التراب فلا تدخل لان الملائكة لم يخلقوا من التراب وانما خلقوا
من نور وقال تعالى يس والقران الحكيم فالاية الاولى وهي يس من جملة غرض
الفصل لاشتمالها على قسم الله عز وجل بعظيم قدره صلى الله عليه وسلم وذكر باقي
الايات تتميما والا فالمقسم عليه من الايتين المذكورتين بعد يس من غرض
الفصل الاتي ولم يتعرض للكلام عليهما هناك اكتفاء بما ذكرهنا اختلف
المفسرون في معنى يس على اقوال يس من جملة الحروف الواقعة اوائل السور
وهي من المتشابه وقد اختلفوا في المتشابه هل يمكن الاطلاع على علمه
او لا يعلمه الا الله عز وجل على قولين منشؤهما الاختلاف في قوله عز وجل
والراسخون في العلم هل هو معطوف على الله في قوله الا الله وجملة يقولون
حال او مبتدا ويقولون خبره مال الى الاول طائفة يسيرة منهم مجاهد وابن عباس
نقل مجاهد عن ابن عباس انه قال انا ممن يعلم تاويله وقال مجاهد الراسخون
في العلم يعلمون تاويله ويقولون امنا به واختار هذا القول النووي فقال في
شرح مسلم انه الاصح لانه يبعد ان يخاطب الله عز وجل عباده بما لا سبيل
لاحد من الخلق الى معرفته وقال ابن الحاجب انه الظاهر ويتراى من المصنف
انه يقول به والاكثرون من الصحابة والتابعين واتباعهم ومن بعدهم خصوصا
اهل السنة ذهبوا الى الثاني وقالوا الوقف على قوله الا الله والراسخون

مبتدا او ما بعده خبره وهو اصح الروايتين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال
ابن السمعاني لم يذهب الى القول الاول الا شرذمة قليلة وقد سئل الشعبي
عن فواتح السور فقال ان لكل كتاب سرا وان سر هذا القران فواتح السور
وقد خاض في معناها اخرون واختلف المتخوضون من المفسرين في معنى
يس ما هو على اقوال فحكى ابو محمد مكي تقدم منا ترجمته في اول الفصل
الثالث انه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لي عند ربي عشرة اسماء
اي في علمه ولم يسمني بها الناس لعدم اطلاعهم عليها قبل ان يعلم الله عز وجل
عباده بها ويجوز ان يكون جعلها في علمه عز وجل مع ان الله احاط بكل شيء علما
تعظيما لها كما يقال محمد عبد الله ورسوله وان كان كل من في السموات
والارض عبد الله فان اضافته الى من له الكمال المطلق شرف عظيم ولهذا
عظمه عز وجل بقوله سبحان الذي اسرى بعبده ليلا ويجوز ان يراد بقوله
عند ربي اي بين الملا الاعلى فانهم موصوفون بانهم عند الله قال تعالى
ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته فذكر المحل واراد الحال كما في قوله عز وجل
واسال القرية اذ اريد بالقرية اهلها وانه من المجاز المرسل لا من مجاز
الحذف وقد اشار بكونها عند الله الى ان الله عز وجل هو الذي وضعها علي
وسماني بها وذكر هذا العدد لا ينفي ما زاد عليه لان العدد لا يكون مفهومه
حجة الا عند شذوذ من العلما ذكر ان منها طه ويس اسمان له فلا يكون يا
يس حرف ندا ويجوز فيه ضم النون على انه منادى مفرد معرفة فهو مبني على
الضم ويجوز ان يكون اخره مفتوحا فقيل حركته حركة اعراب وهو منصوب

بفعل

بفعل القسم على حد قولك الله لافعلن وبفتحها قرا عيسى وقرا ابو السماك بكسر النون
فقيل على اصل التقاء الساكنين وقيل قسم جر بتقدير حرف جر وهو جائز عند
الكوفيين واما طه فقد اخرج الحاكم في المستدرك من طريق عكرمة عن
ابن عباس رضي الله عنهما في قوله طه قال هو كقولك يا محمد بلسان الحبش
وحكى ابو عبد الرحمن السلمي قدمنا ترجمته في الباب الاول في الفصل
الاول منه عن جعفر الصادق قدمنا ترجمته في الفصل الاول من الباب الاول
انه اراد يا سيد هذا كلام قاله السلمي في حقائقه ولفظه قال جعفر الصادق في قوله
يس اي يا سيد مخاطبا لنبيه صلى الله عليه وسلم بذلك ولذلك قال النبي صلى
الله عليه وسلم انا سيد لم يمدح بذلك نفسه ولكنه اخبر عن معنى مخاطبة الحق
عز وجل اياه بقوله يس قال وهذا شبيه بقول النبي صلى الله عليه وسلم
على المنبر ونادوا يا مال وقوله لابي هريرة يا ابا هر وغير ذلك فلما اخبر الله
عز وجل عنه بالسيادة مبهما امره بالتصريح به فصرح بذلك فقال ان الله عز
وجل دعاني سيدا فانا سيد ولد ادم ولا فخر لي بالسيادة لان افتخاري
بالعبودية اجل من اخباري عن نفسي بالسيادة انتهى وحاصله انه
يشير الى ان السين اشارة الى لفظ سيد واكتفى بالسين عن باقي الكلمة
وهذا نوع من انواع الحذف يسمى عند العلما بالاقتطاع وهو حذف بعض
حروف الكلمة وذكر بعضها وانكر ابن الاثير ورود هذا النوع في القران
ورد بان بعضهم جعل منه فواتح السور على القول بان كل حرف منها من اسم
من اسماء الله تعالى وادعى بعضهم ان الباء في وامسحوا برؤسكم اول كلمة بعض

ثم حذف الباقي ومنه قراءة بعضهم ونادوا يا مال بالترخيم ولما
سمعه بعض السلف قال ما اغنى اهل النار عن الترخيم واجاب بعضهم
بانهم لشدة ما هم فيه عجزوا عن اتمام الكلمة ومن الاكتفاء ببعض الكلمة
قول الشاعر فقلت لها قفي فقالت ق اي وقفت وقال
بالخير خيرات وان شرا فا اي فشر ولا اريد
الشر الا ان ت اي ان تشا وقال نادوهم الا الجموا الا تا قالوا جميعا
كلهم الا فا ه اراد الا تركبون الا فاركبوا فان قلت كيف يسمى سيدا
وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم انهم لما قالوا انت سيدنا قال قولوا بقولكم
اي ادعوني نبيا ورسولا كما سماني الله عز وجل ولا تسموني سيدا كما
تسمون روساءكم فاني لست كاحدهم ممن يسودكم في اسباب الدنيا
قلت يوخذ من هذا الحديث انه صلى الله عليه وسلم كره ان يسمى بالسيادة
الدنيوية والا فالله عز وجل سماه سيدا وهو صلى الله عليه وسلم قد اخبر بذلك بوحي
من الله عز وجل وامر منه فقال انا سيد ولد ادم ولا فخر فانه قاله اخبارا
عما اكرمه الله عز وجل به من الفضل والسودد وتحدثا بنعمة الله عز وجل
عنه واعلاما لامته ليكون ايمانهم به على حسبه وموجبه ولهذا اتبعه
صلى الله عليه وسلم بقوله ولا فخر اي ان هذه الفضيلة التي نلتها كرامة من الله
عز وجل لم انلها من قبل نفسي ولا بلغتها بقوتي فليس لي ان افتخر بها
فان قلت ما تعريف السيد قلت جا في الحديث انهم قالوا يا رسول الله
هل في امتك من سيد قال بلى من اتاه الله عز وجل مالا ورزق سماحة

فادى

الشعر محل نظر
تدبر

فادى شكره وقلت شكايته في الناس وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) يس يا انسان
اراد محمدا صلى الله عليه وسلم ان قلت سياتي قول اخر يقول فيه وقيل يا انسان
فما الفرق بين القولين قلت الفرق بينهما ان المراد بانسان في هذا
القول نكرة مقصودة بالخطاب لا ينصرف الى غيرها والمراد منها محمد
صلى الله عليه وسلم ويكون قد ذكر حرفا من كلمة انسان وحذف الباقي ويا فيه
حرف ندا وفي الوجه الاتي يريد ندا النوع الانساني ويكون يا فيه حرف
ندا ويكون قد نادى الله عز وجل النوع الانساني ويكون قوله انك لمن
المرسلين التفاتا على راي السكاكي لان مقتضى الظاهر ان يقول
انه اي ان محمدا صلى الله عليه وسلم لمن المرسلين وقال الزمخشري في كشافه
اصله يا انيسين فكثر النداء به على السنتهم حتى اقتصروا على شطره
كما قالوا في القسم م الله في ايمن الله وتعقبه ابو حيان بان المنقول
عن العرب في تصغير انسان انيسان ولا يعلم انهم قالوا في تصغيره
انيسين لان التصغير يرد الاشيا الى اصولها وقوله كما قالوا م الله
هو قول لبعضهم وقيل م الله حرف قسم وليس بمقتطع من ايمن
الله مع انا نستبعد ان الله عز وجل يصغر اسم احب خلقه اليه
قال الشهاب السمين التصغير لا يدخل في الاسما المعظمة ولذلك يحكى
ان ابن قتيبة لما قال في المهيمن انه مصغر من مومن والاصل
مويمن فابدلت الهمزة ها قيل له هذا يقرب من الكفر فليتق الله عز
وجل قائله وقيل هو قسم وهو من اسما الله عز وجل ولهذا قال مالك

في ما روى عنه اشهب صاحبه قال سالته هل ينبغي لاحد ان يسمى
بيس قال ما اراه ينبغي لان الله عز وجل يقول يس والقران الحكيم
يقول هذا اسمي يس قال القاضي ابو بكر بن العربي وهذا كلام بديع
وذلك ان العبد له ان يتسمى بما تسمى به الرب عز وجل اذا كان
فيه معنى منه كقوله عالم وقادر ومريد ومتكلم وانما منع مالك رضي الله
عنه من التسمية بيس لانه اسم من اسمائه عز وجل لا يدرى
معناه فربما كان معناه ينفرد به الرب سبحانه فلا يجوز ان
يقوم عليه العبد فان قيل فقد قال الله عز وجل سلام على
آل ياسين قلنا ذلك مكتوب بهجا فيجوز التسمية به وهذا
الذي ليس بهجي هو الذي تكلم عليه مالك لما فيه من الاشكال على
ان الياسين للعلما فيه اختلاف فقيل هو الياس عليه السلام
ووقع التسليم عليه ولكنه اسم اعجمي والعرب تتصرف في الاسما الاعجمية
ويكثر تغييرهم لها ولهذا قيل اعجمي العب به ما شئت قال ابن جني
ياسين والياس والياسين شي واحد فهو لغة في الياس كما ان
ادراسين لغة في ادريس وهذا كسينا وسينين وقيل جمع يراد
به هو واتباعه كالمهلبين لكن فيه ان العلم اذا جمع يجب تعريفه
باللام او يراد المنسوبون اليه بحذف ياي النسبة كالاعجمين وهو
قليل هذا على قراة من قرا بكسر الهمزة وسكون اللام بعدها ووصلها
بالياء كلمة واحدة وان كانت آل منفصلة عن ياسين في المصحف

في

في مقطوعة رسما موصولة لفظا لكن قرا نافع وابن عامر آل ياسين بفتح
الهمزة ومدها وكسر اللام وفصلها من اليا لفظا ورسما فاضافة الذي
هو بمعنى اهل الى ياسين كما يقال آل محمد وآل ابرهيم والمراد ولد
ياسين واصحابه فقيل المراد بياسين هذا الياس المتقدم فيكون
له اسمان واله رهطه وقومه المومنون وقيل المراد بياسين نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم ولكن لا يناسبه هذا نظم القصص المذكورة في
سورة الصافات قال الزجاج هو ابو اسحق ابرهيم بن محمد بن السري
ابن سهل الزجاج النحوي صاحب كتاب معاني القران كان من اهل
الفضل والدين حسن الاعتقاد جميل المذهب له مصنفات حسان
في الادب وسمي بالزجاج لانه كان يخرط الزجاج وله شرح كتاب
سيبويه وللنحاة رجل اخر يقال له الزجاجي نسبة الى الزجاج
المذكور لانه لزمه ثم انتقل الى الشام واقام بحلب ثم انتقل الى دمشق
ومات بطبرية رحمه الله وله كتاب في النحو يسمى الجمل ما قراه احد
الا انتفع به يقروه المغاربة كثيرا فالزجاج مات في جمادى الاخرة
سنة ست عشرة وثلثمائة وقد نيف على الثمانين سنة واما الزجاجي
فانه مات في سنة اربعين وثلثمائة قيل معناه يا محمد وقيل يا رجل
وقيل يا انسان وعن ابن الحنفية هو محمد ابن امير المومنين علي كرم الله
وجهه ابن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف المعروف
بابن الحنفية وهي امه واسمها خولة من سبي بني حنيفة كنيته محمد

ترجمه الزجاج

وهو عبد الرحمن بن اسحق وكنيته ابو القاسم اصله من اهل الصيمرة وانتقل الى بغداد وسمي الزجاجي

ترجمه الزجاجي

ترجمه ابن الحنفية رضي الله عنه

هذا ابو القاسم ويقال ابو عبد الله ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه
وقيل لثلاث بقين وهو من كبار التابعين دخل على عمر وسمع عثمان واباه
رضي الله عنهم روى عنه بنوه الحسن وعبد الله وابرهيم وعون وجماعات
من التابعين روينا عنه عن ابيه قال قلت يا رسول الله ان ولد لي
بعدك مولود اسميه باسمك واكنيه بكنيتك قال نعم وقال احمد بن عبد الله
ثلاثة يسمون محمدا رخص في كنيتهم بابي القاسم محمد بن ابي بكر الصديق
ومحمد بن علي بن ابي طالب ومحمد بن طلحة بن عبيد الله مات ابن الحنفية
سنة اربع عشرة ومائة وقال البخاري سنة ثمانين وقال يحيى بن
زكريا سنة احدى وثمانين وقال المدايني سنة ثلاث وثمانين وفي
تاريخ البخاري عن ابي حمزة بالجافال مضينا نسكنا حين قتل
ابن الزبير ثم رجعنا الى المدينة مع محمد بن علي بن الحنفية فمكث ثلاثة ايام
ثم توفي وهذا يوافق قول ابن الهيثم ان محمدا مات سنة ثلاث وسبعين
فان ابن الزبير رضي الله عنهما قتل سنة ثلاث وسبعين وقيل سنة اثنين
وسبعين يس يا محمد وعن كعب يس قسم اقسم الله عز وجل به قبل
ان يخلق السماء والارض بالفي عام نقل شيخنا الرضي بن التاذفي المعروف
بابن الحنبلي في ما كتب على الشفا عن التجاني قال هذا القول عندي مشكل
غاية الاشكال لان القرآن كلام الله عز وجل وكلامه صفة من صفاته
القديمة فلا يصح ان يذكر في تقدمه على خلق السماء والارض مقدار معين لان
خلقهما محدث قال والاولى ان تضعف الروايات الواردة بهذا اما ان

فان

محمدا مات
وفي الصحيح للتاريخ

فان صح ذلك عنه فيترك علم ذلك الى الله عز وجل اذ لا يقول كعب هذا الا بتوقيف
وليس ذلك مما يدرك بالاجتهاد والراي قال شيخنا واقول لا يخفى ان
القبلية المذكورة متعلقة بالاقسام المذكور فالمتقدم على خلق السماء والارض
انما هو الاقسام المذكور لا ما ذكره ثم ان اقسامه تعالى بكلمة يس عبارة
عن احداثها دالة على قسم قد تعلق كلامه الازلي به على وجه مخصوص اما
على لسان احد من الملائكة او في اللوح المحفوظ فقد قيل ان اول شيء
خلقه الله عز وجل اللوح المحفوظ ثم القلم وكتب فيه ما هو كائن الى يوم
القيمة وقيل اول ما خلقه الله عز وجل الارواح ثم حملة العرش الاربعة الذين
يمدون يوم القيمة باربعة اخرى فيحمل عرش ربك يومئذ ثمانية ثم كان
خلق السماء والارض على القولين واما الاعلى ذلك والا في هذا كما في تكليم الله
عز وجل موسى عليه السلام فانه عبارة عن احداث سماع لصوت دال على
كلام الله عز وجل الازلي عند الماتريدي ومن يتبعه من اصحابنا الحنفية
وعن احداث سماع لمعنى اخلع نعليك مثلا على ما ذهب اليه بعض اهل
السنة ونقل بعض متكلمي اصحابنا عن اكثرهم من انه تعالى وتقدس ليس
بمتكلم لم يزل مكلما كما انه متكلم لم يزل متكلما قال ابن الهمام من متاخري
علمائنا وهو عندي حسن الى ان قال وحاصل هذا عروض اضافة
خاصة للكلام القديم باسماع مخصوص بلا واسطة معتادة انتهى
قال وانت اعلم ان هذا الاحداث حادث عند المحققين فتكون
القبلية المذكورة ممكنة غاية الامر انه يلزم ان يكون الزمان موجودا

قبل خلقها ولا محذور فيه لا يقال الزمان مقدار حركة الفلك الاعظم وهو لم يخلق
قبلها لانا نقول لو سلم انه مقدارها فان الفلك الاعظم هو العرش وهو موجود
حينئذ بدليل قوله عز وجل وكان عرشه على الماء نبه عليه زين العرب عند ذكر حديث
كتب الله عز وجل مقادير الخلائق كلها قبل ان يخلق السموات والارض
بخمسين الف سنة واما اذا كان المراد باقسامه تعالى بتلك الكلمة تعلق كلامه
الازلي بها على الوجه المخصوص كما تقول امر بكذا اذا تعلق بالمامور به على وجه
اخر مخصوص فنقول قد اختلف في ذلك التعلق فقيل ازلي وقيل حادث
وعليه حمل كلام النسفي وابن الهمام من اصحابنا ولا اشكال على الثاني اصلا
واما على الاول فقد اجيب عنه بان المراد مجرد الكثرة او عدم النهاية مجازا
فيكون حاصل الكلام انه تعالى اقسم بها قبل خلقها بشيء كثير او من الازل
والاول يحمل على الثاني واهل هذا القول يجوزون تعلق كلامه الازلي بالمعدوم
الذي سيوجد فلا يقدح فيه كون تلك الكلمة معدومة ازلا وكون الاقسام
المذكور قبل ذلك لا ينافي كونه ازليا عندهم الا ترى الى قولك الزمان الماضي
قبل الزمان المستقبل حيث يقصد به مجرد بيان تقدمه عليه من غير ان
يخطر ببالك انه في زمان اخر متقدم على الزمان المستقبل ليلزم ان
ان يكون للزمان زمان اخر هو ظرف وان يكون الشيء ظرفا لنفسه انتهى
واقول ان الجواب الفصل عما استشكله الخاني انه لا شبهة في ان كلام
الله عز وجل قديم ازلي وليس مراد كعب بقوله بالفي عام ان ذلك ظرف
لاقسام الله عز وجل بانه اقسام قديم لان تنوع كلام الله عز وجل الى انواع

من

من امر ونهي وخبر واقسام قديم ازلي عند جمهور اصحابنا ولم يخالف في ذلك الا
عبد الله بن سعيد العلاسي وهو من الاشاعرة لكن اقسام الله عز وجل القائم
بذاته الازلي لا كلام لنا عليه ولا يوقت بوقت وانما الموقت احد
امرين اما كتابته في اللوح المحفوظ واما اشاعته واظهاره بين الملا الاعلى
وهذا كقول نبينا صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وآدم منجدل في طينته اذ ليس
المراد الا ظهور نبوته وشيوعها بين خلق الله عز وجل الموجودين اذ ذاك
ولا يخفى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم شاع في الملا الاعلى ذكره قبل
خلق السموات بل نفسه الشريفة هي النفس الكلية وهي اول منفصل
من عالم الغيب والحاصل ان المراد بهذا الاقسام اظهاره بين عباد الله
عز وجل وشهرته واشاعته مع انه كان قبل ذلك قائما بذات الله عز وجل
الازلية ونظير ذلك ما استشكل في حديث محاجة ادم موسى عليهما السلام
ففي الصحيحين واللفظ للبخاري بسنده الى ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال احتج ادم وموسى عليهما السلام فقال له موسى عليه
السلام يا ادم انت ابونا خيبتنا واخرجتنا من الجنة قال له ادم يا موسى
اصطفاك الله عز وجل بكلامه وخط لك بيده اتلومني على امر قدره علي قبل ان
يخلقني باربعين سنة فحج ادم موسى عليهما السلام ثلاثا وتقرير الاشكال
فيه ان المعلومات كلها قد احاط بها علم الله عز وجل القديم قبل وجود
المخلوقات كلها فكيف يوقتها باربعين وقد اجاب عن ذلك ابن الجوزي
فقال نعم ولكن كتابتها وقعت في اوقات مختلفة فان قلت هل يجوز ان

يقال هنا ايضا ان الله عز وجل كتب الاقسام به قبل خلق السموات والارض
بالفي عام قلت كتابة ذلك من جملة المقادير وفي صحيح مسلم ان الله عز
وجل قدر المقادير قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة
اللهم الا ان يقال ان هذا الاقسام خص من ذلك العام بل ادعى ابن الجوزي
ان حديث كتابة التوراة خص من عموم المقادير وانا اقول لم يحوجنا
الى تخصيص هذا شي في خبر كعب ولا في خبر محاجة ادم مع موسى عليهما السلام
مع ان تاويل ذلك بالاظهار والاشاعة احسن شي يقال فيه ثم اني اقول
ان لي في كلام شيخنا نظرا من وجوه الاول ان قوله ثم ان اقسامه تعالى بكلمة بيس
عبارة عن احداثه دالة على قسم قد تعلق كلامه الازلي به الى اخره مشعر
بان كلمة بيس محدثة وهذا لم يقل به اهل السنة وكانه اخذ ذلك من ظاهر
كلام نسب الى الاشعري انه قال ان القديم هو المعنى القائم بالنفس
والالفاظ الدالة عليه محدثة وتوهم هذا اقوام حتى نسبوا الاشعري الى
انه يقول ان العبارات التي دلت على المعنى تسمى كلاما مجازا لدلالتها على ما
هو كلام حقيقي حتى صرحوا بان الالفاظ حادثة على مذهبه ايضا لكنها
ليست كلامه حقيقة قال المولى عضد الدين الايجي في رسالة له
وهذا الذي فهموه من كلام الشيخ له لوازم كثيرة فاسدة كعدم اكفار من انكر
كلامية ما بين دفتي المصحف مع انه علم من الدين بالضرورة كونه كلام الله
عز وجل حقيقة وكعدم المعارضة والتحدي بكلام الله الحقيقي وكعدم كون
المقروء به والمحفوظ كلامه حقيقة الى غير ذلك مما لا يخفى على المتفطن في الاحكام

الدينية

الدينية فوجب حمل كلام الشيخ على انه اراد به المعنى الثاني ومراده بالمعنى الثاني
المعنى الثاني مما يطلق عليه لفظ المعنى فانه يطلق تارة على مدلول اللفظ
واخرى على المعنى القائم بالغير والاشعري يريد هذا الثاني لا الاول فيكون الكلام
النفسي عنده شاملا للفظ والمعنى جميعا قائما بذات الله عز وجل وهو مكتوب
في المصاحف مقروء بالالسن محفوظ في الصدور وهو غير الكتابة والقراءة
والحفظ الحادثة وما يقال ان الحروف والالفاظ مترتبة متعاقبة فجوابه
ان ذلك الترتيب انما هو في التلفظ بسبب عدم مساعدة الالة فالتلفظ
حادث والادلة الدالة على الحدوث يجب حملها على حدوثه دون حدوث
الملفوظ جمعا بين الادلة وهذا الذي ذكرناه وان كان مخالفا لما عليه
متاخروا اصحابنا الا انه بعد التامل تعرف حقيته كذا قاله العضد في
رسالته وهو الذي مشى عليه الشهرستاني في كتابه المسمى بنهاية الاقدام
في علم الكلام الثاني قوله واما الا على ذاك ولا في هذا كما في تكليم موسى عليه
السلام الى اخره فان حاصله ان اقسام الله عز وجل بيس قديم ازلي
والذي وقع قبل خلق السموات والارض بالفي عام انما هو ان الله جل
ذكره احدث صوتا دالا على اقسام الله عز وجل بيس قبل خلق السموات
والارض بهذه المدة كما وقع في تكليم الله عز وجل لموسى عليه السلام فانه عبارة
عن احداث سماعه لصوت دال على كلام الله عز وجل الازلي عند الماتريدي
ونحن نقول الماتريدي من اهل السنة ولكن في هذه المقالة خالف الاشعري
والذي حمله على ذلك انه استحال سماع ما ليس بصوت فقد سمع موسى عليه السلام

قوله ونحن نقول غنيع بعض الترك فتين
حسه نسخة ان الكلام النفسي هو المسموع الى
قوله وتحقيق الماتريدي
قوله وتحقيق الاصحاب
وكم من عائب
قولا صحيحا وافته من الفهم السقيم

على قوله صوتا دالا على كلام الله عز وجل وعند الاشعري وجمهور اهل السنة
ان موسى سمع الكلام النفسي فان الله عز وجل قال وكلم الله موسى تكليما
والحمل على الاسناد الحقيقي ممكن ولا موجب للعدول عنه هذا وانه لا يتحقق
ما يصلح ان يكون محلا للخلاف بين الاشعري والماتريدي لانه اما ان
يفرض في الاستحالة عقلا فلا يتاتى انكار امكان ان يخلق الله عز وجل
للقوة السامعة ادراك الكلام النفسي او يفرض في الاستحالة عادة
ولا يتاتى انكار امكان ذلك خرقا للعادة فهذا الجواب لا يتاتى على مذهب
الماتريدي فقط بل يتاتى على مذهب الاشعري ايضا بان يقال يجوز
ان الله عز وجل يحدث اسماع الملائكة اقسام الله عز وجل النفسي القائم
في ذكر الوقت الذي عينه كعب ومن هذا القبيل كلام رب العزة
عز وعلا لاهل الجنة جعلنا الله بكرمه وحلمه منهم فانه عند الاشعري
وتابعيه عبارة عن ازالة الحجب بينهم وبين الكلام النفسي حتى
يسمعوه وعند الماتريدي يخلق صوت يدل على الكلام النفسي بناء
على استحالة سماع ما ليس بصوت على ان صاحب التبصرة ساق من
عبارة الماتريدي في كتاب التوحيد ما يقتضي جواز سماع ما ليس
بصوت ثم قال صاحب التبصرة فيجوز يعني الماتريدي سماع ما ليس
بصوت الثالث ان قوله لا يقال الى اخره مضمونه ان كعبا اخبر بان
الله عز وجل اقسم بيس قبل خلق السموات والارض بالفي عام فقد
اوقع الله عز وجل القسم في هذا الزمان مع انه لم يكن اذ ذاك زمان لان

الزمان

الزمان عبارة عن حركة الفلك الاعظم الذي هو العرش والعرش لم يكن اذ ذاك
موجودا ونحن نقول ان الذي عرف الزمان بانه حركة الفلك الاعظم هم الحكماء
والحكماء يقولون بقدم الافلاك كلها هيولاها وصورتها فلم يكن للسماء
في زمن من الازمان فقد اصلا فلا يصادم هذا مقالة كعب فانه انما
تكلم على لسان الانبياء والرسل الذين يقولون بحدوث كل الكائنات ومن
كان من اتباع الرسل ويقول بمقالتهم ويتقيد باعتبار ما جاوا به وبلاحظ
ما نطقوا به وهم المتكلمون لا يعرفون الزمان بهذا التعريف بل تعريفه
عندهم انه متجدد معلوم يقدر به متجدد مبهم ازالة للابهام واذا لوحظ
هذا التعريف لا يرد شي من ذلك كما لا يخفى الرابع ان قوله واما ان كان المراد
باقسامه تعالى بتلك الكلمة تعلق كلامه الازلي بها خلاف ما عليه
المحققون لانه مبني على ان معنى الكلمة قديم واما الكلمة نفسها فانها
حادثة بناء على ما توهم كثير من اتباع الاشعري ان مراده بقوله المعنى القائم
بذات الله عز وجل قديم ما دل عليه اللفظ حتى ادى ذلك الى ان حكموا بان
معنى يس قديم وان لفظه حادث وهذه مقالة لا يرتضيها سني لما
يترتب عليها من المفاسد التي لا تحصى بل مراده بالمعنى ما قام بغيره لا
ما قام بنفسه ولا شك ان يس بهذا اللفظ قام بذات الله عز وجل
كما نقلناه عن محقق عصره عضد الايجي ثم قال كعب يا محمد انك لمن
المرسلين قال المصنف ثم قال اي الله عز وجل والقران الحكيم انك
لمن المرسلين فهم بعضهم من هذا الكلام ان كعبا جعل يس مقسما به وجواب

هذا القسم محذوف دل عليه جواب القسم الثاني وان تقديره يا محمد انك لمن
المرسلين ثم اقسم الله عز وجل قسما اخر فقال والقران الحكيم انك لمن المرسلين
فجملة انك لمن المرسلين المذكورة جواب القسم الثاني واما جواب يس
محذوف تقديره لمن المرسلين وانه زاد في تاكيد مضمون هذه الجملة
حيث اورد لها قسمين وان واو والقران الحكيم قسمية ايضا مع
ان ذكر مخالف لما عليه النحاة من انها عاطفة لا قسمية والا لاحتاج
كل قسم الى جواب وفهم بعض اخوان جملة قوله انك لمن المرسلين
المذكورة في الاية جواب يس واما قوله والقران الحكيم فلا احتاج الى
جواب مستقلا لانه معطوف على يس فلم يرد كعب تقدير جواب
يس بل اراد التصريح بانه اقسم بكلا الامرين على الرسالة والقسم
واحد والواو للعطف وانا اقول ان قوله يا محمد انك لمن المرسلين
هذا اخر كلام كعب واما قوله ثم قال والقران الحكيم انك لمن المرسلين
فهو ابتدا كلام قاله المصنف وقصده بذلك بيان ما اشتمل عليه
باقي الاية من تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وبيان ما احتمله قوله عز وجل
والقران الحكيم على تقدير كون يس قسما وعلى تقدير كونه اسما من اسماء
النبي صلى الله عليه وسلم واشار كعب الى ان قوله انك لمن المرسلين جواب
يس وان المخاطب بقوله انك محمد صلى الله عليه وسلم واما قوله والقران
الحكيم فان كعبا لم يتكلم عليه وما قلناه يوافق ما قاله القايل الثاني
من ان جملة والقران الحكيم المذكورة في الاية جواب يس وجملة والقران
الحكيم

١٧

الحكيم معطوفة عليها لكنه يخالفه في كون قوله ثم قال والقران الحكيم من تتمة
كلام كعب ونحن نقول انه من كلام المصنف فتامله فان قلت انه من
اسمائه صلى الله عليه وسلم وصح فيه انه قسم اي ثبت فيه ذكره بالنقل
الصحيح فهو على حد صح عند الناس اني عاشق ° غير ان لم يعرفوا عشقي لمن ٥
اي ثبت ذكره كان فيه اي في يس من التعظيم ما تقدم في لعمرك انهم
لفي سكرتهم فان قلت حيث كان قسما فاين حرف القسم قلت محذوف
ويس منصوب المحل على نزع الخافض كقولك الله لافعلن بنصب الله
ويجوز جر الله باسقاط حرف القسم وبقا عمله على حد قول الشاعر
اشارت كليب بالاكف الاصابع ٥ واما يس فلا يجوز ان تجر بحرف
القسم المحذوف لان حذف حرف القسم وبقا عمله خاص باسم الله عز وجل
فان قلت فاين جوابه قلت قوله انك لمن المرسلين واما والقران
الحكيم فانه على التقدير معطوف على يس فلا جواب له مستقلا فان قلت
اين اجوبة الاقسام الواقعة في اوايل السور كسورة البقرة وآل عمران
والاعراف وهود ونحوها قلت محذوفة يدل عليها ما ذكر بعدها ففي
مثل الم جواب القسم ان هذا القران حق بدليل قوله ذلك الكتاب لا ريب فيه
وقوله الم الله لا اله الا هو تقديره ان الله عز وجل لواحد بدليل قوله الله
لا اله الا هو ولا يجوز ان يكون هذه الجمل نفسها جواب القسم لانه يلزم فيها
اللام وحذف اللام على قلته مخصوص باستطالة القسم كقول ابن مسعود
رضي الله عنه والله الذي لا اله الا هو هذا مقام الذي انزلت عليه سورة البقرة

شعر من الطويل

مصراع من الطويل

هنا م

ويوكد فيه القسم عطف القسم الاخر عليه ان قلت ان جعل يس قسما كان
قوله والقران الحكيم معطوفا عليه لا انه قسم اخر فاين القسم الاخر على تقدير
كون يس قسما قلت لا شك ان هذا الكلام برمته فيه رائحة القسم والله
عز وجل لم يذكر القران الحكيم الا ليقسم به فكان قوله والقران الحكيم صريحا
في القسم ويس ليست صريحة في القسم الا ان كعب نبهنا على انها قسم
وكان في تنبيهه نوع خفا اذ لا دلالة للفظ عليه فاظهر لنا ما عسى ان
يستبعد عطف القسم الاخر عليه على ان الاقسام المتعاطفة كلها
اقسام وتخصيص اسم القسم باولها وجعل الباقي معطوفا عليه
اصطلاح للنحاة والا فالكل مقسم به بحسب المعنى كما انهم يسمون
المعطوف على الفاعل معطوفا ويخصون الفاعل بالاول فان قلت
ما وجه التاكيد قلت حصول مع ان ربنا عز وجل جرت عادته
بانه يقسم بمتعددات في غالب اقسام القران لا سيما الاقسام المذكورة
في اوائل السور هنا ويمكن ان يكون قسما على قول من قال الاحرف
الواقعة في اوائل السور هي اسم الله عز وجل الاعظم الا انا لا نعرف
تاليفه منها كما نقله ابن عطية وابن جرير بسند صحيح عن ابن مسعود
واخرج ابن جرير وغيره من طريق علي بن ابي طلحة عن ابن عباس
رضي الله عنهما ان هذه الاحرف قسم اقسم الله عز وجل به وهو من اسماء
الله اي انها برمتها اسماء الله عز وجل واخرج ابن ماجة في تفسيره ان
عليا رضي الله عنه كان يسال الله عز وجل بها **وان كان بمعنى الندا** اي وان كان

يس

يس مفسرا بمعنى الندا لا بمعنى القسم **فقد جا قسم اخر بعده** ان قلت
لفظ بمعنى غير ولا يستعمل الا فيما هو من جنس المذكور اولا كما تقول اخره
جاني زيد واخر اي رجل اخر لا حمار اخر او امراة اخرى وههنا اذا كان
يس نداء فليس القسم من جنسه وان كان يشملهما قدر مشترك هو
الانشا الا ان ذلك لا يكفي في التعبير بلفظ اخر كما لا يخفى قلت قد استعمل
لفظ اخر ليس باعتبار انه ندا وانما هو باعتبار انه لوحظ كونه قسما على
تقدير ذلك القول السابق اي ان فاتتنا تسميته باعتبار كونه نداء فقد
جانا قسم اخر اغنانا عن ذلك التسمية فقد لاحظنا في التعبير بلفظ اخر
الجنسية الفائتة لا الجنسية الثابتة **لتحقق رسالته والشهادة**
بهدايته يعني ان المقسم عليه في الاية رسالته والشهادة بهدايته
والتاكيد بالجملة الاسمية وان ولام الابتدا والقسم انما جي به للتحقق
ما اقسم الله عليه وهو رسالته والتحقيق هو التقوية والتاكيد فان قلت
التاكيد انما يوتى به لازالة انكار المنكر وشك الشاك اذا كان ذلك المنكر
هو المخاطب وههنا المخاطب محمد صلى الله عليه وسلم وهو لم يشك في
مضمون الجملة ولم ينكره قلت التاكيد لا يوتى به في الكلام البليغ لدفع
انكار المنكر وشك الشاك فقط بل قد يكون لنكات اخرى كوفور
نشاط المتكلم وكونه عن صميم القلب كقول المنافقين للنبي صلى الله عليه وسلم
نشهد انك لرسول الله ويأتي للرد على ظنه الباطل كقولك احسنت اليه
ثم انه اسا الي وقولها رب اني وضعتها انثى ولاظهار كمال العناية كقوله تعالى

انك لمن المرسلين او كمال التضرع والابتهال نحو ربنا اننا آمنا او كمال الخوف
نحو انك من تدخل النار فقد اخزيته كذا ذكره السيد الشريف في شرح
المفتاح اقسم الله عز وجل باسمه وكتابه استئناف ينبئ عن
جواب سوال تولد مما قبله كان قايلا قال ما الذي اشتمل عليه الايات
المذكورة من قسم الله عز وجل لتعظيم قدره صلى الله عليه وسلم فقال اقسم الله
باسمه اي اسم النبي صلى الله عليه وسلم وكتابه اي كتاب النبي صلى الله
عليه وسلم فان قلت الكتاب كتاب الله عز وجل فكيف اضيف الى النبي
صلى الله عليه وسلم قلت تصح اضافة الكتاب الى النبي صلى الله عليه وسلم
باعتبار انه نزل عليه لا على غيره من الانبيا عليهم السلام بل تصح اضافته
الى المسلمين باعتبار انهم مصدقون فان قلت اما يجوز عود ضمير
اسمه الى الله عز وجل وضمير كتابه اليه ايضا كما هو المتبادر فان الكتاب
غالبا لا يضاف الا اليه تعالى قلت هذا الاستئناف مفرع على كون يس
اسما من اسما النبي صلى الله عليه وسلم ورد الامام اليه ما افصل فيه فتعين ان
يكون مراد المصنف باسمه اسم النبي صلى الله عليه وسلم واما ضمير كتابه فان
ارجعناه الى النبي صلى الله عليه وسلم بالطريق الذي ذكرناه فلا ضير فيه وان
ارجعناه الى منزله عز وجل مع عود ضمير اسمه الى النبي صلى الله عليه وسلم
لزم تشتيت الضماير ولا ضير فيه ايضا سيما عند ظهور المراد وان
كان تشتيت الضمير مخلا ببلاغة القران لا بكلام الناس ولهذا لما
جوز بعضهم في ان اقذفيه في اليم ان الضمير في الثاني للتابوت وفي الاول
لموسى

لموسى عليه السلام عابه الزمخشري وجعله تنافرا مخرجا للقران عن اعجازه
فقال والضماير كلها راجعة الى موسى عليه السلام ورجوع بعضها اليه وبعضها
الى التابوت فيه هجنة على ان ذلك قد وقع في القران كما في قوله ولا تستفت
فيهم منهم احدا الضمير في فيهم عايد الى اصحاب الكهف والضمير في منهم عايد
الى اليهود قاله ثعلب والمبرد وقد كثر مجيء ذلك في القران ثم ان الظاهر
ان قول المصنف باسمه ان القسم وقع باسم النبي صلى الله عليه وسلم لانه
دال على شرفه ورفعة قدره ولو جعل مراده باسمه به صلى الله عليه وسلم
ولفظ اسم مقحم كما في اسم في قوله عز وجل سبح اسم ربك لكان حسنا ايضا
انه لمن المرسلين هذا جواب القسم الواقع في عبارة المصنف حيث قال
اقسم الله عز وجل باسمه وصدر جواب القسم بان واذا وقعت ان
في جواب قسم وليس معها لام الابتدا جاز فيها الوجهان كسرها وفتحها
تقول حلفت بالله انك ذاهب بالكسر والفتح ومنه قول الشاعر
رجز
لو تحلفي بربك العلي • اني ابو ذيالك الصبي • فقد جوزوا في اني
وجهين لكن اذا لم يوجد معها لام الابتدا فان وجدت تعين الكسر
فلو قلت حلفت بالله انك لذاهب تعين كسر اللام ومن ارتكب
في كسر ان تقديرا قايلا بعد القسم انه لمن المرسلين فقد ارتكب
شططا لا سيما المتجاوز الى ان يقول ارتكب نقل عبارة القران
بالمعنى فتدبر يوحيه الى عباده للجار والمجرور في قوله الى عباده متعلق
بالمرسلين فهو لغو وفي قوله يوحيه متعلق بمحذوف هو حال موكدة من

الضمير المستكن في المرسلين اي من الذين ارسلهم الله عز وجل متلبسين
بانهم يوحى اليهم فان قلت المرسل تعريفه شرعا انسان اوحي اليه
بشرع وامر بتبليغه فقوله لمن المرسلين يفهم منه انه يوحى اليه وانه
الى عباده فما الحاجة الى ذكر هذين الجارين والمجرورين قلت فائدتهما
التاكيد ودفع توهم ما ليس مرادا لان المرسل يطلق على من ارسله
الله عز وجل وعلى من ارسله رسول الله فانه ايضا رسل الله عز وجل
قال اذ ارسلنا اليهم اثنين وكانا رسولين لعيسى عليه السلام فزاد
قوله بوحيه لئلا يتوهم انه رسول رسول الله فلما ذكر بوحيه افاد
التنصيص على انه رسول يوحى اليه من الله عز وجل واما قوله الى عباده
فلافادة تعميم رسالته وشمولها لكل عباد الله العاقلين لان يرسل اليهم
رسول **وعلى صراط مستقيم** عطف على قوله من المرسلين اي انه لعلى
صراط مستقيم فقد اشار بذلك الى ان هذا الجار خبر بعد خبر لان الواقع
في الاية وقد قيل انه متعلق بالمرسلين وان على فيه بمعنى الباء على
حد قوله تعالى حقيق على ان لا اقول اي بان لا اقول وجوز وايضا ان
يكون حالا من الضمير المستكن في المرسلين اي حال كونك كائنا على
صراط مستقيم ولو لم يجعل هذا الجار خبرا ثانيا لكان المقسم عليه
امرا واحدا هو انه رسول على طريقة مستقيمة وقد افاد جعله
خبرا ثانيا ان المقسم عليه امران كونه من المرسلين وكونه على صراط
مستقيم **من ايمانه اي طريق** تفسير لصراط فانه هو الطريق اخذا من سرط

الطعام

الطعام اذا ابتلعه فكانه يسترط السابلة اي يبتلعهم ولذلك سمي لقما لانه
يلتقمهم وقوله **لا اعوجاج فيه ولا عدول فيه عن الحق** تفسير للمستقيم
قال النقاش هو محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هرون بن جعفر بن
سند ابو بكر الموصلي النقاش نزيل بغداد الامام العلم مؤلف كتاب
شفاء الصدور في التفسير مقرئ مفسر ولد سنة ست وستين ومائتين
وعني بالقراءات من صغره واخذها عن جماعة كثيرة وطاف الامصار
وجال في البلدان وكتب الحديث وقيد السنن وصنف المصنفات
في القراءات والتفسير وغير ذلك وطالت ايامه فانفرد بالامامة
في صناعته مع ظهور نسكه وورعه وصدق لهجته وبراعة فهمه
وحسن اطلاعه واتساع معرفته وقال الخطيب كان عالما بالحروف
حافظا للتفسير سافر الكثير شرقا وغربا وكتب بمصر والشام والجزيرة
والجبال وخراسان وما وراء النهر وقد اثنى عليه ابو عمرو الداني
وناهيك بالداني لا سيما في رجال القراءات قال ابو الحسن بن الفضل
حضرت النقاش وهو يجود بنفسه في ثالث شوال سنة احدى
وخمسين وثلاثمائة فجعل يحرك شفتيه ثم نادى باعلى صوته
لمثل هذا فليعمل العاملون يرددها ثلاثا ثم خرجت نفسه **لم يقسم**
الله عز وجل لاحد من انبيائه بالرسالة في كتابه الا له اي لمحمد صلى الله
عليه وسلم اي ان الله عز وجل ما ارسل رسولا الا وخاطبه بانك رسولي
بمجرد خطاب ولم يقسم لاحد منهم حين خاطبه بها الا لمحمد صلى الله عليه وسلم

ترجمة
ابي بكر النقاش ه

فاللام في قوله لاحد صلة يقسم لان اقسم وحلف ونحوهما اذا اريد تعديتهم
للمحلوف له بالقسم تعدى باللام فاذا طلبت زيدا ليقول لك والله ما رايت
عمرا تقول اقسمت لزيد على عدم روية عمرو واما الباء في قوله بالرسالة
فهي باء السببية ففي هذا المثال لك ان تقول اقسمت لزيد على عدم
روية عمرو وان تقول اقسمت لزيد بالله بعدم روية عمرو ويتعلق
هذه الباء بعامل محذوف هو مفعول مطلق ليقسم اي لم يقسم الله عز
وجل لاحد ما اقسم به اقساما كائنا بسبب الرسالة الا لمحمد صلى الله
عليه وسلم وليست اللام فيه للتعليل بل على حد قوله عز وجل فيحلفون
له كما يحلفون لكم وقول الشاعر • حلفت لها بالله حلفة فاجر • من الطويل
لناموا فما ان من حديث ولا صال • وليست الباء في قوله بالرسالة
بمعنى على اذ لا حاجة الى ذلك فان قلت لم خص الله عز وجل محمدا بالحلف
والاقسام بسبب الرسالة قلت ذلك لكمال العناية بما حلف عليه
للاشعار بان رسالته لا تعادلها رسالة غيره وانها ذات الحوطة التامة
وجميع رسالات الرسل منها تستمد واليها تستند وفيه اي في سبب
من تعظيم وتمجيد اي وصفه بالمجد وهو الشرف الواسع ورجل ماجد
مفضال كثير الخير وقيل اذا قارن شرف الذات حسن الفعل سمي
مجدا على تاويل من قال انه اي تفسير وقد خص التاويل بحمل الكلام
على معناه الخفي دون الظاهر كذا قيل ومقتضى قوله فلا تخص ان
التاويل اخص من التفسير فان التاويل يكون في المعنى الخفي والتفسير

يستعمل

يستعمل فيه وفي غيره وقيل وجه عمومه ان التفسير في كتاب الله عز وجل
وفي غيره من الكتب والتاويل لا يستعمل الا في كتاب الله عز وجل ويعجبني
في الفرق بينهما ما قاله ابو طالب الثعلبي ان التفسير بيان وضع اللفظ
اما حقيقة او مجازا كتفسير الصراط بالطريق والصيب بالمطر
والتاويل تفسير باطن اللفظ ماخوذ من الاول وهو الرجوع لعاقبة
الامر فالتاويل اخبار عن حقيقة المراد والتفسير اخبار عن دليل المراد
لان اللفظ يكشف عن المراد والكاشف دليل مثاله قوله عز وجل ان
ربك لبالمرصاد تفسيره انه من الرصد يقال رصدته رقبته والمرصاد
مفعال منه وتاويله التحذير من التهاون بامر الله عز وجل والغفلة
عن الاهبة والاستعداد للعرض عليه وقواطع الادلة تقتضي بيان
من قال انه هو المراد منه على خلاف وضع اللفظ في اللغة يا سيد ما فيه السيد الذي
يفوق قومه في الخير يقال ساد قومه سيادة وسوددا ويقال السيد
الحليم وفي الحديث جاء رجل فقال انت سيد قريش فقال النبي صلى
الله عليه وسلم السيد هو الله عز وجل قال الازهري كره ان يمدح في وجهه
واحب التواضع وليس هذا بمخالف لقوله صلى الله عليه وسلم لسعد
ابن معاذ رضي الله عنه حين قال قوموا الى سيدكم اراد افضلكم والعرب
تقول هو سيدنا اي رئيسنا الذي نعظمه فينا قال الشاعر
من الكامل • سوار سيدنا وسيد غيرنا • صدق الحديث فليس فيه تمارى •
فان قلت كيف قد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يسمى سيدا

في الحديث الصحيح لما قالوا له انت سيدنا فقال قولوا بقولكم اي ادعوني نبيا
ورسولا كما سماني الله عز وجل قلت قد فهم منهم انهم سموه سيدا سيادة
دنيوية كرؤساء اهل الدنيا وهو لم يرتض ذلك فمراده بذلك لا تسموني سيدا
كما تسمون رؤساكم فاني لست كاحدهم ممن يسودكم في اسباب الدنيا
وقد قال صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم ولا فخر السيد اصله من ساد
يسود فهو سيود فاجتمع الواو والياء في الكلمة وسبقت احداهما بالسكون
فقلبت الواو ياء وادغمت الياء في الياء وله اطلاقات فيطلق على الرب
ومنه حديث انه جاءه رجل فقال انت سيد قريش فقال السيد الله
عز وجل اي هو الذي تحق له السيادة لانه الرب ويطلق على المالك ومنه
حديث كل بني ادم سيد فالرجل سيد على اهل بيته والمراة سيدة اهل
بيتها ويطلق على الشريف ومنه قول نبينا صلى الله عليه وسلم للانصار من
سيدكم اي شريفكم قالوا الجد بن قيس على انا نبخله قال واي داء ادوأ
من البخل ويطلق على الفاضل ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم للانصار
قوموا الى سيدكم يعني افضلكم رجلا يعني به سعد بن معاذ فكان سعد
افضل رجل في الانصار رضي الله عنه ويطلق على الكريم ومنه حديث قالوا
يا رسول الله من السيد قال يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم
قالوا فما في امتك من سيد قال بلى من اتاه الله عز وجل مالا ورزق
سماحة فادى شكره وقلت شكايته في الناس ويطلق على الحليم ومنه
قول النبي صلى الله عليه وسلم للحسن بن علي رضي الله عنهما ابني هذا سيد قيل اراد به

الحليم

الحليم لانه صلى الله عليه وسلم قال في تمامه وان الله عز وعلا يصلح به بين فئتين
عظيمتين من المسلمين ويطلق على متحمل اذى قومه ويطلق على الزوج
ومنه قوله عز وجل والفيا سيدها لدى الباب وقول ام الدرداء قال لي
سيدي ابو الدرداء تعني زوجها ويطلق على الرئيس والمقدم فان قلت
على ما ذا يحمل سيد في قوله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم قلت على
الافضلية وانما قال يوم القيمة لاجتماع الناس كلهم في ذلك الموقف
جعلنا الله فيه من الامنين وان الافضلية تثبت له باعتراف منهم
ومشهد منهم كما نص عليه تعليله صلى الله عليه وسلم سيادته اياهم بقوله
في الحديث المروي في الصحيحين واللفظ للبخاري قال صلى الله عليه وسلم
انا سيد الناس يوم القيمة وهل تدرون مم ذلك يجمع الله عز وجل الناس
الاولين والاخرين في صعيد واحد الى اخره ونقل حديث الشفاعة
المعروف وقد بين في احاديث كثيرة سيادته بانه اول من تنشق عنه
الارض واول شافع واول مشفع واول من يوذن له في السجود واول
من ينظر الى رب العالمين والخلق محجوبون عن رويته اذ ذاك واول
الانبيا يقضى بين امته واولهم اجازة على الصراط بامته واول داخل
الى الجنة وانه يبعث راكبا واذان بلال رضي الله عنه يعلن بين يديه
ويصل صوته الى جميع اهل الموقف وكلهم يشهدون له بالرسالة
وعلو الشان وله المقام المحمود وسيأتي بيانه والكلام عليه وبيده
لواء الحمد وسجوده بين يدي الله عز وجل امام العرش وقول الله عز وجل

له ارفع راسك محمد وقل يسمع واشفع تشفع الى غير ذلك مما هو معلوم من
اكرام الله عز وجل اياه يوم القيمة مما لا حصر له وفي الباب التاسع من
الفتوحات المكية للعارف بالله الشيخ محيي الدين بن عربي بيان لسيادته
بعد نقله لهذا الحديث يطول الكلام عليه غير انه جوز في قوله ولا فخر ان يكون
بالراء المهملة وبالمعجمة قال والفخر بالخاء المعجمة والزاء المعجمة معناه
التبجح بالباطل ولم ار هذه الرواية لغيره انتهى واما معناه بالرا المهملة
ففي النهاية الاثيرية قاله صلى الله عليه وسلم اخبارا عما اكرمه الله عز وجل به من
الفضل والسودد وتحدثا بنعمة الله عز وجل واعلاما لامته ليكون
ايمانهم به على حسبه وموجبه ولهذا اتبعه بقوله ولا فخر اي ان هذه
الفضيلة التي نلتها كرامة من الله عز وجل لم انلها من قبل نفسي ولا
بلغتها بقوتي فليس لي ان افتخر بها وقد قال النووي رحمه الله في شرح
مسلم انما قاله صلى الله عليه وسلم هذا تحدثا بنعمة الله عز وجل وقد امره الله
عز وجل بهذا ونصيحة لنا بتعريفنا حقه صلى الله عليه وسلم قال القاضي
عياض رحمه الله قيل السيد الذي يفوق قومه والذي يفزع اليه في
الشدائد والنبي صلى الله عليه وسلم سيدهم في الدنيا والاخرة وانما خص يوم
القيمة لارتفاع السودد فيها وتسليم جميعهم له ولكون ادم وجميع
اولاده تحت لوائه صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى لمن الملك اليوم لله
الواحد القهار اي انقطعت دعاوى الملك في ذلك اليوم ثم ان قوله
ولا فخر هو نوع من انواع البلاغة يسمى عندهم بالتكميل ويسمى بالاحتراس

وهو

وهو ان يوتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفع ذلك الوهم فهو على حد
قوله عز وجل اذلة على المومنين اعزة على الكافرين فانه لو اقتصر على قوله
اذلة لتوهم انه لضعفهم فدفعه بقوله اعزة ومثله اشداء على الكفار رحماء
بينهم لو اقتصر على اشداء على الكفار لتوهم انه لغلظهم ومنه قوله جل
ذكره تخرج بيضاء من غير سوء ومنه قول الشاعر

من الكامل

فسقى ديارك غير مفسدها ... صوب الغمام وديمة تهمي

وقال تعالى لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد قيل لا اقسم به اذا
لم تكن فيه بعد خروجك منه حكاه مكي هذا القول مبني على ان لا نافية وان
النفي توجه الى المقيد والقيد معا لان جملة وانت حل بهذا البلد في محل
نصب حال والحال قيد في عاملها الذي هو هنا اقسم فاذا وجهنا النفي
اليها كان الكلام على نفي اقسامه عند عدم حلول النبي صلى الله عليه وسلم
فان قلت المشهور على السنة اهل البلاغة ان الكلام المشتمل على
تقييد اذا دخل عليه النفي او الاثبات توجها الى ذلك القيد فقد نقل
السعد التفتازاني في مطوله في بحث العطف على المسند اليه عن الشيخ
عبد القاهر من دلائل الاعجاز ان النفي اذا دخل على كلام فيه تقييد بوجه ما
يتوجه الى ذلك التقييد وكذا الاثبات قال وجملة الامر انه ما من كلام فيه
امر زائد على مجرد اثبات الشي للشي او نفيه عنه الا وهو الغرض الخاص
والمقصود من الكلام وهذا مما لا سبيل الى الشك فيه قلت قال المحققون
من المتاخرين ان هذا اكثري لا كلي ففي الاتقان لشيخ اشياخنا الجلال

السيوطي نفي الذات الموصوفة فقد يكون نفيا للصفة دون الذات وقد
يكون نفيا للذات ايضا من الاول وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام
اي بل هم جسد ياكلونه ومن الثاني قوله عز وجل ولا شفيع يطاع اي لا شفيع
لهم ولا مطاع فههنا المثبت في هذه الاية قسم وحلوله بهذا البلد وحل
النفي عليهما اي اذا اتصفت انت بعدم الحلول في هذا البلد فلا اقسم به
فان قلت قد اقسم الله عز وجل به غير ذاكر لهذا القيد في قوله عز وجل وهذا
البلد الامين قلت هذا الاطلاق محمول على هذا التقييد فالله عز وجل
لم يقسم به الا لحلوله فيه هذا وقد قرروا وجه النفي بغير هذا التقرير قال
السفاقسي في اعراب القرآن قيل لا نافية للقسم اي لا اقسم به وانت
فيه بل اقسم بك انتهى وهذا الوجه عندي احسن وذلك كما تقول لا
اعظم عالما وزيد في البلد فان معناه ان تعظيمي انما هو لزيد فقط ولهذا
فهم النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك المسلم الذي لطم اليهودي حيث ذكر موسى
عليه السلام وقال له اتذكر موسى عليه السلام والنبي صلى الله عليه وسلم
بين اظهرنا فكانه قال له اذكر النبي صلى الله عليه وسلم فقط انه قصد عدم تعظيم
موسى عليه السلام فلهذا دفع صلى الله عليه وسلم هذا بقوله لا تفضلوني على موسى
الحديث وقوله بعد خروجك منه بدل من قوله اذا لم تكن فيه وانما ذكر ذلك لان
قوله اذا لم تكن فيه شامل لما اذا كان مستوطنا به وخرج منه لمصلحة وعاد
اليه فانه صدق عليه انه لم يكن فيه لكن لم يصدق عليه انه خرج منه لان المراد
من الخروج الخروج العرفي ولا يقال للرجل انه خرج من البلد الا اذا ترك

استيطانها

• استيطانها ومن ذلك قوله عز وجل ليخرجن الاعز منها الاذل وعلى تقدير ان يكون
لا اقسم نفيا للقسم يكون قوله ووالد وما ولد قسما والمعنى انه تعالى لم
يقسم بهذا البلد واقسم بوالد وما ولد وقوله لقد خلقنا جواب القسم
وجوزوا ان يكون قوله ووالد معطوفا على هذا البلد اي لا اقسم بهذا
البلد ولا اقسم بوالد وما ولد وحينئذ لا تكون الاية مشتملة على اقسام
لان المقسم عليه هنا اجلى من ان يحتاج الى اقسام مع ان المقسم تعالى
وتقدس اجل من ان يحتاج الى اقسام واللام على هذا لام الابتدا لتاكيد
مضمون ما دخلت عليه بنا على قول الجمهور ان اللام الداخلة على قد
تقرب الماضي من الحال فتشبه المضارع المشبه للاسم وجعل بعضهم اللام
في قوله تعالى ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل وفي قوله لقد كان في يوسف
واخوته ايات للسائلين لام الابتدا والمشهور ان هذه لام القسم
وقال ابو حيان في ولقد علمتم هي لام الابتدا مفيدة لمعنى التوكيد
ويجوز ان يكون قبلها قسم مقدر وان لا يكون ونص جماعة على منع ذلك
كله وجعلوها لام القسم وقد جوزوا ان يكون لا نافية ومنفيها ليس فعل
القسم بل جي به لرد ما تقدم عنهم من انكار البعث فقيل لهم ليس الامر
كذلك ثم استونف القسم قالوا وانما صح ذلك لان القرآن كله كالسورة
الواحدة ولهذا يذكر الشي في سورة وجوابه في سورة اخرى نحو وقالوا
يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون رد عليهم بقوله في سورة اخرى
ما انت بنعمة ربك بمجنون وقال القشيري هو رد لما توهم الانسان

مطلب

المذكور في اخر السورة المغرور بالدنيا اي ليس الامر كما تحسبه من انه لا يقدر
عليه احد ثم ابتدا القسم قال في الكشاف والوجه ان يقال هي للنفي والمعنى
في ذلك انه لا يقسم بالشي الا اعظاما له يدلك عليه قوله تعالى فلا اقسم بمواقع
النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم فكانه بادخال حرف النفي يقول ان اعظامي
له باقسامي به كلا اعظام يعني انه يستاهل فوق ذلك انتهى **وقيل لا زائدة**
وزيادتها على فعل القسم مستفيض في كلامهم واشعارهم قال امرؤ القيس
• لا وابيك ابنة العامري لا يدعي القوم اني افر • وقال عوية بن سلمى
• الا نادت امامة باحتمال ليحزنني فلا بك ما ابالي • وفائدتها توكيد
القسم بل قال ابن جني كل حرف زيد في كلام العرب فهو قائم مقام اعادة
الجملة مرة اخرى فكل حرف زيد في كلام فهو لتاكيد ما زيد فيه فهو لم يوضع
بازاء معنى على سنن حروف المعاني وانما يزاد لغرض تقصده العرب
وهو التاكيد فهو على سنن حروف الهجا التي جعلت لغرض التركيب فاللام
هنا على حد قوله عز وجل لئلا يعلم اهل الكتاب وقد اعترض على كونها زائدة
بانها انما تزاد في وسط الكلام لا في اوله واجابوا عن ذلك بان القران في حكم
سورة واحدة متصل بعضه ببعض على ان الحق انها تزاد في اوله الا ترى
ان امرء القيس زادها في اول قصيدته ولكون الحرف الزائد لم يوت به في
الكلام الا تقوية وتاكيدا لم تتعلق حروف الجر الزائدة بشي لان الاصل ان
افعالا قصرت عن الوصول الى الاسما فاعينت على ذلك بحروف الجر
والزائد انما دخل في الكلام تقوية وتاكيدا له ولم يدخل للربط نعم يصح في اللام
التي

بيت عوته منه الوافي

التي تزاد للتقوية ان يقال لها انها متعلقة بالعامل المقوى نحو مصدقا لما معهم
وفعال لما يريد لان التحقيق انها ليست زائدة محضة لاطراد صحة اسقاطها
فلها منزلة بين منزلتين **اي اقسم به اي بهذا البلد وانت به يا محمد**
حلال او حل لك ما فعلت فيه على التفسيرين يعني ان قوله تعالى وانت حل
فسر بتفسيرين الاول ان المراد بالحل الحلال اي وقتلك حلال اعداؤك بهذا
البلد قال شرحبيل بن سعد معناه وانت بهذا البلد حلال اي الكفار لعنهم
الله عز وجل يحرمون مكة ان يقتلوا بها صيدا او يعضدوا بها شجرة ثم هم مع
هذا يستحلون قتلك واخراجك وفي الكشاف اقسم الله سبحانه بالبلد
الحرام وما بعده على ان الانسان خلق مغمورا في مكابدة المشاق والشدائد
واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله وانت حل بهذا البلد يعني
ومن المكابدة ان مثلك على عظم حرمتك يُستَحَلُّ بهذا البلد اي بالبناء
للمفعول الحرام كما يستحل الصيد في غير الحرم وعن شرحبيل يحرمون ان يقتلوا
بها صيدا او يعضدوا بها شجرة ويستحلون اخراجك وقتلك وفيه
تثبيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث على احتمال ما كان يكابد من
اهل مكة وتعجيب من حالهم في عداوته انتهى فدل على ان حلالا في عبارة
المصنف بمعنى انهم استحلوا قتلك واخراجك لا بمعنى حلال من احرامك
كما توهم الثاني ان معنى قوله وانت حل بهذا البلد اي حل لك ما تفعل بهذا
البلد فيكون هذا الاعتراض افاد تسلية النبي صلى الله عليه وسلم بان اقسم
ببلده على ان الانسان لا يخلو من مقاساة الشدائد ثم انه وعده كما جرت

به سنة الله عز وجل من انه في حلال الشدائد يعد باللطف والكرم فكانه قال له
انت الان تقاسي من اهل مكة شدة ولا يخلو كل احد من شدة وتمم التسلية
والتنفيس عن كربه فوعده بفتح مكة فقال وانت حل بهذا البلد يعني وانت
حل به في المستقبل وكل ما فعلت به حينئذ حل لك تصنع فيه ما تريد من
القتل والاسر وذلك ان الله عز وجل فتح عليه مكة واحلها له وما فتحت
على احد قبله ولا احلت لاحد قبله فاحل ما شاء وحرم ما شاء فقتل ابن خطل
وهو معلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار ابي سفين
فقال من دخل دار ابي سفين فهو آمن ثم قال ان الله عز وجل حرم مكة
يوم خلق السموات والارض فهي حرام الى ان تقوم الساعة لم تحل لاحد
قبلي ولن تحل لاحد بعدي ولم تحل لي الا ساعة من نهار وقد عادت حرمتها
اليوم كحرمتها بالامس فلا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها
ولا تحل لقطتها الا لمنشد فقال العباس رضي الله عنه الا الاذخر فانه لقيوننا
وقبورنا فقال صلى الله عليه وسلم الا الاذخر فيكون في ذكر اخبار عن امر مغيب
لان الاية مكية وفتح مكة وقع في اخر سني الهجرة ثم ان قوله وانت حل
اي في الزمن المستقبل كقوله عز من قائل انك ميت وانهم ميتون قال
القرطبي ومثله واسع في كلام العباد تقول لمن تعده بالاكرام والحبا
انت مكرم محبو وهو في كلام الله عز وجل اوسع لان الاحوال المستقبلة
عنده كالحاضرة المشاهدة وكفاك دليلا قاطعا على انه للاستقبال وان
تفسيره بالحال محال ان السورة بالاتفاق مكية وانها نزلت قبل الفتح فروى

منصور

منصور عن مجاهد قال ما صنعت فيه من شيء فانت في حل منه وكذا قال
ابن عباس رضي الله عنهما احل له يوم فتح مكة ان يقتل من شاء فقتل من قبل النهي
فان قلت ان جملة وانت حل حال ويلزم من تقريركم اختلاف زمني الحال
وعاملها قلت على ما قررنا يتعين ان تكون الجملة اعتراضية لا حالا لا
وفي الغريبين للهروي وقوله تعالى وانت حل بهذا البلد يعني مكة احلت
للنبي صلى الله عليه وسلم ساعة من نهار يقال رجل حل وحلال ومحل وحرم
وحرام ومحرم ومنه حديث العباس رضي الله عنه في زمزم لا احلها
لمغتسل وهي لشارب حل وبل فالحل الحلال والبل المباح بلغة حمير
هذا وقد فسروا قوله تعالى وانت حل بهذا البلد مع ان المراد بالبلد مكة
فقالوا معناه وانت مقيم فيه وهو محلك وقيل معناه وانت يا محمد
في هذا البلد محسن وانا عنك راض لست باثم ولا مرتكب ما لا
يرضيني ولا ترتكب فيه ما يحرم عليك لمعرفتك بحق هذا البيت لا كالمشركين
الذين يرتكبون الكفر بالله عز وجل اي اقسم بهذا البلد المعظم الذي قد
عرفت قدره وحرمته وانت مقيم فيه معظم له لم تنتهك حرمته وفي هذا
مدح عظيم لنبيه صلى الله عليه وسلم فان الانسان يتحمل اعباء طاعة الله عز وجل
حيث لا مشارك له في ذلك مع كثرة السالكين مسلكا يضاد ذلك في
غاية المشقة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم المتمسك بسنتي عند فساد
امتي له اجر مائة شهيد والمراد بالبلد عند هؤلاء مكة. وقال الواسطي
هو ابو بكر محمد بن موسى الواسطي خراساني الاصل اي يحلف لك بهذا

البلد الذي شرفته بمكانك فيه حيا هو مصدر ميمي بمعنى الكون اي بكونك
فيه وبركتك ميتا يعني المدينة نقل عبارة الواسطي على هذا القول
ابو عبد الرحمن السلمي في حقائقه فقال قال الواسطي اي نحلف
لك بها واقسم فيك عظم كما سماها طابة طابت به وبمكانه وقال
ابن عطا اقسم الله عز وجل بالمدينة لطيبها ولان النبي صلى الله عليه وسلم
سماها طيبة وشرفها بان جعل تربة رسوله صلى الله عليه وسلم فيها ومقامه
فيها وهجرته اليها فقال بهذا الذي شرفته بمكانك حيا وبركتك ميتا
انتهى وقد روى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم
بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله عز وجل ان اقسم
بحياتك دون سائر الانبياء ولقد بلغ من فضيلتك عنده ان اقسم بتراب
قدميك فقال لا اقسم بهذا البلد ثم ان تشريف النبي صلى الله عليه وسلم المدينة
بحلوله فيها حصل بامور الاول ذهاب ما كانت عليه من الوبا والوخم
فاصبحت اطيب البلاد وغبارها يشفي السقام ببركة دعائه صلى الله
عليه وسلم الثاني انها قرنت بمكة في الخبار فصارت هي مع مكة افضل
بقاع الارض حتى ان امرها الى ان قال صلى الله عليه وسلم في شانها وشان
مكة من مات في احد الحرمين حاجا او معتمرا بعثه الله عز وجل يوم القيمة
لا حساب عليه ولا عذاب وفي رواية بعث من الامنين يوم القيمة
وصح ان البقيع والحجون يوخذ باطرافهما وينثران في الجنة الثالث
ان الله عز وجل حرمها كما حرم مكة على ارجح اقوال الفقها الرابع ان الله

عز وجل

مطلب في شرف المدينة

عز وجل فيها فضل الحلال من الحرام الخامس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
سماها قبة الاسلام السادس ان غبارها شفا من الجذام السابع ان
الله عز وجل حماها بالملائكة يحفظونها من الدجال ويأجوج ومأجوج الثامن
انها تنفي خبثها كما تنفي النار خبث الفضة التاسع روى مسلم في صحيحه
ان من ارادها او اراد اهلها بسوء اذابه الله عز وجل كما يذوب الملح وروى
البخاري بسنده عن سعد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لا يكيد اهل المدينة احد الا انماع كما ينماع الملح في الماء العاشر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع لمن مات بها شفاعة خاصة به
غير الشفاعة العامة التي هي لاهل الكبائر من امته فان تلك حاصلة لكل
مسلم غير متوقفة على اختيار سكنى المدينة قال ابو شامة ويجوز
ان يكون اشار بذلك الى الموت على الاسلام لانه بذلك يصير من اهل الشفاعة
له يوم القيمة فمن ثمرات سكناها حسن الخاتمة الحادي عشر ان صيام
رمضان فيها يعدل صيام الف رمضان في غيرها وان صلوة فيها تعدل
الف صلوة في غيرها الثاني عشر ان شد الرحال اليها مشروع مسنون
الثالث عشر ان ما بين قبره صلى الله عليه وسلم ومنبره روضة من رياض
الجنة وقد استوفينا الكلام على كمالات المدينة باحاديثها وما يتفرع
على ذكرها من المسائل النفيسة في بحث فضل المدينة من هذا الكتاب
فان قلت كيف يقول الواسطي وبركتك ميتا مع ان النبي صلى الله عليه وسلم
حي في قبره وكذلك سائر الانبياء عليهم السلام ولهذا قالوا لا عدة على ازواجه

اعلم ان الذي شرع شيخنا رحمه الله
لم يبدأ بشرح هذا من اول الكتاب
وكانت نيته لشرح اوله لكتاب
متأخر فلم يتدارك الكلام والشيخنا
استوفينا الكلام وتبين بذكر الكتاب
بعده علم ذلك
تأتي ان شاء الله
المعين

وانه يصلي في قبره باذان واقامة بدليل قصة سعيد بن المسيب التي جرت له ايام
الحرة وسيأتي ذكرها وقد ثبت ان الانبياء عليهم السلام يحجون ويلبون وان
رسول الله صلى الله عليه وسلم راى موسى عليه السلام وهو يحج بالتلبية قلت لا
نشك ان النبي صلى الله عليه وسلم يصح ان يطلق عليه انه مات بدليل قول الله
عز وجل انك ميت وانهم ميتون وقال النبي صلى الله عليه وسلم اني مقبوض
وقال الصديق رضي الله عنه بمحضر من الصحابة رضي الله عنهم من كان يعبد
محمدا صلى الله عليه وسلم فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله عز وجل فان
الله حي لا يموت وقد اجمع المسلمون على اطلاق ذلك قلت هذه حيوة
برزخية فهو على اسلوب الشهدا والشهدآء احيآء عند ربهم يرزقون فلا
يبعد ان يحجوا ويصلوا وقد قال بعضهم انه صلى الله عليه وسلم مات ثم احياه
الله عز وجل بحيوة اخروية وليست حيوة يحتاج فيها الى طعام وشراب
والاول اصح لان السورة مكية للعلمآء في المكي والمدني اصطلاحات
ثلاثة اشهرها ان المكي ما نزل قبل الهجرة والمدني ما نزل بعدها سوا
نزل بالمدينة ام بمكة عام الفتح او عام حجة الوداع ام بسفر من الاسفار
ثانيها ان المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة والمدني ما نزل بالمدينة وعلى
هذا تثبت الواسطة فما نزل بالاسفار ليس مكيا ولا مدنيا الثالث
ان المكي ما وقع خطابا لاهل مكة والمدني ما وقع خطابا لاهل المدينة
ثم ان هذه السورة نقل ابن الفرس فيها قولين الاول انها مكية والثاني
انها مدنية وفي لطائف الاشارات لشيخ اشياخنا الشهاب القسطلاني

انها

انها مكية على قول الجمهور وقيل مدنية نزلت عام الفتح وما بعده اي ما بعد
قوله لا اقسم بهذا البلد وهو قوله وانت حل بهذا البلد يصحح اي يصحح الاول فانه
كما تقدم فسر بتفسيرين كل منهما لا يصح في حق المدينة الاول انت يا محمد
حلال استبيح دمك واخراجك منه الثاني حل لك ما فعلت به فان هذين
الامرين لا يكونان الا لمكة كما قررنا لكن لنا ان نقول ان الواسطي قد قال
الذي شرفته بمكانك فيه اي بكونك حللت فيه وبه قال ابن عطا وقد نقلنا عبارته
سابقا ولا يلزم ان يفسر وانت حل بهذا البلد بالتفسيرين السابقين
اللذين لا يليقان الا بمكة لكن لنا ان نقول انه يجوز ان تكون السورة مدنية
ومع ذلك يراد بقوله هذا البلد مكة وان يراد بها المدينة لان من قال انها
مدنية قال انها نزلت في فتح مكة وكان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة
وقد تقدم ان الاشهر ان المدني هو ما نزل عليه صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة فالسورة
مدنية بهذا الاعتبار والمشار اليه بهذا البلد يجوز ان يكون مكة باعتبار
حلوله وقت نزولها به وان تكون المدينة باعتبار انها البلد الذي هو مركزه
ومسكنه لكن غايته اننا لا نفسره بذينك التفسيرين السابقين فان قلت
اما يجوز ان يكون المراد بالبلد المقسم به مكة والمراد بالبلد في قوله وانت حل
بهذا البلد المدينة قلت لا داعي الى ذلك مع ان القاعدة المقررة
تابى عن ذلك وهي ان اعادة الشي معرفة تكون الثاني عين الاول قال
ابن عطا هو ابو العباس احمد بن محمد بن سهل بن عطا الادمي رضي الله عنه
من ظراف مشايخ الصوفية وعلمائهم له الفهم في علم القران يختص به صحب الجنيد

ترجمة ابن عطا
تقدمت ترجمته بابسط من هذا

وابرهيم المارستاني ومن فوقهم من المشايخ كان ابو سعيد الخراز يعظم شانه
حتى قال التصوف خلق وليس انا به وما رايت من اهله الا الجنيد
وابن عطا مات سنة تسع او احدى عشرة وثلثمائة من نظمه قوله

من البسيط

• بالله ابلغ ما اسعى وادركه • لا بي ولا بشفيع لي من الناس •
• اذا يئست وكاد الياس يقلقني • جا الغنى عجبا من جانب الياس •

واجازهما بعض الصالحين ببيت اخر

• رجعت في كل امر جل مطلبه • عندي الى كاشف الضراء والباس •

في تفسير قوله تعالى وهذا البلد الامين قال امنه الله عز وجل هو في نسخة
صحيحة بقصر الهمزة مع تشديد الميم قال البرهان الحلبي ولا اعرف فيه
الا مد الهمزة مع تخفيف الميم واقول لا يخفى ان الامين ماخوذ من
امن الرجل امانة اي على زنة كرم فهو امين فهو فعيل بمعنى فاعل وامانته
ان يحفظ من دخله كما يحفظ الامين ما يومن عليه وحينئذ يجوز ان
يقال امنه على زنة كرمه وفي القاموس وقد امنه كسمع وامنه
تامينا وائتمنه واستامنه انتهى ومعناه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم جعل هذا البلد يحفظ من دخله كما يحفظ الامين ما ائتمن عليه
فيجوز ان يقال امنه على زنة فرحه بمقامه فيها وكونه بها فان
كونه امان حيث كان يريد ابن عطا بالبلد المدينة وان الله جل ذكره
اوقع في المدينة الامن بسبب كون سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيها فان قلت لم قلتم انه اراد المدينة قلت لان الله عز وجل لم يومن بلده

بسبب

بسبب كون سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها فان قلت لم قلتم انه
اراد المدينة قلت لان الله عز وجل لم يومن بلده بسبب مقام النبي
صلى الله عليه وسلم فيها الا المدينة بدليل ما في الصحيحين واللفظ لمسلم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابرهيم عليه السلام حرم مكة واني احرم ما
بين لابتيها يريد المدينة وفي رواية له لا يقطع عضاهها ولا يصاد
صيدها وفي رواية له فمن احدث فيها حدثا فعليه لعنة الله والملائكة
والناس اجمعين لا يقبل الله عز وجل منه يوم القيمة صرفا ولا عدلا وفي
صحيح مسلم بسنده الى ابي هريرة رضي الله عنه انه كان يقول لو رايت
الظبا ترتع بالمدينة ما ذعرتها قال صلى الله عليه وسلم ما بين لابتيها حرام
وفي رواية له من حديث ابي سعيد مولى المهري قال صلى الله عليه وسلم
اللهم ان ابرهيم عليه السلام حرم مكة فجعلها حرما واني حرمت المدينة
حراما ما بين مازميها ان لا يهراق فيها دم ولا يحمل فيها سلاح لقتال
ولا يخبط فيها شجرة الا لعلف فهذا الامن الذي حصل لها انما هو
بسببه صلى الله عليه وسلم وايضا امن مومنوها من عذاب الله يوم القيمة
بدليل شفاعته صلى الله عليه وسلم لمن مات بها وامن ساكنها صابرا
على لاوائها من دخول النار بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لا يثبت
احد على لاوائها وجهدها الا كنت له شفيعا او شهيدا يوم القيمة
رواه مسلم وفي صحيح مسلم من حديث سهل بن حنيف قال اهوى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الى المدينة فقال انها حرم امن

وببركته صلى الله عليه وسلم من غير مشاركة غيره من الانبيا وقع ذلك وان الله
عز وجل وكل بها ملائكة يحرسونها ففي صحيح مسلم بسنده الى ابي هريرة رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على انقاب المدينة ملائكة
لا يدخلها الطاعون والدجال وفيه عن ابي هريرة رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ياتي المسيح من قبل المشرق وهمته
المدينة حتى ينزل دبر احد ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام وهنالك
يهلك وتحريم المدينة كمكة هو مذهب الشافعي ومالك فان قلت
كون المراد بالبلد الامين المدينة لم يقل به احد لان السورة مكية
والامان الذي حصل للمدينة انما حصل بعد فتح خيبر وبعد الهجرة بسنين
قلت نحن لم نفسر البلد الواقع في الاية بذلك وانما بينا مراد ابن عطا
فانه قال انها بمقامه فيها والله عز وجل لم يومن بلدة بسبب اقامة
النبي صلى الله عليه وسلم فيها امنا كالامن الحاصل لمكة الا المدينة بمقتضى
هذه الاحاديث واما مكة فلا يظهر ارادة ابن عطا لها لانها حرام
قبل نبينا صلى الله عليه وسلم قيل انها ما زالت محرمة من يوم خلق الله عز
وجل السموات والارض وقيل ان ابرهيم عليه السلام حرمها وقد
جات بكل من القولين احاديث صحيحة استدل الاول بحديث في
الصحيحين واللفظ لمسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة
ان هذا البلد حرمه الله عز وجل يوم خلق السموات والارض فهو
حرام بحرمة الله عز وجل الى يوم القيمة الحديث وجات روايات متعددة
بذلك

بذلك واستدل الثاني باحاديث في الصحيحين ايضا منها قول النبي صلى
الله عليه وسلم ان ابرهيم عليه السلام حرم مكة واني حرمت ما بين لابتيها
والاكثرون على انها محرمة منذ خلق الله عز وجل السموات والارض
واجابوا عن الحديث الثاني بان تحريمها كان ثابتا من يوم خلق الله
عز وجل السموات والارض ثم خفي تحريمها واستمر خفاوه الى زمن ابرهيم
عليه السلام فاظهره واشاعه لا انه ابتداه ومن قال بالقول الثاني اجاب
عن الحديث الاول بان معناه ان الله عز وجل كتب في اللوح المحفوظ او في
غيره يوم خلق السموات والارض ان ابرهيم عليه السلام سيحرم مكة
بامر الله عز وجل هذا وان اكثر المفسرين على ان المراد بهذا البلد
الامين مكة لان من دخلها نال الامان وكان هو سبب الامان وقد اوضح
امانه رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث الصحيحين ولفظ لمسلم بسنده
الى ابي شريح العدوي انه قال لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث الى
مكة ائذن لي ايها الامير احدثك قولا قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم
الغد من يوم الفتح سمعته اذناي ووعاه قلبي وابصرته عيناي حين تكلم
به انه حمد الله عز وجل واثنى عليه ثم قال ان مكة حرمها الله عز وجل
ولم يحرمها الناس فلا يحل لامرئ يومن بالله واليوم الاخر ان يسفك
بها دما ولا يعضد بها شجرة فان احد ترخص بقتال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيها فقولوا له ان الله عز وجل اذن لرسوله صلى الله عليه وسلم ولم
ياذن لكم وانما اذن لي فيها ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها

بالامس وليبلغ الشاهد الغائب قال الماوردي في الاحكام السلطانية
من خصائص الحرم ان لا يحارب اهله فان بغوا على اهل العدل فقد قال
بعض الفقهاء يحرم قتالهم بل يضيق عليهم حتى يرجعوا الى الطاعة ويدخلوا
في احكام اهل العدل قال وقال جمهور الفقهاء يقاتلون على بغيهم اذا لم
يمكن ردهم عن البغي الا بالقتال لان قتال البغاة من حقوق الله عز وجل
التي لا يجوز اضاعتها فحفظها في الحرم اولى من اضاعتها هذا كلام الماوردي
وما نقله عن جمهور الفقهاء هو الصواب وقد نص الشافعي رضي الله عنه
في كتاب اختلاف الحديث من كتب الام ونص عليه الشافعي في كتابه المسمى
بسير الواقدي من كتب الام وقال القفال المروزي من اصحابنا في شرح
التلخيص لا يجوز القتال بمكة قال حتى لو تحصن جماعة من الكفار فيها لم يجز
لنا قتالهم فيها قال النووي رحمه الله وهذا الذي قاله القفال غلط واما
الجواب عما ذكرنا من الاحاديث فهو كما اجاب به الشافعي في كتاب سير الواقدي
ان معناها تحريم نصب القتال عليهم وقتالهم بما يعم كالمنجنيق وغيره
اذا امكن اصلاح الحال بدون ذلك بخلاف ما اذا تحصن الكفار في بلد اخر
فانه يجوز قتالهم على كل وجه وبكل شيء وقد سال بعض الملحدين عن هذا
فقال لم كان حبس الفيل في زمان الجاهلية عنها ومنعه منها ومن الافساد
والالحاد فيها ولم يمنع حجاج بن يوسف في زمن الاسلام عنها وقد نصب
المنجنيق على الكعبة واضرمها بالنار وسفك فيها الدم الحرام وقتل عبد الله
ابن الزبير رضي الله عنهما واصحابه في المسجد الحرام وكيف لم تحبس عنها القرامطة

وقد

وقد سلبوا الكعبة ونزعوا حليتها وقلعوا الحجر الاسود وقتلوا العالم
من الحاج وخيار المسلمين بحضرة الكعبة واجاب بعض العلماء عن هذه
المسئلة بان حبس الفيل في الجاهلية كان علما للنبوة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وتنويها بذكر اباءه اذ كانوا عمار البيت وسكان الوادي فكان ذلك
الصنيع ارهاصا للنبوة وحجة عليهم في اثباتها فلو لم يقع الحبس عنها والذب
عن حريمها لكان في ذلك امران احدهما فناء اهل الحرم وهم الاباء والاسلاف
لعامة المسلمين ولكافة من قام بالدين والاخر ان الله عز وجل اراد ان
يقيم به الحجة عليهم في اثبات نبوة رسوله صلى الله عليه وسلم وان يجعله مقدمة
لكونها وظهورها فيهم وكان مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عامئذ
وكانوا قوما عربا اهل جاهلية ليست لهم بصيرة في العلم ولا تقدمة في الحكمة
وانما كانوا يعرفون من الامور ما كان دركه من جهة الحس والمشاهدة
فلو لم يجر الامر في ذلك على الوجه الذي جرى لم يكن يبقى في ايديهم شيء من
دلائل النبوة تقوم به الحجة عليهم في ذلك الزمان فاما وقد اظهر الله تعالى
الدين ورفع اعلامه وشرح ادلته واكثر انصاره فلم يكن ما حدث عليها
من ذلك الصنيع امرا يضر بالدين او يقدح في بصائر المسلمين وانما كان
حدث منهم امتحانا من الله تعالى لعباده ليبلو في ذلك صبرهم واجتهادهم
هكذا قالوا وانا اقول ان ما وقع من اصحاب الفيل ونحوهم انما كان
قصدهم به ابطال فضيلة البيت وتخسيس شانه واذهاب عظمته من
قلوب الناس ولم يكونوا يعتقدون فيه الجلالة ولا استحقاق الاحترام

وانما كانوا يعرفون بيتا من البيوت ويفضلون عليه كنايسهم التي ابتنوها
لهم كفار بلا اشكال فالله تعالى حبس عنهم ما ارادوا به لاجل ذلك واما
الحجاج فانه يعرف ان البيت بيت الله عز وجل ويعلم جلالته غاية ما في الباب
غلبه هوى نفسه في شان ابن الزبير ففعل ما فعل ففعله ناشي من غلبة
هوى نفسه عليه وهل كان قتله لابن الزبير الا من هذا القبيل وقتله
لسعيد بن جبير من هذا القبيل فهو يعتقد حرمة ذلك فهو على اسلوب
من زنى معتقدا حرمة الزنى واين هو ممن زنى وهو يعتقد حله فان قلت
ما القول فيما فعله القرامطة قلت هم لم يتسلطوا على البيت الا بنزع
الحجر فقط منه واين هذا ممن اراد هدمه حجرا حجرا ثم ابطال شعائره
وصرف الحاج عنه فذاك هو التسليط التام فالله عز وجل حميه من مثل
ذلك التسليط فلهذا لم يعجل الله عز وجل العقوبة على من تسلط هذا
التسليط القليل ومع ذلك فقد عاقب الله عز وجل الحجاج بما عاقب
وكوشف بعقابه كثير من ارباب البصاير وعاقب القرامطة ومحقهم في مدة
يسيرة ونسال الله عز وجل العفو والتجاوز ثم قال اي الله عز وجل ووالد
وما ولد من قال اراد ادم اي بقوله ووالد فهو عام اي في ذريته كلهم ومن
قال الوالد هو ابرهيم وما ولد فهي اي هذه المقالة ان الله عز وجل اشارة
الى محمد صلى الله عليه وسلم يعني الوالد وما ولد اختلف المفسرون في المراد
بهما على اقوال الاول ان المراد بالوالد ادم وبالولد كل ذريته فتكون ما
في قوله وما ولد للاستغراق فهو عام شامل لكل فرد فرد من افراد المسمى بولد

فان قلت

فان قلت العموم الذي ادعاه المصنف من اين استفيد قلت من ما
الموصولة فانها من صيغ العموم جرى على ذلك ابن الحاجب وابن الساعاتي والصفي
الهندي والنقشواني نعم انكر افادتها له الاصفهاني فان قلت كيف تكون ما
الموصولة عامة مع اشتراط النحاة في الجملة الواقعة صلة ان تكون معهودة
معلومة للمخاطب قلت اجاب عن ذلك بعضهم بان العهد ليس في نفس
الموصول المدعى عمومه بل في قيده وقيد العام انما يخصص محل عمومه
ولا يسقط عمومه ومنه اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات
الحديث وانا اقول ليس الجملة الواقعة صلة معهودة مطلقا وانما
تكون معهودة اذا لم يقصد بها الابهام وههنا قصد بها الابهام تعظيما
لشان الولد على حد فغشيهم من اليم ما غشيهم فان قلت حيث كانت الولد
عاما في اولاد ادم الصالح والطالح والمسلم والكافر والمومن والفاجر
فكيف يقسم الله عز وجل بعامة اولاده قلت لانهم ظهر فيهم من اثار
قدرة الله سبحانه ما لا يعبر عنه باللسان لان بني ادم اعجب خلق الله تعالى
على وجه الارض لما فيهم من البيان والنطق والتدبير واعجب من ذلك
ان جعل منهم انبيا ورسلا واوليا وعلما وعارفين وخلق لهم ما في
الارض جميعا قال ابو بكر بن طاهر خلقه سبحانه مزينا بالعقل موديا
للامر مهديا بالتمييز مديد القامة يتناول ما حوله بيده وجوز بعضهم
ان يراد بوالد ادم وبما ولد الصالحون من ذريته فالموصول هنا للعهد
ويمكن ان يكون لاستغراق خصايص الجنس على حد قوله عز وجل ذلك

الكتاب وقولهم ابنت الرجل علما وذلك لان الصالحين هم الذرية واما الطالحون
فهم ملحقون بالبهايم الثاني ان المراد بالوالد ابرهيم عليه السلام وقد قال
المصنف اذا اريد بالوالد ابرهيم عليه السلام اريد بما ولد محمد صلى الله عليه وسلم
ليس الا وسبب ذلك انه حينئذ لا يحسن ان يراد جميع ذرية ابرهيم
عليه السلام اذ لا وجه لتخصيص ذريته كلهم بالقسم وترك القسم في
ذرية من قبله ومن بعده ممن ليس من ذريته وان اراد القسم بخصوص
من كان نبيا من ذرية ابرهيم عليه السلام فلا وجه لتخصيصهم من بين
من يكون نبيا ممن هو قبل ابرهيم عليه السلام كهود وصالح ونوح وادريس
فتعين ان يكون التخصيص بالقسم بولد ابرهيم عليه السلام لانه جا من
ولده نبي لا يعدله نبي ولا يوازيه رسول ولا يحاذيه في الكمال مخلوق
وهو محمد صلى الله عليه وسلم ولا يشارك ابرهيم عليه السلام في ذلك
مشارك فان قلت شاركه في ذلك ادم ونوح قلت خصوصية ابرهيم
بنبينا صلى الله عليه وسلم اقوى من ادم فان قلت جا من ذرية ابرهيم
انبيا كثيرون قلت المراد ان يقسم بمن ارتقى اعلى الذرى وليس في
ذرية ابرهيم عليه السلام من هو كذلك الا نبينا صلى الله عليه وسلم فان قلت
فليحمل الوالد اسمعيل قلت ابرهيم احق من اسمعيل بان يقسم به
لما لا يخفى ثم ان تقييد المصنف القول بان ما ولد اشارة الى محمد
صلى الله عليه وسلم بقوله ان شا الله يدل على عدم جزمه بذلك وانما قال هذا
بطريق التاويل والاستنباط وان فهمه ادى الى ذلك والامل من الله عز وجل

ان

ان يكون الامر كذلك في نفس الامر فان تفسير الاية بذلك ليس مجزوما به
وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعمل كلمة ان شا الله حتى في الامر المعلوم
المجزوم به ففي صحيح البخاري بسنده الى انس بن مالك رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ياتيها الدجال فيجد الملايكة يحرسونها
فلا يقربها الدجال ولا الطاعون ان شا الله وفيه بسنده الى ابي هريرة رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل نبي دعوة فاريد ان شا
الله ان اختبي دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة وقد وردت احاديث
ان كلمة ان شا الله اذا اتي بها في امر يومل وقوعه اوقعه الله عز وجل
ببركتها وقد قال تعالى ولا تقولن لشي اني فاعل ذلك غدا الا ان يشا الله
وفي الصحيحين واللفظ للبخاري بسنده الى ابي هريرة رضي الله عنه ان
نبي الله سليمن عليه السلام كان له ستون امراة فقال لاطوفن الليلة
على نساي فلتحملن كل امراة منهن ولتلدن فارسا يقاتل في سبيل الله
عز وجل فطاف على نسايه فما ولدت منهن الا امراة ولدت شق غلام
قال نبي الله صلى الله عليه وسلم لو كان سليمن عليه السلام استثنى لحملت
كل امراة منهن فولدت فارسا يقاتل في سبيل الله عز وجل فان قلت
هل هذا من قبيل قول المومن انا مومن ان شا الله قلت هو من قبيله
لكن لا بمعنى مجرد التبرك بكلمة ان شا الله كما توهم بل ان السلف يا تون
بهذه المقالة لاحد امرين اما لانهم عازمون على ان ياتوا بالايمان
فيما يستقبل من الزمان الى الموت واما لان الاعمال داخلة في مفهوم

بحث
وفيه فوائد
تتعلق بقول
القائل ان شا الله

الايمان فهم شاكون في انهم جمعوا جميع شعب الايمان بل كان السلف
يستثنون في جميع الاعمال الصالحة كقول صليت ان شا الله يريدون
بذلك القبول ثم صار كثير منهم باخره يستثنون في كل شي فيقول احدهم
هذا ثوبي ان شا الله هذا حبل ان شا الله فاذا قيل لاحدهم هذا لا شك
فيه قال نعم هذا لا شك فيه لكن اذا شا الله عز وجل ان يغيره غيره فيريدون
بقولهم ان شا الله جواز تغييره في المستقبل وان كان في الحال لا شك فيه
وكذلك الاستثنا في الايمان فان الايمان ما علم الله عز وجل انه لا يتبدل
حتى يموت صاحبه عليه هذا وان في هذه الاية اطلاق ما في قوله عز وجل
وما ولد على من يعقل وهي لا تطلق في الغالب الا على من لا يعقل وقد تطلق
على من يعقل كما في نحو قوله عز وجل ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي
وقوله عز وجل لا اعبد ما تعبدون وقد تطلق على ما لا يعقل مع من يعقل
نحو ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة ولصفات من
يعقل نحو والسما وما بناها اي وبانيها ومنه فانكحوا ما طاب لكم اي
الطيب وتاتي للمبهم امره كان ترى شبحا تقدر انسانيته وعدم
انسانيته فتقول اخبرني ما هناك وكذا لو علمت انسانيته ولم تدر
اذكر هو ام انثى ومنه اني نذرت لك ما في بطني محررا فان قلت ما هنا
على ماذا اطلقت قلت على صفة ما يعقل والتقدير ووالد ومولود
وليست للمبهم امره كما توهم لان المراد بالمبهم امره ان يكون ابهامه
على المتكلم فلا يدري المتكلم ما هو وههنا المتكلم سبحانه وتعالى لا يخفى

عليه شي في الارض ولا في السما هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشا لا اله
الا هو العزيز الحكيم فتتضمن السورة القسم به اي بالنبي صلى الله عليه وسلم
في موضعين التضمن هنا بالمعنى اللغوي وهو الاشتمال اي تشتمل السورة
المذكورة على الاقسام به في موضعين وليس المراد به التضمن المنطقي لان
قسمه تعالى ببلده الذي حل فيه يستلزم ان يقسم به بالطريق الاولى لان
بلده اذا استحق ان يقسم به لحلوله فيه فلان يقسم بالحال اجدر واولى
واما قوله اذا اريد به النبي صلى الله عليه وسلم فقد دل اللفظ على المقسم به
مطابقة وقال تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه قال ابن عباس
رضي الله عنهما هذه الحروف اقسام اقسم الله عز وجل بها فالمعنى والالف
واللام والميم فان قلت هذه الكلمات اسما مسمياتها الحروف المبسوطة
التي منها ركبت الكلم فقولك الف اسم يسمى به ا ولام اسم يسمى به ل
ونحو ذلك وحيث كانت اسما فهي معربة لا مبنية وانتم جعلتموها
اقساما فكان ينبغي بل يجب ان تجر باضمار البا القسمية كانجرار
الله في قولك الله لافعلن وقولهم لاه ابوك قلت اذا قلنا بانها مقسم
بها فهي مجرورة وجرها بالكسرة لا بالفتحة لانها على قولنا يراد بها الله ومحمد
وجبريل فليس فيها حينئذ ما يوجب منع الصرف حتى تكون مجرورة
بالفتحة لكنها انما سكنت بنية الوقف هذا وفي كون هذه الاحرف
اقساما نظر من وجوه الاول انه يلزم من جعلها اقساما ان تجمع بين
اقسام متعددة على مقسم عليه واحد وهم قد استكرهوا ذلك

ولهذا جعل الخليل بن احمد رحمه الله الواو في قوله عز وجل والليل للقسم
وفي قوله والنهار للعطف فاشتركا في معنى القسمية فيجوز تعلقهما بمقسم عليه
واحد ولو قدر ان يكون الثاني ايضا حرف قسم لزم ان يكونا قسمين
مستقلين والافصح حينئذ ان يتعلق كل منهما بمقسم عليه كقولك بالله
لافعلن بالله لاخرجن وان جاز ان يقال وحقك وحق زيد لافعلن
للتاكيد لكن لم يحسن ذلك الحسن ولذلك استكرهوه قال ابو علي الفارسي
والذي يمنع هذا ان القسم يبقى متعلقا بغير مقسم عليه الا ترى ان الخليل
وسيبويه لم يجيزا في قوله عز وجل والليل اذا يغشى كون الواوين اللتين
بعد الاولى قسما كالاولى فقالا انهما للعطف لما يلزم من اجازة ذلك بقاء
القسم الاول غير متعلق بمقسم عليه الثاني ان القاعدة ان حرف القسم اذا حذف
نصب المقسم به نحو الله لافعلن او يمين الله لافعلن او عهد الله لافعلن
وههنا لم تنصب هذه الكلمات واجيب بانها يجوز ان تكون منصوبة لكن
سكنت بنية الوقف فان قلت هل يجوز ان تكون مجرورة وسكنت
بنية الوقف قلت اذا حذف جار المقسم به لم يجز جره الا اذا كان
اسم الله تعالى هذا قول جمهور البصريين واجاز الكوفيون وبعض البصريين
الجر في غيره وعلى هذا جرى صاحب الكشاف الثالث اذا كانت اقساما
فالمقسم عليه جملة اسمية فيجب تصديرها بلام مفتوحة او ان مثقلة
او مخففة وههنا جواب القسم ذلك الكتاب او لا ريب فيه واجيب
بانه قد يستغنى عن اللام وعن ان فلعل هذا مما استغني فيه عنهما فمما

استغني

استغني فيه عنهما قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه والله انا كنت اظلم منه
وقد يستغنى عنهما اذا طال ما بين القسم وجوابه بل قال ابن مالك يحسن
حينئذ الحذف كقول بعض العرب اقسم بمن بعث النبيين مبشرين
ومنذرين وختمهم بالمرسل رحمة للعالمين هو سيدهم اجمعين وههنا لم
يطل ما بين القسم وجوابه فيجب ان يكون جواب القسم محذوفا وما ذكر
دليل عليه وعنه اي عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن غيره فيها اي في هذه
الحروف غير ذلك وقيل المختار فيها انها من الاسرار التي لا يعلمها الا الله عز وجل
قال الشعبي لكل كتاب سر وان سر هذا القران فواتح السور وقال ابن عباس
رضي الله عنهما في قوله عز وجل الم انا الله اعلم وفي المص انا الله افصل
وفي الر انا الله ارى وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انها اسماء
مقطعة فالر من الرحمن والمص الالف من الله والميم من الرحمن
والصاد من الصمد وقال الضحاك في المص قال انا الله الصادق وحكى
الكرماني في غرائبه ان المص معناه المصور والمر معناه انا الله ارفع
واعلم وقيل انها الاسم الاعظم قاله ابن عباس رضي الله عنهما وابن مسعود
رضي الله عنه وقال سهل بن عبد الله التستري سيد عصره علما وورعا
وزهدا نسبة الى تستر في القاموس تستر كجندب بلد وششتر بشينين
معجمتين لحن وسورها اول سور وضع بعد الطوفان الالف هو الله
عز وجل واللام جبريل والميم محمد صلى الله عليه وسلم وحكى هذا القول السمرقندي
ولم ينسبه الى سهل وانما اعتبر قول سهل في ذكر لان سهلا من ارباب القلوب

المشرقة بالتقوى وقلوب اهل التقوى مهبط اسرار الله عز وجل الا انهم رضي
الله عنهم تعرضوا لنفحات الله عز وجل فقوله مقتبس من مشكاة الولاية
المستضيئة بنور الاقتدا بالنبي صلى الله عليه وسلم وقد قال ارباب القلوب
في الم ان الالف الف الوحدانية واللام لام اللطف والميم ميم الملك معناه من
وحدني على الحقيقة باسقاط العلائق والاعواض تلطفت له فمعناه
فاخرجته من رق العبودية الى الملك الاعلى وهو الاتصال بمالك الملك
دون الاشتغال بشي من الملك وقالوا ايضا ان الم سر الحق الى حبيبه
صلى الله عليه وسلم ولا يعلم سر الحبيب غيره الا تراه يقول لو تعلمون ما
اعلم اي من حقائق سر الحق الي وهو الحروف المفردة في الكتاب وقيل
الم معناه الالف افرد سرك لي واللام لين جوارحك لعبادتي والميم اقم معي
بمحو رسومك وصفاتك ازينك بصفات الانس بي والمشاهدة لي
والقرب مني وقال بعض العراقيين حير عقول الخلق في ابتدا خطابه
وهو محل الفهم ليعلموا ان لا سبيل لاحد الى معرفة حقائق خطابه الا بعلمهم
بالعجز عن معرفة خطابه وقال بعضهم الم اي انزلت عليك هذا الكتاب من
اللوح المحفوظ اي انزل الله عز وجل هذا الكتاب برسالة جبريل على محمد
صلى الله عليه وسلم وقيل انه قسم اي بالذي انزل الفرقان على محمد صلى الله عليه
وسلم على يد جبريل ان هذا الكتاب الذي وصف في التوراة والانجيل
بقوله عز وجل وانه لفي زبر الاولين وقال لكل كتاب انزله الله عز
وجل على النبيين سر وسره في القران هذه الحروف في اوائل السور
وقيل

وقيل الالف الف الوحدانية واللام لام الالهية والميم ميم المهيمنية
وجعل معناه الله انزل جبريل على محمد بهذا القران لا ريب فيه الريب
مصدر رابني اذا حصل فيك الريبة وحقيقة الريبة قلق النفس
واضطرابها وهي الشك وبه سمي اهل الريبة لان امرهم مشكل يفارق
التعارف وقد ارابني اي شككني واوهمني الريبة فاذا استيقنته
قلت ربني قال الشاعر

اخوك الذي ان ربته قال انما ارببت وان عاتبته لان جانبه

من الطويل

اي ان اصبته بحادث ومعنى نفي الريب عنه على سبيل الاستغراق
نفي كونه متعلقا للريب ومظنة له لان من وضوح الدلالة وسطوع
البرهان الا ترى الى قوله عز وجل وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا
بسورة من مثله فما ابعد وجود الريب منهم وانما عرفهم الطريق الى
مزيل الريب وهو ان يحرروا انفسهم ويبرزوا اقواهم في البلاغة هل
تتم للمعارضة ام تتضال دونها فيتحققوا عند عجزهم انه ليس فيه
مجال للشبهة ولا مدخل للريبة واعلم ان قوله عز وجل لا ريب فيه
من قبيل تنزيل الشي الموجود منزلة المعدوم فانه جعل ريب المرتابين
كلا ريب فجعل وجود الريب كعدمه ونفاه على سبيل الاستغراق والنص
على العموم بسبب تعذر من الزائد في هذه الجملة لانه مع هولا المرتابين
من الدلائل المزيلة للريب ما لو لاحظوه لم يبق لهم ريب وعلى الوجه الاول
يحتمل القسم ان هذا الكتاب حق لا ريب فيه اي اذا جعلنا الم قسما

فيكون المقسم عليه ان هذا القران حق لا ريب فيه ويستفاد من هذا
التفسير امور الاول انه يقتضي ان تكون جملة ذلك الكتاب لا ريب فيه
جواب القسم ولا ضير في ذلك فقد تقدم ان الاتيان باللام في الجملة المقسم
عليها اذا كانت اسمية وان كان هو الاكثر الا انه ليس بلازم وقد جا خاليا
من اللام في الفصيح وان لم يطل القسم ولا حاجة الى ان يرتكب ان جواب
القسم محذوف الثاني ان المصنف عبر بهذا والاية عبر فيها بذلك فاشار
المصنف الى ان اسم الاشارة هنا حقه ان يوتى به للقريب بان يقول
هذا الكتاب وانما اتى بذلك مخالفا لمقتضى الظاهر للدلالة على تعظيم
القران والاشارة الى انه الكتاب العظيم كما تقول في مقام التعظيم ذلك
الفاضل فعل كذا وقول زليخا فيما يحكيه رب العزة جل وعلا عنها فقالت
فذلكن الذي لمتنني فيه ولم تقل فهذا ويوسف عليه السلام ومع ذلك
هو حاضر رفعا لمنزلته في الحسن واستحقاق ان يحب ويفتتن فيه
واستبعادا لمحله ومنه قوله عز وجل تلك الجنة التي نورث بنا على ان
هذا القول يقال لاهل الجنة وهم فيها واما اذا كان قولا لهم في الدنيا
فاسم الاشارة على بابه نعم قوله عز وجل ونودوا ان تلكم الجنة
اورثتموها من باب الاتيان باسم الاشارة البعيد للتعظيم لانه
يقال لاهل الجنة وهم فيها جعلنا الله عز وجل منهم بمنه وكرمه
فليس مقصود المصنف بتعبيره في تفسير الاية بهذا الا التنبيه
على ان اسم الاشارة الموضوع للبعيد الواقع في الاية بمعنى القريب

لحصوله

لحصوله وانما اريد تعظيمه فعدل عنه الى البعيد وليس مقصوده الدلالة
على التعظيم بتعبيره بهذا وانه من قبيل ربنا ما خلقت هذا باطلا لان
اسم الاشارة في هذه الاية اشير به الى خلق السموات والارض وخلقهما
بعيد عن حضرة المتفكرين لان خلق السما كله بعيد واما خلق الارض
فليس بحضرة المتفكر منه الا اقل والباقي نا عنه بعيد فكان مقتضى
الظاهر ان يوتى بذلك لكنه اتى بهذا للدلالة على تعظيم خلقهما لان كون
الشي عظيما مما يقتضي التوجه اليه والتقرب منه واما كتاب الله عز وجل
فانه قريب فلم يعدل عن مقتضى الظاهر الا اذا عبر بذلك فان قلت
هذا اذا كان المشار اليه بذلك هو القران واما اذا كان المشار اليه به
الم فلم اتى باسم الاشارة البعيد قلت يجوز ان يكون للتعظيم لان
الم اسم للسورة على هذا التقدير ويجوز ان يقال بما في الكشاف انه
وقعت الاشارة الى الم بعدما سبق التكلم به وتقضى والمتقضي في
حكم المتباعد قال وهذا في كل كلام يحدث الرجل بحديث ثم يقول وذلك
مما لا شك فيه ويحسب الحاسب ثم يقول فذلك كذا وكذا وقال الله عز
وجل لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك وقال تعالى ذلكما مما علمني ربي
ثم فيه اي قوله تعالى الم من فضيلته اي النبي صلى الله عليه وسلم قران اسمه اي
اسم النبي صلى الله عليه وسلم باسمه اي الله عز وجل اي بعدما تقدم من كون الم
اقسم ما اقسم الله عز وجل به وما تقدم من القول بمقالة سهل التي واقعة
عليها القسم فذي فقد قرن الله عز وجل في ذلك اسم نبيه صلى الله عليه وسلم

باسمه اما اذا قلنا بانها اقسام فقد افاد ذلك من تعظيم المقسم به ومع ذلك
فقد قرن اسمه باسمه لان المعنى حينئذ والله عز وجل وجبريل ومحمد
صلى الله عليه وسلم واذا لم يكن ذلك قسما فقد ذكر الميم مع الالف والميم يدل
على محمد صلى الله عليه وسلم والالف يدل على الله عز وجل فقد قرن اسمه باسمه
ايضا وان كان لا قسم فيه فان قلت باي وجه يفسر الف بانه الله
ولام بانه جبريل وميم بانه محمد قلت باعتبار ان الف اسم لاه
الذي هو جزء من الله ولام اسم لله الذي هو جزء من جبريل وميم اسم
لمه الذي هو جزء من محمد فهي اسما تدل على حروف دلالة الاسم على المسمى
وتلك حروف مقطعة كل حرف منها يدل على اسم دلالة الجزء على الكل وهذا
من قبيل الاكتفا ببعض الكلمة وهو امر معهود عند اهل العربية قال الشاعر
قلت لها قفي فقالت ق اي وقفت **نحو ما تقدم** اي قريب منه وهو
قوله عز وجل ورفعنا لك ذكرك فان قلت لم يحصل القرن لانه فصل
بينهما باللام الدالة على جبريل عليه السلام قلت جبريل لم يشر اليه في هذا
المقام الا بطريق السفارة بين الله عز وجل ونبيه صلى الله عليه وسلم
والمدار في هذا المقام على المرسل عز وجل والمرسل اليه واما السفير
فهو حامل امانة يوديها من هذا الى هذا فلا فاصل في الحقيقة ونظير
هذا الحد الاوسط في ترتيب القياس فان المقصود بالذات في
اخر القياس موضوع الصغرى ومحمول الكبرى في الشكل الاول وهما
جزا المطلوب وعليهما المدار واما الحد الاوسط فلا دخل له في المطلوبية

ولهذا

ولهذا يسقط في النتيجة **وقال ابن عطا في قوله تعالى والقران المجيد**
اقسم بقوة قلب حبيبه صلى الله عليه وسلم فعلى هذا اداة القسم محذوفة
والتقدير بق وحينئذ يكون السكون على نية الوقف ويجوز ان ينتصب
بحذف حرف القسم وايصال فعله كقولك الله لافعلن او باضمار حرف القسم
وينصرف لعدم موجب منع الصرف **حيث حمل الخطاب والمشاهدة**
قال سهل في قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما راى اي ما كذب الفؤاد ما راى البصر
قال هو في مشاهدة ربه كفاحا ببصره وقلبه وقال ابن عطا ليس
كل من راى مكن فؤاده من ادراكه اذا العيان قد يظهر فيضطرب السر
عن حمل الوارد عليه والرسول عليه السلام محمول بهما في فؤاده وعقله
ونظره وحسه وهذا يدل على صدق طويته وحمله فيما شهد به
قال سهل راى محمد صلى الله عليه وسلم من ايات ربه عز وجل الكبرى
فلم يذهب بذلك عن مشهوده ولم يفارق مجاورة معبوده وقال
ابن عطا راى الايات فلم تكبر في عينه لكبر همته وعلو محله والاتصال
بالكبير المتعال وقال بعضهم راى من الايات ما لو راها غيره لكبرت
في عينه وعظمت ولكنه لتمام تمكينه لم يستكبر كبيرا ولم يعظم فيه شي
وقال ابن عطا راى من ايات ربه الكبرى قرب منها والتجا حتى
ادنى من محل الرؤية فسكن فقد حمل من اعباء خطاب الله عز وجل
اياه ومشاهدته له ما حير الالباب **ولم يوثر ذلك فيه لقوة حاله** اي حيث
حمل اعباء الخطاب الذي يتزعزع له القوى الملكية ففي صحيح البخاري

بسنده الى ابي هريرة رضي الله عنه قال ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال اذا
قضى الله عز وجل الامر من السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا
لقوله كانه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال
ربكم عز وجل قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير الى اخر الحديث وفي
الطبراني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تكلم الله عز وجل بالوحي
اخذت الملائكة رجفة شديدة من خوف الله سبحانه وتعالى فاذا سمع
بذلك اهل السماء صعقوا وخروا سجدا فيكون اولهم يرفع راسه جبريل
عليه السلام فيكلمه الله عز وجل من وحيه بما اراد فينتهي به على الملائكة
كلما مر بسماء ساله اهلها ماذا قال ربنا عز وجل قال الحق فينتهي به
حيث امره وفي صحيح مسلم من طريق علي بن الحسين عن
ابن عباس رضي الله عنهما عن رجال من الانصار انهم كانوا عند النبي صلى الله
عليه وسلم فرمي بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون لهذا اذا رمي به في
الجاهلية قالوا كنا نقول مات عظيم او يولد عظيم فقال النبي صلى الله عليه
وسلم انها لا ترمى لموت احد ولا لحياته ولكن ربنا عز وجل اذا قضى
امرا سبح حملة العرش ثم يسبح اهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ
التسبيح سماء الدنيا ثم يقولون لحملة العرش ماذا قال ربكم عز وجل الحديث
فان قلت قول المصنف ناقلا عن ابن عطا ان النبي صلى الله عليه وسلم حمل
الخطاب ولم يؤثر فيه لقوة حاله ينافيه ما في الصحيح ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يعالج من التنزيل شدة وقوله صلى الله عليه وسلم احيانا يأتيني
مثل

مثل صلصلة الجرس وهو اشده علي وفي الصحيح ان يعلى بن امية رآه وهو
ينزل عليه الوحي وهو يغط فكيف تقولون ان الخطاب لا يؤثر فيه
قلت مرادنا بالخطاب الذي لم يؤثر فيه خطاب الله عز وجل له كفاحا من
غير واسطة وهو المعبر عنه بقوله عز وجل فاوحى الى عبده ما اوحى
واما المشقة التي كانت تحصل له عند نزول الوحي بواسطة الملك
فلانه يريد الخروج عن طور البشرية لمجانسة الملك او خروج الملك عن
طور الملكية لمجانسته صلى الله عليه وسلم فكان ياتيه الملك على صورة
دحية او اعرابي وهذا لم تحصل للنبي صلى الله عليه وسلم به مشقة بخلاف
خروجه الى طور الملك واما مكالمته لرب العزة جل وعلا ليلة الاسراء
فلم تحصل له بها مشقة وهذا دليل على قوة حاله قال جعفر بن محمد رضي
الله عنهما كلمه الله عز وجل بلا واسطة فيما بينه وبينه سرا الى قلبه
لا يعلم به احد سواه الا في العقبى حين يعطيه الشفاعة لامته
قال الواسطي القى الى عبده ما القى ولم يظهر ما الذي اوحى اليه
لانه خصه به وما كان مخصوصا به كان مستورا وقال جعفر بن محمد
لما قرب الحبيب بغاية القرب نالته غاية الهيبة فلاطفه الحق عز وجل
بغاية اللطف لانه لا تحمل غاية الهيبة الا غاية اللطف وذلك قوله
عز وجل فاوحى الى عبده ما اوحى اي كان ما كان وجرى ما جرى
وقال الحبيب للحبيب ما يقول الحبيب لحبيبه والطف به
الطاف الحبيب لحبيبه واسر اليه ما يسر الحبيب لحبيبه فاخفيا

ولم يطلع على سرها احدا سواها فلذلك قال فاوحى الى عبده ما اوحى
ولا يعلم ذلك الوحي احد الا الذي اوحى والذي اوحي اليه فهذا كله دليل
على ان ربه عز وجل خاطبه بخطاب ثبت له واجرى لطفه به حتى ثبت
له والا فاي ملك مقرب او نبي غير محمد صلى الله عليه وسلم يثبت لذلك من
غير ان يوثر فيه ادنى تاثير فسبحان من منّ علينا اللهم امتنا على الايمان
به وتصديقه في كل ما جا به من عندك يا رب العالمين وقيل هو اول
اسم للقران فان قلت يصير المعنى القران والقران المجيد وهو ركيك
قلت من قال انه اريد به القران يجعله خبر مبتدا محذوف اي هذا القران
اي هذا القران اي هذا هو القران الكامل في صفات القرانية فهو على
حدهم القوم كل القوم وعلى حد قوله عز وجل ذلك الكتاب ثم انه اقسم
بالقران اتيا بالاسم الظاهر والمقام مقام ضمير للتنويه بذكره ولانه
لو اتى بضمير لما امكن وصفه بالمجيد لان الضمير لا يوصف فان قلت
اين جواب القسم في قوله والقران المجيد قلت محذوف تقديره والقران
ان محمدا رسول الله وان كل ما جاكم به فهو حق وقيل هي اسم الله عز وجل
نقل هذا القول عن ابن عباس رضي الله عنهما ومن قال ان ق اسم
لله عز وجل قال ان الله اقسم به في اول هذه السورة وحكى الكرماني
في غرائبه انه حرف من اسمه قاهر وقادر وليس هذا خاصا
بق بل في كل الحروف المقطعة في اوائل السور قال ابن عباس
رضي الله عنهما انها اسم الله عز وجل الاعظم وكان علي بن ابي طالب

اخي

رضي الله عنه يدعو ويقول يا كهيعص اغفر لي وقيل جبل محيط بالارض
قيل محيط بها كاحاطة العين بسوادها وما وراء جبل جبل قاف فهو من
حكم الاخرة لا من حكم الدنيا وقال بعض المفسرين ان لله عز وجل من وراء
جبل قاف ارضا بيضا كالفضة المجلية طولها مسيرة اربعين يوما ٢
للشمس وبها ملائكة شاخصون الى العرش لا يعرف الملك منهم من
الى جانبه من هيبة الله عز وجل ولا يعرفون ما ادم وما ابليس
هكذا الى يوم القيمة قيل ان يوم القيمة تبدل ارضنا هذه بتلك
الارض ومن القائلين بان ق في هذه الاية هو الجبل المذكور ابن زيد
وعكرمة والضحاك قالوا هو جبل محيط بالسموات والارض من
زمردة خضرا اخضرت السما منه وعليه طرفا السما والسما عليه
مقببة وما اصاب الناس من زمرد كان مما تساقط من ذلك
الجبل ورواه ابو الجوزاء عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وقال
وهب اشرف ذو القرنين على جبل قاف فراى تحته جبالا صغارا
فقال له ما انت قال انا قاف قال فما هذه الجبال حولك قال هي
عروقي وما من مدينة الا وفيها عرق من عروقي فاذا اراد الله عز وجل
ان يزلزل مدينة امرني فحركت عرقي فتزلزل تلك الارض فقال يا
قاف اخبرني بشي من عظمة الله عز وجل قال ان شان ربنا لعظيم
وان وراي ارضا مسيرة خمسماية عام في خمسماية عام من جبل
ثلج يحطم بعضه بعضا لولا هي لاحترقت من حر جهنم اعاذنا الله

عز وجل منها قال رزين قال ان جبريل واقف بين يدي الله عز وجل ترعد
فرائصه يخلق الله عز وجل من كل رعدة مائة الف ملك فاولئك الملائكة
وقوف بين يدي الله عز وجل منكسوا رؤسهم فاذا اذن الله عز وجل
لهم في الكلام قالوا لا اله الا الله وهو قوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة
صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا اي قال لا اله الا الله
وقيل غير ذلك قيل هو اسم لجميع اسماء القران وقيل اسم للسورة وقال
الشعبي هو فاتحة السورة وقال ابو بكر الوراق معناه قف يا محمد
عند امرنا ونهينا ولا تتعداهما وقال الانطاكي هو قرب الله عز وجل من
عباده بيانه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وقال الترمذي الحكيم
قاف قسم باسم هو اعظم الاسماء التي خرجت الى العباد وهو القدرة
وقال جعفر بن محمد في تفسير والنجم اذا هوى انه اي النجم محمد صلى الله عليه وسلم
فان قلت ان اراد جعفر تشبيه النبي صلى الله عليه وسلم بالنجم في نوره
واشراقه فتشبيهه بالشمس والبدر اولى من ذلك وان اراد تشبيهه
به في الاهتداء فالاهتداء بالنيرين اقوى والا فاطلاق النجم عليه من اي
قبيل قلت النجم اذا اريد به النبي صلى الله عليه وسلم فليكن بالمعنى اللغوي
وهو مصدر نجم ينجم نجما اي ظهر ويقال لكل امر ظهر بعد خفائه نجم وفي
الحديث هذا ابان نجومه اي وقت ظهوره اي النبي صلى الله عليه وسلم اي اقسم
بالذي ظهرت نبوته بعد خفائها ويناسب ذلك ان هذه السورة اول سورة
اعلنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فهو في الاصل مصدر ثم اريد به

الصفة

الصفة اي والناجم فيكون فان قلت اذا اريد بالنجم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فما معنى قوله بعد ذلك اذا هوى ومعنى هوى سقط اي نزل فيصير حاصل
الكلام ومحمد اذا سقط قلت النبوة والرسالة يقارنهما الولاية والولاية
تجذب المتصف بها الى حضرات القدس فلا يقدر على التنزل الى عالم
البشرية فاذا طولب باداء الرسالة احتاج الى التنزل الى الطور البشري
لمجانسة المرسل اليهم وسره معلق بحضرات القدس بمقتضى قوله صلى الله
عليه وسلم اني ابيت عند ربي عز وجل يطعمني ويسقيني ولمقتضى
قوله صلى الله عليه وسلم لي وقت لا يسعني فيه غير ربي عز وجل فيصير
التقدير وحق هذا النبي صلى الله عليه وسلم الذي ظهر فيكم اذا تنزل من
حضراته الى طوركم ليبلغكم رسالتي وقال اي جعفر بن محمد رضي الله عنهما
النجم هو قلب محمد هوى انشرح من الانوار المراد من قلبه روحه التي هي
محل النبوة والرسالة والكمال وكانت كمالات نبينا صلى الله عليه وسلم
كامنة في قلبه اي روحه ولم يطلع الناس الا على كمالاته البشرية ثم ان
كمالات قلبه ظهرت للناس وانشرحت وبرزت فيصير المعنى وقلب
محمد المشرق بانوار العلوم والمعارف والقرب من الله عز وجل اذا ظهر
لكم وعرفتموه فان قلت هوى بمعنى سقط فكيف يفسر بانشرح
قلت تفسيره بانشرح تفسير باللازم فان هوى اذا فسر النجم
بقلب محمد معناه سقط فيصير والكمال الذي اتصف به قلب محمد
صلى الله عليه وسلم الذي هو من قسم الملا الاعلى اذا سقط الى طوركم

لكم امره من كثرة انواره وضيائه لبشير الى ذلك قوله تعالى يكاد زيتها يضيء
فان قلب محمد صلى الله عليه وسلم اذا كان في الملا الاعلى لا يظهر امره
للعالم السفلي بخلاف ما اذا سقط ونزل الى طورهم فان امره
ينشرح وشانه يتضح فلا حاجة الى ان يقال انا لم نر هوى بمعنى
[illegible] الشرح في مشاهير كتب اللغة وان يدعى انه مثبت والمثبت
مقدم على النافي هنا وجمهور المفسرين على ان المراد بالنجم غير ذلك
فقيل المراد جنس النجم الشامل لكل فرد فرد والمراد بالجنس هنا ليس
الماهية من حيث هي هي بل المراد به ان يشار باللام الى الماهية في
ضمن كل فرد وكثيرا ما يقع من الزمخشري في كشافه اطلاق الجنس على
هذا المعنى ويجوز ان يكون اللام في النجم للعهد ويشار بها الى نجم
مخصوص هو الثريا فان لفظ النجم غلب في الثريا ومعنى هوى غرب
وغاب وقيل انتثر وذلك يوم القيمة او انقض وقيل معنى هوى طلع
فانه يقال هوى هويا بالفتح اذا سقط وغرب وهويا بالضم اذا علا
وصعد او بالنجم من نجوم القران اذا انزل وقال اي جعفر بن محمد رضي الله
عنهما انقطع عن غير الله عز وجل لانه يقال هوى جوفه هواء خلا اي خلا
قلبه من غير الله عز وجل ومنه قوله عز وجل وافئدتهم هواء اي لا تعي شيئا
ولا تعقل من الخوف واصله من الهوا الذي لا يثبت فيه شي وهو خال
قال جرير ومجاشع قصب هوت اجوافهم لو ينفخون من الخؤورة طار واه
اي هم بمنزلة قصب جوفه هواء خال كالهواء الذي ينزل بين السماء والارض
والهوا

والهوا المتحرق الخالي قال امرؤ القيس
من الطويل
وصدر هواء تحت صلب كانه من الهضبة الخلقاء زحلوق ملعب
اولانه يقال هوى ذهب في ارتفاع فيكون المراد بهويه انقطاعه الى
الله عز وجل لان من انقطع الى الله فقد ذهب في معالي الامور وفي
الحديث ان الله عز وجل يحب معالي الامور ويكره سفسافها وعلى ما
قررنا سقط اعتراض التجاني بان ما ذكره جعفر في تفسير هوى
تحامل على اللغة وتحكم فيها وقال السلمي قال ابن عطا اقسم الله عز
وجل بنجوم المعرفة وضيائها وتجليها ونورها والاهتداء بها وبكون
العارفين الى انوارها وسكونهم بالاهتداء بها قال جعفر بن محمد هو محل
التجلي والاستتار في قلوب اهل المعرفة وقال ابن عطا في قوله عز
وجل والفجر وليال عشر الفجر محمد صلى الله عليه وسلم لانه منه تفجر الايمان
هذا الكلام ذكره السلمي مختصرا نقله قال فيه قال ابن عطا والفجر هو محمد صلى
الله عليه وسلم لان به تفجرت انوار الايمان وغابت ظلم الكفر وليال عشر
ليالي موسى عليه السلام التي اكمل بها ميعاده لقوله عز وجل واتممناها
بعشر وقيل الفجر محمد صلى الله عليه وسلم لان به تفجرت عيون المعارف
وهو شمس الايام التي استضا الخلق بها وعاشوا بها وليال عشر
العشرة من الصحابة الذين شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة لانهم
انوار في الليالي المظلمة وسائر الصحابة رضي الله عنهم كالنجوم وابو بكر
الصديق رضي الله عنه كالبدر التمام الذي شمل الخلائق ضوء شعشعته

ورحمة للمؤمنين بعد النبي صلى الله عليه وسلم انتهى فان قلت اطلاق الفجر
على النبي صلى الله عليه وسلم مشكل اذ هو خلاف ما يفهم من لغة العرب
قلت لا يخفى ان ابن عطا من ارباب القلوب المشرقة والنفوس القدسية
ولهذا يستشهد المصنف بمقاله على كثير من مقاصده ولو لم ينشرح
صدره بكشف رباني ومنحة الهية الى ذلك لما قاله ولا تجرأ على تفسير
كلام الله عز وجل به وكان من اقران الجنيد وكان الجنيد يعظم شانه كيف
وهو القائل من الزم نفسه اداب السنة نور الله عز وجل قلبه بنور
المعرفة ولا مقام اشرف من مقام متابعة الحبيب صلى الله عليه وسلم
في اوامره وافعاله واخلاقه على انه يمكن تطبيق ما قاله على القواعد
العلمية بان يراد تشبيه محمد صلى الله عليه وسلم بالفجر الذي يعد في العرف
فجرا وهو الفجر الصادق المعترض بنواحي الافق المستطير وذلك يجي مع
انه يبدو قليلا ثم انه في مدة يسيرة يتزايد وينتشر حتى يملا الفجاج والنواحي
ويعقبه ظهور الشمس وكما ان الفجر يفجر منه الضيا والانوار كذلك محمد صلى
الله عليه وسلم تفجر منه الايمان فيكون الاطلاق عليه من باب الاستعارة
التصريحية كاطلاق السراج والنور عليه فان قلت ما القرينة على ارادة
هذا المجاز قلت القرينة على ذلك اقسام الله عز وجل به ولا يخفى ان اقسام
الله عز وجل بشي درجة عالية لذلك المقسم به فلا ينبغي ان يصرف الا الى
اكمل خلق الله عز وجل مهما امكن ولعمري ان محمدا صلى الله عليه وسلم هو الحقيق
بهذا المقام فان قلت هذا التاويل بعيد لان الفجر في الاية مردف بالليالي

العشر

العشر وفي حمله على ما ذكر تنافر في النظم وعدم تناسب والذي ذكره
المفسرون في الفجر انه الصبح على ظاهره قاله التجاني مشيرا الى ان في هذا
التاويل اخلالا بالجهة الجامعة بين المتعاطفين بالواو كما لو قيل الشمس
ومرارة الارنب والرجل اليسرى من الضفدع والف باذنجانة كلها محدثة
ومثله مخل بالبلاغة على ما تقرر في موضعه قلت لا يخفى ان ابن عطاء
الذي فسر الفجر بانه النبي صلى الله عليه وسلم فسر قوله تعالى وليال عشر بانها
اما ليالي موسى عليه السلام التي اكمل الله عز وجل بها ميعاده واما بان
المراد اصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العشرة المبشرون من
النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة وحينئذ فالجهة الجامعة بين النبي صلى الله
عليه وسلم وبين ليالي موسى عليه السلام ظاهرة وكذا بينه وبين
اصحابه رضي الله عنهم فان قلت اطلاق الليالي العشر على الصحابة المذكورين
من اي قبيل قلت بعد ان يتحقق ان ابن عطا من اهل الله عز وجل
المفاض عليهم من اسراره المتعرضين لنفحاته فقد قال ما قال من فيض
فضل الله عز وجل عليه على انه يمكن ان يكون ذكر الليالي واراد ما فيها
من الاقمار المشرقة المنورة المضيئة فقد ذكر المحل واراد ما يحل فيه
يرشد الى ذلك تعليله بقوله لانهم اقمار في الليالي واعلم ان مما ينبغي ان
يذكر في هذا الفصل قوله عز وجل وشاهد فانه قد نقل عن ابن عباس
رضي الله عنهما انه محمد صلى الله عليه وسلم ونقل ايضا هذا عن الحسين بن
علي رضي الله عنهما وان ابن عباس لما قال بذلك قرا قوله عز وجل فكيف اذا

جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وان الحسين بن
علي رضي الله عنهما قرا قوله يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا قال القرطبي وانا اقرا ويكون الرسول عليكم شهيدا ومنه قوله
تعالى والطارق فانه قيل انه محمد صلى الله عليه وسلم وقد قال تعالى وما
ادراك ما الطارق النجم الثاقب والثاقب المضيء وتقويه ضوءه وقال
السلمي في قوله عز وجل والشفع والوتر الشفع الانبياء عليهم السلام والوتر
محمد صلى الله عليه وسلم واقول بسبب كونه وترا انه منفرد في كماله المحدث لا
يشاركه من المخلوقين في كماله مشارك ولانه انفرد في مقام السودد يوم
القيمة ولانه لم يكن في ذرية اسمعيل نبي غيره ولانه لم يوجد على وجه البسيطة
في عصره نبي غيره ولا بعده الى يوم القيمة ونقل الامام الرازي ان الضحى في قوله
عز وجل والضحى وجه النبي صلى الله عليه وسلم والليل في قوله والليل اذا سجى شعره

الفصل الخامس في قسمه تعالى جله من صفاته

سبحانه العلي وهو الذي ليس فوقه شيء ويقال علا الخلق فقهرهم والمتعالي
الذي جل عن افك المفترين وقيل معنى تعالى اي جل عن كل ثنا وجده اي
عظمته وجلاله وقيل ذكره وقيل غناه ومنه رجل مجدود اي محظوظ
وفي الحديث لا ينفع ذا الجد منك الجد اي لا ينفع ذا الغنى منك الغنى وانما
تنفعه الطاعة وقيل قدرته وقيل فعله وقيل الاؤه ونعمه على خلقه وقيل
ملكه وسلطانه وقيل امره وفي الحديث كان الرجل اذا قرا البقرة وال عمران
جد فينا اي عظم قدره ليحقق اي ليقرر ويثبت عندنا مكانته اي منزلته

ورفعته

ورفعته عنده اي ان هذه من الحكم والمصالح التي راعاها الله عز وجل في
اقسامه به لا انها غرض باعث له تعالى على ذلك فهو تعالى لا يفعل فعلا
لغرض ولكن افعاله تعالى مشتملة على حكم ومصالح لا تحصى ولا شيء منها
باعث له على الفعل ولو كانت تلك الحكم والمصالح معلومة له تعالى وقد
ضربوا لذلك مثلا هو كما ان من يغرس غرسا لاجل الثمرة يعلم انه يترتب
على ذلك الغرس منافع اخرى كالاستظلال به والانتفاع باغصانه وغيرها
لكن الباعث له على الغرس هو الثمرة لا غير فجميع تلك الفوائد والمصالح
بالنسبة اليه تعالى بمنزلة ما سوى الغرس والايات والاحاديث
الموهمة للعلل والاغراض مؤولة بتلك الحكم والمصالح قال جل اسمه
والضحى والليل اذا سجى السورة اختلف في سبب نزول هذه السورة
فقيل كان ترك النبي صلى الله عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل به وهو انه صلى الله
عليه وسلم اشتكى مرضا كما صرح به في رواية البخاري بلفظ مرض النبي صلى
الله عليه وسلم لكن وقع في الترمذي بسنده الى جندب قال كنت مع النبي صلى
الله عليه وسلم في غار فدميت اصبعه فقال هل انت الا اصبع دميت
وفي سبيل الله ما لقيت قال وابطا عليه جبريل عليه السلام فقال المشركون
قد ودع محمدا ربه عز وجل فانزل الله عز وجل ما ودعك ربك فظن ان
هذا بيان للشكاية المجملة في الحديث واظهار للعذر الواقع فيه وليس كما
ظن فان نزول هذه السورة كان في اوائل البعثة وجندب لم يصحب
النبي صلى الله عليه وسلم الا متاخرا كما حكاه البغوي في معجم الصحابة عن الامام

احمد بن حنبل رضي الله عنه فعلى هذا هما قصتان احداهما مرسلة والاخرى
موصولة الا ان الاولى لم يحضرها جندب فروايته لها من مراسيل
الصحابة والثانية شهدها كما ذكر انه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم ولا يلزم
من عطف احداها على الاخرى اتحادهما وقوله ترك قيام الليل لم يعين
المتروك من قيام الليل كم هو وفي الصحيح فلم يقم ليلة او ليلتين وفي رواية
البخاري فلم يقم ليلتين او ثلاثا **فتكلمت امراة في ذلك بكلام** المتكلمة هي
امراة ابي لهب وهي ام جميل العورا ابنة حرب بن امية اخت ابي سفيان
ابن حرب وقد صرح باسمها في رواية عن زيد بن ارقم رضي الله عنه قال قالت
امراة ابي لهب لما مكث النبي صلى الله عليه وسلم اياما لا ينزل عليه الوحي يا محمد
ما ارى شيطانك الا قد قلاك فنزلت والضحى ورجال هذا الحديث ثقات
وفي تفسير الطبري من طريق مفضل بن صالح عن الاسود فقالت امراة من
قومه من بني عبد مناف وعند ابن عساكر انها احدى عماته واخرج الوالد
شيخ البخاري في تفسيره عنه ولفظه فاتته احدى عماته او بنات عمه
فقالت اني لارجو ان يكون شيطانك قد ودعك وقول البخاري جميع عماته
متن مشركات الا صفية ام الزبير والخلاف في اروى بنت عبد المطلب
هل اسلمت مردود بانه اختلف ايضا في اسلام عاتكة بنت عبد المطلب
فذهب العقيلي الى انها اسلمت وعدها في جملة الصحابة رضي الله عنهم
ثم ان المصنف لم يعين المراة التي قالت ولا عين الكلام الذي تكلمت به
اما عدم تعيين المراة فلانه يحتمل ان تكون ام جميل واحدى عماته وان تكون

ام المومنين

ام المومنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها والاوليان كانتا كافرتين
فقالت احداها يا محمد ما ارى شيطانك الا تركك وفي رواية ما ارى صاحبك
الا تركك وهذه المراة خير من الاولى والظاهر ان التي عبرت بشيطانك هي
ام جميل لانها عدوته وان التي عبرت بصاحبك عمته وهي كانت كافرة الا
انها ليست بتلك العداوة للنبي صلى الله عليه وسلم وقد حكى ابن بطال عن
تفسير بقي بن مخلد قال قالت خديجة للنبي صلى الله عليه وسلم حين ابطا عليه
الوحي ان ربك عز وجل قد قلاك فنزلت والضحى وقد تعقبه ابن المنير
ومن تبعه بالانكار لان خديجة رضي الله عنها قوية الايمان لا يليق
نسبة هذا القول اليها لكن اسناد هذا الحديث قوي وقد اخرجه الاسماعيلي
في احكامه والطبري في تفسيره وابو داود في اعلام النبوة كلهم من طريق
عبد الله بن شداد وهو من صغار الصحابة والاسناد اليه صحيح وحينئذ
فما المانع من ان تقول خديجة ان ربك قد قلاك فانه لم يسند اليها انها
قالت شيطانك وهذه هي اللفظة المستنكرة نعم في رواية اسمعيل ما
ارى صاحبك بدل ربك والظاهر انها عنت جبريل وان خديجة لم تقل
هذه المقالة الا توجعا للنبي صلى الله عليه وسلم لكثرة ما رات من جزعه عند
انقطاع الوحي **وقيل بل** هي اضرابية لا انتقالية وذكر انها افادت
الاضراب عن المتبوع وصرف الحكم الى التابع فان القائل بل لاجل صرف
الحكم عن كونه سبب النزول ما سبق الى كونه ما بعد بل ويصير ما سبق
في حكم المسكوت عنه يحتمل ان يلابسه الحكم وان لا يلابسه **تكلم به المشركون**

الضمير في به عائد الى الكلام المنكر الواقع في القول السابق اي تكلم المشركون بكلام
ما وان فسر كلام المراة بشيء وكلام المشركين بشيء غيره فان كلام المشركين
فسر بانهم قالوا ان محمدا قد ودعه ربه عز وعلا وقلاه **عند فترة الوحي**
اي انقطاع نزوله مدة وقد اشار الى فترة الوحي في صحيح البخاري في التعبير
ففي حديثه ثم لم ينشب ورقة ان توفي وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي
صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤوس
شواهق الجبال فكلما اوفى بذروة جبل لكي يلقي منه نفسه تبدى
له جبريل عليه السلام فقال يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن لذلك
جاشه وتقر نفسه فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك
فاذا اوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك وكان سبب
الفترة ليذهب ما كان صلى الله عليه وسلم يجده من الروع وليحصل له
التشوق الى العود وقد وقع في تاريخ احمد بن حنبل عن الشعبي رضي الله عنهما
ان مدة فترة الوحي كانت ثلاث سنين ابتداء الوحي تنقطع من رمضان
ثم انقطع من اول شهر ربيع الاول بعد اكماله صلى الله عليه وسلم اربعين سنة
وليس المراد بفترة الوحي المقدرة بثلاث سنين عدم مجي جبريل اليه
فانه كان ياتي اليه ولكن تاخر نزول القران فقط وقال السهيلي ان
مدة الفترة كانت سنتين ونصف سنة **فنزلت هذه السورة** اي سورة
الضحى وفي الطبراني ان سبب نزولها وجود جرو كلب تحت سريره
صلى الله عليه وسلم لم يشعر به فابطا عنه جبريل عليه السلام لذلك وقصة

ابطاء

ابطاء جبريل عليه السلام بسبب جرو الكلب تحت السرير مشهورة لكن كونها
سبب نزول هذه الاية غريب بل شاذ مردود بما في الصحيح وورد لذلك
سبب ثالث وهو ما اخرجه الطبري من طريق العوفي عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال لما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم القران ابطا عنه
جبريل اياما فتغير بذلك فقالوا ودعه ربه عز وجل وقلاه فانزل الله
عز وجل ما ودعك ربك وما قلى ومن طريق اسمعيل مولى ال الزبير
قال فتر الوحي حتى شق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم واحزنه فقال لقد
خشيت ان يكون صاحبي قلاني فجا جبريل عليه السلام بسورة والضحى
وذكر سليمان التيمي في السيرة التي جمعها ورواه محمد بن عبد الاعلى عن
معتمر بن سليمان عن ابيه قال وفتر الوحي فقالوا لو كان من عند الله
عز وجل لتتابع ولكن الله عز وجل قلاه فانزل الله عز وعلا والضحى
والم نشرح بكمالها قال شيخ الاسلام الشهاب بن حجر في فتح الباري
وكل هذه الروايات لا تثبت والحق ان الفترة المذكورة في سبب نزول
والضحى غير الفترة المذكورة في ابتدا نزول الوحي فان تلك دامت
اياما وهذه لم تكن الا ليلتين او ثلاثا فاختلطا على بعض الرواة ووقع
في سيرة ابن اسحق في سبب نزول والضحى شيء فانه ذكر ان المشركين
لما سالوا النبي صلى الله عليه وسلم عن ذي القرنين والروح وغير ذلك ووعدهم
بالجواب ولم يستثن فابطا عليه جبريل عليه السلام اثنتي عشرة ليلة او اكثر
فضاق صدره وتكلم المشركون فنزل جبريل بسورة والضحى وبجواب ما

سالوه ونقوله عز وجل ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الاية انتهى وذكر
سورة الضحى هنا بعيد لكن يجوز ان يكون الزمان في القضيتين متقاربا
فضم بعض الرواة احدى القضيتين الى الاخرى وكل منهما لم يكن في ابتداء
البعث وانما كان بعد ذلك قال الفقيه القاضي ابو الفضل وفقه الله
عز وجل تضمنت هذه السورة من كرامة الله عز وجل له وتنويهه به
وتعظيمه اياه ستة وجوه الاول القسم له عما اخبره به القسم اذا
تعدى الى المحلوف عليه تعدى بعلى يقال اقسم زيد على كذا اي حلف
والمصنف عداه بعن فهي بمعنى على حد قوله تعالى فانما يبخل عن نفسه
وقول ذي الاصبع لاه ابن عمك لا افضلت في حسب عني ولا انت دياني فتخزوني من البسيط
ويمكن ان يكون ضمن القسم معنى الكشف اي كاشفه عما اخبره به
ويجوز ان تكون عن هنا للتعليل على حد قوله عز وجل وما كان استغفار
ابرهيم لابيه الا عن موعدة اي القسم له لاجل ما اخبره الله عز وجل به
من حاله بقوله والضحى والليل اذا سجى الضحى وقت ارتفاع الشمس
وتخصيصه لان النهار يقوى فيه او لان الله عز وجل كلم موسى عليه السلام
فيه وفيه القى السحرة سجدا وقيل القسم بعبادة العباد في وقت الضحى
وقيل الضحى النهار كله بدليل قوله عز وجل ان ياتيهم باسنا ضحى في
مقابلة بياتا وسجى معناه سكن يقال ليلة ساجية اي ساكنة ويقال
للعين اذا سكن طرفها ساجية يقال سجا الشيء يسجو سجوا اذا سكن
والبحر سجا اي سكن قال الاعشى فما ذنبنا ان جاش بحر ابن عمكم من الطويل

وبحرك

وبحرك ساج ما يواري الدعامصا وقيل سجو الليل تغطيته النهار
مثل ما يسجى الرجل بالثوب والمشهور في اللغة المعنى الاول وهو سكن
فاما ان يكون بمعنى سكن الناس فيه فاسند اليه السجو والساجي في
الحقيقة الناس فهو على حد صام نهاره وقوله
فنمت وما ليل المطي بنائم فيكون اسناده الى الليل مجازا عقليا واما مصراع من الطويل
ان يكون اسناد السجو اليه حقيقة والمراد به استقرار ظلامه وقدم الليل
في سورة والليل باعتبار الاصل وقدم عليه النهار هنا باعتبار الشرف
فقد اقسم الله عز وجل بايتين عظيمتين من اياته تعالى وتامل مطابقة
هذا القسم وهو نور الضحى الذي يوافي بعد ظلام الليل للمقسم عليه وهو نور
الوحي الذي وافاه بعد احتباسه عنه حتى قال اعداؤه ودع محمدا
صلى الله عليه وسلم ربه عز وعلا فاقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل على ضوء
الوحي ونوره بعد ظلمة احتباسه واحتجابه اي ورب الضحى اراد بهذا
التفسير دفع ما يستشكل من اقسام الله عز وجل بالخلق وقد ورد
النهي عن القسم بغير الله تعالى وقد اجيب عنه باوجه اولها ما اشار اليه
المصنف هنا من ان مثل ذلك على حذف مضاف اي ورب الضحى
ورب الليل وكذا الباقي الثاني ان العرب كانت تعظم هذه الاشياء
وتقسم بها فنزل القران على ما يعرفون الثالث ان الاقسام انما يكون
بما يعظمه المقسم او يجله وهو فوقه والله تعالى ليس شيء فوقه فاقسم
تارة بنفسه وتارة بمصنوعاته لانها تدل على بارئ وصانع قال

ابن ابي الاصبع القسم بالمصنوعات يستلزم القسم بالصانع لان ذكر
المفعول يستلزم ذكر الفاعل لانه يستحيل وجود مفعول دون فاعل
وقال الحسن البصري ان الله عز وجل يقسم بما شاء من خلقه وليس لاحد
ان يقسم الا بالله عز وجل والحكمة في ذلك ان المقسم به يكون في غاية
الجلالة وليس لنا معشر المخلوقين ان نعظم احدا هذا التعظيم الا الله
سبحانه واما هو سبحانه فاذا من وتفضل بما هو من نعمه على مخلوق مطلب
بان اهله لان يقسم به فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل
العظيم وهذا كما في الصلوة فانه ليس لاحدنا ان يعظم احدا بالصلوة
عليه الا الانبياء واما نبينا فله ان يصلي على من يشا ولهذا قال اللهم
صل على آل ابي اوفى وهذا اي اقسامه عز وجل على ما اجرم به من حاله
من اعظم درجات المبرة اي الصلة والاحسان الثاني بيان مكانته
عنده اي منزلته عند خالقه عز وجل وحظوته لديه اي منزلته وفضله ويجوز
فيها تثليث الحاء وكل ما كان على زنة فعلة ولامها واو وبعدها هاء
التانيث فانها مثلثة الفاء كالحظوة والجذوة وهي العود الغليظ
وان خلا من النار وقيل هو الذي فيه النار وقيل الشعلة بقوله ما ودعك
ربك وما قلى وهذه الجملة هي جواب القسم اي ما تركك تفسير لودعك
وسمي الوداع بذلك لانه فراق ومتاركة وفي الحديث الحمد لله غير مودع
ربي ولا مكفور اي غير تارك طاعة ربي عز وجل وفي الحديث لينتهين
اقوام عن ودعهم الجمعات او ليختمن على قلوبهم اي عن تركهم اياها
وقال

وقال شمر زعمت النحوية ان العرب اماتوا مصدر يدع وماضيه والنبي
صلى الله عليه وسلم افصح العرب وانما يحمل قولهم على قلة استعماله فهو شاذ في
الاستعمال صحيح في القياس وقد جاء في غير حديث حتى قرئ به في هذه
الاية بلفظ ودعك ربك بالتخفيف وفي الحديث قال صلى الله عليه وسلم
اذا لم ينكر الناس المنكر فقد تودع منهم اي اسلموا الى ما استحقوه من
النكير عليهم وتركوا وما استحبوه من المعاصي حتى يكثروا منها فيستوجبوا
العقوبة فان قلت قال صاحب عمدة الحفاظ اما فصاحة نبينا صلى الله
عليه وسلم وانه افصح الناس فلا نزاع فيه ولكن يجوز ان يكون قد روى
حديثه بالمعنى قلت رواية الحديث بالمعنى خلاف الاصل اذ يبعد
ان يقول راو ثقة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويريد بذلك المعنى
مجردا من غير ما فيه على الفاظ النبوة ويبعد كون الحديث روي
بالمعنى مع كثرة طرقه بهذا اللفظ فقد ورد ذلك في عدة احاديث
غير هذا الحديث ثم ان المصنف فسر ودعك بتركك مع تشديد الدال
كما انه معناه بتخفيفها وقيل معناه ما قطعك مقاطعة المودع فذكر
التوديع هنا على طريق الاستعارة التمثيلية التبعية وما ابغضك
تفسير لقوله عز وجل وما قلى يقال قلاه يقليه وقليه يقلاه قلى وربما
فتح ومد فقيل قلاء قال الجوهري اذا فتحت مددت ويقلاه لغة طي
وفي حديث ابي الدرداء رضي الله عنه وجدت الناس اخبر تقله
اي من جربهم رماهم بالمقت لخبث سرائرهم وقلة انصافهم وفرط

انظر هذا الحديث ففيه معتبر

حديث فيه مثل

استيثارهم ولفظه لفظ امر ومعناه خبر واصل وما قلى وما قلاك
فحذف المفعول رعاية للفواصل واختصارا وقيل ليعم نفسه واصحابه
واتباعه الى يوم القيمة فان من تبع هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم
فهو محبوب لله عز وجل بدليل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله
ويغفر لكم ذنوبكم وقال السلمي في حقائقه معنى هذه الاية وهي قوله ما
ودعك ربك وما قلى قال ابن عطا ما حجبك عن قربه حين بعثك الى
خلقه وقيل ما اهملك بعد ان اصطفاك نقل هذا القول بهذا اللفظ عن
الواسطي ونقل عن ابن عباس رضي الله عنهما معناه فمجرد قوله ما ودعك
ربك وما قلى مشتمل على بيان مكانته عنده تعالى وحظوته لديه وان لم
تكن الجملة مقسما عليها من الله عز وجل وفي قسمه عليها بيان لتعظيمه
ايضا لان في الاخبار بالشي مع القسم عليه من الاعتنا بشان تلك
الجملة ما ليس في مجرد بيانه من غير قسم كيف وقد عدوا القسم على الشي
بمنزلة ذكره مرتين فكان قسمه على ان الله عز وجل ما ودعه ولا
قلاه تعظيما لشانه ونفس مضمون الجملة تعظيم اخر الثالث قوله تعالى
والاخرة خير لك من الاولى المراد بالاخرة الجنة كما في قوله تعالى والاخرة
عند ربك للمتقين اي الجنة ومنه تلك الدار الاخرة اي الجنة ويمكن
ان يراد بها هنا يوم القيمة بعد النشاة الاخرة وسميت الاخرة
اخرة لان الدنيا تودي اليها واخر كل شي خلاف اوله واوله ما بدى منه
منه واخره ما ينقطع عنده تمامه وانشت الاخرة على تانيث الدار

قال

قال ابن اسحق اي مالك في مرجعك عند الله عز وجل اعظم مما اعطاك
من كرامة الدنيا وقال سهل اي ما ادخرت لك من الشفاعة والمقام
المحمود خير مما اعطيتك في الدنيا وذلك لانه صلى الله عليه وسلم اعطى بتبليغ
الرسالة وانقاذ المبعوث اليهم من الضلالة فان سمعوا واطاعوا نجوا
في الدنيا من مقتضيات الكفر كالقتل والاسر وفي الاخرة من عذاب النار
واما الشفاعة والمقام المحمود فانهما فضيلتان اثارهما منجزة حالة
ونظهر بها رفعته على ساير خلق الله عز وجل وعلو مقداره عليهم كلهم
ولهذا قال انا سيد الناس يوم القيمة وفي هذه الاية بعد ان بين انه
لم يزل يواصله بالوحي وانزال الملايكة عليه وانه ما قلاه كما زعمت
اعداوه بين له ان هذه حالة امتن بها عليك في الدنيا ولك في الاخرة
خير منها وهي انك صاحب المجد التام في يوم تشفع في فصل القضاء
شفاعة تصل منفعتها الى الاولين والاخرين الرابع قوله عز وجل
ولسوف يعطيك ربك فترضى وقرى ولسيعطيك وعلى القرايتين
الفعل مستقبل وهو وعد شامل لما اعطاه من كمال النفس وظهور
امره واعلاء دينه هذا في الدنيا ولما ادخر له مما لا يعرف كنهه سواه
تعالى فمن ذلك ان الله عز وجل اعطاه صلى الله عليه وسلم الف قصر في
الجنة ترابها المسك في كل قصر ما ينبغي له من الازواج والخدم
واعطاه صلى الله عليه وسلم في القيامة الوسيلة وهي اعلى درجات
الجنة ولا تنبغي الا له صلى الله عليه وسلم وسميت هذه الدرجة وسيلة

لانها اقرب الدرجات الى عرش الرحمن وهي اقرب الدرجات الى الله عز وعلا
وانما اعطيها صلى الله عليه وسلم بمفرده لم يشاركه فيها احد لانه اعظم
الخلق عبودية لربه واعلمهم به واشدهم خشية له واكثرهم محبة له فكانت
منزلته اقرب المنازل الى الله عز وجل وهي اعلى درجة في الجنة وامر
صلى الله عليه وسلم امته ان يسالوها له لينالوا بهذا الدعا الزلفى من الله
عز وجل وزيادة الايمان وايضا فان الله سبحانه قد رها له باسباب
منها دعا امته له بها بما نالوه على يديه من الايمان والهدى صلوات الله
عليه وسلامه وسياتي منا كلام في شرح الاحاديث الواردة في سوال
الامة له صلى الله عليه وسلم الوسيلة وهذه اللام في قوله ولسوف هي لام
الابتدا ولا يحتاج الى تقدير مبتدا لان لام الابتدا تدخل على الفعل المضارع
مطلقا وهو مذهب ابن مالك والمالقي وقال ابن الخباز لا تدخل لام
الابتدا على الفعل المضارع الا في باب ان وقال الزمخشري في هذه الاية
لام الابتدا لا تدخل الا على المبتدا والخبر وقال ان المبتدا هنا مقدر اي
ولانت سوف يعطيك قال ابن الحاجب اللام في ذلك لام التوكيد واما
قول بعضهم يعني الزمخشري انها لام الابتدا وان المبتدا مقدر بعدها
ففاسد من جهات احداها ان اللام مع الابتدا كقد مع الفعل وال مع
الاسم وكما لا يحذف الفعل والاسم ويبقيان بعد حذفهما كذلك اللام بعد حذف
الاسم والثانية اذا قدر المبتدا في نحو لسوف يقوم زيد يصير التقدير
لزيد سوف يقوم زيد ولا يخفى ما فيه من الضعف الثالثة انه يلزم

اضمار

يطلب

اضمار لا يحتاج اليه الكلام انتهى قال ابن هشام وفي الوجهين الاخيرين نظر
لان تكرار الظاهر انما يقبح اذا صرح بهما ولان النحويين قدروا مبتدا
بعد الواو في نحو قمت واصك عينه وبعد الفا في نحو ومن عاد فينتقم
الله منه وبعد اللام في نحو لا اقسم بيوم القيمة وكل ذلك تقدير لاجل
الصناعة دون المعنى فكذلك ههنا واما الاول فقد قال جماعة في ان هذان
لساحران التقدير لهما ساحران فحذف المبتدا وبقيت اللام ولانه يجوز على
الصحيح لقايم زيد وانما يضعف قول الزمخشري ان فيه تكلفين لغير ضرورة
وهما تقدير محذوف وخلع اللام عن معنى الحال لئلا يجتمع دليلا الحال
والاستقبال وقد صرح بذلك في تفسير قوله لسوف اخرج حيا لكن قال
حيدر لامي العلامة عز الدين الحاضري الحنفي في حواشيه على مغني اللبيب
اللام التي للابتدا انما تكون لمعنى الحال اذا لم يعارضها معارض فاذا عارضها
ما هو اقوى منها تكون لمجرد التوكيد قال البيضاوي وهذه اللام ليست
للقسم فانها لا تدخل على المضارع الا مع النون المؤكدة انتهى واقول هذا
ممنوع بل تارة يجب اللام وتمتنع النون وذلك مع التنفيس كما في هذه
الاية ومع تقديم المعمول بين اللام والفعل نحو ولين متم او قتلتم لالى
الله تحشرون وفي تفسير البيضاوي وجمع لام الابتدا مع سوف للدلالة
على ان العطا وان تاخر كاين لا محالة ومثله في الكشاف اقول فان قلت
من اين استفدنا كينونته لا محالة قلت يستفاد ذلك من شيئين
لان الوعد استفيد من الفعل المضارع حتى لو قال ويعطيك ربك لدل على

وقوع الوعد اولهما سوف فانها اكدت وقوع الموعود به وثانيهما لام الابتدا
فانها زادت سوف تاكيدا وقد نقل ابن هشام عن الزمخشري في السين
التي هي اخت سوف انها اذا دخلت على محبوب او مكروه افادت
انه واقع لا محالة قال ابن هشام ولم ار من فهم وجه ذلك واقول وجه ذلك
ان افادة الوعد حصلت من مضمون الفعل فدخولها على ما يفيد الوعد
او الوعيد مقتض لتوكيده وتثبيت معناه وقد اومى الى ذلك في قوله عز
وجل فسيكفيكهم فقال معنى السين ان ذلك كائن وان تاخر الى حين
وفي سورة براءة فقال في قوله اولئك سيرحمهم الله السين مفيدة وجود
الرحمة لا محالة فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد في سانتقم منك وصرح بذلك
الزمخشري في هذه الاية في سوف وتبعه القاضي فدل ذلك على ان سوف تؤكد
الوعد كما تؤكده السين فانهما اخوان وهذه اية جامعة لوجوه الكرامة
وانواع السعادة وشتات الانعام اي تفرقه والمراد متفرقاته من قبيل
ذكر المصدر وارادة المفعول في الدارين وزيادة المراد بالدارين الدنيا
وما بعد الموت الى ما لا نهاية له والمراد بالزيادة شي من فضل الله عز وجل
يعطيه الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم وامته اشار اليه ربنا عز وجل في
قوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة فالحسنى جزا العمل والزيادة النظر
الى وجه الله الكريم وهو قول اكثر علما الصحابة رضي الله عنهم وقيل هي غرفة
من لولوة واحدة لها اربعة الاف باب وقال مجاهد الزيادة مغفرة من
الله عز وجل ورضوان وقيل هي ان ما اعطاهم الله عز وجل من فضله لا

يحاسبهم

يحاسبهم به يوم القيمة وقيل الزيادة ان يمر سبحانه باهل الجنة فيمطرهم
من كل النوادر التي لم يروها ويقول يا اهل الجنة ما تريدون ان امطركم
فلا يريدون شيا الا امطرهم اياه وقيل الزيادة انه ما يمر عليهم مقدار يوم
من ايام الدنيا الا حتى يطيف بمنزل احدهم سبعون الف ملك مع كل
ملك هدايا من عند الله عز وجل ليست مع صاحبه ما راوا مثل تلك
الهدايا قط فسبحان من لا تتناهى مقدوراته هذا جزا احاد المحسنين
المرادين من قوله عز وجل وهو اصدق القائلين للذين احسنوا الحسنى
وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة فكيف بسيد المحسنين صلى الله
عليه وسلم وقال ابن اسحق يرضيهم بالفلج في الدنيا الفلج بفتح الفاء وسكون
اللام الفوز والظفر والاسم منه الفلج بضم الفا وسكون اللام وابن اسحق هو
محمد بن اسحق بن يسار امام اهل المغازي ومن نفع الله عز وجل بعلمه
امة محمد صلى الله عليه وسلم بسبب اعتنائه بالمغازي وجمعها وهو امام ثقة
والثواب في الاخرة الثواب ما جوزي به الانسان على فعله من خير او شر
يقال ثاب يثوب اذا رجع فالثواب هو ما يرجع على المحسن من احسانه
وعلى المسي من اساته ولم يغلب في واحد منهما بل هو باق على اطلاقه على
القسمين وقيل يعطيهم الله عز وجل الحوض والشفاعة وسياتي الكلام
عليهما في فصل عقده المصنف لهما وقد اوردنا ثم فوائد لا يستغني طالب
السعادة عنها وقال السدي رضا محمد صلى الله عليه وسلم ان يشفع لامته
وان يشفع في جميع المومنين وعن علي كرم الله وجهه قال قال رسول الله

ترجمة ابن اسحق

صلى الله عليه وسلم يشفعني الله عز وجل في امتي حتى يقول الله سبحانه لي
ارضيت يا محمد فاقول يا رب رضيت وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن
العاصي رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله في ابرهيم عليه
السلام فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم وقول عيسى عليه
السلام ان تعذبهم فانهم عبادك فرفع صلى الله عليه وسلم يديه وقال اللهم امتي
امتي وبكى فقال الله عز وجل لجبريل عليه السلام اذهب الى محمد وربك اعلم
فسله ما يبكيك فاتى جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم فساله
فاخبره فقال الله عز وجل لجبريل اذهب الى محمد صلى الله عليه وسلم فقل له ان الله
عز وجل يقول لك انا سنرضيك في امتك ولا نسوءك وروي عن بعض آل
البني صلى الله عليه وسلم انه قال ليس في القران اية ارجى منها قال البرهان الحلبي
قد ظهر لي والله اعلم ان هذا الرجل هو الحسن بن محمد بن الحنفية وذلك لانه
اول المرجئة وله فيه تصنيف والله اعلم وقيل اول من تكلم في الارجا زر
ابن عبد الله بن زرارة الهمداني قال البرهان ولعل الحسن بن محمد اولهم
وزر اول من اظهره واشاعه انتهى واعترض عليه بان كونه اول المرجئة
لا يدل على انه الذي قال ليس في القران اية ارجى منها لان ارجى من الرجا لا من
الارجا الذي اتصفت به المرجئة الذين هم على قول الاكثر الفرقة القائلة بالجبر
الصرف المنكرة للتكليف وعلى اصح الاقوال عند بعض العلماء الفرقة المعتقدة
انه لا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة وان الله عز وجل
ارجا تعذيبهم على المعاصي اي اخره عنهم فلم يعذبهم اصلا وانا اقول

كلام

كلام البرهان سديد لان هذه الاية توجب تعظيم الرجا على الخوف وهولاء
لما كان مذهبهم انهم يرجئون العمل في الرتبة عن الاعتقاد لانهم يقولون
لا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة فهم يعظمون الرجا
ولهذا قالوا ينبغي ان لا يهجر لفظ المرجئة وهذه الاية من مقتضيات
الرجا استدل البرهان حين اسند المصنف الى اهل البيت هذه المقالة
على ان قائلها من مذهبه تعظيم الرجا وهو محمد بن الحسن المذكور على ان الحق
ان قائل هذه المقالة علي بن ابي طالب كرم الله وجهه اسند ذلك اليه
ابو نعيم في الحلية ولفظه قال علي رضي الله عنه انكم يا معشر اهل العراق
تقولون ارجى اية في القران يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا
تقنطوا من رحمة الله الى اخرها ثم ان تعريف هذا المعترض المرجئة بانهم
الفرقة القائلة بالجبر الصرف المنكرة للتكليف فيه نظر لانه ليس في
المرجئة فرقة تقول بذلك من حيث انهم مرجئة نعم فيهم جماعة
جمعوا الى الارجا القول بالقدر كالصالحي وابي شمر ومحمد بن شبيب
وغيلان فان قلت لم اخذ المصنف هذا القائل بعنوان انه من اهل
البيت ولم يسمه قلت لان اهل البيت اقوالهم صائبة والله عز وجل
اذهب عنهم الرجس فقولهم يكثر صوابه واذهانهم مهتدية الى الصواب
ان لم يكن دائما فغالبا فقد روى ابو نعيم الاصبهاني بسنده الى علي
ابن ابي طالب كرم الله وجهه انه قال يوم حروراء لقد سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول لا تؤموا قريشا وائتموا بها ولا تقدموا على قريش

قال الرحمن سبق الحسن بن محمد وقال هنا محمد بن الحسن فليصحح محل تامل

مطلب في تعيين ارجى اية في القرآن ما هي

وقدموها ولا تعلموا قريشا وتعلموا منها فان امانة الامين من قريش تعدل
امانة الاميين وان عالم قريش يملا طبق الارض علما والمراد بعالم
قريش في هذا الحديث امامنا محمد بن ادريس الشافعي المطلبي القرشي
المكي رضي الله عنه وقد راجعت الامة على ذلك ثم ان للعلما في تعيين ارجى
اية في القران اقوالا بضعة عشر اولها انها اية الزمر وهي قل يا عبادي
الذين اسرفوا الاية الثاني قوله اولم تومن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي اذ رضي
الله عز وجل من ابرهيم عليه السلام بقوله بلى وهذا اسقاط لما يعترض
به الشيطان في الصدر من الوساوس فلم يواخذه بها الثالث هذه
الاية جعلها علي كرم الله وجهه ارجى اية وهي قوله ولسوف يعطيك
ربك فترضى الرابع اخرج الواحدي عن علي بن الحسين رضي الله عنهما قال
اشد اية على اهل الكفر فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا وارجى اية في
القران لاهل التوحيد ان الله لا يغفر ان يشرك به الخامس ما اخرجه
مسلم في صحيحه عن عبد الله بن المبارك قال ارجى اية في القران قوله عز وجل
ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة الى قوله الا تحبون ان يغفر الله
لكم وسبب كونها ارجى اسعادها بان الله تعالى لطف بمسطح القاذف
العاصي هذه المعصية الفضيعة وهي وقيعته في ام المومنين
حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع ذلك عوتب الصديق الاكبر
ابو بكر رضي الله عنه في ذلك ويعجبني في ذلك ما قاله ولا الشيخ شرف الدين
اسمعيل بن المقري صاحب الروض والارشاد حين قطع ابوه صلة

كان

كان يصله بها فقال

من السريع

لا تقطعن عادة بر ولا   تجعل عقاب المرء في رزقه
فان امر الافك من مسطح   يحط قدر النجم من افقه
وقد جرى منه الذي قد جرى   وعوتب الصديق في حقه

فاجابه ابوه بقوله

قد يمنع المضطر من ميتة   اذا عصى بالسير في طرقه
لانه يقوى على توبة   توجب ايصالا الى رزقه
لو لم يتب مسطح من ذنبه   ما عوتب الصديق في حقه

ونظهر لي ان سبب كونها ارجى ان الله عز وجل جعل جزا صفح الصديق
عن مسطح انه يغفر له ولا بد ان كل مومن يصفح عمن اسا اليه ولو كان
صفحه مرة واحدة في عمره ولعمري ان كريما يغفر لمن عفا عمن اساء
اليه في عمره ولو مرة واحدة جميع ذنوبه لحقيق بان يرجى عفوه وان
اية دلت على ذلك لهي ارجى اية فالله اسال ان يغفر لنا جميع ذنوبنا
السادس ما اخرجه ابن ابي الدنيا في كتاب التوبة عن ابي عثمان النهدي
قال ما في القران اية ارجى عندي لهذه الامة من قوله عز وعلا واخرون
اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيا السابع قال ابو جعفر
النحاس قوله عز وجل فهل يهلك الا القوم الفاسقون الثامن قال
ابو جعفر النحاس ارجى اية وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ولم
يقل على احسانهم فاذا كان سبحانه يغفر على الظلم فكيف على الاحسان

التاسع روى الهروي في كتابه مناقب الشافعي رضي الله عنه عن ابن عبد الحكم
قال سالت الشافعي رضي الله عنه اي اية ارجى في كتاب الله عز وجل قال
قوله يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة قال وسالته عن ارجى حديث
للمومن قال قوله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيمة يدفع الى كل مسلم رجل
من الكفار فيقال هذا فداؤك واقول لم ار من بين سبب كون هذه الاية ارجى
وايضاح ما ادى اليه فهم الشافعي رضي الله عنه ويظهر لي ان الله عز وجل قال
في شان الانسان فلا اقتحم العقبة والمراد بالعقبة الصراط وقيل
الذنوب وقيل جهنم وقيل يوم القيمة ثم قال تعالى ان اقتحام العقبة
يحصل بان يفك رقبة بتخليصها من الرق او يطعم يتيما ذا مقربة
او مسكينا ذا متربة ولا شك ان لفظ مسكينا نكرة وقعت في سياق
الاثبات فتصدق على فرد مما يسمى بمسكين وهذا غاية الكرم من الله
عز وجل والتفضل العاشر قل كل يعمل على شاكلته قال ابو بكر الصديق
رضي الله عنه قرات القران من اوله الى اخره فلم ار فيه ارجى اية واحسن
من قوله عز وجل قل كل يعمل على شاكلته فانه لا يشاكل بالعبد الا
العصيان ولا يشاكل بالرب عز وجل الا الغفران الحادي عشر قوله عز
وجل وهل نجازي الا الكفور الثاني عشر قوله عز وجل انا قد اوحي
الينا ان العذاب على من كذب وتولى حكاه الكرماني في كتاب
العجايب الثالث عشر وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم
ويعفو عن كثير ثبت ذلك عن علي كرم الله وجهه في مسند احمد بن حنبل

رضي

رضي الله عنه عن علي رضي الله عنه قال الا اخبركم بافضل اية في كتاب الله عز
وجل حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما اصابكم من مصيبة فبما
كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وسافسرها لك يا علي ما اصابكم من مرض
او عقوبة او بلاء في الدنيا فبما كسبت ايديكم والله عز وجل اكرم من ان يثني
العقوبة وما عفا عنه في الدنيا فالله عز وجل احلم من ان يعود بعد عفوه
الرابع عشر قوله عز وجل قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف
قال الشبلي اذا كان الله عز وجل اذن بدخول الباب اذا اتى بالتوحيد
والشهادة افتراه يخرج الداخل فيه والمقيم عليهما الخامس عشر اية الدين
ووجهه ان الله عز وجل ارشد عباده الى مصالحهم الدينية حتى انتهت
العناية بهم الى ان اعتنى سبحانه بمصالحهم الدنيوية الى ان امرهم بكتابة
الدين الكثير والحقير فبمقتضى ذلك يرجى كرمه وعفوه لظهور عناية
العظيمة بهم ويلحق بذلك ما اخرجه ابن المنذر عن ابن مسعود رضي الله
عنه انه ذكر عنده بنو اسرايل وما فضلهم الله عز وجل به فقال كان
بنو اسرايل اذا اذنب احدهم ذنبا اصبح وقد كتبت كفارته على اسكفة
بابه وجعلت كفارة ذنوبكم قولا تقولونه تستغفرون الله عز وجل فيغفر
لكم والذي نفسي بيده لقد اعطانا الله عز وجل اية هي احب الي من
الدنيا وما فيها والذين اذا فعلوا فاحشة الاية واما اخوف اية
في القران فقد نقل عن ابي حنيفة رضي الله عنه انها قوله تعالى واتقوا النار
التي اعدت للكافرين قال البرهان الحلبي كذا رايت بعضهم نقل هذا

مطلب
اخوف اية
في القران
ه

القول عن ابي حنيفة رضي الله عنه والذي يظهر انها شبيه ارجى اية في
القران او انه اراد الاية التي بعدها وهي قوله عز وجل واطيعوا الله والرسول
لعلكم ترحمون انتهى والحق انها اية مخوفة لانها اوعد اكل الربا بهذه
المجازاة مع كونه مومنا لان صدر الاية يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربا
اضعافا مضاعفة الاية ونقل عن الشافعي رضي الله عنه ان اخوف اية في
القران ان الانسان لفي خسر الاية وذلك لان اللام فيه للاستغراق
والاستثنا معيار العموم ولا ينجو من هذا الوعيد الا من امن وعمل الصالحات
وقليل ما هم واخرج ابن المبارك في الزهد عن الضحاك بن مزاحم في قوله عز وجل
لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت قال والله
ما في القران اية اخوف عندي منها وقال ابن سيرين لم يكن عندهم شي
اخوف من هذه الاية هي قوله عز وجل ومن الناس من يقول امنا بالله
وباليوم الاخر وما هم بمومنين وقيل اخوف اية سنفرغ لكم ايها الثقلان
ولهذا قال بعضهم لو سمعت هذه الكلمة من حقير خفيّ غاية الخفارة لمام

ولا يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل احد من امته النار قد
استشكل هذا القول بامرين الاول ان الله عز وجل اذا رضي بان يدخل
احد من عباده النار فان رسوله صلى الله عليه وسلم يرضى بما رضي به
ربه عز وجل الثاني اذا كان الله عز وجل وعده بان يرضى يوم القيمة
ولا يرضى بان احدا من امته يدخل النار فيلزم ان لا يدخل احد من
عصاة المومنين النار وهو خلاف ما ثبت في الاثار فان قلت كيف
يدخل

يدخل الله عز وجل المومنين النار وان كانوا عصاة وقد قال الله تعالى يوم لا
يخزي الله النبي والذين امنوا معه وقال ربنا واتنا ما وعدتنا على
رسلك ولا تخزنا يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد وقال ربنا انك من
تدخل النار فقد اخزيته قلت الدخول فسر في هذه الاية وفي هذا الخبر المروي
عن بعض اهل البيت ورواه القرطبي في تفسيره مرفوعا الى النبي صلى الله
عليه وسلم بالخلود فمعنى قوله انك من تدخل النار اي من تخلده في النار نقله
القرطبي عن انس بن مالك وقال قتادة تدخل مقلوب تخلد فان قلت
حمله على الخلود خلاف الظاهر اذ المتبادر من الدخول غير الخلود قلت
حمله على الخلود حمل الامر الكلي على فرده الكامل اذ الدخول الذي لا خلود معه
كلا دخول لا سيما دخول المومنين اليها بذنوب اكتسبوها وسيات
جنوها على انفسهم فانه يعد كلا دخول لانهم لا يعذبون فيها بنص القران قال
تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه لا يعذب النبي ولا يعذب
المومنين فان قلت كيف لا يعذبهم وهم دخلوا دار العذاب قلت المانع
من تعذيبهم امران الاول ان كلمة التوحيد التي كانت معتقدهم ويضمرونها
في سويدا قلوبهم نقلتهم الى مقامات المحبة فشاهدوا ان كل ما يفعل
المحبوب محبوب واما اهل الشرك فانهم محجوبون عن الله عز وجل كما
نطق به القران فهم في عذابين والعياذ بالله عز وجل الثاني ان العصاة
من امة محمد صلى الله عليه وسلم اذا دخلوا النار ماتوا فيها فيبقون اجسادا
بلا ارواح ولا يحسون بعذاب ولا يفيقون الا وهم في انهار الجنة ففي صحيح

مسلم بسنده الى ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اما اهل النار الذين هم اهلها فانهم لا يموتون فيها ولا يحيون
ولكن ناس اصابتهم النار بذنوبهم او قال بخطاياهم فاماتهم الله عز وجل
اماتة حتى اذا كانوا فحما اذن لهم في الشفاعة فجيء بهم ضبائر ضبائر
فبثوا على انهار الجنة ثم قيل يا اهل الجنة افيضوا عليهم الحديث وهذه
الموتة موتة حقيقية وهذا الامر رضا الله عز وجل ورضي به النبي صلى الله
عليه وسلم تبعا لرضا ربه عز وجل واما الجواب عن سوال الرضا فنقول
المراد بالرضا الرضا الكامل وهو المقرون بالمسرة والفرح فان الرضا
قد يجامع الفرح والمسرة وقد يفارقه فرب امر مرضي عند صاحبه
وصاحبه يتالم منه وتالمه منه لا ينافي الرضا فانه ليس من شرط الرضا
ان لا يتالم الراضي ولا يتكره بل الشرط ان لا يعترض على الحكم ولا يتسخط
الا ترى ان المريض يتالم بشرب الدوا الكريه والصائم يتالم بما يناله من
الحر الشديد من الجوع والظما والمجاهد في سبيل الله عز وجل يتالم بما يناله
من الم الجراحة مع كونه راضيا غاية الرضا وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم
يتالم من دخول احد من امته النار وان رضي بقضا الله عز وجل وهذا كما
تالم من كفر عميه ابي طالب وابي لهب مع رضاه بما قضى الله عز وجل فمعنى
قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى اي فتسر وتفرح وتقر عينك فمعنى ما
روي عن بعض اهل البيت ان محمدا لا يسر ويفرح واحد من امته في
النار ويمكن ان يقال ان من كرامة محمد صلى الله عليه وسلم عند ربه عز وعلا ان
جعل

جعل رضاه في رضاه في خصوص امته فكيف كان رضا محمد صلى الله عليه
وسلم يكون ذلك رضا الله عز وجل وفي صحيح مسلم بسنده الى عبد الله بن
عمرو بن العاصي رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم تلا قوله عز وجل في ابرهيم
عليه السلام رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني ومن
عصاني الاية وقول عيسى عليه السلام ان تعذبهم فانهم عبادك الاية
فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وقال اللهم امتي امتي وبكى فقال
الله عز وجل يا جبريل اذهب الى محمد صلى الله عليه وسلم وربك اعلم فسله
ما يبكيك فاتاه جبريل عليه السلام فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله هو
بما قال وهو اعلم فقال الله عز وجل يا جبريل اذهب الى محمد صلى الله عليه وسلم
فقل انا سنرضيك في امتك ولا نسوءك **الخامس ما عده الله عز وجل
عليه من نعمه وقرره من الائه** اي نعمه وجوده وفي واحد الالاء سبع
لغات الاولى إلى كمعا بكسر الهمزة وفتح اللام مع التنوين الثانية كذلك لكن
مع عدم التنوين الثالثة الى بفتح الهمزة واللام مع التنوين كرحى الرابعة
كذلك لكن مع عدم التنوين الخامسة فتح الهمزة وسكون اللام والتنوين
على زنة امر السادسة كسر الهمزة مع ما مضى فهي على زنة علم السابعة
الي كقفل وقوله **قبله** بكسر القاف وفتح البا على زنة عنب اي في معاينته
ومخاطبته ومشافهته بذلك **في بقية السورة من هدايته الى ما هداه له**
فان الله عز وجل يقول ووجدك ضالا فهدى قيل معنى ضالا غافلا عما يراد بك
من امر النبوة فالضلال هنا بمعنى الغفلة فهو على حد لا يضل ربي ولا ينسى

اي لا يعقل وقيل ضالا لم تكن تدري القرآن والشرائع فهداك الله عز وجل
اليهما وقيل ضالا عن الهجرة فهداك اليها وقيل ضالا ناسيا شان الاستثناء
حين سئلت عن اصحاب الكهف وذي القرنين والروح فاذكرك ذلك
ومنه قوله تعالى ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى وقيل وجدك
طالبا للقبلة فهداك اليها قال تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء الاية ويكون
الضلال بمعنى الطلب لان الضال طالب وقيل معناه وجدك متحيرا عن
بيان ما انزل اليك فهداك اليه ويكون الضلال بمعنى التحير لان الضال متحير
وقيل معناه محبا فهداك والضلال ياتي بمعنى المحبة ومنه قوله قالوا
تالله انك لفي ضلالك القديم اي في محبتك قال الشاعر

هما من الكامل

هذا الضلال اشاب مني المفرقا ... والعارضين ولم اكن متحققا
عجبا لعزة في اختيار قطيعتي ... بعد الضلال فحبلها قد اخلقا

وقيل ضالا في شعاب مكة فهداك ردك الى جدك عبد المطلب قال
ابن عباس رضي الله عنهما ضل النبي صلى الله عليه وسلم وهو صغير في شعاب
مكة فراه ابو جهل منصرفا عن اغنامه فرده الى جده فمن الله عز وجل عليه
بذلك حيث رده الى جده على يدي عدوه قال سعيد بن جبير خرج النبي صلى
الله عليه وسلم مع عمه ابي طالب في سفر فاخذ ابليس بزمام الناقة في
ليلة مظلمة فعدل بها عن الطريق فجاء جبريل فنفخ ابليس نفخة وقع منها
في بلاد الهند ورده الى القافلة فمن الله عز وجل عليه بذلك وقال كعب
ان حليمة لما قضت حق الرضاع جاءت برسول الله صلى الله عليه وسلم لترده على

عبد المطلب

عبد المطلب فسمع عند باب مكة قائلا هنيئا لك يا بطحاء مكة اليوم يرد اليك
النور والدين والبهاء والجمال قالت فوضعته لاصلح ثيابي فسمعت
هدة شديدة فالتفت فلم اره فقلت معشر الناس اين الصبي فقالوا لم
نر شيا فصحت وامحمداه فاذا شيخ فان يتوكا على عصا فقال اذهبي
الى الصنم الاعظم ليرده عليك ان شاء ثم طاف الشيخ بالصنم وقبل راسه
وقال يا رب لم تزل منتك على قريش وهذه السعدية تزعم ان ابنها قد
ضل فرده ان شئت فانكب هبل على وجهه وتساقطت الاصنام
وقالت اليك عنا ايها الشيخ فهلاكنا على يدي محمد صلى الله عليه وسلم فالقى الشيخ
عصاه وارتعد وقال ان لابنك ربا لا يضيعه فاطلبيه على مهل
فانحشرت قريش الى عبد المطلب وطلبوه في جميع مكة فلم يجدوه فطاف

من الرجز

عبد المطلب بالكعبة سبعا وتضرع الى الله عز وجل ان يرده وقال يا رب
رد ولدي محمدا ... اردده واتخذ به عندي يدا ... يا رب ان محمدا لن يوجدا ...
فشمل قومي كلهم تبددا ... فسمعوا مناديا ينادي من السماء معاشر الناس
لا تضجوا فان لمحمد صلى الله عليه وسلم ربا لا يضيعه ولا يخذله وان محمدا صلى
الله عليه وسلم بوادي تهامة عند شجرة السمر فسار عبد المطلب هو وورقة
ابن نوفل فاذا النبي صلى الله عليه وسلم قائم تحت شجرة يلعب بالاغصان
وبالورق وقيل معناه وجدك ضالا ليلة المعراج حين انصرف عنك
جبريل وانت لا تعرف الطريق فهداك الى ساق العرش ثم ان اتيان
المصنف بما الموصولة يدخل تحته جميع ما سقناه من الاقوال او هداية

الناس به قال الكلبي والسدي ووجدك ضالا اي في قوم ضلال فهداهم الله
عز وجل بك فان قلت ضالا الواقع في الاية مسند الى ضمير المخاطب الذي
هو النبي صلى الله عليه وسلم فمن اين اخذ هذا التاويل وهو مقتض لان يكون
الضمير الى غيره ولا يدل عليه لفظ الاية قلت قال بعض العلماء اذا وجدت
العرب شجرة منفردة في فلاة من الارض لا شجرة معها سموها ضالة فيهتدى
بها على الطريق فقال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم ووجدك ضالا اي
لا احد على دينك احدا وانت وحيد فريد ليس معك احد فهديت بك الخلق
الى طاعتي وعبوديتي فاطلاق لفظ ضالا عليه من باب الاستعارة التصريحية
اي وجدك شبيها بالشجرة المنفردة على اختلاف التفاسير فانها طال
اختلافها في ذلك ويعجبني في ذلك اقتصار الجلال المحلي في تفسيره على قوله
ووجدك ضالا عما انت عليه الان من الشريعة فهدى اي هداك اليها انتهى
والسبب في كثرة الاختلاف ان نسبة الضلال الى النبي صلى الله عليه وسلم
تحتاج الى صرفها عما يتبادر منها فان الضال عند الاطلاق لا يتبادر منه الا
من ضل عن امر الله عز وجل والحق ان لفظ الضلال مشترك اشتراكا لفظيا
بين معنيين الاول ان الضال هو السالك في سبيل الضلالة عامدا وهو معنى
قوله عز وجل فاما ان كان من المكذبين الضالين الثاني ان الضال هو
السالك غير القصد على غير تعمد ومنه قول موسى عليه السلام فعلتها اذن وانا
من الضالين اي من المخطئين اي اردت شيئا فجريت الى غيره وضللت عنه
فمعنى قوله ووجدك ضالا اي لا تعرف شريعة الاسلام فهداك لها والحاصل ان

الضلالة

الضلالة تستعمل في عدم العلم والادراك ولا مال له وهو المراد من قوله ووجدك
عائلا وهو الفقير يقال عال يعيل عيلة اي فقر وفي الحديث ان الله عز وجل
يبغض العائل المختال اي الفقير المستكبر ومراد المصنف بقوله ولا مال له
اي لا يحوي على مال ولو كان ذلك المال من جهة كسبه فان الفقير عندنا من لا
مال له ولا كسب فاغناه الله عز وجل بما اتاه من مال خديجة فانه سافر في تجارة
لها فربح في تلك السفرة ضعف ما كان يربح غيره وهي اضعفت له العطية
فاعطته ما استحقه من جهة كونه عاملا واجزلت له عطية اخرى لما رات
من كماله بعينها ومن غمامة تظله ولما اخبرها بغلامها ميسرة مما صادف
من اياته وشاهده من معجزاته صلى الله عليه وسلم او اغناه بما افاء الله عز وجل
عليه من الغنائم وقيل اغناه بابي طالب ثم بمال خديجة ثم بابي بكر ثم
بالانصار ثم بالغنائم ولاحتمال الاية لذلك كله عبر المصنف بما الموصولة
المحتملة لاشياء او بما جعله الله عز وجل في قلبه من القناعة والغنى اعلم ان
فقد المال والحالات الدنيوية له خمس مراتب قد ميزها اهل المعاملات
وسموا كل مرتبة منها باسم الحالة الاولى وهي اعلاها ان لا يكون له مال وهو
بحيث لو اتاه المال لكرهه وتاذى به وهرب من اخذه مبغضا له ومحترزا
من شره وشغله وهو الزهد واسم صاحبه الزاهد الثانية ان يكون
بحيث لا يرغب فيه رغبة يفرح بحصوله ولا يكرهه كراهة يتاذى بها
ويزهد فيه لو اتاه وصاحب هذه الحالة يسمى راضيا الثالثة ان يكون
وجود المال احب اليه من عدمه لرغبة له فيه ولكن لم يبلغ من رغبته ان

مطلب نفيس

ينهض لطلبه بل ان اتاه عفوا صفوا اخذه وفرح به وان افتقر الى تعب
في طلبه لم يشتغل به وصاحب هذه الحالة نسميه قانعا اذ قنع نفسه
بالموجود حتى ترك الطلب مع ما فيه من الرغبة الضعيفة الرابعة ان يكون
تركه للطلب لعجزه والا فهو راغب فيه رغبة لو وجد سبيلا الى طلبه ولو بالتعب
لطلبه او هو مشغول وصاحب هذه الحالة نسميه حريصا الخامسة ان يكون ما
فقده من المال مضطرا اليه كالجائع الفاقد للخبز والعاري الفاقد للثوب
ونسميه في هذه الحالة مضطرا فهذه خمسة احوال اعلاها يحصل لكثير
من المومنين وهي الزهد في الدنيا الذي هو اعلى من القناعة ولا يليق
ان يعزى الى النبي صلى الله عليه وسلم القناعة بل ولا الزهد فانهما درجة دون ادنى
درجات ادنى اصحابه الذين شاهدوا طلعته نعم وراء هذه الاحوال الخمسة
حالة هي اعلى من الزهد وهي ان يستوي عنده وجود المال وفقده فان وجد
لم يفرح به ولم يتأذ وان فقد فكذلك وهذا كان حال عائشة ام المومنين
رضي الله عنها كانت اذا اتاها مائة الف درهم من العطا اخذتها وفرقتها
من يومها حتى قالت لها خادمتها ما استطعت فيما فرقت اليوم ان
تشتري لنا بدرهم لحما نفطر عليه فقالت لو ذكرتيني لفعلت فمن هذا
حاله لو اتته الدنيا بحذافيرها وكانت في يده لم تضره اذ هو يرى الاموال
في خزانة الله عز وجل لا في يد نفسه ولا يفرق بين ان تكون في يده او في يد
غيره وصاحب هذه الحالة يسمى المستغني لانه غني عن فقد المال
ووجوده جميعا فالمراد بقوله ووجدك عائلا فاغنى اي وجدك فقيرا من
معرفته

معرفة الله عز وجل فعرفك به حتى استوى عندك وجود المال وعدمه
وصرت عبدا فان قلت هو عارف بالله عز وجل اولا واخرا قلت نعم
ولكنه بالنسبة الى ما منحه الله عز وجل بعد ذلك من معرفته بعد ما كان عليه
اولا كلا معرفة لان الله عز وجل بعد النبوة اتم عليه نعمته ووفر عليه جوده
وهمته وقال ابن عطا ووجدك عائلا اي فقيرا لمشاهدة الخلق فاغناك
بكاشفته عن مشاهدتهم وقال ايضا ووجدك فقير النفس فاغنى قلبك
بغناه فاتصل غناك بغناه فصرت غنيا بغنى القلب عن غنى النفس كما قال صلى
الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى القلب وقال ابن عطا
ووجدك عائلا اي ليس معك كتاب ولا وحي فاغناك بهما وقال علي بن محمد
الترمذي الحكيم ذكر الله سبحانه في هذه الايات ما خص الله عز وجل نبيه
وصفيه ونجيبه عليه السلام من الازل قبل العمل مما ضلت فيه الاحلام
والتحيرت عن ادراك كنهه الافهام فقال عز من قائل الم يجدك يتيما فاوى
اي الم افقدك عن الاكوان ثم افنيتك عن فنائك وابقيتك بي حتى لم
تشاهد غيري فاويتك الى نفسي فلم يطلع عليك احد غيري كما قال النبي صلى الله
عليه وسلم لي مع الله عز وجل وقت لا يسعني فيه غيره وكما قال انا سر الله
في الارض ووجدك ضالا فهدى اي وجدتك محبا لي بمحبتي لك في الازل
فهديت بك كل محب لي الي وجعلتك اماما لجميع المحبين من النبيين والمرسلين
ومن الخلائق اجمعين لقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم
الله اي قل انا قدوة كل محب لله عز وجل من ادعى محبته فليتبعني في

ايثار محبوبه على نفسه وروحه وكل موجود ومفقود ووجدك عائلا فاغنى
اي وجدتك فقيرا اليّ ومستغفرا مسترحما مستشفعا لامتك لفرط
شفقتك ورأفتك ورحمتك عليهم اذ جعلتك رحمة للعالمين وبالمومنين
روفا رحيما فاغنيتك بالشفاعة فيهم كما قال صلى الله عليه وسلم خيرت
بين الشفاعة وبين ان يدخل ثلث امتي الجنة فاخترت الشفاعة
ويتيما اتى به منصوبا حكاية للفظ الاية حيث قال الله عز وجل الم
يجدك يتيما ونصبه على انه مفعول ثان ليجدك لان وجد هنا بمعنى علم
متعدي الى مفعولين اسوة باقي افعال القلوب ويجوز ان يكون بمعنى
يصادف فيكون مفعولها الكاف ويتيما حال من الكاف واليتيم صغير
ذكرا كان ام انثى ام خنثى لا اب له ولو كان له ام او جد او يكون ابن زنى
او منفيا بلعان بخلاف اللقيط لا يسمى يتيما لانه لم يتحقق يتمه لان
الوضع والعرف انما يعد انه يتيما عند فقد الاب وذلك لقول النبي صلى الله عليه
وسلم لا يتم بعد احتلام حسنه الترمذي والنووي وضعفه المنذري
واما قوله عز وجل وآتوا اليتامى اموالهم فقد سماهم يتامى من بعد البلوغ
وايناس رشدهم للزوم اليتم اياهم كما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم بعد كبره
يتيم ابي طالب لانه رباه وقيل انما سماهم الله عز وجل يتامى مع انهم
بُلَّغ بناء على الاصل فان اليتيم في الاصل ماخوذ من اليتم وهو الانفراد
ومنه الدرة اليتيمة اي المنفردة وسمي من مات ابوه يتيما لانه انفرد
ثم نقل عرفا الى من مات ابوه وهو صغير والله عز وجل سمى البالغين

يتامى

يتامى باعتبار المعنى الاصلي وقيل اطلقه عليهم توسعا وقيل لقرب عهدهم
بالصغر الى ان يدفع اليهم اموالهم اول بلوغهم قبل ان يزول عنهم هذا
الاسم اذا اونس منهم الرشد ويتم النبي صلى الله عليه وسلم لان اباه مات
حين كان جنينا في بطن امه قال السهيلي في روضه واكثر العلماء على
انه صلى الله عليه وسلم كان في المهد ذكره الدولابي وغيره وقيل ابن شهرين
ذكره ابن ابي خيثمة وقيل اكثر من ذلك ويرشد الى ذلك رجز
لعبد المطلب جده يقوله لابنه ابي طالب   اوصيك يا عبد مناف بعدي ٥
بموتم بعد ابيه فرد ٥ فارقه وهو ضجيع المهد ٥ وقد كان صلى الله عليه وسلم
يسمى باليتيم في الكتب السالفة والاخبار الماضية وورد في بعض
الاخبار ان موسى عليه الصلوة والسلام لما طلب من الله عز وجل الروية
وصعق فلما افاق من صعقته قيل له ليس ذلك لك فان ذلك ليتيم
ياتي بعدك فقال مصدقا سبحانك تبت اليك من ان يصل اليك احد
الا من ارتضيته لنفسك وخصصته باعلى مقامات قربك تبت
اليك عما تصديت لما ليس لي وانا اول المومنين بتخصيص محمد صلى
الله عليه وسلم بهذا المقام وسماه الحق سبحانه يتيما حيث قال الم يجدك
يتيما والى هذا اشار العارف بالله شرف الدين عمر بن الفارض
في قصيدته نظم السلوك التائية حيث قال حاكيا عن المقام المحمدي

ودونك بحرا خضته وقف الاولى   بساحله صونا لموضع حرمتي
ولا تقربوا مال اليتيم اشارة   لكف يد صدت له اذ تصدت

• وما نال شيا منه غيري سوى فتى • على قدمي في القبض والبسط ما فتي •
فحدب عليه عمه وجد في نسخة معتمدة ضبط حدب بفتح الحا والدال
مخففة ونصب عمه وهذا الضبط فيه نظر لان حدب لم يسمع الا على
زنة فرح وهو لازم فيتعين ان يكون عمه مرفوعا فاعل نعم لعل
النسخة حدب بتشديد الدال فيجوز فيه ان يكون حدب على زنة فرح
فعمه فاعل وان يكون على زنة فرّح بتشديد الراء فعمه مفعول والفاعل
ضمير يرجع الى الله عز وجل اي فعطف الله عز وجل عليه عمه وحدب
معناه عطف وفي حديث علي كرم الله وجهه يصف ابا بكر الصديق رضي
الله عنه واحدبهم على المسلمين اي اعطفهم عليهم واراد بعمه الحادب عليه
ابا طالب وهو القائل

لعمري لقد كلفت وجدا باحمد   واحببته داب المحب المواصل
فمن مثله في الناس اي مومل   اذا قاسه الحكام عند التفاضل
حليم رشيد عادل غير طائش   يوالي الها ليس عنه بغافل
فوالله لولا ان اجي بسبة   تجر على اشياخنا في المحافل
لكنا اتبعناه على كل حالة   من الدهر جدا غير قول التهازل
لقد علموا ان ابننا لا مكذب   لدينا ولا يعنى بقول الاباطل
فاصبح فينا احمد في ارومة   تقصر عنها سورة المتطاول
حدبت بنفسي دونه وحميته   ودافعت عنه بالذرا والكلاكل

وقد قام ابو طالب بحماية النبي صلى الله عليه وسلم وكان له عضدا وحرزا حتى
مات

حتى مات وماتت خديجة ام المومنين في عام واحد قبل مهاجر النبي صلى الله
عليه وسلم الى المدينة بثلاث سنين يقال ان خديجة ماتت بعده بثلاثة
ايام ومات ابو طالب كافرا بعد ان عرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم الاسلام
مرات وهو يمتنع حتى كان اخر ما قال هو على ملة عبد المطلب فان قلت
ما بال المصنف كالمفسرين ذكروا في تفسير آوى الواقع في الاية انه
حدب عليه عمه ابو طالب مع ان النبي صلى الله عليه وسلم كفله اول مرة جده
قالت ام ايمن رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكي خلف سرير عبد المطلب
عبد المطلب الى ان بلغ سنه ثمان سنين فمات عبد المطلب فلما
حضرته الوفاة دعا ابنه ابا طالب فقال له يا بني لقد علمت شفقتي
لمحمد صلى الله عليه وسلم ووجدي به انظر كيف تحفظني فيه فقال ابو طالب
يا ابت لا توصني بمحمد صلى الله عليه وسلم فانه ابني وابن اخي فلم لم يذكروا
كفالة جده بل اقتصروا على كفالة عمه قلت لان كفالة جده لم تطل ايامها
فانه فارقه محتاجا الى كفيل فكفله عمه وايضا كفالة جده له لم يكن
بها يتيما كاملا لان الجد قائم مقام الاب بدليل انه تلزمه نفقة ابن
ابنه باتفاق بخلاف العم فانه لا يلزمه نفقة ابن اخيه عند الشافعي
رضي الله عنه وايضا كفالة الجد لابن ابنه يدعو اليها الطباع البشرية
لانه فرعه بخلاف العم فكان شفقة ابي طالب على نبينا صلى الله عليه
وسلم بمحض فضل الله عز وجل ومنته فان قلت لم جعله الله عز وجل يتيما
ولم يبق اباه قلت يروى عن جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهما
انه سئل لم افرد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابويه فكان يتيما في صغره

فقال لئلا يكون عليه حق لمخلوق انتهى قيل في هذا التعليل اشكال لانه ان
لم يكن لابويه عليه حق فهو اسهل من حق من سواهما عليه فقد صار لغيرهما
عليه حق لا محالة فالوجه ان يعلل بان في يتمه صلى الله عليه وسلم تسلية
لمن كان يتيما من اولاد امته ولان في ايوائه توطئة لتشكر نعمائه حيث
انعم بمن عطف عليه ولا وجود لابويه واقول لم يرد جعفر بقوله
حق لمخلوق الاحسان بل اراد ان الله عز وجل اوجب على الانسان
بر ابويه واطاعتهما فيما يامرانه والله عز وجل لم يرض لنبيه صلى الله
عليه وسلم ان يطيع مخلوقا يشتغل باداء حقه بل اراد الله عز وجل
ان يكون نبيه صلى الله عليه وسلم متصديا لطاعة الله عز وجل ليس
الا الا ترى ان اويسا القرني رضي الله عنه شغله بر امه عن السعي
الى لقاء النبي صلى الله عليه وسلم واما عمه فهو وان كان احسن اليه
باعتبار تربيته الا انه لم يكن ملزما في شانه بحق من الحقوق بحيث
يمتثل امره ويقوم بطاعته كما يجب عليه اطاعة ابويه ولان تخفض
له جناح الذل من الرحمة وبالجملة فالله عز وجل قطع عرام نبيه
صلى الله عليه وسلم ان يكون تحت امر مخلوق من مخلوقات الله عز وجل
وذلك لان الله عز وجل حققه في مقام العبودية له واطاعة الابوين
وان كانت ليست عبودية لهما الا ان اطاعة الولد لهما تحاكي اطاعة
العبد لسيده فاراد الله عز وجل ان لا يكون لنبيه صلى الله عليه وسلم
ذرة من الانقياد لمخلوق فان قلت كيف يكون لابي طالب عليه منة

التربية

التربية قلت لا منة لابي طالب عليه اصلا لا بحسب الظاهر اما من
جهة التاديب فالمؤدب له هو ربه عز وجل ليس الا كما قال صلى الله
عليه وسلم ادبني ربي فاحسن تاديبي وقال الابوصيري

كفاك بالعلم في الامي معجزة ۞ في الجاهلية والتاديب في اليتم ۞

وكذلك كان الله عز وجل حافظه وكالئه واما من جهة الاكل فقد قال
صاحب الوفا كان اذا اكل عيال ابي طالب جمعا او فرادى لم يشبعوا
واذا اكل معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شبعوا وكان اذا اراد ان
يغديهم قال كما انتم حتى يحضر ابني فياتي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فياكل معهم فكان يفضل من طعامهم واذا لم يكن معهم لم يشبعوا
فيقول ابو طالب انك لمبارك والى هذا اشار الامام ابو يحيى
الصرصري في نونيته حيث قال

وتكفل العم الشفيق بامره ۞ لما غدا متكملا لثمان ۞
ورأى عظيم الخير من بركاته ۞ هو والعيال اذا اتوا لخوان ۞
ان كان فيهم فالكفاف وفضلة ۞ ومتى يغب فالزاد اسرع فان ۞

والحاصل ان الاكل كان ببركته صلى الله عليه وسلم ينمو فكان عيال
ابي طالب ياكلون من بركته صلى الله عليه وسلم فالمطعم لهم هو الله عز وجل
ومع ذلك فنبينا صلى الله عليه وسلم قد كافى ابا طالب لما انه افتقر فربى
ابنه عليا رضي الله عنه وكافاه بعد موته فدعا له حتى خفف الله عز
وجل عنه عذابه فجعله في ضحضاح من النار ولولا رسول الله صلى الله عليه وسلم

لكان مع رفقائه من المشركين في الدرك الاسفل والعياذ بالله عز وجل **واوا ه**
اليه الضمير المرفوع في اواه عائد الى الله عز وجل والضمير في اليه عائد الى عمه
اي اواه الله عز وجل الى عمه وجعله من عياله وضمه اليه **وقد قيل اواه**
الى الله فالضمير المرفوع على هذا التفسير عائد الى الله عز وجل والضمير
المجرور عائد اليه ايضا وقد قرئ شاذا فاوى بالقصر قال صاحب الكشاف
وهو على معنيين اما اواه اي بالقصر بمعنى آواه اي بالمد وهو ضمه
اليه ثم قال واما من اوى اليه بمعنى رحمه انتهى وحاصله ان اوى
المقصور ياتي بمعنى اوى الممدود ويكون متعديا ووقع في حديث بيعة
الانصار رضي الله عنهم ليلة العقبة قال صلى الله عليه وسلم لهم ابايعكم على ان
تاووني وتنصروني وتاووني مضارع اوى المقصور معناه كمعنى
تووني الممدود اي تضموني اليكم وتحوطوني بينكم يقال اوى واوى
بمعنى واحد والمقصور منهما لازم ومتعد فمما جاء متعديا قوله
صلى الله عليه وسلم لا قطع في ثمر حتى ياويه الجرين اي يضمه البيدر ويجمعه
وفيه ايضا لا ياوي الضالة الا ضال كل هذا من اوى ياوي فيقال اويت
الى منزلي واويت غيري واويته وانكر بعضهم المقصور المتعدي
وقال الازهري هي لغة فصيحة قال سمعت بعض العرب يقول الا اني اوي
هذه الموقة ومن المقصور اللازم قوله صلى الله عليه وسلم اما احدهم فاوى
الى الله عز وجل فاواه الله عز وعلا وياتي اوى المقصور بمعنى رحم فيقول
فاوى اي فرحم **وقيل يتيما لا مثال لك** قال في الكشاف ومن بدع التفاسير

ام

انه من قولهم درة يتيمة والمعنى الم يجدك واحدا في قريش عديم النظير فاواك
وفي القاموس اليتيم الفرد وكل شيء عز نظيره وفي نسخة صحيحة لا مال لك
ويويده ما في المعالم الم يجدك يتيما فقيرا حين مات ابواك ولك ان تقول
صرح بالفقر والاغناء آخرا فلا حاجة الى اعتباره اولا ولا دلالة لليتيم على
الفقر ليناسب تفسيره به قيل ويمكن الجواب بانه اعتبر الفقر في المراد
بقرينة الواقع وتنكير يتيما لان غنى اليتيم مرغب في رعايته وكفالته فالمنة
في ضم اليتيم بدون المرغب اتم والنعمة اعظم ثم اعاد ذكره ليمن عليه
بازالته فالاول بالتعميم والثاني لذاته فتدبر واقول انما ضم صاحب
المعالم قيد الفقر الى كونه يتيما لدلالة قرينة المقام عليه فانه في صدد
تعديد منته عليه مع احتياجه اليها واليتيم اذا كان ذا مال لا يحتاج الى
من يوويه فان ماله يقوم بذلك ولهذا بعد اليتيم الذي له مال غنيا ويجب
عليه الزكوة ولا يعطى من خمس الخمس شيئا لان شرط اعطائه منه الفقر
وقد علل فقهاونا اشتراط الفقر في اليتيم الذي يستحق في خمس الخمس
من الفيء والغنيمة بان لفظ اليتيم يشعر بالفقر والحاصل ان اليتيم
اذا ذكر في مقام الصدقة والاحسان اشعر لفظه بالفقر وان لم يصرح به
والحاصل ان الفقير الذي اعتبره صاحب المعالم ماخوذا في اليتيم
لان الله يريد ان يخبره ولم يكن ايواؤك مستندا الى شيء الا الى منتي
عليك وفضلي فقط وليس مستندا الى مال لك فلو لم يعتبر الفقر في
مفهوم اليتيم لفات مضمون هذا الامتنان **فاوى اليه** اي الى الله عز وجل

ولم يكلك الى مخلوق وضم اليك عمك لم يكن الا ظاهرا وفي الحقيقة المؤدب
والكافل والرازق بغير احتساب له هو الله عز وجل ليس الا كما يشهد بذلك
صحاح الاخبار وقيل المعنى الم يجدك فهدى بك ضالا واغنى بك عائلا واوى
بك يتيما نقل شيخنا الرضي بن الحنبلي عن الجاني انه قال هو قول لا يساعده
اعراب ولا يصحبه صواب وقد كان ينبغي للقاضي ابي الفضل ان يضرب
عن مثل هذا التاويل صفحا وان لا يملا بمثله من كتبه صحفا قال شيخنا
والحق لا يخفى ان في هذا القول ان المنصوبات منصوبة بما بعدها مع سبق ما
هو صالح لنصبها وان فعلي يجد ووجد متعديان لواحد على افادة معنى مطلق
الاصابة لا اصابة الشي على صفة وان جزاءها في حيز المعطوف قد تقدم
على عاطفه اذ هو ظاهر في ان الفاء عاطفة لا مثل الفا في نحو وربك فكبر
كما لا يخفى وكلها على خلاف الظاهر مع ان تقدم جزءها في حيز المعطوف على
عاطفه امر لا دليل على جوازه في النثر فيما نعلم وان التزم ان الفعلين
متعديان الى اثنين حذف ثانيهما وان التقدير الم يجدك رحيما فاوى بك
يتيما ووجدك مهتديا فهدى بك ضالا ووجدك غنيا فاغنى بك عائلا فهو
مع كونه خلاف الظاهر لان الاصل عدم الحذف محل خلاف جرى بين النحاة
ففيه ما فيه وانا اقول هذا التاويل وقع من ابن عطا وتاملته فرايت
ابن عطا قصد مقصدا حسنا تقريره ان هذه الاية سيقت لبيان منة
الله على نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الدار ليستدل بذلك على تحقيق ما وعده
الله به في الاخرة حيث قال وللاخرة خير لك من الاولى ولسوف يعطيك
ربك

ربك فترضى ولا بد ان يبين له منة سنية جليلة ومجرد كونه كان يتيما
فاواه وضالا فهداه وعائلا فاغناه وان كان منا سنية الا ان غيرها
اسنى منها فمن الله عز وجل عليه بان قال الم اجدك يتيما فلا ازال ارقيك بالنعم
حتى جعلتك ماوى لليتامى والم اجدك لا تعرف العلم والشرايع وانت امي
لا قرات ولا تعلمت من استاذ فعلمتك وهديتك ورقيتك في الهداية الى
ان هديت بسببك كثيرا من اهل الضلال والم اجدك عائلا فقيرا فلا ازال
اغنيك حتى جعلتك مغنيا للفقرا والفقرا يصيرون اغنيا بك فوجد هنا
ماضيها ومضارعها هي التي تتعدى الى مفعولين وهي المرادفة لالفى التي
مصدرها الوجدان عند الاخفش والوجود عند السيرافي لا بمعنى اصاب
المتعدية لواحد ومفعولها الثاني ضالا ويتيما وعائلا ثم مفعول هدى
واغنى واوى ليس النبي صلى الله عليه وسلم على هذا القول بل هو محذوف
تقديره الم يجدك يتيما فاوى بك اليتامى وضالا لا تعرف العلوم
فهدى بك الناس الى علوم لم تنلها امة من الامم الماضية ووجدك عائلا
فاغنى بك قوما كانوا ياكلون الجيف وكانوا في غاية الذلة والعيلة فاصبحوا
ملوك الارض وليس ضالا مفعول هدى حتى يلزم تقديم معمول المعطوف
على حرف العطف وهو غير جائز فما قال ابن عطا ليس بيانا لمعنى الاية
الدالة عليه مطابقة بل بيان لحاصل المعنى والا فابن عطا كما انه من
السادة الاتقيا الزهاد هو من العلما الراسخين في علم العربية كما يشهد
بذلك ترجمته المذكورة في مناقب الابرار وعلى كل ولينا وبياننا المقصود لم

يخالف كلام الظاهر الاقي طي جملة من كل نعمة من هذه النعم فالتقدير الم
يجدك ضالا فرءاك في ذري الهداية فهدى بك الضالين ووجدك عائلا فمن
عليك بان ملكك البسيطة فاغنى بك الفقراء وهكذا وطي الجمل في خلال
ايات القران كثير فيه كما لا يخفى على من تتبع الايات القرانيه وكذلك خالف
كلام الظاهر في حذف مفعول اوى واغنى وهدى فان قلت اي قرينة
تدل على هذا الطي وعلى هذا الحذف قلت القرينة على ذلك ان الله عز وجل
يريد ان يبين له انه انعم عليه بنعمة في غاية الرفعة والسنا وكونه تعالى
اواه بعد يتمه واغناه بعد فقره وهداه الى العلوم بعد ان كان غير عالم
لا يعادل كونه يتيما فوفر عليه نعمه الى ان صار ماوى اليتامى كما قال في
حقه عمه ابو طالب وابيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة للارامل ۞ بل انعم اليتامى في فضله في حياته
وبعد خروجه من هذه الدار الا ترى ان الله عز وجل جعل لهم في خمس الخمس
من الفيء والغنيمة ما يكفيهم بل يغنيهم واوصى في كتابه العزيز الذي
انزله عليه بحفظ اموالهم ونهى المومنين عن اكل اموالهم فقد عاش
اليتامى في ظله صلى الله عليه وسلم كما عاشوا في ظل اباءهم ولا يعادل كونه
خاليا من العلوم والمعارف فعلمه علما حتى قال صلى الله عليه وسلم فعلمت
علم الاولين والاخرين بل كان ما في اللوح المحفوظ بعض علمه كما اشار
اليه الابوصيري حيث قال

فان من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم ۞

فاصبح

كانه

من الطويل ۞

فاصبح الناس من هذا البحر يغترفون وبهذا الهدي يهتدون زاده الله رفعة
وشرفا ولا يعادل كونه كان عائلا فمن الله عز وجل عليه بان ملكه البسيطة
فاصبح آله واقوامه وانصاره وذريتهم ملوك الارض من شرقها الى
غربها فاغنى الله عز وجل به بعد العيلة ويمكن ان يلاحظ كل من اوى
وهدى واغنى لازمة وان كانت متعدية فالتقدير الم يجدك يتيما فوفر
عليك نعمه حتى حدث بسببك الايواء وقس عليه نظائره فتامل
فان قلت ما بال المصنف خالف في تعريبه ما اشتملت عليه هذه السورة
من نعم الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم ترتيب القران فقدم ذكر
الهداية ثم الغنى ثم الايواء وقد ذكر في القران الايواء اولا ثم الهداية ثم
الغنى قلت اما ما وقع في الاية فهو ترتيب لذكر النعم مثل ما وقعت
في الزمان فان ايواءه صلى الله عليه وسلم بعد ان كان يتيما هو الذي وقع
اولا ثم ان الله عز وجل هداه ثم اغناه بالمال فان التقديم في القران
قد يكون لسبق المقدم في الزمان كتقديم الليل على النهار مع ان النهار
افضل من الليل لسبق زمان الليل وتقديم الظلمات على النور مع
ان النور اشرف وتقديم ادم على نوح ونوح على ابرهيم وابرهيم
على موسى وهود على عيسى وداود على سليمن والملائكة على البشر
في قوله الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ومنه تقديم ازواجه
صلى الله عليه وسلم على بناته في قوله عز وجل قل لازواجك وبناتك ومنه
تقديم التوراة على القران في قوله عز وجل وانزل التورية والانجيل من

انظر ان النهار افضل من الليل ۞

الاصح ان موسى
افضل من ابرهيم
عليهما السلام
... الشارح
ما يخالف هذا
ه

قبل هوى للناس وانزل الفرقان وكل ما قدم فى ذلك مفضول بالنسبة الى
المؤخر حتى انه الاصح ان موسى عليه السلام افضل من ابرهيم ولهذا
اقتصر صلى الله عليه وسلم في بيان افضليته على من قبله من الانبيا عليهم السلام
بقوله لو راى موسى عليه السلام ما وسعه الا اتباعي فلم يقدم الله عز وجل
من كان مفضولا في هذه الايات الا لسبقه فى الزمان فان قلت هدايته
صلى الله عليه وسلم لتعليم الشرائع وقعت بعد اغنائه بمال خديجة فان ذلك
لم يقع له صلى الله عليه وسلم الا بعد النبوة ومال خديجة رضى الله عنها
انتفع به قبل النبوة قلت لا نسلم فان بداية هدايته من صغره حين
كان ابن عشر حين شق بطنه الشريف وفي سن ثنتي عشرة سنة
حين سافر مع عمه ابي طالب الى الشام وشهد له بحيرا انه نبي هذه
الامة وكان من صغره يبغض الاصنام ويتحرى عبادة الله عز وجل
والى هذا اشار الابوصيري بقوله

الف النسك والعبادة والخلوة طفلا وهكذا النجباء
واذا حلت الهداية قلبا نشطت للعبادة الاعضاء

وهجره للاصنام وبغضه لها امر مشهور وبالجملة فاثار هدايته
وقعت متقدمها على غناه بمال خديجة رضي الله عنها وهل سمحت نفس
خديجة بعد ان تزاحم اكابر قريش على طلب تزوجها لنبينا صلى الله
عليه وسلم بنفسها ومالها الا بعد ان شاهدت من دينه وتقواه وزهده
وعفافه وامانته ما خرق العادات وبعد ان اخبرها غلامها ميسرة

ان

ان الغمامة اظلته وان الشجرة امالت فيئها اليه والى هذا المعنى اشار
الابوصيري حيث قال

وراته خديجة والتقى والزهد فيه سجية والحياء
وانا ها ان الغمامة والسرح اظلته منهما افياء
واحاديث ان وعد رسول الله بالبعث حان منه الوفاء
فدعته الى الزواج وما احسن ما يبلغ المنى الاذكياء

واما المصنف فانه لاحظ اشرف النعم التي انعم الله بها على نبيه صلى الله
عليه وسلم وهي الهداية فبدا بها فانها اجل النعم الثلاث وكيف لا
ومضمونها انه صلى الله عليه وسلم نشا بين قوم جبلت طباعهم على حب
الطواغيت فاخرج من هذه الفرقة هذا النور الاعظم صلى الله عليه وسلم
واتى بالثانية والثالثة لانها دون الاولى ولما كان المقام مقام
بيان عظيم شانه صلى الله عليه وسلم فلاق بالنسبة الى هنا سبيد المقام
تقديم الاعظم فالاعظم وقيل ان الاظهر ان الاية وردت فى مقام
الاستدلال فقدم الاظهر فالاظهر فان اليتم والضم معلومان بالمشاهدة
وهو عليه الصلوة والسلام يختار الفقر والقناعة فى غناه خفاء
بالنسبة الى تعليم الشرائع ولعمري لو ان المصنف اغتنم سنة النبي
صلى الله عليه وسلم فى تقديم ما قدم الله عز وجل لكان اولى به ويستدل على
ذلك بقول النبي صلى الله عليه وسلم ابدأوا بما بدا الله عز وجل به ولهذا قدم
فى السعي الصفا على المروة واستدل كثير من العلماء على وجوب الترتيب

في الوضوء بهذا الحديث وهذا الذي لا حظ لا يعادل امتثال امر النبي صلى الله
عليه وسلم ذكره الله بهذه المنن اي احضرها في ذهنه بان ذكرها
عليه وليس يجب ان لا يكون الذكر الا بعد النسيان فكل من حضره
معنى شي بقول او عقد او خطور بالبال فهو ذاكر وكان اصل الذكر
التنبيه على الشي فكل من ذكر شيا فقد نبهنا عليه والمنن جمع منة
وهي العطية ومن اسمائه عز وجل المنان اي المنعم المعطي وكثيرا ما
يرد المن في كلامهم بمعنى الاحسان الى من يستثيبه ولا يطلب
الجزا عليه وانه على التفسير المعلوم يشير الى ان الاية فسرت بما هو
معلوم بحيث يتصف بانه مطابق للقواعد العلمية وهو جعل اليتيم
والضال والعائل صفات للنبي صلى الله عليه وسلم واما على ما قاله هو
فان المعنى وجدك فهدى بك ضالا الى اخره فجعل الضال واليتيم
والعائل صفات لغيره صلى الله عليه وسلم كما لا يلائم مقصود المصنف
وهو بيان ان الله تعالى لم يهمله اي نبيه صلى الله عليه وسلم في حال صغره
وعيلته اي فقره والعائل الفقير وفي الحديث ان الله عز وجل يبغض العائل
المختال اي الفقير المستكبر ويتمه ولما كان هذا المقام مقام سرد
الفاقات التي لطف الله عز وجل عنها بنبيه صلى الله عليه وسلم كان
المقام مقام اسهاب فلهذا ذكر صفات بعضها يستلزم بعضا
كاليتم فانه يستلزم الصغر فان كل يتيم صغير على انه يمكن ان يقال
ذكر الصغر مع اليتم لدفع توهم ان اليتم هنا مجاز كاليتم في قوله عز وجل واتوا

اليتامى

اليتامى اموالهم فان اطلاق اليتامى عليهم مجاز اذ قد يقال للبالغ قريب
من اليتم انه يتيم فلدفع توهم ذلك اتى بالوصفين وقبل معرفته اي
النبي صلى الله عليه وسلم به اي بالله عز وجل وهذا تفسير الضلال في قوله ووجدك
ضالا فان المراد به عدم العلم والمعرفة اي وجدك لا تعرف شيا من العلوم
فعلمك وهداك الى ان تعلمتها فان الضلال قد ياتي بمعنى عدم العلم كما في
قوله فعلتها اذا وانا من الضالين اي لم اعلم ان وكزتي تبلغ القتل كانه
قال فعلتها وانا ضال عن العلم بها انها تبلغ القتل وقد فسر الضلال
هنا بالغفلة اي كنت يا محمد في غفلة عن النبوة لم تدر انك تؤتاها
ودليله قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان وقال بعضهم
ضالا اي في قوم ضلال كما قيل ابو عثمان المازني لنزوله في بني مازن
وعمرو الغزالي لمقامه بين الغزالين وكل من نزل في قوم نسب اليهم
ولا ودعه اي ما قطعه قطع المودع هذا بنا على تشديد دال ودعه
هنا وودعك في الاية وقد قرى في الاية بتخفيف الدال ويجوز هنا
ايضا تخفيفها والمعنى ما تركه قال الشاعر
وثم ودعنا آل عمرو وعامر ° فرائس اطراف المثقفة السمر ° من الطويل
والتوديع المبالغة في الودع لان من ودعك مفارقا فقد بالغ في تركك
فان قلت يلزم ان يكون المقسم عليه المبالغة في تركه فانتفت
المبالغة في تركه وبقي اصل الترك قلت لا ضير في ذلك فان ترك الوحي وقع
في الجملة ايام الفترة لكن لم يقع بالكلية كما زعمته الاعدا ولا قلاه اي ابغضه

يقال قلاه تقليه وقلية بقلا وقلى وربما فتح ومد فقيل قلاء وفي حديث
ابي الدرداء رضي الله عنه وجدت اخبر تقله اي من جربهم رماهم بالمقت الناس صح
لخبث سرائرهم وقلة انصافهم وفرط استئثارهم ولفظه لفظ الامر
ومعناه الخبر وتصريح المصنف في قلى بضمير منصوب عائد الى النبي
صلى الله عليه وسلم للاشارة الى ان مفعول قلى في الاية محذوف لظهوره
للعلم بالمحذوف بالتصريح به في ودعك من قبل مراعاة للفواصل
فكيف بعد اختصاصه اي كيف يهمله بعد اختصاصه اي تمييزه
بان خصه بالرسالة والقيام باعباء النبوة **واصطفائه** اي اختياره
لان يكون اكرم النبيين اي اظهر ذلك في عالم الشهادة والا فاصطفاؤه
واختياره وقع من الازل **السادس امره** في نسخة معتمدة امره
بسكون الميم على انه مصدر يجوز ان يكون مضافا للفاعل اي امر الله
والمفعول محذوف اي امر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ويجوز ان
يكون الهاء عائدة الى النبي صلى الله عليه وسلم والفاعل محذوف وفي نسخة
اخرى امره بصيغة الماضي فيحتاج الى اضمار ان المصدرية
والتقدير السادس ان امره فهو كقوله عز وجل ومن اياته يريكم البرق
اي ان يريكم البرق **بان يظهر نعمته عليه** الاضافة في نعمته للعهد
والمشار بها الى نعمة الله عز وجل التي امتاز بها صلى الله عليه وسلم عن عامة
الناس كالنبوة والعلم والقران ويجوز ان تكون الاضافة للاستغراق
فالله عز وجل امره ان يتحدث بكل نعمة انعم بها عليه لكن اجمالا لا تفصيلا

لان نعم الله عليه لا حصر لها **وشكرها شرفه به بنشره واشادة ذكره**
اي اشاعته واظهاره اخذا له من شاد اي طول بناءه يقال شاد الرجل
بناءه يشيده وشيده وشيله يشيله اي طوله ومنه يقال اشاد بذكره
اذا نوه ولا يقال فيه اشاد ولا شيد **بقوله واما بنعمة ربك فحدث**
التحديث بالنعمة نشرها واشاعتها يريد ما ذكره الله من نعمة الايواء
والهداية والاغناء وما عدا ذلك وعن مجاهد بالقران فحدث اقرءه
وبلغ ما ارسلت به وعن عبد الله بن غالب انه كان اذا اصبح يقول
رزقني الله عز وجل البارحة خيرا قرات كذا وصليت كذا واذا قيل له يا
ابا فراس تقول مثل هذا قال يقول الله عز وجل واما بنعمة ربك فحدث
وانتم تقولون لا تحدث بنعمة الله عز وجل وانما يجوز مثل هذا اذا
قصد به اللطف وان يقتدي به غيره وامن على نفسه الفتنة والستر
افضل **فانه من شكر النعمة الحديث بها وهذا خاص له عام لامته**
وذلك لان المشافهة بقوله تعالى فحدث هو محمد صلى الله عليه وسلم لكن قام
الدليل على ان هذا ليس خاصا به صلى الله عليه وسلم بل شامل له ولامته
فان الخطابات الواردة في القران على انحاء كثيرة منها خطاب الخاص
والمراد العموم كقوله عز وجل يا ايها النبي اذا طلقتم النساء افتتح
الخطاب بالنبي صلى الله عليه وسلم والمراد سائر من يملك الطلاق وقوله
يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك قال ابو بكر الصيرفي كان ابتداء
الخطاب له فلما قال في الموهوبة خالصة لك علم ان ما قبلها له ولغيره

والتحدث بالنعمة من انواع شكر الله عز وجل اذ فيه اظهار الرضا عن ربه
عز وجل فقد جاء في الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال لرجل كيف اصبحت
فقال بخير فاعاد السوال فاعاد حتى قال في الثالثة بخير احمد الله
عز وجل واشكره فقال له صلى الله عليه وسلم هذا الذي اردت منك وكان
السلف يتسالون ونيتهم استخراج الشكر لله عز وجل ليكون الشاكر
مطيعا والمستنطق له به مطيعا وما كان قصدهم الريا باظهار
الشكر قال حجة الاسلام ابو حامد الغزالي رحمه الله وكل عبد سُئل
عن حاله فهو بين ان يشكر او يشكو او يسكت فالشكر طاعة
والشكوى معصية قبيحة من اهل الدين وكيف لا تقبح الشكوى
من ملك الملوك عز وجل وبيده كل شي الى عبد مملوك ضعيف لا يقدر
على شي فالاحرى بالعبد ان لم يحسن الصبر على البلاء والقضاء
وافضى به الضعف الى الشكوى ان تكون شكواه الى مولاه عز وجل
فهو المبلي وهو القادر على ازالة البلاء وذل العبد لمولاه سبحانه عز
والشكوى الى غيره تعالى ذل واظهار الذل للعبيد مع كونهم اذلاء
قبيح قال الله تعالى ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون رزقا
فابتغوا عند الله الرزق وقال تعالى ان الذين تدعون من دون الله
عباد امثالكم فالشكر باللسان من جملة الشكر انتهى وروي عن الحسن
ابن علي رضي الله عنهما قال اذا اصبت خيرا وعملت خيرا فحدث به الثقة من
اخوانك وقال النبي صلى الله عليه وسلم من اعطي خيرا فلم ير عليه سمي بغيض الله

عز وجل

عز وجل معاديا لنعم الله عز وجل وروى الشعبي عن النعمان بن بشير
قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم
يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل والتحدث بالنعم شكر وتركه كفر
والجماعة رحمة والفرقة عذاب وروى النسائي عن مالك بن نضلة
الجشمي قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فرآني رث
الثياب فقال الك مال قلت نعم يا رسول الله من كل المال قال اذا
اتاك الله عز وجل مالا فلير اثره عليك وروى ابو سعيد الخدري رضي
الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله عز وجل جميل
يحب الجمال ويحب ان يرى اثر النعمة على عبده وقد قال العلماء يحسن
من الانسان الثنا على نفسه بذكر محاسنه في مواضع وهي مستثناة
من الاصل الغالب وهو ان الانسان يهضم نفسه ولا يثني عليها منها
مقام قصد فيه التحديث بالنعمة امتثالا للاية المذكورة وان كان
الخطاب فيها خاصا برسول الله صلى الله عليه وسلم ومنها موطن لم ينصف
الانسان فيه ونوزع او حل فيه بين قوم لا يعرفون مقامه وقد
استدلوا على ذلك بان ابا بكر الصديق رضي الله عنه لما ولي الخلافة
خطب فقال اما بعد ايها الناس فاني قد وليت عليكم ولست
بخيركم فجرى على قاعدة التواضع وهضم النفس ثم بلغه عن بعض الناس
كلام فخطب فقال الست احق الناس بها الست اول من اسلم
الست صاحب كذا الست صاحب كذا اخرجه الترمذي وابن حبان

في صحيحه فحدث بنا قبه واثنى على نفسه بمحاسنه عند ما تكلم بعض الناس
في مبايعته وفي شرح منازل السايرين لابن القيم الثنا على المنعم المتعلق
بالنعمة نوعان عام وخاص فالعام وصفه بالجود والكرم والبر والاحسان
وسعة العطا ونحو ذلك والخاص التحدث بنعمته والاخبار بموصلها
اليه من جهته كما قال تعالى واما بنعمة ربك فحدث وفي هذا التحديث
المامور به قولان احدهما انه ذكر النعمة والاخبار بها وقوله انعم الله عز
وجل علي بكذا وكذا قال مقاتل يعني اشكر ما ذكر من النعم عليك في هذه
السورة من جبر اليتم والهدى بعد الضلالة والاغنا بعد العيلة
والتحدث بنعم الله عز وجل شكر كما في حديث جابر بن عبد الله رضي الله
عنهما من صنع اليه معروف فليجز به فان لم يجد ما يجزي فليثن
عليه فانه اذا اثنى عليه فقد شكره وان كتمه فقد كفره ومن تحلى بما
لم يعط كان كلابس ثوبي زور فذكر اقسام الخلق الثلاثة شاكر النعمة
المثني بها والجاحد لها الكاتم لها والمظهر انه من اهلها وليس من
اهلها فهو متحل بما لم يعطه والقول الثاني التحدث بالنعمة المامور
به في هذه الاية هو الدعوة الى الله عز وجل وتبليغ رسالته وتعليم
الامة وقال مجاهد هي النبوة وقال الزجاج اي بلغ ما ارسلت به
وحدث بالنبوة التي اتاك الله عز وجل وقال الكلبي هو القران امره ان
يقراه والصواب انه يعم النوعين اذ كل منهما نعمة مامور بشكرها
والتحدث بها واظهارها من شكرها وقال تعالى والنجم اذا هوى
الى

الى قوله عز وجل لقد راى من ايات ربه الكبرى اذا في مثل هذا الموضع خرجت
عن الشرطية اذ لو كانت شرطية كان ما قبلها جوابا بحسب المعنى كما في
قولك اتيك اذا اتيتني فيكون التقدير اذا يغشى الليل واذا هوى
النجم اقسمت وهذا ممتنع لوجهين الاول ان القسم الانشائي لا يقبل
التعليق لان الانشاء ايقاع والمعلق يحتمل الوقوع وعدمه قال
ابن هشام فاما نحو ان جاني فوالله لاكرمنه فالجواب في المعنى فعل
الاكرام لانه المسبب عن الشرط وانما دخل القسم بينهما لمجرد التوكيد
ولا يمكن ادعاء مثل ذلك هنا لان جواب والليل ثابت دايما وجواب
والنجم ماض مستمر الانتفا فلا يمكن تسببهما عن امر مستقبل
وهو فعل الشرط والثاني ان الجواب خبري فلا يدل عليه الانشاء
لتباين حقيقتهما اختلف المفسرون في قوله عز وجل والنجم على
اقاويل معروفة هي جمع اقوال وهي جمع قول وفي القاموس القول
الكلام او كل لفظ به اللسان تاما كان او ناقصا والجمع
اقوال وجمع الجمع اقاويل وتطلق الاقاويل على الاقوال المفتراة
قال في الكشاف في قوله عز وجل ولو تقول علينا بعض الاقاويل
التقول افتعال من القول لان فيه تكلفا من المفتعل وسمى الاقوال
المتقولة اقاويل تصغيرا لها وتحقيرا كقولك الاعاجيب والاضاحيك
كانها جمع افعولة من القول منها النجم على ظاهره ابتدا به لانه ارجح الاقوال
ووصفه بالظهور لان لفظ النجم عند الاطلاق يدل عليه دلالة ظنية

راجحة مع ان اللفظ يحتمل غير ذلك المعنى لكن احتمالا مرجوحا ثم ان النجم لغة
يقال لكل ما طلع انه قد نجم ومنه الحديث في شان النبي صلى الله عليه وسلم
هذا ابان نجومه اي ظهوره وطلوعه وشاع اطلاقه على جنس النجوم وان
عبر بصيغة الافراد كما في قوله عز وجل وبالنجم هم يهتدون فدل بالواحد على
الجنس قال الشاعر   فباتت تعد النجم في مستحيره ⁂ (مصراع من الطويل)
يريد النجوم وقال عمر بن ابي ربيعة   احسن النجم في السما الثريا ⁂ (من الخفيف)
والثريا في الارض زين النساء ⁂ ثم اذا اريد بالنجم الجنس فالمراد
بهويه غروبه وقيل سقوطه يوم القيمة وقيل اراد حين ترجم
الشياطين وسببه ان الله تعالى لما اراد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم
كثر انقضاض الكواكب ففزع اكثر العرب منها فانزل الله عز وجل والنجم
اذا هوى اي ذلك النجم هو علامة النبوة التي حدثت وقيل هويه انكدارها
يوم القيمة اي تهافتها وانتشارها ويقال لما انتثر وتمزق مسرعا قد
انكدر قال ذو الرمة   فانصاع جانبه الوحشي وانكدرت ⁂ يلحبن لا يأتلي المطلوب والطلب ⁂ (من البسيط)
ويجوز ان يراد بهوى طلع وصعد قال ابو الهيثم يقال هويت اهوى
اذا سقطت من علو الى سفل قال والهوى في السير المضي وهوت
الوحشية اذا عدت وهو قوله عز وجل تهوي به الريح اي تمر به في سرعة
وقوله عز وجل فامه هاوية اي جهنم تهوي باهلها من اعلاها الى قرارها
وفي حديث البراق ثم انطلق يهوى اي يسرع وقد يكون في الصعود
والهبوط يقال هوى يهوى هويا اي على زنة قبول وهويا اي على زنة

دخول

دخول الاول بمعنى الهبوط والثاني بمعنى الصعود فيجوز ان يراد هنا
النجم اذا صعد وارتفع او النجم اذا غاب وسقط ويجوز ان يرادا معا
على قول من جوز استعمال المشترك في معنييه او اراد قدرا مشتركا
وهو الحركة اعم من ان يكون من السفل الى العلو او بالعكس فهو من عموم
المجاز وقيل النجم هنا الثريا اي الثريا اذا سقطت مع الفجر والعرب
تسمي الثريا نجما ويجعلون لفظ النجم علما عليها بالغلبة وان كانت في
العدد نجوما متعددة يقال انها سبعة انجم ستة ظاهرة وواحد
خفي يمتحن الناس به ابصارهم وسياتي نقل المصنف عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه كان يرى في الثريا احد عشر نجما وقيل الزهرة لان كانوا (المشركين هو)
يعبدونها فنبههم الله عز وجل على ان مثلها لا يليق ان يعبد لانها تافل
وتغيب وان الها يافل ويغيب ليس من الالاهية في شيء وقيل النجم
زحل نقل ذلك عن علي رضي الله عنه ومنها اي من الاقوال التي جاءت في
معنى النجم انه القران سمي القران نجما لانه نزل منجما ولهذا سماه الله عز وجل
في كتابه بمواقع النجوم قال ابن عباس رضي الله عنهما المراد بمواقع النجوم نزول
القران نجوما انزله الله عز وجل من اللوح المحفوظ في السما العليا الى
السفرة الكاتبين فنجمه السفرة على جبريل عليه السلام عشرين سنة ونجمه
جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم عشرين سنة فهو ينزل على الاحداث من امته
واصح الاقوال انه نزل الى سما الدنيا ليلة القدر جملة واحدة ثم نزل
بعد ذلك منجما في عشرين سنة او ثلاث وعشرين سنة او خمس

وعشرين سنة على حسب الخلاف في مدة اقامة النبي صلى الله عليه وسلم بمكة بعد
البعثة فيكون تنجيمه باعتبار نزوله الى الارض لا نزوله الى سماء
الدنيا و وضعه في بيت العزة وقيل انه نزل الى السما ايضا منجما في
عشرين ليلة قدر او ثلاث وعشرين او خمس وعشرين في كل ليلة قدر ما
يقدر الله عز وجل انزاله في جميع السنة ثم ينزل بعد ذلك منجما الى الارض
في جميع السنة وقيل ابتدى انزاله في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك منجما
في اوقات مختلفة من سائر الاوقات وبه قال الشعبي والاول هو
الصحيح المعتمد فان قلت ما السر في نزول القران منجما وهلا انزل كسائر
الكتب جملة واحدة قلت قال ابو شامة هذا سوال تولى الله عز وجل
جوابه فقال تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة
يعنون كما انزل على من قبله من الرسل فاجابهم الله عز وجل بقوله كذلك
اي انزلناه كذلك مفرقا لنثبت به فوادك اي لنقوي به قلبك فان الوحي
اذا كان يتجدد في كل حادثة كان اقوى للقلب واشد عناية بالمرسل
اليه ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك اليه وتجديد العهد به وبما
معه من الرسالة الواردة من ذلك الجناب العزيز فيحدث له من
السرور ما تقصر عنه العبارة ولهذا كان اجود ما يكون في رمضان
لكثرة لقائه جبريل عليه السلام وعن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين
ابن علي بن ابي طالب رضوان الله عليهم اجمعين كنيته ابو عبد الله يروي
عن ابيه وكان من سادات اهل البيت فقها وعلما وفضلا روى عنه

ترجمة جعفر الصادق توفي سنة ١٤٨ ه

الثوري

الثوري ومالك وشعبة والناس الاجلاء كان مولده سنة ثمانين سنة
سيل الجحاف الذي ذهب بالحاج من مكة ومات سنة ثمان واربعين
ومائة وهو ابن ثمان وستين سنة يحتج بروايته ما كان من رواية
غير اولاده عنه قال ابو حاتم لان في روايته ولده عنه مناكير كثيرة وانما
يمرض القول فيه من مرض من المتاخرين لما راوا في حديثه من رواية اولاده
وام جعفر هذا هي ام فروة بنت القاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق
رضي الله عنه انه اي النجم الواقع في الاية محمد صلى الله عليه وسلم وحينئذ
يراد بهوى ان كان مصدره هويا على زنة قبول السقوط اي النزول من
السما الى الارض ليلة المعراج وان كان مصدره هويا على زنة دخول كان
معناه الصعود من الارض الى السما ليلة المعراج وقال سهل
اي ابن عبد الله التستري الزاهد تقدم ذكره هوا اي النجم قلب محمد صلى الله
عليه وسلم والمراد بقلبه ليس هو اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب
الايسر من الصدر وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف وفي ذلك
التجويف دم اسود وهو منبع الروح ومعدنه فان ذلك لا غرض
لمن يتكلم على الكمالات الدينية به وانما يتعلق به غرض الاطبا فان
هذا القلب موجود للبهائم واذا اطلق القلب على لسان العارفين
بالله عز وجل فانما يريدون اللطيفة الربانية الروحانية ولها بهذا
القلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الانسان وهي
المدركة العالمة العارفة من الانسان وهي المخاطبة والمطالبة

والمعاينة وهي مرادفة للروح وانما أقسم بروح محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو
قلبه لانه اكمل الارواح وعبر به بالنجم لانه به اهتدى من اهتدى من الاولين
والاخرين والانبياء والمرسلين والملائكة كما اوضح ذلك العارف بالله عز
وجل الشيخ محيي الدين بن عربي في اول الفتوحات المكية فارجع اليها وقد قيل
في قوله تعالى والسماء والطارق وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب
ان النجم هنا ايضا كما انه كذلك في سورة النجم محمد صلى الله عليه وسلم حكاه
السلمي وانما اتى بهذه المقالة لتأييدها ما نقل عن جعفر من اطلاق النجم
على محمد صلى الله عليه وسلم ولما ذكر السخاوي في القول البديع اسماء النبي صلى الله
عليه وسلم ذكر من اسمائه صلى الله عليه وسلم النجم وذكر منها النجم الثاقب وتبعه
في ذلك تلميذه شيخ اشياخنا الشهاب القسطلاني في المواهب
فذكر من اسماء النبي صلى الله عليه وسلم النجم ثم ذكر النجم الثاقب فحصل اشتملت
هذه الاية على قسمين الاول انه اقسم بالسماء الثاني انه اقسم بالطارق
وهو النجم قيل هو زحل الكوكب الذي في السماء السابعة وقيل الثريا وقيل
الجدي وعن علي كرم الله وجهه هو نجم في السماء السابعة لا يسكنها غيره
من النجوم فاذا اخذت النجوم امكنتها من السماء هبط فكان معها ثم يرجع
الى مكانه من السماء السابعة وهو زحل وطارق حين ينزل وثاقب حين
يصعد وحكى الفراء ثقب الطائر اذا ارتفع وعلا وقيل المراد به جنس النجم
سمي النجم طارقا لانه يطرق ليلا ومنه الحديث نهى النبي صلى الله عليه وسلم ان يطرق
المسافر اهله ليلا كي تستحد المغيبة وتمتشط الشعثة والعرب

تسمى

تسمى كل قاصد ليلا طارقا يقال طرق فلان طروقا اذا جاء بليل وفي الصحاح
الطارق النجم الذي يقال له كوكب الصبح ومنه قول هند
نحن بنات طارق ۞ نمشي على النمارق ۞ اي ان ابانا في الشرف والفضل
رجز
كالنجم المضيء وفي الغريبين للهروي شهاب ثاقب اي مضيء وقد
ثقبت النار واثقبتها فثقبت تثقب ثقوبا وقال الحجاج لابن
عباس رضي الله عنهما ان كان لمثقبا اي ان كان لثاقب العلم فالنجم الثاقب
هو المضيء كانه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه كما قيل دري لانه
يدرؤه اي يدفعه ووصف بالطارق لانه يبدو بالليل كما يقال للآتي
ليلا طارق او لانه يطرق الجني الذي يسترق السمع اي يصكه واصل
الطرق الدق ومنه سميت المطرقة وانما سمي قاصد الليل طارقا
لاحتياجه الى طرق الباب غالبا ثم اتسع فاطلق على كل صورة بادية
بالليل وفي قوله وما ادراك ما الطارق تنويه بشأنه بعد ان فخمه
بالاقسام به وفيه تنويه على انه بلغ من رفعة القدر بحيث لا ينالها
ادراك الخلق فلا بد من تلقيها من الخالق عز وجل وفي الكشاف
فان قلت ما يشبه قوله وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب الا
ترجمة كلمة باخرى فبين لي اي فائدة تحته قلت اراد الله عز من قائل
ان يقسم بالنجم الثاقب تعظيما له لما عرف من عجيب القدرة ولطيف
الحكمة وان ينبه على ذلك فجاء بما هو صفة مشتركة بينه وبين غيره
وهو الطارق ثم قال وما ادراك ما الطارق ثم فسره بقوله النجم الثاقب

كل ذلك اظهار لفخامة شانه كما قال فلا اقسم بمواقع النجوم الاية ثم قال انه لقران كريم واقول الذي تقرر في علم البلاغة ان الايضاح بعد الابهام له نكات ليس منها نكتة التفخيم والتعظيم والذي يظهر لي ان اظهار تفخيمه لم يستفد من مجرد الايضاح بعد الابهام وانما استفيد من مجموع اشياء منها القسم به ومنها ذكره بصفة مشتركة بينه وبين غيره ثم بصفة مختصة ومنها وصفه بان ادراك المخلوقين عاجز عنه وانه لا يعلمه الا الخالق عز وجل وذلك ظاهر من كلام الكشاف فما وقع في تفسير البيضاوي من قوله عبر عنه اولا بوصف عام ثم فسره بما خص

ردّ على البيضاوي

تفخيما لشانه فيه اخلال لا يخفى ولهذا اعرض مفتي الروم ابو السعود في تفسيره عن مقالة القاضي فقال وفي ايراده عند الاقسام به بوصف مشترك بينه وبين غيره ثم الاشارة الى ان ذلك الوصف غير كاشف عن كنه امره وان ذلك مما لا تبلغه افكار الخلائق ثم تفسيره بالنجم الثاقب من تفخيم شانه واجلاله محله ما لا يخفى تضمنت هذه الايات من فضله وشرف العبد الشرف في القاموس هو محرك العلو والمكان العالي والمجد او لا يكون الا بالاباء او علو الحسب انتهى والحسب ما تعده من مفاخر ابائك وقيل هو المال وقيل هو الدين والكرم والشرف في الفعل والفعال الصالح او الشرف الثابت في الاباء او البال وقيل الحسب والكرم قد يكونان لمن لا اباء له شرفا والشرف والمجد لا يكونان الا بهم فالمراد بالشرف صفاته السنية واخلاقه العلية

وشيمه

وشيمه المرضية والعد بكسر العين المهملة وتشديد الدال المهملة في القاموس العد بكسر العين الماء الذي له مادة لا تنقطع كماء العين والكثرة في الشيء فيجوز ان يراد هنا كل من المعنيين اي الشرف الذي لا انقطاع له اصلا التشبيه بالماء الدائم الذي لا ينقطع فاطلاق العد على شرف النبي صلى الله عليه وسلم استعارة تصريحية او شرفا كثيرا جدا وانما كان كثيرا باعتبار كثرة اسبابه فان المراد به علو المقام ورفعة المقدار وذلك يكون باسباب كل منها يعد شرفا لانه سبب لعلو المقام ما يقف دونه العد اي ينتهي قبل ان تصل الى غاية العد واقسم جل اسمه على هداية المصطفى اي التي استفيدت من قوله عز وجل ما ضل صاحبكم وما غوى وانما كان مقسما عليه لانه جواب القسم في الاية فان معنى قوله ما ضل ما عدل عن طريق الحق ومعنى قوله ما غوى اي ما اعتقد باطلا قط اي هو في غاية الهدى والرشد وليس صلى الله عليه وسلم مما يتوهمونه من الضلال والغواية في شيء اصلا فان قلت العموم الذي ادعيته من اين استفيد من الاية قلت من النفي الداخل على الفعلين ضل وغوى ولا يخفى ان النفي منصب الى الحدثين المستفادين من ضل وغوى وهما نكرتان وقعتا في سياق النفي وقول المصنف على هداية المصطفى يشير الى ان المراد بصاحبكم في الاية هو المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم وانما اورده بعنوان الصاحبية لهم للايذان بانهم واقفون على تفاصيل احواله صلى الله عليه وسلم

الشريفة واحاطتهم التامة بانه بريء مما تنسبوه اليه من الغواية والضلالة
وبانه صلى الله عليه وسلم متصف بغاية الرشاد والهدى فان طول
صحبتهم له صلى الله عليه وسلم ومشاهدتهم لمحاسن شؤونه العظيمة
مقتضية لذلك حتما **وتنزيهه عن الهوى** اصل النزه البعد وتنزيه
النبي صلى الله عليه وسلم تبعيده عن الضلال والغواية والهوى ميل النفس
وهو على الاطلاق مذموم وقد يضاف الى ما لا يلام فيقال هواي مع
صاحب الحق اي ميل نفسي اليه فان قلت من اين استفيد من الاية
تنزيهه عن الهوى قلت من قول رب العزة وما ينطق آتيا بصيغة
المضارع المفيدة للاستمرار وهي لاستمرار النفي لا لنفي الاستمرار
وان شئت قلت قوله وما ينطق عن الهوى الى اخره لنفي التقييد
لا لتقييد النفي فافاد نفي نطقه عن الهوى دائما مستمرا وهو كلام من لا خلف
لقوله تعالى وتقدس فاستلزم ذلك تنزيهه عن الهوى **وصدقه** معطوف
على هداية اي واقسم الله عز وجل على صدقه اي صدق نبينا صلى الله
عليه وسلم المعبر عنه بصاحبكم **فيما تلا** حيث قال وما ينطق عن الهوى فان
جملة ما ينطق معطوفة على جواب القسم في قوله ما ضل صاحبكم ومعناه
على وجهين الاول ما يصدر منه نطق بالقران عن الهوى اي هواه
ورايه بل هو وحي وعلى هذا الوجه مشى المصنف حيث قال وصدقه
في ما تلا فان تلا معناه في الاصل تبع ثم غلب على تلاوة القران وعلى
هذا التقدير الضمير في قوله ان هو الا وحي يوحى عائد الى نطقه بالقران

فقط

فقط وكذا الضمير في قول المصنف **وانه وحي يوحى** اي ما تلاه من القران
وحي يوحى واصل الوحي الاشارة يقال وحيت اليك بطرفي اي اشرت
ومنه قوله عز وجل فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا ثم صار كل شيء
دللت به على شيء وحيا يقال وحيت الكتاب واوحيته اذا كتبته
لانك تشير بالكتابة الى المعاني التي تريدها وهو بمعنى الالهام
وبمعنى الارسال وبمعنى الرؤيا ويجوز ان يكون اصله السرعة ومنه
يقال الوحا الوحا اي السرعة وجملة قوله يوحى في الاية وفي عبارة المصنف
صفة لوحي مؤكدة رافعة لاحتمال المجاز مفيدة للاستمرار التجددي
الثاني ان معناه ما يصدر منه نطق مطلقا القران وغيره عن الهوى
وما نطقه كله الا وحي يوحى فدخل في ذلك السنة فهي ايضا وحي كما ان القران
وحي قال الجويني كلام الله المنزل قسمان قسم قال الله عز وجل لجبريل عليه
السلام قل للنبي الذي انت مرسل اليه ان الله عز وجل يقول افعل كذا وكذا
وامر بكذا وكذا ففهم جبريل ما قاله ثم نزل بذلك على النبي صلى الله عليه وسلم
وقال له ما قاله ربه وان لم تكن العبارة تلك العبارة كما يقول الملك لمن يثق
به قل لفلان يقول لك الملك اجتهد في الخدمة واجمع جندك للقتال
فان قال الرسول يقول لك الملك لا تتهاون في خدمتي ولا تترك الجند
يتفرق وحثهم على المقاتلة لا ينسب الى كذب ولا تقصير في اداء
الرسالة وقسم اخر قال الله عز وجل لجبريل عليه السلام اقرا على النبي هذا
الكتاب فنزل جبريل عليه السلام بكلمة الله عز وجل من غير تغيير كما يكتب

الملك كتابا ويسلمه الى امين ويقول اقراه على فلان فهو لا يغير منه كلمة
ولا حرفا والقران هو القسم الثاني والقسم الاول هو السنة كما ورد ان
جبريل عليه السلام كان ينزل بالسنة كما ينزل بالقران ومن هنا جاز
رواية السنة بالمعنى ولم يجز رواية القران بالمعنى لان جبريل عليه
السلام ادى السنة بالمعنى وادى القران باللفظ ولم يبح له ايحاوه
بالمعنى والسر في ذلك ان المقصود منه التعبد بلفظه والاعجاز به
فلا يقدر احد ان ياتي بلفظ يقوم مقامه وان تحت كل حرف منه معاني
لا يحاط بها كثرة فلا يقدر احد ان ياتي بدله بما يشتمل عليه فان قلت
الضمير في هو على القول الاول عائد الى القران اي ما القران الا وحي
ويجوز عوده الى النطق بالقران اي ما نطقه بالقران الا وحي وعلى
الثاني يعود الى النطق المطلق المستفاد من قوله وما ينطق فينبغي
ان يكون هذا هو الحق لان مرجع الضمير مذكور فما الداعي الى ان يعود
الضمير الى القران او الى النطق بالقران مخصوص قلت ليس كل نطق
النبي صلى الله عليه وسلم وحيا اذ في نطقه ما يكون بالسجية وبمقتضى الطبع
البشري وان كان معصوما في كل نطقه الا انه ليس كل ما نطق به وحيا
هذا وقد استدل بهذه الاية من منع الاجتهاد على نبينا صلى الله عليه مطلب
وسلم والحق ان الاجتهاد جائز عليه صلى الله عليه وسلم واليه ذهب الشافعي
وابو يوسف من اصحاب ابي حنيفة رضي الله عنهم اجمعين ولا حجة للمانع
بهذه الاية لان النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان مامورا بالاجتهاد بمقتضى

قوله

قوله تعالى فاعتبروا يا اولي الابصار وهو سيد اولي الابصار لم يكن اجتهاده
عن هوى ولم يخرج عن كونه وحيا قال البيضاوي وفيه نظر لان ذلك
حينئذ يكون بالوحي والقول الذي هو بالوحي اصل الاجتهاد واما
استنباط الحكم من النص بعد بذل الوسع فلا دخل للوحي فيه نعم صدق
عليه انه لم يخرج عن الوحي لان اصله لم يوجد الا بالوحي وهو اذن الله
عز وجل له بالاجتهاد والاستدلال بهذه الاية للمانع انما ينتظم اذا اعاد الضمير
في هو الى مطلق النطق واما اذا عاد الى النطق بالقران فلا دليل
فيه اصلا فان قلت قول المصنف وانه وحي يوحى على اي شيء هو
معطوف قلت على قوله هداية المصطفى في قوله اقسم الله عز وجل على
هداية المصطفى فيلزم ان يكون انه وحي يوحى مقسما عليه ايضا في
الاية فان قلت كيف يكون مقسما عليه ولم يقع جواب قسم ولا هو
معطوف على جواب القسم قلت هو بيان لقوله تعالى وما ينطق عن
المبين صح الهوى والبيان له حكم المبين ولما كان جواب القسم كان بيانه كذلك
فان قلت قول المصنف وانه وحي يوحى لا يطابق لفظ الاية في قوله ان هو
الا وحي يوحى لافادة ما ذكره الاثبات فقط وما في الاية يفيد نفيا واثباتا
فالاثبات كونه وحيا والنفي كونه لم يفتره ودل على ذلك التعبير في الاية
بصيغة الحصر قلت مجموع قول المصنف وصدقه فيما تلا وانه وحي
يوحى بيان لمضمون الاية لان اثبات كونه صادقا ينفي كون القران
مفترى وانما اتى بتبيين الاية على هذا النمط للايضاح او صله اي القران اليه

اي الى محمد صلى الله عليه وسلم اشار بذلك الى ان في الاية مفعولا ثانيا محذوفا
لعلم فيجوز ان يكون الضمير المنصوب المذكور عائدا الى محمد صلى الله عليه
وسلم وضمير القران محذوف وهو المفعول الثاني اي علم محمدا اياه اي
القران ويجوز ان يكون الضمير المنصوب المذكور عائدا الى القران
والمحذوف ضمير يرجع الى محمد صلى الله عليه وسلم فالمحذوف هو المفعول
الاول والمصنف بين معنى الاية وصرح بكلا المفعولين والتعبير
بالوصل للاشارة الى ان التعليم يجوز اسناده الى الله والى جبريل
فالتعليم المسند الى الله عز وجل بمعنى خلق كيفية في النفس هي
ادراك القران وانتقاشه في نفس النبي صلى الله عليه وسلم وهذا
لا يفعله الا الله عز وجل واما التعليم المسند الى جبريل عليه السلام
فهو بمعنى ايصال القران اليه والمعلم الحقيقي هو الله عز وجل جبريل
وهو اي جبريل الشديد القوى وجبريل معناه عبد الله وكل شي رجع
الى ايل فهو معبد لله عز وجل وقيل معناه خادم ربه عز وعلا وهو ملك
شديد قواه وهو الواسطة في ابداء الخوارق وناهيك دليلا على
شدة قوته انه قلع قرى قوم لوط عليه السلام من الماء الاسود الذي تحت
الثرى وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح بثمود صيحة
فاصبحوا جاثمين وكان هبوطه على الانبياء عليهم السلام وصعوده
اسرع من رجعة الطرف وراى ابليس يكلم عيسى عليه السلام على بعض
عقاب الارض المقدسة فنفحه بجناحه نفحة فالقاه في اقصى جبل
الهند

الهند فان قلت المقام يقتضي نعت جبريل بكثرة العلم وانه علمه صحيح
متين لانه في صدد مدحته بانه معلم الرسول الله صلى الله عليه وسلم وليس
المقام مقام ان يخبر عن شدة قوته وعن متانته جثمانيته قلت
اللام في القوى للاستغراق اي كل فرد فرد من افراد قواه شديد
اعم من ان يكون القوى الجثمانية او القوى الروحانية وشدة القوى
الروحانية تنبئ عن متانة علمه وايضا نعته بشدة القوة اشارة
الى جلاله وقدرته على تلقي القران من الحضرة الربانية والقصد ان
يدفع ما عسى ان يستبعده بعض العقول من تلقي البشر لكلام الله
عز وجل ومن تلقي الملائكة ايضا لذلك فدفع الله عز وجل ذلك بان
متلقيه من الحضرة الربانية ملك من الله عز وجل عليه بقوى جثمانية
وروحانية شديدة جدا وذلك الملك بعد ان تلقاه من الله عز وجل
القاه الى محمد صلى الله عليه وسلم فقد اخرج الطبراني من حديث النواس
ابن سمعان مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا تكلم الله عز وجل
بالوحي اخذت السماء رجفة شديدة من خوف الله سبحانه فاذا
سمع بذلك اهل السماء صعقوا وخروا سجدا فيكون اولهم يرفع راسه
جبريل عليه السلام فيكلمه الله عز وجل من وحيه بما اراد فينتهي به
على الملائكة كلما مر بسماء سأله اهلها ماذا قال ربنا عز وجل قال الحق
وهو العلي الكبير فينتهي به حيث امر وفي تفسير النيسابوري نزل القران
جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى بيت يقال له بيت العزة

فحفظ جبريل عليه السلام وغشي على اهل السموات من هيبة كلام الله عز وجل
فمر بهم جبريل عليه السلام وقد افاقوا فقالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق يعني
القران ويدل على شمول القوى للقوى الادراكية قوله عز وجل في شان جبريل
عليه السلام ذو مرة اي حصافة في رايه وعقله وجسده يقال امر الشي
اذا احكم صنعته وفرس ممر اي موثق الخلق وحبل ممر اي محكم الفتل
وفي الحديث لا تحل الصدقة ولا لذي مرة سوي اي ذي عقل وشدة

قصة الاسراء ه

ثم اخبر الله عز وجل عن فضيلته اي فضيلة النبي صلى الله عليه وسلم بقصة
الاسراء يجوز ان يتعلق الجار في قوله بقصة باخبر اي اخبر بقصة الاسراء
المنبئة عن فضيلته فتكون قصة الاسراء مخبرا بها وان يتعلق بمحذوف
فهو حال من فضيلته اي اخبر عنها كائنة بسبب قصة الاسرا وهذه
القصة تارة يعبر عنها بقصة الاسرا وتارة بقصة المعراج اما
تسميتها بقصة الاسراء فلان ابتداها كان اسرا بالنبي صلى الله عليه وسلم
من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى اي سيرا بالليل يقال سرى
واسرى اذا سار ليلا واما بقصة المعراج فمعناه قصة عروجه صلى
الله عليه وسلم الى السما والاشهر تسميتها بقصة الاسرا لانه الذي عبر به
في القران وابتدا القصة من قوله عز وجل فاستوى الى قوله لقد راى
من ايات ربه الكبرى ففيها ان جبريل استوى اي استقام على صورته
الحقيقية التي خلقه الله عز وجل عليها دون الصورة التي كان يتمثل بها
كلما هبط بالوحي وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راه على صورته

الحقيقية

الحقيقية مرتين الاولى كان بحراء فطلع له جبريل عليه السلام من المشرق
فسد الارض من المغرب وملا الافق فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزل جبريل عليه السلام في صورة الادميين فضمه الى نفسه وجعل يمسح
الغبار عن وجهه الشريف فلما افاق النبي صلى الله عليه وسلم قال يا جبريل
ما ظننت الله عز وجل خلق احدا على مثل هذه الصورة فقال يا محمد
انما نشرت جناحين من اجنحتي وان لي ستمائة جناح سعة كل جناح
ما بين المشرقين والمغربين فقال ان هذا العظيم فقال وما انا في جنب
ما خلق الله عز وجل الا يسيرا ولقد خلق الله عز وجل اسرافيل عليه السلام
له ستمائة جناح كل جناح منها قدر جميع اجنحتي وانه ليتضاءل
من مخافة الله عز وجل حتى يكون بقدر الوصع يعني العصفور الصغير
دليله قوله تعالى عز وجل ولقد راه بالافق المبين والثانية راه في
السما عند سدرة المنتهى ولم يره احد من الانبيا عليهم السلام على تلك
الصورة الا نبي الله صلى الله عليه وسلم وقيل معنى استوى ارتفع وعلى هذا
فالضمير في استوى يجوز ان يعود الى جبريل عليه السلام يعني ان جبريل
عليه السلام ارتفع الى مكانه وقيل انه يعود الى النبي صلى الله عليه وسلم
يعني ان محمدا صلى الله عليه وسلم ارتفع بالمعراج الى السموات وعلى ما
ذكر يكون قوله وهو بالافق الاعلى جملة في محل نصب على انها حال من
ضمير استوى والجار في قوله بالافق متعلق بكائن اي هو كائن
بالافق الاعلى والافق ناحية السما وجمعه افاق وهو الموضع

انظر ان خلق اسرافيل اعظم من خلق جبريل ه

الذي تاتي منه الشمس وقال الفراء ان قوله وهو معطوف على ضمير مستكن
في استوى عائدا الى شديد القوى الذي هو جبريل عليه السلام والضمير
البارز المنفصل وهو هو عائد الى نبينا اي استوى جبريل ونبينا
صلى الله عليهما وسلم بالافق الاعلى وهذا ضعيف لانه لا يجوز العطف
على الضمير المرفوع المتصل الا بعد ان يوكد او يوتى بفاصل ما والصحيح
ان المعنى استوى جبريل عليه السلام وجبريل بالافق الاعلى على صورته
الاصلية وفيه ان جبريل عليه السلام دنا فتدلى اي دنا جبريل عليه السلام
بعد استوائه بالافق الاعلى من الارض فتدلى اي نزل جبريل بالوحي
وذلك ان نبينا صلى الله عليه وسلم لما راى من عظمة جبريل ما راى رد الى
صورة ادمي حتى قرب من النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي فيكون على
التقديم والتاخير والتقدير ثم تدلى فدنا اي تدلى جبريل عليه السلام
من الافق الاعلى فدنا من النبي صلى الله عليه وسلم فيكون ذلك اشعارا
بانه عرج به غير منفصل عن محله وتقرير الشدة قوته فان التدلي
استرسال مع تعلق كتدلي الثمرة ويقال دلى رجليه من السرير وادلى
دلوه وقيل معنى تدلى تعلق فهو تمثيل لعروج النبي صلى الله عليه وسلم
الى السماء وقال ابن عباس رضي الله عنهما تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه
وسلم ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنا من ربه عز وجل دنو
كرامة ولطف ومن مضمونها انه كان قاب قوسين او ادنى والضمير
في كان عائد الى جبريل اي فكان جبريل من النبي صلى الله عليه وسلم في

المسافة

مرت

المسافة بينهما بقاب هو من معقد الازار وقيل الضمير في كان لمحمد صلى
الله عليه وسلم اي كان محمد من ربه عز وجل قاب قوسين اي قدر قوسين
عربيتين ومنه الحديث لقاب قوس احدكم اي موضع قدره من الجنة
خير من الدنيا وما فيها وقال مجاهد قاب قوسين اي قدر ذراعين يقال
بيني وبينه قاب رمح وقاد رمح وقيد رمح وقدى رمح قال والقوس
الذراع بلغة ازد شنوءة فمن جعل الضمير عائدا الى الله عز وجل كان
عبارة عن نهاية القرب ولطف المحل وايضاح المعرفة وقضا المطالب
ونيل المآرب ومنه فاوحى الى عبده ما اوحى وفيه تفخيم للموحى به اي
اوحى الله عز وجل الى عبده محمد صلى الله عليه وسلم ما اوحى قيل اوحى الم
يجدك يتيما فاوى الى اخر الم نشرح لك صدرك وقيل اوحى اليه ان
الجنة حرام على الانبياء حتى تدخلها انت يا محمد وعلى الامم حتى
تدخلها امتك وقيل المعنى فاوحى الله عز وجل الى عبده جبريل ما اوحى
وقيل فاوحى جبريل الى عبد الله محمد صلى الله عليه وسلم وانتهى به الى
سدرة المنتهى السدر شجر وسدرة المنتهى شجرة في اقصى الجنة اليها
ينتهي علم الاولين والاخرين ولا يتعداها وفي تفسير البيضاوي سدرة
المنتهى التي ينتهي اليها علم الخلائق واعمالهم او ما ينزل من فوقها ويصعد من
تحتها ثم قال ولعلها شبهت بالسدرة وهي شجر النبق لانهم يجتمعون
في ظلها واقول جعلها شبيهة بالسدر ولم يجعلها سدرة حقيقية
لان لفظ سدرة وضع لشجرة مخصوصة تولدت من العناصر

وماكان فوق كرة الاثير لا يعد شجرة حقيقة لعدم وجود العناصر
ثم وانت خبير بان هذا كلام من داخل اساليب الحكماء فليم والحق انها
شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش وقد جاء في حديث انها
في السماء السادسة والاكثر على انها في السابعة وثبت ذلك في
حديث مرفوع رواه انس وهو الذي يقتضيه وصفها بانها التي
ينتهي اليها علم كل نبي مرسل وكل ملك مقرب على ما قال كعب قال وما
خلفها غيب لا يعلمه الا الله عز وجل او من اعلمه وبهذا جزم اسمعيل بن
احمد وقال غيره اليها ينتهي ارواح الشهداء فان قلت كونها في السماء
السادسة رواه ابن مسعود وهو اجل من انس قلت يرجح حديث
انس بانه مرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم وحديث ابن مسعود موقوف
على انه يمكن الجمع بينهما بان يقال اصلها في السماء السادسة واغصانها
في السابعة وليس في السادسة منها الا اصلها وفي حديث انس نبقها
مثل قلال هجر وورقها مثل آذان الفيلة وانها يخرج من ساقها
نهران ظاهران ونهران باطنان قلت يا جبريل ما هذا قال
اما الباطنان ففي الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات وفي الترمذي
بسنده الى اسماء بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنها قالت سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وذكر له سدرة المنتهى يسير الراكب
في ظل الفنن منها مائة سنة او يستظل بظلها مائة راكب شك
فيها فراش من الذهب كان ثمرها القلال قال ابو عيسى هذا

حديث

حديث حسن صحيح وكذا لفظ مسلم من حديث ثابت عن انس رضي الله
عنه ثم ذهب الى سدرة المنتهى واذا ورقها كآذان الفيلة واذا ثمرها
كالقلال قال فلما غشيها ما غشي فما احد من خلق الله عز وجل يستطيع
ان ينعتها وسبب تسميتها بذلك فيه اقوال الاول انه ينتهي اليها ما
يهبط من فوقها ويصعد من تحتها الثاني انه ينتهي اليها علم الانبياء عليهم
السلام ويعزب عنهم ما وراءها قاله ابن عباس رضي الله عنهما الثالث
ان الاعمال تنتهي اليها وتقبض منها قاله الضحاك الرابع لانتهاء
الملائكة اليها والانبياء ووقوفهم عندها الخامس ينتهي اليها
ارواح الشهداء السادس يأوي اليها ارواح المؤمنين السابع لانه
ينتهي اليها كل من كان على سنة النبي صلى الله عليه وسلم ومنهاجه قاله
علي بن ابي طالب كرم الله وجهه الثامن انها شجرة على رؤس
حملة العرش اليها ينتهي علم الخلائق التاسع لان من رفع اليها فقد
انتهى في الكرامة وعن ابي هريرة رضي الله عنه لما اسري برسول الله
صلى الله عليه وسلم انتهى به الى السدرة فقيل له هذه سدرة المنتهى
ينتهي اليها كل احد خلا من امتك على سنتك فاذا هي شجرة يخرج من
اصلها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار
من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى واذا هي شجرة
يسير الراكب المسرع في ظلها مائة عام لا يقطعها والورقة منها
تغطي الامة كلها ذكره الثعلبي وقد ثبت للنيل والفرات انهما

مطلب في سبب تسمية سدرة المنتهى

يخرجان من اصل سدرة المنتهى فان قلت ما باله سكت عن سيحان
وجيحان هنا وقد جا في حديث رواه مسلم في صحيحه بلفظ سيحان
وجيحان والنيل والفرات من انهار الجنة قلت لا مغايرة بين
هذا وبين ما ثبت في هذا الحديث لان المراد به ان في الارض اربعة
انهار اصلها من الجنة وحينئذ لم يثبت لسيحون وجيحون انهما
ينبعان من اصل سدرة المنتهى فيمتاز النيل والفرات عليهما بذلك
واما الباطنان المذكوران في حديث الترمذي وذكرا في حديث
الصحيحين فهما غير سيحون وجيحون قال النووي رحمه الله في هذا
الحديث ان اصل النيل والفرات من الجنة وانهما يخرجان من اصل سدرة
المنتهى ثم يسيران حيث شا الله عز وجل ثم ينزلان الى الارض
ثم يسيران فيها ثم يخرجان منها وهذا لا يمنعه العقل وقد شهد به
ظاهر الخبر فليعتمد قال واما قول عياض في شرح مسلم ان الحديث
يدل على ان اصل سدرة المنتهى في الارض لكونه قال ان النيل والفرات
يخرجان من اصل سدرة المنتهى وهما بالمشاهدة يخرجان من الارض
فيلزم منه ان يكون اصل السدرة في الارض فهو متعقب فان
المراد بكونهما يخرجان من اصلها غير خروجهما بالنبع من الارض والحاصل
ان اصلهما في الجنة وهما يخرجان اولا من اصلها ثم يسيران الى ان يستقرا
في الارض ثم ينبعان واستدل به على فضيلة ما النيل والفرات لكون
منبعهما من الجنة وكذا سيحان وجيحان وقد وصف ربنا السدرة

المذكورة

المذكورة بان عندها جنة المأوى وهي التي تصير اليها ارواح الشهداء
وهي عن يمين العرش وقيل هي الجنة اوى اليها ادم عليه السلام الى ان
خرج منها وهي في السماء الرابعة وقيل ان ارواح المومنين كلهم في
جنة المأوى وانما قيل لها جنة المأوى لانها يأوي اليها ارواح المومنين
وهي تحت العرش فيتنعمون بنعيمها ويتنسمون بطيب ريحها
وقيل لان جبريل وميكائيل عليهما السلام يأويان اليها وقال عز من
قائل اذ يغشى السدرة ما يغشى والغشيان بمعنى التغطية
والستر ومنه الغواشي او بمعنى الاتيان يقال فلان يغشاني في كل
حين اي يأتيني والاول هو الاليق بهذا المقام وفي ابهام ما يغشى
من التفخيم ما لا يخفى وانما اخر الفاعل عن المفعول للتشويق اليه
وتعبيره بصيغة المضارع حكاية للحال الماضية استحضارا
لصورتها البديعة وللايذان باستمرار الغشيان بطريق التجدد
قيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله عز وجل عندها
وقيل يزورونها متبركين بها كما تزور الملائكة الكعبة وقيل
يغشاها سبحات نور الله عز وجل حين يتجلى لها كما تجلى للجبل
لكنها اقوى من الجبل ولهذا صار الجبل دكا وهي على حالها وقيل يغشاها
فراش او جراد من ذهب وثبت ذلك في الصحيح وقد قال البيضاوي
في شرحه على المصابيح وذكر الفراش وقع على سبيل التمثيل لان من
شان الشجر ان يسقط عليها الجراد وشبهه وجعلها من الذهب

لصفائها واضاءتها في نفسها انتهى واقول لا مانع من ان تكون ذهب
حقيقة ويصورها الله عز وجل بصورة الجراد والفراش وينفخ فيها الروح
وتطير وفي حديث رواه البيهقي على كل ورقة منها ملك وفي صحيح مسلم
من حديث انس رضي الله عنه فلما غشيها من امر الله عز وجل ما غشيها
تغيرت فما احد من خلق الله عز وجل يستطيع ان ينعتها من حسنها
وروى ابن مردويه من رواية حميد عن انس لكن قال تحولت ياقوتا
ونحو ذلك وتصديق بصره في ما راى من اضافة المصدر الى الفاعل
والمفعول محذوف اي قلبه اي ان بصره صدق قلبه وهو المراد من
قوله عز وجل ما كذب الفؤاد ما راى اي ما راى ببصره وذلك ان قلب
محمد صلى الله عليه وسلم راى ربه عز وجل وجبريل وراه اولا بقلبه
ولم يكذب قلبه بصره بما حكاه له فان الامور القدسية تدرك اولا
بالقلب ثم تنتقل منه الى البصر وما قال فؤاده لما راه لم اعرفك
ولو قال ذلك كان كاذبا لانه عرفه بقلبه كما راه ببصره او ما راه
بقلبه والمعنى لم يكن تخيلا كاذبا وقد صح ان الله عز وجل جعل
بصر النبي صلى الله عليه وسلم في فؤاده حتى راى رب العزة وهو المروي
عن ابن عباس رضي الله عنهما في صحيح مسلم انه راه بقلبه وقيل كانت
رؤية بصرية حقيقة وهو قول ابي ذر وجماعة من الصحابة وقال
ابن عباس اتعجبون ان تكون الخلة لابرهيم والكلام لموسى
والرؤية لمحمد صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال اما نحن

بنوا هاشم

وروى محمد بن كعب قال قالوا يا رسول الله صلى الله عليك رأيت ربك قال رأيته بفؤادي مرتين صح

بنوا هاشم فنقول ان محمدا صلى الله عليه وسلم راى ربه عز وجل مرتين ثم
قرا ما كذب الفؤاد ما راى ويجوز ان يكون المصنف اشار الى قوله
عز وجل ما زاغ البصر وما طغى اي ما مال بصر النبي صلى الله عليه وسلم عما
راه وما تجاوزه بل اثبته اثباتا صحيحا مستيقنا وانه راى من
ايات ربه الكبرى يجوز في الكبرى ان تكون مفعولا لراى اي راى الكبرى
من ايات الله وان تكون مفعول راى محذوفا والكبرى صفة لايات
اي راى شيئا عظيما من ايات ربه الكبرى وفات المصنف الايماء الى
القسم الواقع في الاية مع انه مقصود في هذا المقام اي وبالله لقد
راى الاية قيل راى رفرفا سد الافق وقال عبد الله بن مسعود هو
رفرف اخضر وقيل راى جبريل عليه السلام في حلة رفرف اخضر
قد ملا ما بين السما والارض وفي الترمذي راى رسول الله صلى الله عليه
وسلم جبريل في حلة من رفرف قد ملا ما بين السما والارض قال حديث
حسن صحيح فان قلت الكبرى اسم تفضيل فيلزم ان يكون ما راه من
ايات ربه اعلى الايات قلت ان جعل الكبرى مفعول راى ومن للتبعيض
فيلزم ان يكون ما راه النبي صلى الله عليه وسلم اعلى كل اية فيتعين ان
يكون ما راه هو جمال الله عز وجل الاقدس وان يكون المعنى راى
الاية الكبرى التي هي اكبر ايات ربه عز وجل ويجوز ان يكون من للتبعيض
في موضع مفعول راى والكبرى صفة لايات ربه والمعنى حينئذ
لقد راى بعض ايات ربه الكبرى ولا يجوز ان يكون من زائدة لانها

لا تزاد في الاثبات ولانه يشترط فيها ان يكون مجرورها نكرة وههنا مجرورها
معرفة وقد نبه على مثل هذا اي مثل قوله تعالى لقد راى من ايات ربه الكبرى ربنا
تعالى في اول سورة الاسراء فقال تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا
من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من اياتنا انه
هو السميع البصير وانما كان ما في سورة النجم مماثلا لما في سورة الاسراء
ولم يكن عينه لان ما في سورة النجم مصرح بوقوع الروية له واكثر ظهورا
مما في سورة الاسرا لان سورة النجم مفصلة في الجملة لما وقع وما في سورة
الاسرا مجمل ولظهور شمول ما في سورة النجم لما راه من الايات قبل
العروج وبعده بخلاف ما في سورة الاسرا فانه ظاهر في روية ما كان
قبله الا ان كثيرا من المفسرين عمموا ومنهم صاحب لباب التفسير اذ قال
لنريه من اياتنا برويته السموات وما فيها من العجايب والايات
ومشاهدته بيت المقدس ومقامات الانبيا عليهم السلام ومواضع
العبادات والبيضاوي اذ قال لنريه من اياتنا كذهابه في برهة
من الليل مسيرة شهر ومشاهدته بيت المقدس وتمثل الانبيا له
ووقوفه على مقاماتهم كذا قيل واقول لا يمنع ظهور ما في سورة
الاسرا في ما كان قبل العروج فقط فانه تعالى وتقدس لم يجعل ما يريه
من الايات خاصا بما كان قبل العروج فانه لم يقل لنريه من اياتنا في
مسيره من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى فقط بل الظاهر المتبادر
من الاية انه اسرى بعبده الى ذلك المكان ويترتب على اسرائه اليه من

الفوائد انه يرى من ايات الله ما تضيق عنه العبارة سواء كان ذلك في
القدر الذي وقع فيه الاسراء ام في غيره وهذا مبني على ان الاسرا من المسجد
الحرام الى المسجد الاقصى والعروج الى السما وقعا في ليلة واحدة وصنيع
البخاري في صحيحه يومي الى ان ليلة الاسرا كانت غير ليلة المعراج لانه
افرد لكل من الاسرا والمعراج بابا على حدة لكن صنيعه في باب الصلوة
ظاهر في انهما وقعا في ليلة واحدة لانه قال باب كيف فرضت الصلوة
ليلة الاسرا والاشهر ان الصلوة انما فرضت ليلة المعراج فدل
على اتحادهما عنده فان قلت ما باله افرد كلا بباب في بحث المناقب
قلت لان كلا منهما يشتمل على قصة منفردة وان كانا قد وقعا معا في
ليلة واحدة واكثر اهل العلم على انه الاسرا والمعراج وقعا في ليلة
واحدة في اليقظة بجسد النبي صلى الله عليه وسلم وروحه بعد المبعث
والى هذا ذهب الجمهور من العلما والمحدثين وتواردت عليه
ظواهر الاحاديث ولا ينبغي العدول عن ذلك اذ ليس في العقل
ما يحيله حتى يحتاج الى تاويل نعم جا في بعض الاخبار ما يخالف بعض
ذلك فجنح لاجل ذلك بعض اهل العلم منهم الى ان ذلك قد وقع مرتين
مرة في المنام توطية وتمهيدا ومرة ثانية في اليقظة وقال
ابو سعد في شرف المصطفى كان لنبينا صلى الله عليه وسلم معارج
منها ما كان في اليقظة ومنها ما كان في المنام وحكاه السهيلي
عن ابن العربي وجوز بعض القائلين بالمنام بانها وقعت قبل

المبعث لاجل قول شريك في روايته عن انس وذلك قبل ان يوحى اليه
وقال بعض المتاخرين كانت قصة الاسراء في ليلة والمعراج في ليلة
متمسكا بما ورد في حديث انس من رواية شريك من ترك ذكر الاسراء
ولا تمسك له في ذلك لجواز ان يكون حذف بعض القصة الذي ذكره غيره
فيه هذا وقد وقع في اية الاسرا التفاتان الاول من الغيبة الى
التكلم في قوله سبحان الذي ثم قال لنريه من اياتنا وكان مقتضى
الظاهر ان يقول ليريه من اياته وانما التفت لتعظيم تلك البركات
والايات حيث اسند اراءتها له لنفسه المقدسة بطريق الاعتناء
والتعظيم والثاني من التكلم الى الغيبة حيث قال انه هو السميع
البصير وكان مقتضى الظاهر ان يقول اننا لسميعون بصيرون
وانما اتى به لتربية المهابة وقد رفع الي سوال في ربيع الاول
سنة احدى عشرة والف عن عالم من علما مصر تكلم في مجلسه الذي
يقرر فيه تفسير القران على قوله سبحان الذي اسرى الى قوله انه هو
السميع البصير فقال يجوز ان يعود ضمير انه الى النبي صلى الله عليه وسلم
المعبر عنه بعبده اي ان عبدي هو السميع البصير فاستغرب المصريون
منه ذلك فطلبوا مني ان اكتب لهم هل يجوز ذلك او لا فكتبت لذلك جوابا
وهذا لفظ ما كتبت سقته هنا بتمامه لكونه مفيدا فقلت لا شك ان
هذه الجملة وقعت استئنافا دافعا لسوال يرد هنا فكانه استشعر
سائلا يقول لم خصصت محمدا صلى الله عليه وسلم بما اريته من الايات التي

وقد

مطلب
وسوال وقع
الى الان رح

وقعت له في هذه القصة التي من جملتها سماعه لكلام رب العزة عز وجل
ورويته بعين بصره لربه عز وجل مع ان غيره من الانبياء عليهم السلام
كموسى عليه السلام الذي نال من ربه عز وجل ما لم ينله غيره ما عدا محمدا
صلى الله عليه وسلم فاجيب عن ذلك بان الله عز وجل لم يخصه بسماع
كلامه الا لما يستحقه من ان سمعه بلغ مبلغا خرج عن القوى البشرية
فاستحق لان يرى وجهه الاقدس وبيانه ان الله عز وجل قد مدح
بصره الشريف في كتابه العزيز حيث قال ما زاغ البصر وما طغى ثم
قال لقد راى من ايات ربه الكبرى وبقوله عز وجل ما كذب الفواد
ما راى فان رويته لربه عز وجل كانت اولا بفواده ثم ان فواده نقل
ذلك الى بصره لان الامور الروحانية تداخل القلب اولا ثم تنتقل
الى البصر والله عز وجل لم يمنع المومنين من سماع كلامه تعالى في
الدنيا الا لعدم قوى الاسماع على الثبات لذلك والا رويته مع انها
جائزة عقلا الا لعدم قوة الابصار على ذلك في الدنيا ولهذا تقع في
الجنة جعلنا الله عز وجل من اهلها بل يقع كل منهما لان القوى
هناك كاملة ورسول الله صلى الله عليه وسلم قوته البشرية كاملة حتى في
الدنيا الا ترى انه صلى الله عليه وسلم كان يسمع اطيط السماء فقد قال
صلى الله عليه وسلم اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت
السما وحق لها ان تئط ليس فيها موضع اربع اصابع الا وملك
واضع جبهته ساجدا لله عز وجل رواه الترمذي وروى ابو نعيم

بتثبت لسماع كلام ربه عز وجل
وان بصره بلغ مبلغا لا يتصل
اليه القوى البشرية
فاستحق لان يرى

عن حكيم بن حزام قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في اصحابه اذ قال لهم
تسمعون ما اسمع قالوا ما نسمع من شي قال اني لاسمع اطيط السماء
الحديث والحاصل ان له صلى الله عليه وسلم قوة سماعية كقوة اهل
الجنة فلاق له ان يسمع كلام رب العزة عز وجل كفاحا ولا يسمعه
كموسى عليه السلام من شجرة واما بصره الشريف فانه امتاز به
عن سائر البشر ولم يعط احد من البشر في هذه الدار من القوة
البصرية ما اعطي محمد صلى الله عليه وسلم ولهذا اثبت لرؤية ربه عز وجل
وهي امر لم يقدر عليه جبل صلد فقوته البصرية بلغت مبلغا لم
تصل اليه في المتانة الجبل الصلد فلهذا ثبت لرؤية ربه عز وجل
وقوته البصرية امر مشهور ففي البخاري انه كان يرى في الظلمة كما
يرى في النهار في الضوء وكان صلى الله عليه وسلم يقول ترون قبلتي ههنا
فوالله ما يخفى علي ركوعكم ولا سجودكم اني اراكم من وراء ظهري
فان قلت هذا الحصر الذي يستفيده من ضمير الفصل مع تعريف
المسند اليه والمسند بالاضافة الى ماذا قلت بالاضافة الى
موسى عليه السلام كانه يقول لا تتوهم انه لم ير الايات التي اخبر بها من
سماعه لكلام رب العزة عز وجل ورؤية ذاته المقدسة مستندا
في توهمك الى عدم رؤية موسى عليه السلام ربه عز وجل وعدم
ثبات الجبل لرؤية ربه عز وجل لان موسى عليه السلام لم يكن
سميعا كسمع محمد صلى الله عليه وسلم فلهذا اسمع كلام رب العزة عز وجل

في

في الارض ومن شجرة ومحمد صلى الله عليه وسلم سمعه في السماء وكفاحا فكانه
يقول هو الكامل في السمع البشري لا موسى عليه السلام وهو الكامل في البصر
البشري لا موسى ولا الجبل الذي صار دكا ومحمد صلى الله عليه وسلم ما
زاغ بصره وما طغى فيحمل السميع والبصير على الكامل فيهما فيصح الحصر
بالاضافة الى موسى ويكون حصر قلب فيجوز ان يعود الضمير في انه
الى عبده الذي هو محمد صلى الله عليه وسلم ويكون السميع البصير صفتين
له صلى الله عليه وسلم وان كان المفسرون على ان الضمير في انه عائد الى الله عز وجل
فان قلت حيث عاد الضمير الى الله عز وجل فما النكتة في ختم هذه
الاية بهذين الوصفين قلت النكتة فيه الايماء الى ان الاسراء
المذكور ليس الا لتكرمته عليه الصلوة والسلام ورفع منزلته
والا فالاحاطة باقواله وافعاله حاصلة من غير احتياج الى اسراء
ومعراج واذا عاد الضمير الى الله عز وجل كان الحصر حقيقيا والمحصور
السمع والبصر الكاملان على الاطلاق بحيث لا يخفى على المتصف
بهما مسموع ولا مبصر وذلك ليس الا الله سبحانه وتعالى واما اذا
عاد الضمير الى محمد صلى الله عليه وسلم فالحصر اضافي كما قررناه ثم ان من
استبعد ما قاله هذا المدرس ان كان من جهة وصفه بالسميع
البصير وانهما من صفات الله عز وجل واسمائه فنقول وقد وصف الله
عز وجل بهما المخلوقين فقال تعالى في حق الانسان فجعلناه سميعا
بصيرا وان كان من جهة اثباته بالحصر فلا اشكال فيه ايضا لان المراد

بحث الكشف

بها السميع البصير الكاملان بالنسبة الى المخلوقين اوالى البشر ولما كان ماكاشفه الضمير المرفوع عائد الى الله عز وجل والمنصوب الى النبي صلى الله عليه وسلم اي كاشف الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم والكشف لغة رفع الحجاب يقال كشفت المراة وجهها اي رفعت نقابها واصطلاحا هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والامور الحقيقية وجودا اوشهودا واعلى انواع المكاشفات من يشاهد الاعيان الثابتة في الحضرة الالهية والكشف اما ان يكون من طريق المشاهدة كروية صور الارواح المتجسدة والانوار الروحانية واما ان يكون بالسماع كسماع النبي صلى الله عليه وسلم الوحي النازل عليه كلاما منظوما اومثل صلصلة الجرس ودوي النحل كما جاء ذلك في الحديث الصحيح فانه عليه الصلوة والسلام كان يسمع ذلك ويفهم المراد منه على سبيل الاستنشاق وهو التنسم بالنفحات الالهية والتنشق لفوحات الربوبية كقوله صلى الله عليه وسلم اني لاجد نفس الرحمن من قبل اليمن اومن قبيل الملامسة كقوله صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه عز وجل فوضع يده بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي فعلمت ما في السموات وما في الارض اومن طريق الذوق كروية اللبن فاوله بالعلم واما الصوري فمنه ما يتعلق بالحوادث الدنيوية ويسمى رهبانية لاطلاع الرهبان على المغيبات الدنياوية لرياضات ومجاهدات سبقت

لهم

لهم واهل السلوك لا يلتفتون الى امثال هذه لعدم وقوفهم مع الامور الدنياوية وصرف هممهم الى الامور الاخرة ويعدون مثل هذا من قبيل الاستدراج بل ربما لم يلتفتوا الى الامور الاخروية ايضا لان غاية مقصدهم الفنا في الله عز وجل والبقا به تعالى ثم ان اعلى مراتب الكشف من طريق السماع سماع كلام رب العزة عز وجل من غير واسطة كسماع نبينا صلى الله عليه وسلم في معراجه وفي الاوقات التي اشار اليها بقوله صلى الله عليه وسلم لي مع الله عز وجل وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل وكسماع موسى عليه السلام كلامه تعالى وتقدس ثم سماع كلامه بواسطة جبريل وكسماع نبينا صلى الله عليه وسلم القران والحاصل ان سماع نبينا صلى الله عليه وسلم كلام الله عز وجل ليلة المعراج اعلى مراتب الكشف في طريق السماع ومثله الكشف المشار اليه بقوله صلى الله عليه وسلم لي وقت لا يسعني فيه ملك مقرب الحديث من ذكر الجبروت هو فعلوت من الجبر وهو القهر وفي الحديث ثم يكون ملكا وجبروتا اي عزا وقهرا وشاهده من عجائب الملكوت في الغريبين الملكوت ملك الله عز وجل زيدت فيه التاء كما قالوا رهبوت ورحموت واعلم ان العوالم الكلية خمسة لان الحضرات الالهية الكلية خمسة فان اول الحضرات الكلية حضرة الغيب المطلق وعالمها عالم الاعيان الثابتة في الحضرة العلمية وفي مقابلتها حضرة الشهادة المطلقة وعالمها عالم الملك

تفصيل العوالم والحضرات الخمس من كل منها

وحضرة الغيب المضاف وهي تنقسم الى ما يكون اقرب الى الغيب
المطلق وعالمه عالم الارواح الجبروتية والملكوتية اعني عالم العقول
والنفوس المجردة والى ما يكون اقرب الى الشهادة المطلقة وعالمه
عالم المثال وانما انقسم الغيب المضاف الى القسمين لان للارواح
صورا مثالية مناسبة لعالم الشهادة المطلقة وصورا عقلية مجردة
مناسبة للغيب المطلق والخامسة الحضرة الجامعة للاربعة المذكورة
وهو العالم الانساني الجامع لجميع العوالم وما فيها فعالم الملك مظهر عالم
الملكوت وهو عالم المثال المطلق وعالم الملكوت مظهر عالم الجبروت
اي عالم المجردات وهو مظهر عالم الاعيان الثابتة في علم الله عز وجل
وهو مظهر الاسماء الالهية والحضرة الواحدية وهي مظهر الحضرة الاحدية
والحاصل ان عالم الغيب المضاف ما كان منه مناسبا لعالم الشهادة
المطلقة وهو المثالية التي فيه يسمى بالملكوت وما كان منه صورا
عقلية يناسب الغيب المطلق لكنها ليست غيبا مطلقا يسمى
بالجبروت والامور الملكوتية يمكن مشاهدتها لمثل ليدينار رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومن سار سيرته بالحواس الظاهرة واما الصور
العقلية فادراكها انما يكون بالكشف فعلق المصنف بالملكوت
فعل المشاهدة وبالجبروت فعل المكاشفة وقد عبر الله عز وجل عن
الصور العقلية الجبروتية بقوله فاوحى الى عبده ما اوحى وعن الصور
الملكوتية بقوله لقد راى من ايات ربه الكبرى ثم ان قول المصنف

وشاهد

وشاهد معطوف على كاشفه وحذف فيه الموصول الاسمي وهذا
جائز عند الكوفيين والاخفش وتبعهم ابن مالك وقد وجد هنا شرط
اجازته وهو كونه معطوفا على موصول اخر محتجين على اجازته بقوله عز
عز وجل امنوا بالذي انزل الينا وانزل اليكم اي والذي انزل اليكم
وبقول حسان بن ثابت الانصاري

امن يهجو رسول الله منكم ❊ ويمدحه وينصره سواء ❊ (من الوافر)
اي ومن يمدحه ومن ينصره وقول الاخر

ما الذي دابه احتياط وحرص ❊ وهواه اطاع يستويان ❊ (من الخفيف)
اي والذي اطاع هواه **لا يحيط به العبارات** اي لا تجمع العبارة جميع
ما احتوى عليه ما شاهده وما كوشف به فان الاحاطة معناها
الجمع ومنه قوله عز وجل والله محيط بالكافرين اي جامعهم يوم القيمة
يقال احاط به الامر اذا اخذه من جميع جوانبه فلم يكن منه مخلص
والعبارات جمع عبارة وهي اسم مصدر ومعناها الاخبار عما في النفس
ولا يستقل بحمل سماع ادناه العقول المعتادة وانما تحمله وتدركه
النفوس القدسية **رمز عنه تعالى** الرمز يتعدى بالى كما قال الشاعر

رمزت الي مخافة من بعلها ❊ من غير ان تبدي هناك كلامها ❊ (من الكامل)
وانما عداه المصنف بعن تضمينا له معنى التعبير **بالايماء والكناية
الدالة على التعظيم** صفة للكناية **فقال فاوحى الى عبده ما اوحى** والايماء
هو نوع من انواع البديع سماه بعضهم بالاشارة وبعضهم بالايماء وهو

ان ياتي المتكلم بكلام قليل ذي معان جمة فان قلت هذا هو ايجاز القصر
بعينه فانهم عرفوه بانه تكثير المعنى بتقليل اللفظ قلت قد فرق بينهما
بعض البديعيين بان ايجاز القصر يدل على ذلك المعنى الكثير مطابقة
والاشارة تدل عليه تضمنا او التزاما فان قلت الكناية هنا
لغوية ام اصطلاحية قلت الظاهر انها اصطلاحية وهي ترك التصريح
بالشيء الى ما يساويه في اللزوم فينتقل منه الى الملزوم وههنا اراد
الله عز وجل ان يعرفنا فخامة الذي اوحاه الى نبيه صلى الله عليه وسلم
فاشار الى ان عقولكم لا تستقل بحمل الاحاطة لجميع ما اوحيته اليه وبلوغ
غايته والوقوف على قصاراه فعبر بهذه العبارة للاشارة الى ذلك
ومن هذا القبيل قوله عز وجل فغشيهم من اليم ما غشيهم ومنه قول
ابي نواس ولقد نهزت مع الغواة بدلوهم ۝ واسمت طرف اللحظ حيث اساموا ه من الكامل
وبلغت ما بلغ امرؤ بشبابه ۝ فاذا عصارة كل ذاك اثام
ثم ان العلماء اختلفوا في تعيين هذا الذي اوحاه الله عز وجل الى نبيه
صلى الله عليه وسلم ليلتئذ فقيل هذا الوحي مبهم لم يتعين ولم يعلمه احد
الا الله عز وجل ونبيه صلى الله عليه وسلم ونحن متعبدون على الايمان به على
الجملة وقيل هو معلوم مفسر على قولين الاول اوحى اليه الم اجدك يتيما
فآويتك الى اخره بضم نعم الم نشرح الخ وقيل اوحى اليه ان الجنة
حرام على الانبياء حتى يدخلها محمد صلى الله عليه وسلم وعلى الامم حتى
تدخلها امته قال جعفر بن محمد قال له بلا واسطة انه سيعطيه

الشفاعة في امته وقال الواسطي القى الى عبده ما القى ولم يظهر ما الذي
اوحاه اليه لانه خصه به وما كان مخصوصا به كان مستورا وما بعثه
به الى الخلق كان ظاهرا وقال جعفر الصادق لما قرب الحبيب من الحبيب
بغاية القرب نالته الهيبة فلاطفه الحق بغاية اللطف لانه لا تحمل غاية
الهيبة الا بغاية اللطف وذلك قوله عز وجل فاوحى الى عبده ما اوحى
اي كان ما كان وجرى ما جرى وقال الحبيب لحبيبه ما يقول الحبيب
لحبيبه والطف به الطاف الحبيب لحبيبه واسر اليه ما يسر
الحبيب لحبيبه فاخفيا ولم يطلعا على سرهما احدا سواهما فلذلك
قال فاوحى الى عبده ما اوحى ولا يعلم احد ذلك الوحي الا الذي اوحى
والذي اوحى اليه ثم ان الاتيان بالكناية يجوز ان يكون لتفخيم الموحى
كما اشرنا اليه ويجوز ان يكون للستر وهذا النوع من الكلام المشار
اليه النوع الذي وجد في ضمن هذا الجزئي المشخص المعين اعني قوله
عز من قائل فاوحى الى عبده ما اوحى ويجوز ان تتوجه الاشارة الى
الآية والكناية الدالة على التعظيم يسميه اهل النقد اي التمييز الذين
يميزون جيد الكلام من رديه والبلاغة اي واهل البلاغة اي
القادرون قدرة بطريق الملكة البالغون في تادية المعاني حدا له
اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها وايراد انواع التشبيه
والمجاز والكناية على وجهها هذه بلاغة المتكلم واما بلاغة الكلام
فهي كون الكلام بحيث وفي فيه خواص التراكيب حقها واورد فيه

انواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها والمراد باهل البلاغة من
اتصف بما ذكر سوا وصل فيه الى الدرجة العليا بحسب الطاقة
البشرية وهي ما دون حد الاعجاز او كان في الدرجة السفلى منه وهي
درجة اذا انزل الكلام عنها التحق باصوات الحيوانات لخلوه عن
المزايا التي يسمو قدر الكلام بها وبينهما مراتب بالوحي والمراد به
الوحي لغة اذ هو القا الشي في القلب واصله اعلام في خفا ومنه
قوله اوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا اي اومى ورمز وعطف
قوله والاشارة على قوله بالوحي عطف تفسير والى هذا النوع اشار
الجاحظ في قوله

من الكامل

يرمون بالخطب الطوال وتارة ... وحي الملاحظ خيفة الرقباء

وهو اي هذا النوع عندهم ابلغ انواع الايجاز ~~التعبير عن المراد بلفظ~~
اي اكثرها بلاغة والايجاز اداء المقصود باقل من عبارة المتعارف
وقال ابن الاثير الايجاز التعبير عن المراد بلفظ غير زائد والايجاز
انواع احدها ايجاز القصر وهو ان يقصر اللفظ على معناه الثاني
ايجاز التقدير وهو ان يقدر معنى زائدا على المنطوق ويسمى
بالتضييق وبه سماه بدر الدين بن مالك في المصباح الثالث
الايجاز الجامع وهو ان يحتوي اللفظ على معان متعددة والرابع
ايجاز الاشارة وهو الاتيان بلفظ قليل ذي معان جمة ويدل
عليها تضمنا او التزاما بخلاف ايجاز القصر فانه يدل عليها

مطابقة

مطابقة وابلغها هذا القسم وقال اي الله عز وجل لقد راى من ايات
ربه الكبرى الايات جمع اية ومعناها في الاصل العلامة الثابتة من
قولك تاييت بالمكان اذا اقمت به وثبت فيه وسميت الاية
من القران اية لانها بمفارقتها كلام البشر علامة على صدق الدعوة
والمراد بالايات هنا العلامات الدالة على علو مقام محمد صلى الله
عليه وسلم وان الله عز وجل رفع قدره على جميع النبيين والمرسلين
ولهذا قال سهل بن عبد الله التستري راى من ايات ربه الكبرى
فلم يذهب بذلك عن مشهوده ولم يفارق مجاورة معبوده عز وعلا
وقال ابن عطا راى الايات فلم تكبر في عينه لكبر همته وعلو محله
ولاتصاله بالكبير المتعال وقال بعضهم راى من الايات ما لو راها
غيره لكبر في عينه وعظم لكنه لتمام تمكينه لم يستكبر كبيرا ولم يعسر
طرفه شي وما زاغ عن قصده ولا طغى عن نعمه وقال ابن عطا
راى من ايات ربه الكبرى فهرب منها والتجا حتى ادني من محل الروية
فسكن وقال جعفر بن محمد شاهد من علامات المحبة ما كبر عن
الاخبار عنها ثم الاصح ان الكبرى في قوله لقد راى من ايات ربه
الكبرى مفعول لراى اي راى الايات الكبرى التي هي بعض ايات
ربه ومن للتبعيض وقيل من ايات في موضع المفعول والكبرى
صفة لايات ربه ومثل هذا الجمع يوصف بصفة الواحدة
وحسن ذلك كونها فاصلة كقوله عز وجل لنريه من اياتنا الكبرى

وقال ابو البقا الكبرى نعت لايات والمفعول محذوف اي شيا من
ايات ربه الكبرى اي اعيت وكلت الافهام عن تفصيل ما اوحى
المشار اليه بقوله فاوحى الى عبده ما اوحى وتاهت الاحلام في تعيين
تلك الايات الكبرى وقد وقع من بعض السلف تعيينها بطريق
الاستنباط من الاخبار وتتبع قصة المعراج قال ابن عباس رضي الله
عنهما راى رفرفا سد الافق وذكر البيهقي عن عبد الله بن مسعود مثله
وروى عنه قال راى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل في حلة رفرف
اخضر قد ملا ما بين السموات والارض وقيل راى جبريل على صورة
رفرف والرفرف البساط وفي صحيح مسلم بسنده الى عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه قال لقد راى من ايات ربه الكبرى قال راى جبريل عليه
السلام في صورته له ستمائة جناح وقال الضحاك راى سدرة المنتهى
وقال ابن مسعود راى ما غشى السدرة من فراش الذهب وقيل
راى المعراج وقيل هو ما راه في مسراه في عوده وبدئه وهذا
احسن لموافقته لما وقع في سورة الاسرا من قوله لنريه من اياتنا
قال القاضي ابو الفضل واشتملت هذه الايات على اعلام الله عز وجل
بتزكية جملته عليه الصلوة والسلام اي اعلم الله عز وجل عباده الذين
انزل اليهم كتابه بتزكية جميع ذات النبي صلى الله عليه وسلم اي بطهارتها ومدحها
والثنا عليها بالكمال فان قلت الذي وقع في القران انه زكى قلبه ولسانه
وبصره ولم يقع فيه تزكية جميعه قلت لما اخبر ان قلبه زكا حيث ثبت

لما راى

لما راه كان كل بنيته الشريفة زكية عملا بقول النبي صلى الله عليه وسلم
الا وان في الجسد لمضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد
الجسد كله الا وهي القلب فحيث نعت الله عز وجل قلب نبيه صلى الله
عليه وسلم بهذا النعت المنيف علم ان هيكله الشريف منعوت بما يستلزم
هذا النعت فان صلاح القلب يستلزم صلاح الجوارح بمقتضى هذا
الحديث وبمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم لو خشع قلبه لخشعت جوارحه
لان شرف الانسان بمعرفة الله عز وجل وانما اسعد لمعرفة الله
عز وجل بقلبه فالقلب هو العالم بالله وهو العامل لله وهو الساعي
الى الله عز وجل وهو المتقرب الى الله وهو المكاشف بما عند الله عز وجل
وانما الجوارح اتباع والات وخدم يستخدمها القلب ويستعملها
استعمال الملك للعبد واستخدام الراعي للرعية والصانع للالة
فالقلب هو المقبول عند الله اذا سلم من غير الله عز وجل وهو
المحجوب عن الله عز وجل وهو الذي يسعد بالقرب من الله فيفلح
اذا زكاه وهو الذي يخيب ويشقى اذا دنسه ودساه وقد
اخبر الله عز وجل ان قلب نبيه صلى الله عليه وسلم قد نال اعلى مراتب
الزكا فقد شهد الله عز وجل وكفى به شهيدا ان ساير جوارحه زاكية
ومع ذلك فقد نص على زكاته تصريحا بما علم التزاما وعصمتها من
الافات في هذا المسرى هذه العصمة كما وقعت في المسرى وقعت في
المعراج لكن لما كان جمهور العلما على ان المسرى والمعراج وقعا في

ليلة واحدة سمى القصة كلها بالمسرى كما وقع لغيره انه سمى القصة كلها
بالمعراج **فزكى فواده** اي قلبه قيل الفواد والقلب بمعنى واحد وقيل
الفواد وسط القلب وقيل الفواد غشاء القلب والقلب حبته
وسويداه وجمعه افئدة ومنه الحديث اتاكم اهل اليمن هم ارق افئدة
والين قلوبا **ولسانه وجوارحه** في القاموس الجوارح اعضاء الانسان
التي تكسب فذكرها بعد القلب واللسان تعميم بعد تخصيص فان
قلت ما فائدة عطف العام على الخاص قلت فائدته رفع توهم
الخصوص وافراد المعطوف عليه بالذكر مع كونه داخلا تحت افراد
العام اهتماما بشانه فهو على حد قوله عز وجل اتيناك سبعا من
المثاني والقران العظيم وقوله **زكى قلبه** استئناف وقع جوابا لسوال
تقديره فباي شي زكى كل واحد من هذه الجوارح فقال زكى قلبه الذي عبر
عنه في الاية بالفواد واشار به الى ترادفهما ويحتمل ان يكون زكى قلبه
بقوله الخ بدل كل من كل من قوله فزكى فواده على حد قوله عز وجل بل قالوا مثل فهو
ما قال الاولون قالوا ائذا متنا وهذا اولى لان جملة زكى قلبه مقطوعة عما
قبلها لقصد البدل ولقصد الاستئناف بناء على ان في قوله فزكى
قلبه ولسانه الخ من الاجمال المحرك للسامع ان يسال بماذا زكى
ومثله قوله تعالى امدكم بما تعلمون امدكم باموال وبنين فان قلت
هذا الصنيع تطويل فكان ينبغي ان يقتصر على ذكر المطلوب قلت
قد وقع منه في هذا الصنيع الايضاح بعد الابهام وقد قال اهل البيان

اذا اردت ان تبهم ثم توضح فانك تطنب وفائدته روية المعنى في
صورتين مختلفتين الابهام والايضاح او ليتمكن المعنى في النفس
تمكنا زائدا لوقوعه بعد الطلب فانه اعز من المنساق بلا تعب او
لتكمل لذة العلم به فان الشي اذا علم من وجه ما تشوقت النفس اليه
للعلم به من باقي وجوهه دفعة واحدة على ان المقام مقام مدح فيلائم
الاطناب فيه **بقوله ما كذب الفواد ما راى** انما كان هذا القول تزكية
للقلب لانه نعته بالصدق فان معنى الاية ما كذب فواد محمد صلى الله
عليه وسلم ما راه ببصره من صورة جبريل عليه السلام او رب العزة جل
ذكره اي ما قال فواده لما راه ببصره لم اعرفك ولو قال ذلك لكان
فواده كاذبا لانه عرفه بقلبه كما راه ببصره وقرى ما كذب بتشديد
الذال اي صدقه ولم يشكك في انه جبريل عليه السلام وان كان
المرئي رب العزة عز وجل فالمعنى ان الفواد حكى للبصر ما راه
فصدقه فيما حكاه ولم يكذبه بل انتقلت الروية من القلب الى
البصر على وجه الحق والصدق فان روية النبي صلى الله عليه وسلم
لربه عز وجل وقعت اولا بقلبه ثم انتقلت الى بصره لان الامور
القدسية تدرك اولا بالقلب ثم تنتقل منه الى البصر **ولسانه** اي
وزكى الله عز وجل لسانه **بقوله وما ينطق عن الهوى** قيل المراد ما
ينطق بالقران عن هوى نفسه وقيل معناه ما ينطق بالهوى وعن
بمعنى الباء وجوز ذلك ابن مالك ومثله برميت السهم عن القوس

لانهم يقولون ايضا رميت بالقوس حكاها الفرا بل حكى الفرا الثلاثة
رميت بالقوس وعن القوس وعلى القوس وفيه رد على الحريري في
انكاره ان يقال ذلك الا اذا كانت القوس مرمية وهذا كما جات البا
بمعنى عن في قوله عز وجل فسل به خبيرا اي عنه وقيل معنى الاية ما
يصدر منه نطق عن الهوى وكل ما نطق به فهو وحي فدخل في ذلك
السنة وهي وحي وقد تكلمنا على هذه الاية بما لا مزيد عليه في صدر
المبحث وبصره بقوله ما زاغ البصر وما طغى زاغ اي مال ومنه
قوله عز وجل لا تزغ قلوبنا اي تميلها عن الهوى وتصرفها عنه ويقال
زاغ عن الطريق اي جار وعدل ومعنى طغى جاوز الحد ويقال للمتكبر
طاغ لمجاوزته الحد اللائق به ومنه قوله عز وجل انا لما طغى الما اي كثر
وجاوز الحد في كثرته فالمعنى ما زاغ بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما راه
وما جاوزه بل اثبته اثباتا صحيحا مستيقنا وهذا وصف ادب
النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام اذ لم يلتفت يمينا ولا شمالا ولعمري
ان مثل ما حكى الله عز وجل من هذه الاداب في ذلك المقام ينادي بان
المربي في ذلك ليس الا الله عز وجل وقد اتفقت كلمة العارفين بالله
عز وجل ارباب القلوب النيرة على ان المربي هو الله عز وجل قال سهل
ابن عبد الله لم يرجع محمد صلى الله عليه وسلم الى شاهد نفسه ولا الى
مشاهدتها وانما كان مشاهدا بكليته لربه عز وجل يشاهد ما
يظهر عليه من الصفات التي اوجبت الثبوت في ذلك المحل وقال

رد على الحريري

يقال طغيت وطغوت

ابن عطا

ابن عطا لم يرد ربه عز وجل بطغيان ولا بميل بل راه على شرط اعتدال القوى
فلا شك فيه ولا امترا وقال تعالى فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس الى
قوله وما هو بقول شيطان رجيم الخنس الكواكب الخمسة الدراري
زحل والمشتري وعطارد والمريخ والزهرة وخصت بالذكر لانها
تستقبل الشمس وقيل لانها تقطع المجرة وقيل هي النجوم تخنس نهارا
وتظهر ليلا وقيل هي بقر الوحش والكنس الظبا فهي خنس اذا رايت
الانسان خنسن وانقبضن وتاخرن ودخلن في كناسهن
والخنس تاخير ارنبة الانف وقصر القصبة وانوف البقر والظبا
خنس والاصح الحمل على النجوم لذكر الليل والصبح بعد هذا فذكر النجوم
اليق بالمقام وقيل المراد بهم الملائكة والكنس الغيب ماخوذ من
الكناس وهو كناس الوحش الذي يختفي فيه وفي الغريبين
الخنس جمع خانس وخانسة وقال الزجاج وخنوسها انها
تغيب وتكنس وقال الفرا هي النجوم الخمسة تخنس في مجراها
اي ترجع وقوله عسعس اي اقبل ظلامه وفي الغريبين قال ابن عرفة
يقال عسعس الليل اذا اقبل او ادبر بظلمته والمعنيان يرجعان
الى شي واحد وهو ابتدا الظلام في اوله وادباره في اخره وقوله
تنفس اي اضا وفي الغريبين امتد حتى يصير نهارا بينا لا اقسم اي
اقسم يشير الى ان لا هنا زايدة للتوكيد وفايدتها مع التوكيد التمهيد
لنفي الجواب والتقدير هنا لا اقسم بما ذكر لا يكذب محمد صلى الله عليه وسلم

فيما يقول فهي مثل قوله عز وجل فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر
بينهم ويمكن ان يقال هنا ما قيل في قوله تعالى لا اقسم بيوم القيمة من
انه رد لما تقدم عنهم وكذلك هنا لا رد لقولهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم
افتراه اي لا لم يفتره وليس الامر كذلك ثم استونف القسم قالوا
وانما صح ذلك لان القران كله كالسورة الواحدة ولهذا يذكر الشي
في سورة وجوابه في سورة اخرى نحو قوله وقالوا يا ايها الذي نزل عليه
الذكر انك لمجنون رد عليهم في سورة فقال ما انت بنعمة ربك بمجنون
وقد نقل الله عز وجل عنهم في سورة السجدة فقال ام يقولون افتراه
فرد عليهم في هذه السورة ابلغ رد موكد باقسام متعددة وقد قيل
ان منفيها اقسم على انه اخبار لا انشا واختار هذا القول الزمخشري
في نظير هذه الاية فالمعنى حينئذ لا اقسم بذلك لان الامر جلي لا يحتاج الى
قسم انه اي القران لقول رسول كريم اضافه الى الرسول باعتبار حمله الوحي
ونطقه به عن الله عز وجل واضافه الله عز وجل الى نفسه بقوله تنزيل
من رب العالمين ليعلم اهل التحقيق ان الكلام في الحقيقة هو لله عز وجل
اي كريم عند مرسله وفي النهاية الكريم الجامع لانواع الخير والشرف
والفضائل ذي قوة على تبليغ ما حمله من الوحي بالبنا للمفعول وتشديد
الميم اي حمله الله عز وجل فان حمل اعباء القران محتاج الى قوة متينة
ومعونة من الله عز وجل بمقتضى قوله عز وجل انا سنلقي عليك قولا
ثقيلا لان العمل بشرائعه لا سيما للنبي صلى الله عليه وسلم فانه مكلف بما في

القران

القران علما وتبليغا مفتقر الى ذلك قال قتادة القران ثقيل والله
فرائضه وحدوده ومجاهد حلاله وحرامه وقيل العمل به وقيل ثقيل
وعده ووعيده وقال بعضهم هو ثقيل لا يحمله الا قلب مويد بالتوفيق
ونفس مزينة بالتوحيد وقيل القران نفسه ثقيل كما جاء في الصحيح
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اوحي اليه وهو على ناقته وضعت
جرانها على الارض يعني صدرها فما تستطيع ان تتحرك حتى يسرى عنه
وفي الموطا انه عليه الصلوة والسلام سئل كيف ياتيك الوحي فقال
احيانا ياتيني مثل صلصلة الجرس وهو اشده علي فيفصم عني وقد
وعيت ما قال واحيانا يتمثل لي الملك فيكلمني فاعي ما يقول
قالت عائشة رضي الله عنها ولقد رايته ينزل عليه الوحي في اليوم
الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا مكين اي
متمكن المنزلة من ربه عز وجل رفيع المحل عنده اي له عند الله عز وجل
مكنة اي تمكن والعرب تقول ان فلانا لذو مكنة من السلطان اي
ذو تمكن وعليه حمل في اصح الاقوال قول النبي صلى الله عليه وسلم اقروا الطيور
على مكناتها اي اقروها على مكنة ترونها عليها ومنزلة هي فيها ودعوا
التطير بها وقد اشار المصنف بقوله متمكن المنزلة من ربه عز وجل
رفيع المحل عنده الى ان قوله عند ذي العرش متعلق بقوله مكين قدم
عليه ردا على من لم ير للنبي صلى الله عليه وسلم شانا ولا مكانة من الكفار
اذ قالوا لولا انزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم ولم يقل احد

وهذا الحديث مما رواه
صحيح البخاري عن عائشة

بتعلق قوله عند ذي العرش بقوله ذي قوة وان القوة معناها المنزلة
تقول قوي امر فلان عند السلطان اي صارت له منزلة فان قلت
من اين اخذ المصنف قوله اي كريم عند مرسله مع ان الاية لم يقيد
فيها بكونه عند مرسله قلت لما قيد المكين بقوله عند ذي العرش
علم ان كرمها مقيد بذلك فان قلت فما بال ذكر هذه الصفات
المترادفة او القريبة من الترادف قلت لان المقام مقام اسهاب
اذ هو مدح فجاز بل حسن ان يذكر صفات ذكر بعضها يغني عن البعض
الاخر مطاع ثَمَّ أي في السماء فثم بفتح الثا اسم يشار به الى المكان
البعيد نحو وازلفنا ثم الاخرين وهو ظرف لا يتصرف فلذلك غلط
من اعربه مفعولا به لرايت في قوله عز وجل واذا رايت ثم وما قاله
المصنف مبني على ان ثم ظرف متعلق بمطاع والمشار اليه كما قال
المصنف السما اي هو اي محمد صلى الله عليه وسلم مطاع في السما فان قلت
ما معنى كون محمد صلى الله عليه وسلم مطاعا في السما قلت قيل هو مطاع
فيها لما ياتي من حديث امامته جماعة من الانبيا عليهم السلام في السما
وهو قوله صلى الله عليه وسلم وقد رايتني في جماعة من الانبيا فحانت
الصلوة فاممتهم فقال قايل يا محمد هذا مالك خازن النار فسلم عليه
الحديث وكل امام فهو مطاع لمن ائتم به ولما قيل من ان ملك الجبال قال
ان الله عز وجل امرني ان اطيعك الا اذا ثبت انه قال هذا المقال
ومحمد صلى الله عليه وسلم في السما ليكون مطاعا في السما واقول القول

بانه

بانه مطاع في السما لا يثبت بما ذكر لانه لا يلزم من امامته بالانبيا كونه
مطاعا في السما على ان امامته بالانبيا لم تكن في السما وانما كانت
في بيت المقدس وقوله كل امام فهو مطاع هذه مقدمة ممنوعة
والامام الذي تجب طاعته من بويع ببيعة الخلافة لا من صلى بالناس
صلوة ما ثم ان الاستدلال بقصة ملك الجبال عندي اولى من
الاستدلال بامامة الانبياء لانه صدق عليه انه مطاع في السماء في
الجملة وان لم يثبت بذلك انه مطاع لكل اهل السما واما امامته
بالانبياء فلم يثبت بها انه مطاع لاحد ودعواه ان ذلك لا يثبت
الا اذا ثبت ان الملك قاله ومحمد صلى الله عليه وسلم في السما مردودة
لانه لا يلزم من كونه مطاعا فيها ان يطاع وهو فيها بل يكفي كون ساكنيها
يمتثلون امره وان لم يكن هو ثم على ان الاولى عندي ان يقال ان
كونه صلى الله عليه وسلم مطاعا في السما لانه بعث لساكنيها وهم الملائكة
ولعل المصنف ممن يقول بذلك وهو احد قولين اختاره السبكي
من اصحابنا مستدلا بقوله عز وجل ليكون للعالمين نذيرا ولا نزاع
في ان المراد بالعبد هنا محمد صلى الله عليه وسلم وبالعالمين الجن والانس
والملائكة ولا يلزم من الانذار والرسالة في شي خاص ان يكون
بالشريعة كلها وفي حديث مسلم وارسلت الى الخلق كافة فيشمل جميع
ذوي العقول فان قلت قد صرح البيهقي في شعب الايمان انه
صلى الله عليه وسلم لم يرسل الى الملائكة وصرح في الباب الخامس عشر

شعبه بانفكاكهم من شرعه وفي تفسير الرازي والبرهان النسفي ثم انهم
قالوا هذه الاية يدل ولها على ان قوله ليكون للعالمين نذيرا يتناول
جميع المكلفين من الجن والانس والملائكة لكنا اجمعنا على انه صلى الله
عليه وسلم لم يكن رسولا الى الملائكة بل هو رسول الى الانس والجن جميعا
قلت اما ما قاله البيهقي فهو مذهبه ومرتضاه ولا يضرنا ذلك لانا
نحن قلنا ان هذا احد القولين ولم ننقل ان كل الناس قالوا به والا قلنا
انه الاصح وغاية ما قلنا ان جماعة من العلماء قالوا به ولعل المصنف منهم
واما حكاية الرازي والنسفي الاجماع فذلك لا يضرنا ايضا لان ذلك لا
ينتهض حجة على طريقة علماء النقل لان مدارك نقل الاجماع انما هو
كلام الائمة الحفاظ المطلعين كاصحاب المذاهب المتبوعة كالائمة الاربعة
واسحق بن راهويه وداود والسفيانين والاوزاعي ومن دونهم
كابن المنذر وابن عبد البر واما الرازي والنسفي فانهما عالمان
لا امامان فليسا من نقلة الاجماع ولا يعتد بنقلهما الاجماع ما لم
يسنداه الى امام مجتهد او حافظ امين على الوحي قال علي بن عيسى
هذا هو ابو الحسن النحوي المعروف بالرماني قال ابن خلكان
يجوز ان يكون نسبته الى الرمان وبيعه وان يكون نسبته الى قصر
الرمان وهو قصر بواسط معروف حدث الرماني عن ابي بكر بن دريد
وابي بكر بن السراج روى عنه التنوخي والجوهري وهلال بن
المحسن الكاتب وكان من اهل المعرفة متفننا في علوم كثيرة من

ترجمة الرماني النحوي

الفقه والقران والنحو واللغة والكلام على مذهب المعتزلة وله التصانيف
المشهورة في التفسير والنحو واللغة ولد في سنة ست وتسعين
ومائتين ومات ليلة الاحد حادي عشر جمادى الاولى سنة اربع
وثمانين وثلثمائة صنف شرح كتاب سيبويه وشرح المدخل
للمبرد وكتاب الجامع في علم القران والنكت في اعجاز القران وكتاب
المغني في علم القران وكتاب غريب القران وكتاب جواب
مسائل طلحة في علم القران وكتاب جواب ابن الاخشيد في علم
القران وله تفسير عظيم وله نحو مائة تصنيف رحمه الله وايانا وعبر
به غير علي بن عيسى الرسول الكريم هنا محمد صلى الله عليه وسلم فجميع
الاوصاف بعد على هذا له وقال غيره هو جبريل فيرجع جميع
الاوصاف اليه فان جبريل عليه السلام رسول من رب العالمين وانما
اخذه بعنوان الرسالة للاشارة الى انه لم يات بالقران مستبدا من
عند نفسه وانما اتى به بامر الله عز وجل وارساله تعالى وتقدس وانما
اضاف القول اليه لانه قاله عن الله عز وجل ووصفه بانه كريم اي على
الله عز وجل وكيف لا وهو امين وحيه ومنزلته في سورة المنتهى
وغير ذلك ونعته الله عز وجل بانه ذو قوة اي بدنية قال
ابن عباس رضي الله عنهما من قوته قلعه مدائن قوم لوط بقوادم جناحه
ونعته بانه ذو مكانة عند الله عز وجل ومن مكانته انه يدخل
سبعين سرادقا بغير اذن ونعته بانه مطاع ثم اي في السموات

قال ابن عباس رضي الله عنهما من طاعة الملائكة لجبريل انه لما اسري
برسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبريل عليه السلام لرضوان خازن الجنان
افتح له ففتح فدخلها وراى ما فيها وقال لمالك خازن النار عليه السلام
افتح له جهنم حتى ينظر اليها فاطاعه وفتح له وقيل المراد القوة في اداء
طاعة الله عز وجل وترك الاخلال بها من اول الخلق الى اخر زمان التكليف
ونعته ايضا بانه امين اي على الوحي وثم ظرف لما قبله وقيل لما بعده
وقرئ ثم امين بضم الثاء حرف عطف تعظيما لوصف الامانة
وتفضيلا لها على جميع الاوصاف حيث اتى بحرف يقتضي الترتيب
مع التراخي للاشارة الى التراخي الرتبي ثم قال وما صاحبكم بمجنون
يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم نفى عنه الجنون الذي بهتته به
الكفرة وانما عبر عنه بعنوان الصاحبية للتلويح باحاطتهم بتفاصيل
احواله خبرا وعلمهم بنزاهته عما نسبوه اليه بالكلية قيل لما راى
رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام في صورته التي هو عليها
عند الله عز وجل خر صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فنسبه قومه اذ
راوا ذلك الى الجنون فنزل قوله وما صاحبكم بمجنون وقد استدل بهذه
الاية المعتزلة على تفضيل الملك على النبي قال في الكشاف وناهيك
بهذا دليلا على جلالة مكان جبريل وفضله على الملائكة ومباينة
منزلته لمنزلة افضل النبيين محمد صلى الله عليه وسلم اذا وازنت بين
الذكرين حين قرن بينهما وقايست بين قوله انه لقول رسول كريم

ذي قوة

ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين وبين قوله وما صاحبكم
بمجنون وقد اجيب عن ذلك بانه انما ورد ردا على كفار قريش في
قولهم محمد صلى الله عليه وسلم بمجنون وان القران من القا الشياطين
اليه فاقسم تعالى بالخنس وما بعدها انه لقول رسول كريم ووصفه
بما وصفه مبالغة في انه ليس بقول شيطان وما صاحبكم بمجنون
كما زعمتم وانما وقعت المبالغة في صفات جبريل عليه السلام دون
النبي صلى الله عليه وسلم لعلمهم بصفاته لكونه قريبا منهم دون صفات جبريل
ولقد اللام وقعت في جواب قسم اي والله لقد **راه** الضمير
المرفوع راجع الى محمد صلى الله عليه وسلم واما المنصوب فقيل الى رب
العزة عز وجل وهذا معنى قوله **قيل راى** اي محمد صلى الله عليه وسلم
ربه بالافق المبين اي بمطلع الشمس من قبل المشرق وقيل الافق
المبين اقطار السموات ونواحيها قال الشاعر

من الطويل

اخذنا بافاق السماء عليكم لنا قمراها والنجوم الطوالع

مطلب في اختلاف السلف في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم رب العزة جل وعلا

وقد اختلف السلف في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل فانكرها
عائشة وابن مسعود رضي الله عنهما واختلف النقل عن ابي ذر وذهب
جماعة الى اثباتها وكان الحسن يحلف بالله عز وجل ان محمدا صلى الله
عليه وسلم راى ربه عز وجل وكان عروة بن الزبير يرى اثباتها ويشتد
عليه انكار عائشة رضي الله عنها لها وباثباتها قال سائر اصحاب
ابن عباس رضي الله عنهما وجزم به كعب الاحبار والزهري وصاحبه

معمر وقال به اخرون وهو قول الاشعري واتباعهم ثم اختلفوا هل راه
بعينه او بقلبه وعن احمد بن حنبل رضي الله عنه كالقولين قال الحافظ
الشهاب احمد بن حجر العسقلاني جاءت عن ابن عباس رضي الله عنهما
اخبار مطلقة واخرى مقيدة فيجب حمل مطلقها على مقيدها فمن ذلك ما
اخرجه النسائي باسناد صحيح وصححه الحاكم ايضا من طريق عكرمة عن
ابن عباس رضي الله عنهما قال اتعجبون ان تكون الخلة لابرهيم والكلام
لموسى والروية لمحمد صلى الله عليه وسلم واخرج ابن اسحق ان ابن عمر رضي الله
عنهما ارسل الى ابن عباس هل راى محمد صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل
فارسل اليه ان نعم ومنها ما اخرجه مسلم من طريق ابي العالية عن
ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل ما كذب الفواد ما راى ولقد
راه نزلة اخرى قال راى ربه عز وجل بفواده مرتين ولمسلم من طريق
عطا عن ابن عباس قال راه بقلبه واصرح من ذلك ما اخرجه
ابن مردويه من طريق عطا ايضا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لم
يره رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل بعينه انما راه بقلبه
وليس المراد بروية القلب مجرد العلم بل شي زاده عليه فخلق الله
عز وجل له روية بقلبه كما يخلق الروية للعين وقد جنح ابن خزيمة
وناهيك به من امام الى اثبات الروية وانها وقعت له مرتين مرة
بالعين ومرة بالقلب ومن مثبتيها الامام احمد رضي الله عنه فقد روى
الخلال في كتاب السنة عن المروزي قال قلت لاحمد انهم يقولون ان

عائشة

عائشة رضي الله عنها قالت من زعم ان محمدا صلى الله عليه وسلم راى ربه عز
وجل فقد اعظم على الله عز وجل الفرية فباي شي تدفع قولها قال بقول
النبي صلى الله عليه وسلم رايت ربي عز وجل قول النبي صلى الله عليه وسلم اكبر من
قولها وسيأتي لهذا مزيد تحقيق في قصة الاسرا وانما قدم المصنف
هذا القول على القول الاتي وهو ان المرئي جبريل عليه السلام كانه يريد ان
ينبه على ان الاصح عنده ان المرئي في هذه الاية وفي اية النجم هو رب
العزة عز وجل فقول من قال ان كون المرئي هو رب العزة قول غريب
في الاية وانه ذكر بعض المحققين انه لم ينقل عن احد ممن يعتمد عليه
ويابى عنه كل الاباء قوله بالافق المبين فيه نظر واقول غرابته ان
كان من جهة النقل فقد صح عن ابن عباس رضي الله عنهما في سورة النجم
ان المرئي للنبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل وانه راه اما بقلبه
واما بعين راسه واما بهما فاذا قيل به هنا فاي مانع يمنع من ذلك
واما قوله بالافق المبين فلا نسلم انه يابى ذلك فانه لم يقل ان الافق
صار ظرفا له وانما رئي في ذلك المكان اي هو الرائي في ذلك المكان كما
يقال ان الله عز وجل يرى في الجنة وقيل راه اي النبي صلى الله عليه وسلم
جبريل في صورته اي له ستمائة جناح بالافق المبين اي بمطلع الشمس
وحكى الثعلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال النبي صلى الله عليه وسلم
لجبريل عليه السلام اني احب ان اراك في صورتك التي تكون فيها في
السماء قال لن تقدر على ذلك قال بلى قال فاين تشاء ان اتخيل لك

قال يا الابطح قال لا يسعني قال فيمنى قال لا يسعني قال فبعرفات قال
ذكر بالحري ان يسعني قواعده فخرج النبي صلى الله عليه وسلم للوقت فاذا
هو قوا قبل بخشخشته وكلكله من جبال عرفات قد ملا ما بين المشرق
والمغرب وراسه في السما ورجلاه في الارض فلما راه النبي صلى الله
عليه وسلم خر مغشيا عليه فتحول جبريل عليه السلام في صورته وضمه الى
صدره وقال يا محمد لا تخف فكيف ولو رايت اسرافيل عليه السلام
وراسه من تحت العرش ورجلاه في تخوم الارض السابعة وان
العرش على كاهله وانه ليتضال احيانا من مخافة الله عز وجل حتى
يصير مثل الوضع يعني العصفور حتى ما يحمل عرش ربك عز وجل الا عظمته
وما هو اي رسول الله صلى الله عليه وسلم **على الغيب** هو في الاصل مصدر
وصف به للمبالغة كالشهادة والعرب تسمي المطمئن من الارض والخمصة
التي تلي الكلية غيبا والمراد بالغيب هنا الخفي الذي لا يدركه الحس
ولا يقتضيه بداهة العقل وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو المعني
بقوله عز وجل وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه
دليل كالله عز وجل وصفاته واليوم الاخر واحواله وهو المراد هنا
ومن جملته الوحي الذي جا به صلى الله عليه وسلم **بظنين** الباء زائدة في خبر
ما النافية للتوكيد **اي متهم** اخذا من الظنة وهي التهمة وفي الحديث
لا تجوز شهادة ظنين اي متهم في دينه قال الشاعر

اما وكتاب الله لا عن شناءة ... هجرت ولكن الظنين ظنين

من الطويل من الضرب الثالث المحذوف

والقارى

والقارئ بالظا ابن كثير وابو عمرو والكسائي ومعناه متهم اسم مفعول
من ظننت فلانا اتهمته ويتعدى الى مفعول واحد اي وما محمد صلى
الله عليه وسلم على الغيب وهو وحي الله عز وجل اليه بمتهم اي لا يزيد فيه ولا
ينقص منه ولا يحرف وهو توكيد لقوله عز وجل وما ينطق عن الهوى ان
هو الا وحي يوحى **ومن قراه بالضاد فمعناه ما هو ببخيل بالدعاء به
والتذكير بحكمه وبعلمه** والقارى بذلك نافع وعاصم وحمزة وابن عامر
اي ما هو ببخيل بما ياتيه من قبل ربه عز وجل فهو اسم فاعل ضن
اي بخل وهو تحقيق قوله يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك
ورجح ابو عبيد القراءة الاولى لانهم لم يبخلوه ولكن كذبوه ولهذا
علل الجعبري اختيارها بان نفي المحقق اولى من نفي المقدر اي
فعلى قراءة ضنين بالضاد يكون قد نفى تبخيلهم اياه على تقدير
وقوعه منهم واما على قراءة ظنين بالظا فيكون قد نفى امرا وقع
منهم تحقيقا وهو اتهامهم اياه بانه اختلقه وافتراه وحاشاه
من ذلك حاشاه فان قلت حيث تحقق اتهام الكفرة اياه فما وجه
نفيه وهو قد وقع منهم قلت نزل ما وقع منهم من اتهامه بانه
كذب منزلة عدمه آتيا بالتاكيد الذي استفيد من زيادة الباء في
خبر ما النافية لان مع متهميه دلائل لو تاملوها ونظروا نظرا
صحيحا لقلع هذه التهمة من اساسها وازالها بالكلية فهو نظير
لقوله عز وجل لا ريب فيه مع كثرة المرتابين **وهذه** الصفة التي

استعيذت من قوله عز وجل وما هو على الغيب بظنين لمحمد صلى الله عليه وسلم
سوا قرى بالظا ام بالضاد باتفاق والمراد من الاتفاق اتفاق من يعتد به
من المفسرين فلا نبالي بتجويز القرطبي لان يكون مضمون قوله وما هو
على الغيب بظنين صفة لجبريل سوا قرئ بالظا ام بالضاد وقال تعالى
ن والقلم الايات اقسم الله عز وجل بما اقسم به من عظيم قسمه
فاقسم بنون فقد روى معاوية بن قرة عن ابيه يرفعه الى النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال نون لوح من نور وقيل نون الدواة وروى مالك بسنده
الى ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اول
ما خلق الله عز وجل القلم ثم خلق النون وهي الدواة وذكر قوله ن والقلم
ثم قال له اكتب قال وما اكتب قال ما كان وما هو كائن الى يوم القيمة
قال ثم ختم فم القلم فلم ينطق ولا ينطق الى يوم القيمة الحديث وقيل
نون الحوت الذي تحت الارض السابعة وهو حوت عليه الارضون
قال ابن عباس رضي الله عنهما اول ما خلق الله القلم فجرى بما هو كائن
ثم رفع بخار الماء فخلق منه السما ثم خلق النون فبسط الارض على ظهره
فمادت الارض فاثبتت بالجبال وان الجبال لتفخر على الارض ثم
قرا ابن عباس نون والقلم واسم الحوت المذكور البهموت قال الراجز
مالي اراكم كلكم سكوتا ۞ والله ربي خلق البهموتا ۞ وقيل اسمه
لوثيا وقيل لوتيا وقيل بلهوتا وقيل هو الحرف المعروف من حروف
المعجم وقيل هو اسم للسورة وجوز البيضاوي ان يراد به جنس الحوت

الحوت الذي اسمه البهموت ۞

لاحوت

لاحوت مخصوص وهو البهموت وجعل ارادة البهموت وجها اخر فان
قلت كيف اطلق النون على الدواة وهل ذلك حقيقة او مجاز قلت
المنقول في القاموس ان نون يطلق على الدواة وانت خبير بان صاحب
القاموس لا يتقيد بذكر المعاني الحقيقية لكن الذي فهمناه من
كلام البيضاوي انه مجاز قال فان بعض الحيتان يستخرج منه ما
يستخرج من الدواة ثم توسع فيه فجعل اسما لمطلق الحوت ثم ان قوله
عز وجل ن بالسكون على الوقف وقرى بالكسر والفتح لالتقاء
الساكنين ويجوز ان يكون الفتح باضمار حرف القسم نحو الله لافعلن
بنصب الله ويجوز ان يكون منصوبا باضمار اذكر وهو ممنوع
من الصرف للتانيث والعلمية على انه علم للسورة ثم ان الله عز وجل
اقسم بالقلم فان كان ن مقسما به كانت الواو عاطفة وان لم يكن ن
مقسما به كانت الواو في والقلم للقسم واقسم بالقلم لما فيه من البيان
كاللسان وهو واقع على كل قلم مما يكتب به من في السما ومن في
الارض ولله در ابي الفتح البستي حيث قال

شي اشد سوادا من النقس يكتب به فقضيته انه سمي ذلك الحوت بالدواة لانه يستخرج منه صح

اذا اقسم الابطال يوما بسيفهم ... وعدوه مما يكسب المجد والكرم
كفى قلم الكتاب عزا ورفعة ... مدى الدهر ان الله اقسم بالقلم

من الطويل

ولو لم يكن للقلم الذي في ايدي الناس مزية سوى انه الة لتحرير
كتب الله عز وجل لكفى به فضلا موجبا لتعظيمه قال ابن عباس
رضي الله عنهما هو اقسم بالقلم الذي خلقه الله عز وجل فامره فجرى

بكتابة جميع ما هو كائن الى يوم القيمة قال وهو قلم من نور طوله كما بين
السما والارض ويقال خلق الله عز وجل القلم ثم نظر اليه فانشق نصفين
فقال له الله عز وجل قال لا اجر فقال يا رب بم اجري فقال بما هو
كائن الى يوم القيمة فجرى على اللوح المحفوظ وقال بعض علمائنا الاقلام
ثلاثة الاول القلم الذي خلقه الله عز وجل بيده وامره ان يكتب
الثاني قلم الملائكة جعله الله عز وجل بايديهم يكتبون به المقادير
والكوائن والاعمال ولعل هذه الاقلام هي المرادة من قوله صلى الله
عليه وسلم ثم ارتقيت الى منتهى اسمع فيه صريف الاقلام وكانها كتابة
الملائكة عليهم السلام الثالث اقلام الناس جعلها الله عز وجل بايديهم
يكتبون بها كلامهم ويصلون بها مآربهم ثم اقسم بما يسطرون
والضمير المرفوع للملائكة الذين يكتبون اعمال بني ادم وقيل للناس اي
وما يكتبونه ويتفاهمونه ومعنى يسطرون يكتبون وقيل يعملون قال
الهروي في الغريبين وما يسطرون اي وما يكتبون ويقال سطر وسطر
اي بسكون الطاء وفتحها فمن قال سطر بالتخفيف فجمعه اسطر
وسطور ومن قال سطر بالفتح فجمعه اسطار وجوز البيضاوي
ان يرجع الضمير من يكتبون الى القلم الذي خط اللوح المحفوظ وجمعه
تعظيما له وان يعود الى القلم بالمعنى الذي يخط به الناس وجمعه على
ارادة الجنس واسناد الفعل الى الالة وعبر عنه بضمير من يعقل اجراء
له مجرى اولي العلم لاقامته مقامهم ويجوز عود الضمير الى الحفظة الذين

يكتبون

انظر [illegible] الاقلام ثلاثة

[illegible]

يكتبون الاعمال على تنزيه المصطفى مما غمصته الكفرة به اي احتقرته
ومنه قول عمر رضي الله عنه لقبيصة اتقتل الصيد وتغمص الفتيا
اي تحتقرها وتستهين بها وقول بريرة رضي الله عنها في حديث
الافك ان رايت منها امرا اغمصه عليها اي اعيبها به واطعن به
عليها وكان المشركون يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم انه مجنون به
شيطان وهو قولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون وتكذيبهم
له عطف على ما في قوله مما غمصته الكفرة به فان قلت تكذيبهم اياه امر
قد وقع منهم فما معنى التنزيه عنه قلت قبل الاية افادت معنى ما
انت بمجنون بسبب ان الله عز وجل انعم عليك بكمال العقل والمعرفة
فافادت تنزيهه عن الكذب فافادت انهم كاذبون في تكذيبهم اياه
اذ هو تكذيب لم يطابق الواقع وافهمت ان تكذيبهم اياه كلا
تكذيب اذ التكذيب المعتبر به ما كان مطابقا للواقع وصار كان
الله عز وجل يقول ما انت بمكذب من قبلهم ومن جانبهم على طريقة
وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى واقول قوله بنعمة ربك هذه
الاضافة للعهد اي بنعمة الله عليك المعهودة وهي النبوة والرياسة
العامة لا سيما وقد انضم الى ذلك انه اخذ المنعم بعنوان الربوبية
لانه رباه شيا فشيا حتى بلغه الى معارج الكمال واضاف وصف
الربوبية الى ضمير يرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم لتشريفه صلى الله عليه
وسلم وللايذان بانه يتم نعمته عليه ويبلغه من العلو الى غاية لا غاية

وراءها وكان هذه النعمة معهودة عندهم وهم يسلمونها بدليل قوله عز وجل
فانهم لا يكذبونك فكانوا جازمين بانه صلى الله عليه وسلم في غاية الغايات
الفاضلة ونهاية النهايات الناشئة من حصانة العقل ورزانة
الراي فقد اشعرت الاية بان تكذيبهم اياه لم يكن ليجتمع مع اعترافهم
بان الله عز وجل انعم عليه بنعم لا حصر لها من كمالات النفس وطهارة
الاخلاق وحسن السيرة فلم يرد تكذيبهم اياه الا بجحة كانه يقول كيف
يكون منعما عليه بهذه النعم والكذب من اخبث الافعال وشر الكذب
الكذب على الله عز وجل وانتم تنسبونه اليه بل العجب انكم تبرئون
ساحته من الكذب على الناس ومع ذلك تعزونه اليه الكذب على الله مع
انه غارق في نعم الله عز وجل والنسه اي ازال ما عنده من الوحشة الناشئة
مما رماه به قومه وبسط امله اي وسع الله سبحانه رجاء نبيه صلى الله
عليه وسلم فيه حيث اثنى عنه وعد له نعمته عليه واضاف نفسه الكريمة
بعنوان وصف الربوبية اليه وانت خبير بان ذلك كله مما يوجب
توسيع الامل في جناب الله عز وجل وبسط الرجاء فيه بقوله عز وجل
محسنا خطابه اي مخاطبا اياه بخطاب حسنه اي جعله حسنا ويجوز تخفيف
السين اي محسنا خطابه ما انت بنعمة ربك بمجنون في الكشاف
ان قلت بم يتعلق الباء في بنعمة ربك وما محله قلت يتعلق بمجنون منفيا
كما يتعلق بعاقل مثبتا كقولك انت بنعمة ربك عاقل مستويا في ذلك
الاثبات والنفي استواءهما في قولك ضرب زيد عمرا وما ضرب زيد عمرا

بعمل

يعمل الفعل مثبتا ومنفيا اعمالا واحدا ومحله النصب على الحال كانه
قيل ما انت بمجنون منعما عليك بذلك ولم يمنع الباء ان يعمل مجنون فيما
قبله لانها زائدة لتاكيد النفي انتهى واقول فعلى هذا صاحب الحال
الضمير المستكن في مجنون والعامل في الحال مجنون قال البيضاوي وفيه
نظر من حيث المعنى واقول وجه النظر ان النفي اذا تسلط على محكوم به
له معمول ففيه وجهان احدهما نفي ذلك المعمول فقط نحو ما زيد بقائم مسرعا
المراد نفي الاسراع لا نفي القيام فيجوز ان يكون قد قام غير مسرع والثاني نفي
المحكوم به فينتفي معموله بانتفائه كما اذا اريد في هذا المثال نفي القيام
فينتفي الاسراع لان الاسراع تابع للقيام فاذا جعل هنا بنعمة ربك
معمولا لمجنون لزم احد الامرين اما نفي الجنون فينتفي النعمة واما نفي
النعمة وايضا يلزم منه نفي الجنون عنه مقيدا بكونه منعما عليه والمراد
نفي الجنون عنه مطلقا والجواب عن ذلك ان المتبادر من مثل هذا
التركيب نفي المحكوم به في هذا الحال ولا يلزم منه نفي تلك الحال في غير
وجود المحكوم به فاذا قلت ما زيد بقائم ضاحكا كان المتبادر منه
نفي القيام في هذه الحال ولا يلزم منه نفي تلك الحال في غير القيام الا ان
يكون المحكوم به لازما لتلك الحالة فيلزم من نفيه نفيها فقوله والثاني
نفي المحكوم به فينتفي معموله بانتفائه غير مسلم الا حيث الملازمة كما
ذكرنا والمجنون هنا غير لازم لحالة النعمة وتمثيله بما قام زيد مسرعا
غير مطابق لان القيام لازم للاسراع فلهذا لزم من نفيه نفي الاسراع

لانه يلزم من نفي الاعم نفي الاخص غاية ما في الباب لا يلزم من نفي الجنون في
حال النعمة نفيه في غيرها بل المفهوم يقتضي ثبوته في غيرها ونحن نقول
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تفارقه حالة النعمة فان قلت اذا فسرت
النعمة بالنبوة قلت والاخرى ايضا لم تفارقه اما بالفعل واما بالقابلية
فلزم من ذلك نفي الجنون مطلقا ثم ان ابا السعود مفتي السلطنة قال
ان الباء في قوله بنعمة ربك متعلقة بمضمر هو حال من الضمير في خبر ما
والعامل فيها معنى النفي كانه قيل انت بريء من الجنون متلبسا بنعمة
الله عز وجل وقد جعلها حالا من الضمير المستكن في مجنون وجعل العامل فيه
معنى النفي لامرين الاول انصباب النفي اليه فيلزم ان ينفى عنه الجنون
في وقت تلبسه بنعمة الله فيثبت في غير هذه الحالة والمراد نفيه
عنه مطلقا وقد قررنا الجواب عنه الثاني ان تقدم الحال على عاملها
خلاف الاصل وان كان عاملها مجرورا بحرف جر زائد لان حرف الجر
الزائد لا يمنع ان يعمل ما بعده فيما قبله لكن وقع منه انه جعل العامل في
الحال غير العامل في صاحبها لانه جعل صاحب الحال الضمير في مجنون الذي
هو خبر ما والعامل في الضمير مجنون وجعل العامل في الحال معنى النفي
وهذا امر منع منه اكثر النحاة نعم اجازه ابن مالك فكانه تبعه والتعهم
بابن مالك متبعا على ان ظاهر كلام سيبويه يؤدي الى ذلك فمن منع شبهه
الحال مع صاحبها بالصفة والموصوف ومن اجاز شبهها بالمميز والمميز
فكما ان عاملهما قد يتحد وقد يختلف كذلك الحال مع صاحبها في اختلافها

قوله

قوله انه هذا زيد منطلقا وصاحب الحال زيد والعامل فيه ان والعامل
في الحال اسم الاشارة ومنه ان هذه امتكم امة واحدة ومن اختلافهما قول الشاعر
هابيناذا صريح النصح فاصغ له وطع فطاعة مهد نصيحه رشد

من البسيط

وجوز القرطبي ان تكون النعمة ههنا قسما وتقديره ما انت ونعمة ربك
بمجنون وقيل هو كما تقول ما انت بمجنون والحمد لله وقيل معناه
ما انت بمجنون والنعمة لربك عز وجل كقولهم سبحانك اللهم وبحمدك
وهذه نهاية المبرة في المخاطبة واعلى درجات الاداب في المحاورة في الصحاح
المحاورة المجاوبة والتحاور التجاوب وتقول كلمته فما احار الي جوابا وما رجع
الي حويرا ولا حويرة ولا محورة ولا حوارا اي ما رد جوابا وانما كان ذلك
نهاية في المبرة لامور الاول انه تعالى اقسم على تنزيهه عما رماه به
حساده باقسامات عظيمة اعتناء بشانه صلى الله عليه وسلم الثاني
انه لم يكتف في المقسم عليه بمجرد الرد عليهم وتنزيه ساحته من
الجنون فان مجرد سلب الجنون عنه لا يعد مدحا تاما بالنسبة
الى مقامه الشريف فضم اليه ما يدل على الكمالات العظيمة الثالث
انه جعل ذلك حاصلا بنعمة ربه عز وجل وانه ليس هذا الفضل بيده ولا
بيد احد من خلق الله عز وجل بل هو بفضل من الله عز وجل الرابع انه
اضاف النعمة الى ذاته اخذا لها بعنوان التربية بمعنى انا ربيته حتى
اوصلته الى هذه الرتبة الخامس انه اضاف الرب اليه اي الى النبي
صلى الله عليه وسلم تشريفا له وتكريما فكانه يقول من كنت انا ربه فمن يقدر

اي م

علي ان يتسلط عليه من المخلوقات من الجن وغيرهم السادس انه قدم
الدليل على التنزيه حتى لا يبقى لنفوس الغافلين شبهة ولا العقول
القاصرين ريبة ثم اعلمه اي اعلم الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم
بماله عنده من نعيم دائم وثواب الثواب والمثوبة ماجوزي به
الانسان على فعله من خير او شر يقال ثاب يثوب اذا رجع فالثواب
هو ما يرجع على المحسن من احسانه وعلى المسيء من اساءته غير منقطع
لا ناحده عدد ولا يمتن به عليه اما كون اجره الذي له نعيما فلائق بمقابلة
ما قاساه من انواع الشدائد كنسبته الى الكذب تارة والى الجنون
اخرى وصبره على ذلك وتحمله لاعباء تبليغ الرسالة لقوم هم معرسون
في ارض الشرك بالله تعالى وتقدس واما كونه دائما فقد استفيد
من قوله غير ممنون فان معناه غير مقطوع ومنه قولهم حبل منين
اي مقطوع ويقال مننت الحبل اي قطعته وقال الشاعر
عبسا كواسب لا يمن طعامها اي لا يقطع واما كونه لا ناحده
عدد فقد استفيد من كونه غير ممنون لان الذي يا حده العدد
ينقطع واما كونه لا يمتن به عليه فقد استفيد من قوله غير ممنون ايضا
لكن بنا على تفسير غير ممنون بانه غير ممنون بذلك الاجر عليك قال
الطيبي لانه من شان الاكارم ان لا يمنوا واقول لا ينبغي التعليل
بذلك لان المن الذي هو تعداد المعطي ما اعطى على المعطى قبيح من
العبد حسن من الله عز وجل لانه المنعم الحقيقي وقد اشار البيضاوي
الى

مصراع من الكامل

الى توضيح هذا المعنى فقال اي غير ممنون عليك من الناس فانه تعالى
يعطيك بلا توسط اي ولو اعطاك الاجر بواسطة لمن عليك ذلك
الواسطة وراى نفسه منعما عليك فان قلت كيف استفادة كونه
غير منقطع دائما وكونه لا يمتن به عليه من قوله غير ممنون وهو قد فسر
باحد هذين التفسيرين على سبيل منع الجمع اي اما ان يكون معناه
غير مقطوع واما ان يكون معناه لا يمتن به عليه لكونه بلا توسط فلا
يراد جميع هذه الصفات من قوله غير ممنون بل اما ان يراد هذا
واما ان يراد ذاك قلت يجوز ان يراد جميع معانيه من متكلم واحد في وقت واحد كقولك
عندي عين وتريد بها الباصرة والجارية معا ويمكن ان يراد بقوله
غير ممنون اي غير منقوص ولا شك الاجر الذي ينقطع ناقص بالنسبة
الى الذي لا ينقطع وكذلك الاجر الممتن به ناقص بالنسبة الى الذي
لا تكدره شوائب المنة والمنقوص له افراد منها المنقطع ومنها
الممتن به فلا يلزم استعمال المشترك اللفظي في كلا معنييه
وانما وضع لقدر مشترك هو كلي وله فردان بل افراد فان قلت
حكمت على المصنف بانه استعمل المشترك في كلا معنييه وهو
مالكي فهل يقول بذلك من يكون مالكيا قلت القول باطلاق المشترك
على كل معانيه وارادتها جميعا منه هو الصحيح وقد رأينا ابن الحاجب
جعل اطلاقه وارادة معانيه كلها حقيقة وابن الحاجب مالكي
معتقد وافق الشافعية في ذلك تعالى وان لك لاجرا غير ممنون وقد

هذا قلت يجوز ان يراد جميع
بنا على استعمال المشترك في
معانيه التي وضع لها
يراد

اشير في هذه الاية الى امور كلها تنبئ عن تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم الاول
اشتمالها على اربع تاكيدات اسمية وان ولام الابتدا والقسم لانه الجملة ح
معطوف على جواب القسم وذلك لزيادة انكار السامع فلم يكتف
في رد انكاره بموكد ولا بموكدين ويجوز ان يكون التاكيدات لزيادة
الاعتنا بهذا الخبر او لزيادة تقريره ويمكن جعل كل تاكيد لفائدة
فاثنان للانكار وزيادته واثنان للاهتمام والتقرير الثاني تنكيره
اجرا فانه للتعظيم اي لاجرا لا يغادر قدره ولا تصل الافهام الى غايته
ولا العقول الى مقداره الثالث تقديم خبر ان على اسمها فيفيد
الحصر هنا اي ان ذلك الاجر ليس الا لك يا محمد لا يشاركك فيه مشارك
ولعله الوسيلة التي هي درجة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله
وان ذلك العبد هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اثنى عليه اي مدحه
وذكره بخير بما منحه اي اعطاه من هباته وهي العطية التي ليست
في مقابلة شي وهداه اليه واكد ذلك تتميما للتمجيد الحرفي التاكيد
وهاان ولام الابتدا ولما كانت لام الابتدا مفيدة للتاكيد زحلقوها
من الصدر في خبران حتى لا يجتمع في محل واحد اداتا تاكيد وقد انضم
اليها في افادة التاكيد اسمية الجملة ووقوع هذه الجملة في جواب
القسم لانها ايضا معطوفة على جواب القسم فكان القسم داخلا
عليها وكان مقسما من الله عز وجل عليها كانه سبحانه اقسم على
الجملتين المقسم عليهما فقال وانك لعلى خلق عظيم في النهاية الاثيرية الخلق بضم
اللام

اللام وسكونها الدين والطبع والسجية وحقيقته انه لصورة الانسان
الباطنة وهي نفسه واوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق بفتح
الخا لصورته الظاهرة واوصافها ومعانيها المختصة ولهما اوصاف حسنة
وقبيحة والثواب والعقاب يتعلقان باوصاف الصورة الباطنة
اكثر مما يتعلقان باوصاف الصورة الظاهرة ولهذا جاءت الاحاديث
صريحة في مدح حسن الخلق كقوله صلى الله عليه وسلم اكثر ما يدخل الناس
الجنة تقوى الله عز وجل وحسن الخلق فان قلت حسن الخلق غريزة
ام مكتسب قلت قيل غريزة واستدل قائله لحديث ابن مسعود ان
الله عز وجل قسم بينكم اخلاقكم كما قسم ارزاقكم وقد يكتسب وقد كان
النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اللهم حسن خلقي كما حسنت خلقي
اخرجه احمد بن حنبل رضي الله عنه وصححه ابن حبان وفي مسلم في حديث
دعاء الافتتاح واهدني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا انت
وانما قال لعلى اتيا بحرف الاستعلاء للاشارة الى انه صلى الله عليه
وسلم مستعل على هذه الاخلاق غالب عليها بحيث انها تطيعه قاله
الحليمي وانما وصف خلقه بانه عظيم مع ان الغالب وصف الخلق
بالكريم لان كرم الخلق يراد به السماحة والدماثة ولم يكن خلقه
صلى الله عليه وسلم مقصورا على ذلك بل كان صلى الله عليه وسلم رحيما
بالمومنين رفيقا بهم شديدا على الكفار غليظا عليهم مهيبا في
صدور الاعداء منصورا بالرعب منهم على مسيرة شهر فكان وصف

خلقه بالعظم اولى ليشمل الانعام والانتقام قال الجنيد وانما كان خلقه
صلى الله عليه وسلم عظيما لانه لم تكن له همة سوى الله عز وجل وقيل لانه صلى الله
عليه وسلم عاشر الخلق بخلقه وباينهم بقلبه قال سهل تادب باداب القران
فلم يتجاوز حده وهو قوله عز وجل ان الله يامر بالعدل والاحسان قال
الواسطي وانك لعلى خلق عظيم قال لانه جاد بالكونين عوضا عن
الحق وقال الواسطي الخلق العظيم ان لا يخاصم ولا يخاصم من شدة
معرفته بربه عز وجل في ليلة المسرى وقال الحسين بن منصور
الحلاج لانك تنظر الاشياء بشاهد الحق والا تنظر اليها بشاهدك
فان من نظر الى الاشياء بشاهده هلك وقال الواسطي انك يا
محمد قبلت فنون ما اسديت اليك من نعمتي احسن مما قبله
غيرك من الانبياء والرسل عليهم السلام لاني جبلتك على خلق عظيم
وقال الحسين بن منصور الحلاج صغر الاكوان في عينك بعد مشاهدة
مكونها قيل القران اي قيل في تفسير خلقه العظيم الذي هو صلى الله عليه وسلم
عليه انه القران وهذا تفسير صدر من ام المومنين عائشة رضي الله عنها
فانها سئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت مبينة لخلقه
الموصوف بانه عظيم كان خلقه القران قال قتادة هو ما كان يأتمر به
من امر الله عز وجل وينتهي عما نهى الله عز وجل عنه لكن قال عارف
وقته الشيخ شهاب الدين السهروردي في كتابه عوارف المعارف
وفي قول عائشة رضي الله عنها كان خلقه القران سر كبير وعلم غامض

مانطقت

مانطقت بذلك الا بما خصها الله عز وجل به من بركات الوحي السماوي وصحبة
النبي صلى الله عليه وسلم وتخصيصه اياها بكلمة خذوا شطر دينكم من هذه الحميراء
وانا اقول لو ان الشيخ شهاب الدين استدل على ذلك بتخصيص النبي
صلى الله عليه وسلم اياها بقوله ما اتاني الوحي في لحاف امراة الا في لحاف
عائشة رضي الله عنها لكان اولى فانها خاصة عظيمة كما لا يخفى وذلك
ان النفوس مجبولة على غرائز وطبايع وهي من لوازمها وضروراتها خلقت
من تراب الى ان قال ولا يبعد والله اعلم ان قول عائشة رضوان الله
عز وجل عنها خلقه القران فيه رمز غامض وايما خفي الى الاخلاق الربانية
فاحتشمت الحضرة الالهية ان تقول كان متخلقا باخلاق الله عز وجل
فعبرت عن المعنى بقولها كان خلقه القران استحياء من سبحات
الجلال وسترا للحال بلطف المقال وهذا من وفور علمها وكمال ادبها
وبين قوله عز وجل ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم
وبين قوله عز وجل وانك لعلى خلق عظيم مناسبة مشعرة بقول
عائشة رضي الله عنها كان خلقه القران وقال الواسطي الخلق العظيم
ان لا يخاصم ولا يخاصم وقيل الخلق العظيم لباس النعوت والتخلق
باخلاق الله عز وجل اذ لم يبق الاعواض عنده خطر وقال بعضهم في قوله تعالى
ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين اثم لانه حيث قال
وانك لعلى خلق عظيم احضر واذا احضر اغفله وحجبه فقوله لاخذنا
اثم لان فيه فنا قال وفي قول هذا القائل نظر فهلا قال ان كان في ذلك فنا

فني قوله وانك ابقا وبقا بعد الفنا والبقا اتم من الفنا وهذا اليق
بمنصب الرسالة لان الفنا ان الفنا انما عز لمزاحمة وجود
مذموم فاذا نزع المذموم من الوجود وتبدلت النعوت اي عزة تبقى
في الفنا فيكون حضوره بالله عز وجل لا بنفسه فاي حجبه يبقى
هناك وقال ابن عطا الخلق العظيم ان لا يكون له اختيار
ويكون تحت الحكم مع فنا النفس وفنا المالوفات وقال ابو سعيد
القرشي العظيم هو الله ومن اخلاقه الجود والكرم والصفح والعفو
والاحسان الا ترى الى قوله صلى الله عليه وسلم ان لله عز وجل مائة
وبضعة عشر خلقا من اتى بواحد منها دخل الجنة فتخلق صلى الله
عليه وسلم باخلاق الله عز وجل فوجد الثنا عليه بقوله وانك لعلى خلق
عظيم **وقيل الاسلام وقيل الطبع الكريم** في القاموس الطبع والطبيعة
والطباع ككتاب السجية جبل عليها الانسان او الطباع ما ركب
فينا من المطعم والمشرب وغير ذلك من الاخلاق التي لا تزايلنا
واما الجبلة ففي القاموس هي الخلقة والطبيعة وفيه الخيم
بالكسر السجية والطبيعة **وقيل** معنى قوله عز وجل وانك لعلى خلق
عظيم **ليس لك همة الا الله عز وجل وقال الواسطي** هو ابو بكر محمد
ابن موسى الواسطي اصله من فرغانة وكان يعرف بابن الفرغاني من
قدماء اصحاب الجنيد والنوري وهو من علماء مشايخ القوم لم يتكلم احد
في اصول التصوف مثل كلامه وكان عالما باصول الدين والعلوم الظاهرة

ترجمة الواسطي

ودخل

ودخل خراسان واستوطن كورة مرو ومات بها بعد العشرين
وثلثمائة وكلامه موجود بين الخراسانيين وليس بالعراق منه شي
لانه خرج منها وهو شاب ومشايخهم بها احيا فتكلم بخراسان
في ابيورد ومرو واكثر كلامه بمرو وهو القايل اذا اراد الله عز وجل
هوان عبد القاه الى هولاء الانتان والجيف يريد به صحبة
الاحداث نقل عنه بعضهم في تفسير هذه الاية اعني قوله وانك لعلى
خلق عظيم قال لان النبي صلى الله عليه وسلم جاد بالكونين واكتفى بالله
عز وجل وتقدم انا نقلنا عنه انه قال الخلق العظيم ان لا تخاصم
ولا تخاصم وله في طريق القوم كلمات مفيدة مذكورة في طبقات
الاوليا **اثنى الله عز وجل عليه** اي على نبيه صلى الله عليه وسلم **لحسن قبوله**
لما اسداه اليه من نعمه في النهاية اسدى واولى واعطى يقال اسديت
اليك معروفا اسدي اسداء **وفضله** اي الله عز وجل **بذلك** اي لحسن
القبول لما انعم عليه **على غيره لانه تعالى جبله على ذلك الخلق** اي على حسن
قبوله لما اسداه اليه اي ان الله عز وجل جعل ذات محمد صلى الله عليه وسلم
اقتضت ان يسدى اليه كل ما انعم به عليه لان قضا الله عز وجل الازلي
الاشيا بان يجعل الاشيا باستعداداتها الجزئية تقتضي ان
يحكم الحق عليها بما هي مستعدة له وقابلة له وجعل الاشياء
مستعدة لقبول القضا عليها على قدر استعدادها يسمى بسر القدر
فما اعطى الله عز وجل نفسا ايمانا ولا كفرا ولا انقيادا ولا عصيانا

يطلب

الا لان خلق عليه اذ لا يعطيهم الا ما طلبوا باستعداداتهم فما قدر عليهم
الكفر والعصيان من نفسه بل بما اقتضا اعيانهم ذلك وطلبهم بلسان
استعداداتهم ان يجعلهم كافرا وعاصيا كما طلب عين الحمار صورته
وعين الكلب صورته والحكم عليه بالنجاسة العينية ايضا بمقتضى
ذاتهم فرسول الله صلى الله عليه وسلم جعل ذاته ذات حوطة عظيمة
متسعة لقبول كل الكمالات اللائقة بالمخلوقين وهذا معنى كونه على
خلق عظيم ثم جاد عليه بما ذاته قابلة له فكان قبول ذاته لذلك من جوده
وما اسداه اليه بمقتضى استعداده له من جوده **فسبحان** اصل
التسبيح التنزيه والتقديس والتبريه من النقائص ثم استعمل في
مواضع تقرب منه اتساعا فمعنى سبحان الله في الاصل ابرئ الله عز
وجل من السوء براءة فمعنى التسبيح هنا التعجب من صنعه سبحانه
واصله ان يذكر عند كل متعجب منه تنزيها لله عز وجل من ان يصعب
عليه مثله ثم كثر فاستعمل لكل متعجب **اللطيف الكريم المحسن**
الجواد الحميد اثنى على الله بهذه الاسماء اما اللطيف فمعناه هو الذي
يلطف بعباده من حيث لا يعلمون ولا يحتسبون وقيل هو العالم
بالخفيات فعلى الاول يرجع الى الفعل وعلى الثاني الى العلم واما الكريم
فمعناه ذو الجود وقيل المقتدر على الجود ومرجع التفسيرين الى الفعل
والقدرة وقيل معناه العلي المرتبة ومنه كرائم المواشي لنفاستها
فيرجع الى صفة اضافية وقيل الذي يغفر الذنوب واما المحسن

فمعناه

فمعناه الذي احسن كل شيء حكما واحسن كل شيء تدبيرا وخلقا واما
الجواد بتخفيف الواو فهو الكثير الجود واما الحميد فهو المحمود فهي
صفة اضافية **الذي يسر للخير** معمول يسر محذوف والتقدير يسر من
احب للخير **وهوى اليه ثم اثنى على فاعله وجازاه عليه** ينبغي ان من
كرم الله عز وجل انه يسر صالحي عباده للخير فصدرت منهم علوم واخلاق
هي محض خير وما هي الا بتوفيق الله عز وجل بل بمحض خلقه وايجاده
فانه سبحانه خلق العبد وافعاله لا دخل فيها للعبد سوى انه كاسب
لها وانها وجدت بقدرة الله عز وجل اختراعا وبقدرة العبد على وجه
اخر من التعلق يعبر عنه بالاكتساب فما وجد من العبد من طاعة
او غيرها باعتبار نسبتها الى قدرته يسمى كسبا له وباعتبار نسبتها الى
قدرة الله عز وجل فهي خلق له فهي خلق الرب ووصف العبد هذا
مذهب اهل الحق في ذلك ومع كونها بايجاد الله عز وجل يمدح العبد على
فعلها ويثني عليه بها ويجازيه عليها ويعجبني في ذلك قول ابن عطاء الله
الاسكندري في حكمه لا تطلب عوضا على عمل لست له فاعلا يكفي من
الجزاء على العمل ان جعلك له قابلا اذا اراد ان يظهر فضله عليك خلق فيك
ونسب اليك انتهى فاذا اراد الله عز وجل ان يظهر جوده عليك خلق
الطاعة فيك وحلاك بها ونسبها اليك وقال لك يا عبدي انت مطيع
ومتق ومجتهد وعامل وساثيبك على ذلك فاذا شهد العبد هذا
الفضل العظيم واستولى عليه الخجل والحيا من سيده الكريم وانطلق

مبحث الادب في نسبة الافعال الى العبد

لسانه في هذه الحال بالدعا والسوال وقال يارب كما تفضلت علي بخلق
الطاعة في وحليتني بها ووصفتني بصفات حميدة انا خلي عنها في
الحقيقة ووعدتني مع ذلك جزيل الثواب عليها والنجاة من العقاب
فتقبل مني عملي وانجز لي ما وعدتني كان ذلك العبد مصيبا والا فلا
فحق العبد ان لا ينسب لنفسه شيا من محامد الصفات ومحاسن
الاعمال اذ لا اهلية فيه لذلك واما ضد هذه الصفات والاعمال ومساويها
فمقتضى الادب ان يضيف ذلك لنفسه وان يعترف بان ذلك من
ظلمه وجهله قال سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه اذا عمل العبد
حسنة وقال انت يارب بفضلك استعملت وانت اعنت وانت
سهلت شكر الله عز وجل ذلك له وقال له يا عبدي بل انت اطعت
وانت تقربت واذا نظر الى نفسه وقال انا عملت وانا اطعت وانا
تقربت اعرض الله عز وجل عنه وقال يا عبدي انا وفقت وانا اعنت
وانا سهلت واذا عمل سيئة وقال يارب انت قدرت وانت
قضيت وانت حكمت غضب المولى جل وعز عليه وقال يا عبدي بل
انت اسات وانت جهلت وانت عصيت واذا قال يارب انا
ظلمت وانا اسات وانا جهلت اقبل المولى عليه جلت قدرته وقال
يا عبدي انا قضيت وانا قدرت وقد غفرت وقد حلمت وقد سترت
سبحانه ما اغمرها تعجبية اي اكثرها ماخوذ من الغمر وهو الماء الكثير
الذي يغمر من دخله ويغطيه **نواله** اي عطاءه **واوسع افضاله** مصدر افضل

عليه

عليه اي تطول عليه كتفضل عليه **ثم سلام** اي سلام الله عز وجل نبيه صلى الله عليه
وسلم **عن قولهم** اي جزاه عن قولهم **هذا** بهذه التسلية **بعد هذا** اي بعد
ان مدحه الله عز وجل وكفى به مادحا وكفى بهذه المدحة مدحة وبعد ان
برا ساحته مما عزاه اليه اعداوه **بما وعد** متعلق بسلام **به من عقباهم**
العقبى الجزا اي بجزائهم على ما وقع منهم **وتوعدهم بقوله فستبصر**
ويبصرون اي فستعلم ويعلمون يوم القيمة حيث يتبين الحق من الباطل
وقيل فستبصر ويبصرون في الدنيا بظهور عاقبة امركم لغلبة الاسلام
واستيلائك عليهم بالقتل والنهب وصيرورتك مهيبا معظما في
قلوب العالمين وكونهم اذلة صاغرين وقيل ان هذا وعيد بعذاب
يوم بدر فالبصر هنا بمعنى العلم ومنه فبصرك اليوم حديد اي علمك وليس
هذا من بصر العين ومنه قوله عز وجل بصرت بما لم يبصروا به اي علمت بما لم
يعلموا به **الثلاث الايات** منصوب بفعل محذوف اي اقرا الثلاث
الايات وقد اضاف المصنف الثلاث الى الايات وهذا منقول عن
الكوفيين فانهم نقلوا جواز تعريف الاسمين في كل عدد مضاف الى
معدوده نحو الثلاثة الاثواب الى العشرة والمائة الدرهم والالف
الرجل وهو ضعيف قياسا واستعمالا وقد حكى ابو زيد ذلك عن قوم
من العرب ليسوا فصحا وهو عند البصريين ان صح محمول على زيادة ال
في الجز الاول وهو شاذ يحفظ ولا يقاس عليه والحاصل اما ان يعرف
الجزان وهو شاذ ضعيف وان نقله الكوفيون او يعرف الجز الاول

فقط نحو الثلاثة اثواب وهو اضعف من الاول لان فيه اضافة المعرفة
الى النكرة وهو لا نظير له لا في الاضافة المعنوية ولا في الاضافة اللفظية
واما اذا عرف الجزء الثاني فهو جائز لا شذوذ فيه ومنه قوله
ثلاث الاثافي والديار البلاقع ه ويقال قبضت الف الدرهم مصراع من الطويل
ولو وجد اكثر من اضافة نحو قبضت خمس مائة الف الدينار وانما
احال المصنف على الايات الثلاث لانها اشتملت على وعيد عظيم
لاولئك القوم بامور منها ان الله عز وجل اخبر بان النبي صلى الله عليه
وسلم واعداءه سيعلمون من المفتون والمفتون اسم مفعول من
الفتنة وهي في الاصل شدة الاختبار من قولك فتنت الذهب
اذا ادخلته النار لتعلم جودته من رداءته واستعمال الفتنة في قوله
عز وجل وفتناك فتونا في الاختبار مجاز لان الاختبار طلب العلم
والله عز وجل عالم بذاته اي ايكم الذي فتن بالجنون على ان الباء
مزيدة في المبتدا على سنن بحسبك درهم وجملة ايكم المفتون جوزوا
ان تكون متعلقة بما قبلها فهي في محل نصب على انها معلق عنها
العامل وجوزوا ان يكون الكلام تم عند قوله فستبصر ويبصرون
ثم انه استانف بقوله ايكم المفتون والمراد بالمفتون المجنون سمي
بذلك لانه فتن اي محن بالجنون قال في الكشاف او لان العرب
يزعمون انه من تخبيل الجن وهم الفتان الفتاك وقول العرب
مصيبون في ذلك فان الجنون ليس الا من الجن قال الازهري
يقال

يقال المجنون مفتون ومهروع ومخفوع ومعتوه وممتوه وممنه
اذا كان مجنونا ويقال له ايضا ممسوس ويقال للجنون خلاع
وللمجنون خليع وخولع ويجوز في الباء ان تكون بمعنى في وحينئذ
اما ان يكون المفتون مصدرا بمعنى الفتون كالمعقول والمجلود يقال
ليس لهذا معقول ولا مجلود اي ليس له عقل ولا جلد ويقال دعه
الى ميسوره اي الى يسره ومعناه حينئذ الفتون اي الجنون كائن
في ايكم اي في اي فريق اي محمد صلى الله عليه وسلم ام في اعدائه ويجوز ان
يكون المفتون اسم مفعول على ظاهره ويكون الباء ايضا بمعنى في
والمعنى باي الفريقين منكم المجنون افريق المؤمنين ام فريق الكافرين
اي في ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم وهذا تعريض بابي جهل بن
هشام والوليد بن المغيرة واضرابهما فهو على حد سيعلمون غدا من الكذاب
الاشر فان قلت قضية الاية ان هذا استفهام والمستفهم عنه امر
مردد بين شيئين وهو منفي عن احدهما ثابت للاخر فهو يقتضي
ان الجنون منفي عن نبينا صلى الله عليه وسلم وعن اضرابه ثابت
للكفار كابي جهل واضرابه فهل يقال ان ابا جهل واضرابه كانوا
مجانين قلت ان فسر بالذي مسه الشيطان فالشيطان لم يمس
احدا ويستولي عليه كاستيلائه ومسه لمن يكفر بالله عز وجل ورسوله
صلى الله عليه وسلم اللهم اعذنا من ذلك وان فسر بعدم العقل فالكافر
وان كان متصفا بالعقل بمعنى الوصف الذي يفارق الانسان به

سائر البهائم وهو الذي به استعد لقبول العلوم النظرية وتدبير
الصناعات الخفية الفكرية ويتصف ايضا به بمعنى انه يعلم
علوما استفادها من التجارب بمجاري الاحوال لكن عقله بخذلان
الله عز وجل اياه لم يهتد الى معرفة عواقب الامور وقمع الشهوة
الداعية الى اللذة العاجلة وقهرها وهذه ثمرة الغريزة التي جعلها
الله عز وجل في الانسان ممتازا بها عن سائر الحيوانات وهذا
العقل هو المعني بقول النبي صلى الله عليه وسلم اذا تقرب الناس بابواب
البر فتقرب انت بعقلك وقد قالوا في تفسير قوله عز وجل بعد هذه الاية
ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله اي وهم المجانين على الحقيقة وهو
اعلم بالمهتدين اي الفائزين بكمال العقل والحجى ان قوله ان ربك
الخ تعليل لما ينبئ عنه ما قبله من ظهور جنونهم بحيث لا يخفى على
احد من الناس وتاكيد لما قبله من الوعيد اي هو اعلم بمن ضل
عن سبيل الله عز وجل الذي سلوكه يؤدي الى سعادة الابد وهام في
تيه الضلال متوجها الى ما يفضي الى الشقاء الابدي وهذا هو المجنون
الذي لا يفرق بين النفع والضر بل يحسب النفع ضرا فيهجره
والضر نفعا فيرتكبه ويؤثره ثم عطف بعد مدحه على ذم عدوه وذكر
سوء خلقه وعد معايبه متوليا ذلك بفضله ومنتصرا لنبيه صلى الله
عليه وسلم فذكر الى اخره هذه المقالة ظاهرها الاشكال من حيث انه جعل
ذم عدوه معطوفا عليه مع انه معطوف لا معطوف عليه بناء على ان المراد

بذم

بذم عدوه من قوله فلا تطع المكذبين الى قوله اساطير الاولين ومن حيث
ان الفاء في قوله فلا تطع ليست عاطفة ومن حيث تسمية الايات ذما
مع ان فيها ما هو نهي وانا اقول لا اشكال في هذه العبارة فان العطف
في قوله ثم عطف ليس بمعنى العطف النحوي الذي هو التابع المخصوص
الذي يقتضي معطوفا ومعطوفا عليه واداة عطف بل المراد العطف
بالمعنى اللغوي وهو الاقبال والميل والتوجه والكر اي ثم اقبل الله
عز وجل على المتكلم بهذا الكلام اقبالا كليا شبيها بالكر على ذم عدوه
اي عدو النبي صلى الله عليه وسلم قال في الصحاح عطف عليه اي كر قال ابو وجزة
السعدي العاطفون تحين ما من عاطف * والمطعمون زمان اين المطعم *
من الكامل
ونسبة هذا الى الله عز وجل مجاز ويراد به لازمه وهو زيادة التوجه
والاعتناء ويدل على ذلك استقصاؤه لاوصاف هذا العدو الذميمة
فان قلت اما يجوز ان يكون العطف نحويا ويكون مراده ثم عطف
بعد ان مدحه على ذم اعدائه وهو ما في الايات الثلاث ذم اعدائه
الذي هو ما بعد الفاء في قوله فلا تطع اي فيكون معمول عطف الصريح
محذوفا لدلالة قوله فذكر عليه ويكون مدخول على معطوفا عليه متبوعا
والعطف نحويا قلت يابى عنه امران الاول انه سمى الايات
الثلاث بيانا لعقابهم ووعيدا لهم الثاني انه ليس المقصود من
الايات الثلاث الذم وانما يقصد بها بيان مآل امرهم والرد عليهم
حيث سموا رسول الله صلى الله عليه وسلم مجنونا واعاد نعت المجنون

عليهم وبراءة ساحة نبي الله صلى الله عليه وسلم منه فليس الذم الا ما استفيد
ما بعد قوله فلا تطع الى اخره وايضا يابى عنه ان جعل هذا العطف واقعا
بعد المدح والايات الثلاث من تتمة المدح والذم المستفاد من
الايات الثلاث ليس صريحا بل يلزم منها لزوما بعيدا واما الفاء في قوله
عز وجل فلا تطع فانها عاطفة تفيد ترتب ما بعدها على ما قبلها والمعطوف
عليه محذوف اي دم على الهداية فلا تطع الخ وقد قال بعضهم انه يفهم بعد
والمضاف اليه منوي ومدحه مفعول به لعطف والعطف على هذا الحوي
وعلى ذم عدوه بيان للمعطوف عليه فيكون قوله فلا تطع المكذبين
مشتملا على مدح للنبي صلى الله عليه وسلم ولا يخفى انه وان كان مستلزما
لمدحه صلى الله عليه وسلم باعتبار ان المراد بلا تطع دم على عدم اطاعتهم
ففيه مدح ثم ان هذا القائل ما الذي حمله على جعل المصنف اراد هذا
المدح الخفي ويترك ارادة المدح الصريح وهو قوله ما انت بنعمة ربك
بمجنون الى قوله عظيم الذي لم يمدح الله عز وجل به مخلوقا قبل محمد صلى الله
عليه وسلم ويجعل المراد بذم عدوه على هذا الوجه ما تضمنته الايات
الثلاث واي داع دعاه الى ان يجعل المصنف اراد هذا الذم ويترك
كونه اراد ذلك الذم الصريح الذي صرح فيه بذكر معايب المذموم وشفى
الغلة بذلك فالوجه ما ذكرنا ولا حاجة الى شيء من هذه التعسفات
فذكر بضع عشرة خصلة من خصال الذم فيه بقوله فلا تطع المكذبين
الى قوله اساطير الاولين البضع بالكسر وقد تفتح بابه وقال في النهاية ما بين

قوله من خصال الى الاولين ليس في نسخ الشارح اغفله سهواه

الثلاث

الثلاث الى التسع وقيل ما بين الواحد الى العشرة لانه قطعة من العدد
قال الجوهري تقول بضع سنين وبضعة عشر رجلا فاذا جاوزت
لفظ العشر لا تقول بضع وعشرون لكن هذا مخالف لما ثبت وصح من
قول النبي صلى الله عليه وسلم صلوة الجماعة تفضل صلوة الواحد ببضع
وعشرين درجة وهذه الخصال ابتداؤها من قوله عز وجل فلا تطع
المكذبين الاولى انه وصف عدوه بانه مكذب بما جاء به محمد صلى الله
عليه وسلم بعد معاينة الايات ومشاهدة المعجزات الثانية انه وصف
اعداءه بانهم يدهنون اي يظهرون لك الملاينة ويضمرون خلافها
بناء على ان قوله فيدهنون معناه فهم موصوفون بالادهان لك الان
والمدهن المنافق وقال الفراء المدهن الكاذب وقيل الكافر الثالثة
انه وصفهم بانهم يودون ادهانه اي كفره ورجوعه عن الحق لعدوان
ظهر لهم انه على الحق المبين والدين المتين الرابعة انه وصفه بانه
حلاف اي كثير الحلف في الحق والباطل وهذا الحلاف هو الاخنس
ابن شريق وقيل الاسود بن عبد يغوث وقيل عبد الرحمن بن الاسود
وقيل الوليد بن المغيرة عرض على النبي صلى الله عليه وسلم مالا وحلف ان
يعطيه ان رجع عن دينه وقيل هو ابو جهل بن هشام الخامسة وصفه
بانه مهين وهو الضعيف القلب وقيل الكذاب والكذاب مهين
وقيل المكثار في الشر وقيل المهين الفاجر العاجز وقيل معناه
الحقير عند الله عز وجل وقيل انه الذليل وقيل انه الوضيع لاكثاره

من القبيح وهو فعيل من المهانة بمعنى القلة وهي هنا بمعنى القلة في الشرف
او التمييز وهو فعيل بمعنى مفعل والمعنى مهان السادسة انه وصفه
بانه هماز قيل هو الذي يهمز الناس بيده ويضربهم واللماز باللسان
وقيل هو الذي يهمز باخيه في المجلس وقيل هو الذي يذكر الناس
بالسوء في وجوههم واللماز الذي يذكرهم في مغيبهم وقيل الهماز الذي
يذكرهم في مغيبهم واللماز في وجوههم وقيل هما سوا وهو العياب
الطعان للمرء اذا غاب قال الشاعر

من البسيط

تدلي بود اذا لاقيتني كذبا وان اغب عنك انت الهامز اللمزه

السابعة انه مشاء بنميم وهو المضرب الذي يغري الناس بعضهم
على بعض على وجه الافساد فينقل الحديث من قوم الى قوم على وجه
السعاية يقال نم ينم نما ونميما ونميمة لغتان الثامنة انه مناع
للخير اي للمال اذ ينفق في وجوهه وقيل يمنع عن الاسلام ولده
وعشيرته وكان يقول لولده من دخل منكم في دين محمد صلى الله عليه وسلم لا انفعه
بشي ابدا التاسعة انه معتد اي على الناس بالظلم متجاوز للحد صاحب
باطل العاشرة انه اثيم اي ذي اثم ومعناه ماثوم فهو فعيل بمعنى مفعول
الحادية عشرة انه عتل وهو الجافي الشديد في كفره وقيل هو الشديد
للخصومة بالباطل وقيل هو الذي يعتل الناس فيجرهم الى حبس او عذاب
ماخوذ من العتل وهو الجر ومنه قوله تعالى خذوه فاعتلوه وفي الصحاح
وعتلت الرجل اعتله اذا جذبته جذبا عنيفا ورجل معتل بالكسر والعتل

وقيل هو الشديد في كفره صح

[illegible]

الغليظ

الغليظ الجافي والعتل ايضا الرمح الغليظ والعتل الرجل الشديد البين الشر
وقيل العتل الاكول الشروب القوي الشديد والعتل ماخوذ من العتلة
وهي عمود حديد يهدم به الحيطان وقيل حديدة كبيرة يقلع بها الشجر
والحجر ولهذا لما جا عتبة بن عبد الى النبي صلى الله عليه وسلم قال له ما اسمك
قال عتلة قال بل انت عتبة كانه كره العتلة لانها من الغلظة والشدة
ومعنى عتبة العود الى المسرة وقيل العتل الفاحش السيء الخلق
وقيل هو الفاحش اللئيم وفي صحيح مسلم عن حارثة رضي الله عنه
سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم باهل الجنة قالوا بلى يا
رسول الله قال كل ضعيف متضعف لو اقسم على الله عز وجل
لابره الا اخبركم باهل النار قالوا بلى يا رسول الله قال كل عتل
جواظ مستكبر وفي رواية عنه كل جواظ زنيم مستكبر الجواظ
قيل هو الجموع المنوع وقيل الكثير اللحم المختال وقوله عز وجل بعد
ذلك اي بعدما عددنا من معايبه وذكرنا من مثالبه هو زنيم
فهو متعلق بقوله زنيم وفي قوله بعد ذلك دلالة على ان دعوته
اشد معايبه واقبح قبائحه الثانية عشرة انه تعالى وتقدس
وصفه بانه زنيم وفي الغريبين للهروي الزنيم الملصق
بالقوم وليس منهم المعروف بالشر شبه بالشاة التي تعرف
بزنمتيها والزنمتان هما المعلقتان بحلوق المعزى وقيل هو
الذي له ستة اصابع وقيل هو ولد الزنى الملحق في النسب

لم يضبط ... حروف العواط ... منه

[illegible]

بالقوم وكان الوليد دعيا في قريش ليس من سنخهم ادعاه ابوه
بعد ثماني عشرة سنة من مولده قال الشاعر

من الوافر

زنيم ليس يعرف من ابوه … بغي الام ذو حسب لئيم

وقيل هو الاخنس بن شريق اصله من ثقيف وعداده في زهرة
الثالثة عشرة انه اذا تليت عليه ايات الله عز وجل كذب بها
الرابعة عشرة انه مع تكذيبه بها يصفها بصفات هي افترا عليها
وبهتان لها وهي كونها اساطير الاولين وهاتان الصفتان
استفيدتا من قوله اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين
والاساطير واحدها اسطورة من سطر الكتاب وهو ما سطره
الاولون من الاكاذيب ويقال في واحدها اسطارة وقيل انه
من الجمع الذي لا واحد له كعباديد وما اشبهه يقال سطر فلان علي
اذا زخرف الاحاديث الخامسة عشرة استظهاره بالمال والبنين
اي بمجردها من غير كمال نفساني وذلك ان قوله عز وجل ان كان ذا مال
وبنين علة لقال في قوله اذا تتلى عليه اياتنا قال اي قال حينئذ
لان كان متمولا مستظهرا بالمال والبنين اي بمجردها من فرط
غروره لكن العامل في ان ومدخولها ليس نفس قال لان اداة الشرط
لها صدر الكلام وما بعدها لا يعمل فيما قبلها تقدم في ذلك لانه قال
مقالة شنيعة مستندا في قولها الى ماله وبنيه وان التجرى على الله
عز وجل بالاقاويل الباطلة والترهات الكاذبة ونسبة ايات الله

عز وجل

عز وجل التي لا ياتيها الباطل من بين يديه ولا من خلفه الى كونها اساطير
الاولين لاغترار بماله والاستظهار ببنيه لمن اعظم الذام واشنع
القبائح واردا الخصال هذا بنا على تعلق ان كان بقوله قال وقد
جوزوا ايضا ان يكون علة للا تطع اي لا تطع يا محمد من هذه مثالبه
وما تلونا عليك من معايبه لان كان ذا مال كذا قيل قلت اذا كان علة
للا تطع فينبغي ان يكون علة لتطع من لا تطع فهو علة للاطاعة اي
اي لا توقع اطاعته لاجل ان كان ذا مال وبنين بعد ان اتصف
بهذه المثالب لا للنهي عن اطاعته لان مجرد كونه ذا مال وبنين لا
يوجب النهي عن الاطاعة نعم ان كان يجعل ذلك جز العلة لا علة
تامة بان يكون العلة في النهي مجموع ما ذكر بعد ان يدخل في العلة
قوله اذا تتلى عليه الخ فيستقيم حينئذ ان يكون نهيا عن الاطاعة
وعلى هذا الوجه يكون مذ منزله لان حاصله انه معتمد على ماله وبنيه
ناس لمآل امره وعاقبة شانه ومن كانت هذه صفته فهو احمق
الناس واكثرهم بعدا عن سنن الصواب ثم ختم ذلك اي بيان
معايبه ومثالبه بالوعيد اي اورده عقبه متصلا باخره فهو كناية
والوعيد يستعمل في الشر فقط واما الوعد فانه يستعمل في الخير والشر
يقال وعدته خيرا ووعدته شرا فاذا اسقطوا الخير والشر قالوا
في الخير الوعد والعدة وفي الشر الايعاد والوعيد وقد وجد في
بعض النسخ بالوعد وهو وان كان شرا لكنه ذكر متعلقه وهو قوله

بهم شقاء وهما استعمل فيه الوعد في الشر قوله عز وجل ويستعجلونك
بالعذاب ولن يخلف الله وعده الصادق نعت للوعيد قيل ان نعته
بالصادق مجاز عن علام شوبه بما يشعر لحبرا وعن علام التخلف فيه
فان قلت من اين لم علام التخلف فيه قلت من كون الذي توجه اليه هذا
الوعيد كافرا مات على كفره والا فوعيد عصاة المومنين لا يمتنع فيه
التخلف اذ الاخلاف فيه كرم يتمدح به بخلاف الاخلاف في الوعد فانه
نقص يجب تنزيه الله عز وجل عنه وما قيل من ان في اخلاف الوعيد
كذبا وتبديلا للقول وقد قال الله عز وجل لا يبدل القول لدي فقد رده
المحقق المشهور بكستلي فذكر ان الوعد ليس باخبار عن وقوع
الموعود في المستقبل بل انشاء عزم على ايقاعه وكذا الايعاد فلا كذب
واما قوله عز وجل لا يبدل القول لدي فلعل المراد به هو القول الثابت
كقوله عز وجل لاملان جهنم قال واما عمومات الوعيد مع التنصيص
على العفو في الجملة فليس من ذلك انتهى كلامه ومنه يظهر ان وصف
الوعيد بالصدق ليس على ظاهره كما لو وصف به الوعد فلا بد من
تاويل في كلام المصنف او انه من قبيل وصف الشيء بما هو
وصف صاحبه انتهى واقول لم يتخلف الوعيد وهو قوله
سنسمه على الخرطوم قال ابن عباس رضي الله عنهما خطم الذي نزلت في
شانه هذه الاية بالسيف يوم بدر فلم يزل مخطوما الى ان مات
نعم ان اريد سنسمه يوم القيمة فيعلم صدقه كما قاله هذا القائل من كونه

مات كافرا

مناقشة مع ابن الحنبلي

مات كافرا ووعيد الكفار واقع البتة قال قتادة سنسمه يوم القيمة
على انفه سمة يعرف بها والخرطوم الانف من الانسان ومن السباع
موضع الشفة فان قلت لم اوجبتم وقوع وعيد الكافر وباي معنى
اوجبتموه قلت اوجبناه بمعنى انه واقع البتة لان الله عز وجل
لا يخلف القول قال تعالى لا يبدل القول لدي فان قلت جواز عفوه
تعالى عن مرتكبي الكبائر من المومنين مع وقوع الوعيد على ذلك يقتضي
تبديل القول من الله عز وجل قلت الوعد والوعيد مشروطان بقيود
وشروط معلومة من النصوص فيجوز التخلف بسبب انتفاء بعض
تلك الشروط على ان بعض العلماء ذهب الى ان الخلف في الوعيد جائز على
الله تعالى وممن صرح به الواحدي في التفسير الوسيط في قوله عز وجل
ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاؤه جهنم حيث قال والاصل في هذا
ان الله عز وجل يجوز ان يخلف الوعيد وان كان لا يجوز ان يخلف
الوعد وفي الحديث عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من وعده الله عز وجل على عمل ثوابا فهو منجز له ومن اوعده
على عمل عقابا فهو بالخيار وروي انه جا عمرو بن عبيد الى ابي عمرو
ابن العلا فقال يا ابا عمرو يخلف الله عز وجل ما وعده قال لا قال
افرايت من اوعده الله عز وجل على عمل عقابا يخلف الله عز وجل
وعيده فقال ابو عمرو من العجمة اتيت يا ابا عثمان ان الوعد غير
الوعيد ان العرب لا تعد عيبا ولا خلفا ان تعد شرا ثم لا تفعل بل

يرون ذلك كرما وفضلا وانما الخلف ان تعد خيرا ثم لا تفعل قال افوجد
هذا في العرب قال نعم اما سمعت قول الشاعر

من الطويل
واني وان اوعدته او وعدته ... لمخلف ايعادي ومنجز موعدي

والذي ذكره ابو عمرو مذهب الكرام ويستحسن عند كل احد خلف الوعيد
كما قال سري الموصلي

من الطويل
اذا وعد السراء انجز وعده ... وان وعد الضراء فالعفو تابعه

واحسن يحيى بن معاذ في هذا المعنى حيث قال الوعد والوعيد
حق فالوعد حق العباد على الله عز وجل اذا ضمن انهم اذا فعلوا
ذلك ان يعطيهم كذا ومن اولى بالوفا من الله عز وجل والوعيد
حقه على العباد اذا قال لا تفعلوا كذا فاعذبكم ففعلوا فان شاء
عفا وان شا اخذ لانه حق واولاهما العفو والكرم لانه غفور رحيم انتهى
بلفظه قيل والمحققون على خلافه كيف وهو تبديل للقول وقد قال
تعالى لا يبدل القول لدي قال الجلال الدواني ان حملت ايات الوعيد
على انشا التهديد فلا خلف لانه حينئذ ليس خبرا بحسب المعنى وان
حمل على الاخبار كما هو الظاهر فيمكن ان يقال بتخصيص المذنب
المغفور له عن عمومات الوعيد بالدلايل المنفصلة فلا خلف على
هذا التقدير ايضا فلا يلزم تبدل القول واما اذا لم نقل باحد هذين
الوجهين فيشكل التفصي عن لزوم التبدل والكذب اللهم الا ان يحمل
ايات الوعيد على استحقاق ما اوعد به لا على وقوعه بالفعل وفي قوله عز وجل

فجزاوه

فجزاوه جهنم اشارة الى ذلك وانا اقول اذا تاملت النصوص الواردة
في عقاب ارباب المعاصي والدالة على عفو الله عز وجل تجدها منادية
بان المراد من يفعل تلك المنهيات يستحق العقاب الموعود به
لكن يعفو الله عمن فعلها مومنا عملا بنصوص العفو ولمقتضى قوله
عز وجل قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة
الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ولم يشترط عز وجل في ذلك توبة ولا
قيد بان الغفران يقع بعد العقاب هذا في حق المومن واما الكافر
فلا بد من وقوع الوعيد به واما ما نحن فيه وهو قوله عز وجل
سنسمه على الخرطوم فالضمير في نسمه عائد الى الذي نزلت في شانه
هذه الاية والجمهور على انها نزلت في الوليد بن المغيرة وهو مشرك
ومات على شركه والعياذ بالله عز وجل فهذا الوعيد صادق لانه
واقع البتة ولا يحتاج وصفه بالصدق الى تاويل كيف وذو الوعيد
مات كافرا ولم يمت مومنا حتى يحتاج الى تاويل وصف الوعيد
بانه صادق **بتمام شقائه** في الغريبين للهروي يقال لكل من سعى
في امر فبطل سعيه قد شقي به واذا ادركه قبل سعيه والوليد
المذكور كان سعيه ودابه في عبادة الاصنام ثم تبين ان سعيه باطل
وان غرضه لم ينجح **وخاتمة بواره** اي هلاكه ومنه سميت جهنم اعاذنا الله
عز وجل منها دار البوار اي دار الهلاك ومنه قوله عز وجل قوما بورا اي
هلكى وانما كانت هذه خاتمة بواره لان الله عز وجل قد ذمه في ما ذكر

سابقا وكل من ذمه الله عز وجل فهي هلاك له لانها تشعر بغضب
الله عز وجل والعياذ بالله ولعنته واي هلاك اعظم من ان يكون
الانسان مغضوبا عليه ملعونا وختم بوارد هلاكه بهذا الوعيد
بقوله سنسمه على الخرطوم قيل معناه سنخطمه بالسيف وقد خطم
الوليد يوم بدر بالسيف فلم يزل مخطوما حتى مات وقيل سنسمه
يوم القيمة على انفه سمة يعرف بها فهو على سنن قوله يعرف المجرمون
بسيماهم وكون هذا الكافر يزيد على غيره من الكفار بسمة على انفه مع
اسوداد وجهه والعياذ بالله عز وجل والخرطوم الانف من الانسان
ومن السباع موضع الشفة وفي الغريبين للهروي قال ابن عرفة العرب
تسمي الانف الخرطوم قال الفرزدق اتى الى معشر شم الخراطيم مصراع من البسيط
قال والاصل فيه للسباع ثم استعير ويقول القائل اليس يسود وجهه
الكافر فما بال ذكر الانف فالجواب ان العرب خوطبت كما تتكلم فتقول
ارغم الله عز وجل انفه واخزت بانفه وقدته بخزامه واوطا الله عز وجل
بمخنته ويقولون شمخ بانفه فينسبون الكبر الى الانف فذكر الانف
بالوسم وان كان السواد في سائر الوجه واقول كان هذا الكافر لما
كان يتكبر على حبيب الله صلى الله عليه وسلم بماله وبنيه ويشمخ عليه
بانفه عوقب لجعل انفه اشنع شي في هيكله في الدنيا والاخرة
اما في الدنيا فيما اصابه يوم بدر واما في الاخرة فيسود وجهه اسوة باقي
احزابه واخوانه من الذين ماتوا على شركهم والعياذ بالله عز وجل فكانت
نصرة

نصرة الله عز وجل له اتم من نصرته لنفسه لانه ادنى شي من ملك الملك
لا يعادله نصرة مخلوق على الاطلاق فان قلت هو صلى الله عليه وسلم كان
لا ينتصر لنفسه ولا ينتقم لها قلت نعم كان لا ينتصر اذا اوذي بامر
يكون مرجعه الى شوون النفس كما انه لم ينتقم من ذلك الاعرابي الذي
جبذه واما اذا اوذي في شوون النبوة والرسالة فكان ينتصر لنفسه
ويرد على المؤذي بما يدفع اذاه وانت خبير بان ما وقع من هذا الكافر
متعلق بشوون نبوته لانه جعل نبي الله صلى الله عليه وسلم مجنونا ولما
بلغ من عقبة بن ابي معيط وعبد الله بن خطل انهما بالغا في انتهاك
حرمة الله عز وجل في ايذا النبي صلى الله عليه وسلم امر بقتلهما كيف وهما
قد بلغا من سب نبينا صلى الله عليه وسلم المبالغ السنية على ان
الراوي حمل عدم الانتقام لنفسه على ما يختص بالمال واما العرض
فقد اقتص من نال منه ويشير الى ذلك الحديث الذي اخرجه
الحاكم من طريق معمر عن الزهري مطولا واوله ما لعن رسول الله صلى
الله عليه وسلم مسلما بذكر اي بصريح اسمه وما ضرب بيده شيا قط
الا ان يضرب في سبيل الله عز وجل ولا يسال شيا قط فمنعه الا
ان يسال ماثما ولا انتقم لنفسه من شي الا ان تنتهك حرمات الله
عز وجل فيكون لله عز وجل ينتقم الحديث وردة من اضافة المصدر
الى فاعله على عدوه اي عدو النبي صلى الله عليه وسلم ابلغ اي اشد مبالغة
من رده اي رد النبي صلى الله عليه وسلم عليه واثبت في ديوان مجده اي فيما

تثبت فيه افراد مجلد والمجد الشرف فقد شبه محله وشرفه بالجنود
السلطان التي تعينه على نوايب الدنيا فكذلك افراد مجد النبي صلى الله
عليه وسلم مضبوطة محفوظة منقولة نقلها العلما حرصا عليها
واثبتوها في كتب تقرا وتدرس كما ان الملوك ضبطوا جنودهم بكتبها
في الديوان وانما كان رد الله عز وجل اثبت في ديوان مجد النبي صلى الله
عليه وسلم من رده عليه الصلوة والسلام لانه لا يخفى ان امرا يتولاه
الله عز وجل بنفسه لا يعادله امر والله عز وجل قد رد على اعدائه
صلى الله عليه وسلم فما ذا بعد رد الله عز وجل فقد شبه افراد مجده
بافراد جنود السلطان التي من شانهم ان يثبتوا في ديوان فهو
استعارة مكنية واثبات الديوان لها تخييلية قال شيخنا الرضي محمد

الكلام على ديوان

ابن التاذفي المعروف بابن الحنبلي في شرحه وفي المغرب الداوين
الجرايد من دون الكتب اذا جمعها لانها قطع من قراطيس مجموعة
ويروى ان عمر رضي الله عنه اول من دون الدواوين اي رتب الجرايد
للولاة والقضاة وفي عين انه بكسر المهملة وتفتح واته يجمع على
دياوين كما يجمع على دواوين انتهى واقول الديوان كتاب موضوع
لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطنة من الاعمال والاموال ومن

مناقشة مع صاحب المغرب ومع شيخنا ابن الحنبلي في اتباعه له كما كتب الشارح وهو محل تامل فليتدبر

يقوم بها من الجيوش والعمال وفي تسميته ديوانا وجهان
احدهما انه حكي ان كسرى اطلع ذات يوم على كتاب دواوينه فراهم
يحسبون مع انفسهم فقال ديوانه اي مجانين فسمي موضعهم بهذا

الاسم

الاسم ثم حذف الها عند كثرة الاستعمال تخفيفا للاسم فقيل ديوان
الثاني ان الديوان بالفارسية اسم الشيطان فسمي الكتاب باسمهم
لانهم حذاق بالامور ووقوف الشياطين على الجلي والخفي وجمعهم لما
شذ وتفرق ثم سمي مكان جلوسهم باسمهم فقيل ديوان وقوله ويروى
الخ اتى بصيغة تشعر بضعف هذا الاثر وهو اثر صحيح فان اول من
وضع الدواوين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الاسلام واختلف الناس
في سبب وضعها فقال قوم سببه ان اباهريرة رضي الله عنه قدم عليه
بمال من البحرين فقال عمر رضي الله عنه ماذا جيت به فقال خمسماية الف
درهم فاستكثره عمر رضي الله عنه وقال اتدري ما تقول قال نعم ماية الف
خمس مرات فقال عمر رضي الله عنه اطيب هو قال لا ادري فصعد عمر
رضي الله عنه المنبر فحمد الله عز وجل واثنى عليه ثم قال ايها الناس قد جانا
مال كثير فان شيتم كلنا لكم كيلا وان شيتم عددنا لكم عدا فقام اليه رجل
فقال يا امير المومنين قد رايت الاعاجم يدونون ديوانا لهم فدون
لنا ديوانا وقال اخرون بل سببه ان عمر رضي الله عنه بعث بعثا وكان
عنده الهرمزان فقال له هذا البعث قد اعطيت اهل الاموال فان
تخلف منهم رجل اخل بمكانه من اين يعلم صاحبك به فاثبت لهم ديوانا
فسال له الديوان حتى فسره له كذا ذكره الماوردي في الاحكام السلطانية

الفصل السادس فيما ورد من جهته عليه الصلوة والسلام
مورد الشفقة والاكرام قال الله عز وجل طه ما انزلنا عليك القران لتشقى

هذه السورة هي من اسباب اسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفي
مسند الدارمي بسنده الى ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى قرا طه ويس قبل ان يخلق
السموات والارض بالف عام فلما سمعت الملائكة القران قالت طوبى
لامة محمد صلى الله عليه وسلم ينزل هذا عليها وطوبى لاجواف تحمل هذا
وطوبى لالسنة تتكلم بهذا قال ابن فورك معنى قوله ان الله عز وجل
قرا طه ويس اي اظهر واسمع وافهم كلامه من اراد من خلقه من الملائكة
في ذلك الوقت والعرب تقول قرات الشي اذا تتبعته وتقول ما
قرات هذه الناقة في رحمها سلا قط اي ما ظهر فيها ولد فعلى هذا يكون
الكلام سابقا وقراته واسماعه وافهامه بعبارات يخلقها الله
وكتابة يحدثها وهي معنى قولنا قرانا كلام الله عز وجل ومعنى قوله
فاقروا ما تيسر منه **قيل طه اسم من اسمائه صلى الله عليه وسلم**
وفي الحديث لي عند ربي عز وجل عشرة اسما فذكر ان فيها طه ويس
وقدم هذا القول على ما بعده اهتماما به بواسطة المقام وان كان
الاهتمام بما بعده ذاتيا لان البلاغة يعتبر فيها رعاية مقتضى المقام
لا الامور الذاتية ولذا قدم اقرا على باسم ربك لان الاهمية بالقراة
اولى وان كان اسم الله عز وجل في ذاته اشرف وعندي انه لو صدر
كلام بقول من قال ان معناه يا حبيبي بلغة عك كما ذكره الغزنوي
وقال قطرب هو بلغة طي معناه ذلك وانشد ليزيد بن المهلهل

من البسيط
ان السفاهة طه من خلائقكم ۞ لا بارك الله في القوم الملاعين ۞
لكان اليق بالمقام وقيل هو نداء للنبي صلى الله عليه وسلم ومعناه يا طامع
الشفاعة للامة يا هادي الخلق الى الملة وقيل الطا من الطهارة
والها من الهداية كانه يقول للنبي صلى الله عليه وسلم يا طاهرا من الذنوب
يا هادي الخلق الى علام الغيوب **وقيل هو اسم لله عز وجل** قال ابن عباس
رضي الله عنهما وقال سعيد بن جبير الطا افتتاح اسم الطاهر والها
افتتاح اسم الهادي **وقيل معناه يا رجل** هي لغة معروفة في عكل
وقيل في عك قال الكلبي لو قلت في عك لرجل يا رجل لم يجب حتى
تقول يا طه وانشد الطبري في ذلك

من الطويل
۞ دعوت بطه في القتال فلم يجب ۞ فخفت عليه ان يكون مزايلا ۞
وقيل هو بالسريانية معناه يا رجل وحكى الطبري انه بالنبطية
وقال عكرمة معناه يا رجل بلغة الحبشة والصحيح انها وان
وجدت في لغة اخرى لكنها من لغة العرب **وقيل معناه يا انسان**
قيل بلغة عك **وقيل هي حروف مقطعة لمعان** قيل الطا شجرة
طوبى والها النار الهاوية اجارنا الله عز وجل منها والعرب تعبر عن
الشي كله ببعضه كانه اقسم الله عز وجل بالجنة والنار وقال سعيد
ابن جبير الطا افتتاح اسم تعالى طاهر والها من الهداية افتتاح
اسم هادي وقيل الطاء طبول الغزاة والها هشيم في قلوب
الكافرين بيانه قوله سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب وقوله

وقذف في قلوبهم الرعب وقيل الطا طرب اهل الجنة والها هوان
اهل النار في النار وقيل معنى طه طوبى لمن اهتدى وقال الثعلبي
الطا بحساب الجمل تسع والها خمس فيكون اربعة عشر والقمر
يصير بدرا في اربع عشرة ليلة فكانه قال يا ايها البدر قال
الواسطي اراد يا طاهر يا هادي وقيل هو امر من الوطء والهاء
كناية عن الارض اي اعتمد على الارض بقدميك من قراطه بفتح الطا
والها جوزان يكون طا امرا من وطئ يطأ فقلبت الهمزة في المضارع
الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فصار يطا بالالف وجا الامر على نمطه
فقيل طا بالالف التي هي منقلبة عن الهمزة فليست حرف علة لتحذف
عند بنا الامر واجرائه مجرى الفعل المجزوم ثم لحق الامر ضمير يرجع الى
الارض فقول المصنف والها كناية اي والها التي هي اسم لها التي
وقعت ضميرا متصلا بطا فادخل عليها ال لانها اسم لها التي هي ضمير
والمخاطب بفعل الامر هو رسول الله صلى الله عليه وسلم خوطب بان يطا
الارض بقدميه معا ولا يعتمد على قدم لكن اعترض على ذلك بان
كتابتها على صورة الحروف مع ان التلفظ بخلاف ذلك من خصائص
حروف المعجم فان قلت حذف الالف في ما نحن فيه مثل حذفها من
قوله ايه المومنون فانه في الامام ايه المومنون قلت لا انفكاك
ان ها في ايه ها التنبيه وهي عند بعض العرب حرف بسيط
من حروف المعجم يراد به التنبيه ولهذا جوز بنو اسد ان تحذف

الهمزة

الهمزة وان تضم هاوه اتباعا ومنه قوله عز وجل في قراءة ابن عامر ايه الثقلان
وبالجملة فها التنبيه ان لم تكن من حروف المعجم فهي قريبة منها وليست
مثل طاها اذا كان طا فعل امر وها ضميرا منصوبا فتدبر واما من
قراطه على زنة مد فهي اما على ان الاصل طا فقلبت همزته ها كما في
امثال هرقت او قلبت الهمزة في طا الفا كما مر ثم بنى منه الامر
فحذفت الالف على سنن فعل الامر المعتل فقيل ط فلحقته ها
السكت التي تلحق امثاله في حال الوقف ثم اجري الوصل مجرى الوقف
واما على انه اكتفى بشطري الكلمتين واقيما مقامهما في الدلالة على
المسميين وقوله اي اعتمد على الارض بقدميك اي بهما معا في حال
قيامك وانت في الصلوة ولا تتعب نفسك دعا ان الوطء معناه
الدوس فكانه قال دس الارض بقدميك وهو على كل حال يدوس
الارض بقدميه لكن كان في بعض الاحيان مع دوسه للارض لا
يعتمد عليها الا بقدم واحدة اي لا يتكئ في حال وقوفه الا على قدم واحدة
اذ لا يلزم من الدوس الاتكا فغير المصنف مراد الاية من امر الله
عز وجل بان يطا الارض فان مراده دوسها متكئا على كلتي قدميك ايا ه ح
ولا تجعل اتكاءك على قدم واحدة فان ذلك يتعبك وقوله بالاعتماد على
قدم واحدة بيان لسبب اتعاب نفسه وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يتحمل من مشقة الصلوة حتى كادت قدماه تتورمان ويحتاج
الى التروح بين قدميه فقيل له طا الارض اي لا تتعب حتى تحتاج

الى الترويح حكاه ابن الانباري وفي الكشاف وعن الحسن فسره بانه امر
بالوطء وان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم في تهجده على احدى رجليه فامر
بان يطأ الارض بقدميه وقال مجاهد كان النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه يربطون الحبال في صدورهم في الصلوة بالليل من طول القيام
ثم نسخ ذلك بالفرض فنزلت هذه الاية وقال الكلبي لما نزل على النبي صلى الله
عليه وسلم الوحي بمكة اجتهد في العبادة واشتدت عبادته فجعل يصلي
الليل كله زمانا حتى نزلت هذه الاية فامره الله عز وجل ان يخفف عن
نفسه فيصلي وينام وقال مقاتل والضحاك لما نزل القران على النبي
صلى الله عليه وسلم قام هو واصحابه فصلوا فقال كفار قريش ما انزل الله
عز وجل هذا القران على محمد صلى الله عليه وسلم الا ليشقى فانزل الله عز وجل
هذه الاية وهو قوله ما انزلنا عليك القران لتشقى نزلت هذه الاية
في ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتكلفه من السهر والتعب وقيام الليل
فان قوله ما انزلنا الى اخره استئناف مسوق لتسلية النبي صلى الله
عليه وسلم مما كان يعتريه من جهة المشركين من التعب فان الشقاء
شائع في هذا المعنى اي ما انزلنا عليك القران لتتعب بالمبالغة في
مكابدة الشدائد في مقاتلة اهل العناد ومحاورة الطغاة وفرط
التاسف على كفرهم به والتحسر على ان يؤمنوا كقوله عز وجل فلعلك باخع
نفسك الاية بل للتبليغ والتذكير وقد فعلت فلا عليك ان لا يؤمنوا
به بعد ذلك ولصرفه عليه الصلوة والسلام عما كان عليه من المبالغة في

المجاهدة

المجاهدة كما روي انه صلى الله عليه وسلم كان يقوم الليل حتى تورمت قدماه
فقال له جبريل عليه السلام ارفق على نفسك فان لها عليك حقا اي
ما انزلنا عليك لتتعب نفسك وحملها على الرياضات الشاقة
والشدائد الفادحة وما بعثت الا بالحنيفية السمحة فان قلت
ما المراد بالشقا قلت في القاموس الشقا الشدة والعسر
اي ما انزلنا عليك القران لتقع في شدة وعسر وليس المراد به الشقاء
الاخروي الذي هو ضد السعد الابدي اخبرنا القاضي ابو عبد الله محمد بن
عبد الرحمن لا اعرفه الا اني رايته عن ابي ذر ابن الحافظ البرهان الحلبي انه
قال هو احد العلماء الفضلاء الصلحاء واخبرنا لا يخفى انها من صيغ الاداء وهي
في الرتبة دون حدثنا وحدثني بل واخبرنا عاملا في ضمير المتكلم مع
الغير دون اخبرني في الرتبة لان الافراد ابعد عن تطرق الاحتمال وحكى
القاضي ابو بكر بن العربي في المسالك عن بعضهم انه قال حدثنا ابلغ
من اخبرنا لان حدثنا قد يكون صفة للموصوف والمخبر من لم الخبر يعني
فلا يكون التحديث الا مشافهة بخلاف الاخبار فانه يكون بالاشارة
والكتابة والمشافهة وسئل احمد بن صالح عن حدثنا واخبرنا وانبانا
فقال حدثنا احسن شيء في هذا واخبرنا دون حدثنا وانبانا مثل اخبرنا
وقد ذهب البخاري في صحيحه الى عدم التفرقة بين هذه الصيغ ففيه
وقال لنا الحميدي كان عند ابن عيينة حدثنا واخبرنا وانبانا
وسمعت واحدا وهذا الاختلاف فيه بالنسبة الى اللغة ومن اصرح

بحث مفيد في صيغ الاداء

الادلة فيه قوله تعالى يومئذ تحدث اخبارها وقوله تعالى ولا ينبئك مثل خبير
واما بحسب اصطلاح المحدثين ففيها خلاف فمنهم من استمر على اصل اللغة
وهذا راى الزهري ومالك وابن عيينة ويحيى القطان واكثر الحجازيين
والكوفيين وعليه استمر عمل المغاربة ورجحه ابن الحاجب فى مختصره
ونقل عن الحاكم انه مذهب الائمة الاربعة ومنهم من راى التوقف بين
صيغ الاداء بحسب افتراق التحمل فيخصون التحديث بما تلفظ به
الشيخ والاخبار بما يقرا عليه وهذا مذهب ابن جريج والاوزاعي وهو
المشهور عن الشافعي رضي الله عنه وابن وهب وجمهور اهل
المشرق ثم احدث اتباعهم تفصيلا اخر فمن سمع وحده من لفظ
الشيخ افرد فقال حدثني ومن سمع مع غيره جمع ومن قرا بنفسه
على الشيخ افرد فقال اخبرني ومن سمع قراءة غيره جمع وكذا خصصوا
الانباء بالاجازة التي يشافه بها الشيخ من يخبره وكل هذا مستحسن
وليس بواجب عندهم وانما ارادوا التمييز بين احوال التحمل وظن
بعضهم ان ذلك على سبيل الوجوب فتكلفوا للاحتجاج له بما لا
طائل تحته نعم يحتاج المتاخرون الى مراعاة الاصطلاح المذكور لئلا
يختلط وغير واحد عن القاضي ابي الوليد الباجي هو الامام الحافظ
العلامة صاحب التصانيف ابو الوليد سليمن بن خلف بن سعد بن
ايوب بن وارث التجيبي القرطبي الذهبي اصله من مدينة بطليوس
وانتقل جده الى مدينة باجة التى بقرب اشبيلية فنسب اليها
وقيل

ترجمة الباجي

وقيل هو من باجة القيروان التي ينسب اليها ابو محمد الباجي الامام
المصنف الحافظ وفى القاموس وباجة بلدة بافريقية ينسب اليها
عبد الله بن محمد وابو الوليد سليمن بن خلف الامام المصنف وبلد
بالاندلس ولد ابو سليمن سنة ثلاث واربعمائة وحمل عن جماعة ورحل
سنة ست وعشرين فحج وجاور ثلاثة اعوام لازم اباذر الهروي وكان
يسافر معه الى سراة بنى شبابة ويخدمه ثم رحل الى بغداد ودمشق
فسمع بها ابا القسم بن الطير وعلي بن السمار وغيرهما وتفقه بالقاضي
ابي الطيب الطبري وابي اسحاق الشيرازي والصيمري منهم وابي الفضل
ابن عمروس المالكي واقام بالموصل سنة يقرا على ابي جعفر
السمناني علم الكلام ورجع الى الاندلس بعد ثلاثة عشر عاما
روى عنه ابن عبد البر والخطيب وهما اكبر منه والحميدي وابو علي
الصدفي وغيرهم مات بمدينة النبي صلى الله عليه وسلم فى تاسع عشر
رجب سنة اربع وسبعين واربعمائة وقوله اجازة يجوز ان يكون
قيدا لاخبار ابي عبد الله محمد بن عبد الرحمن للمصنف اي ان
اخباره اياي وقع بطريق الاجازة لا بطريق القراءة ولا بطريق
السماع من لفظه وانما اتى به خروجا من خلاف من منع اطلاق
الاخبار والتحديث فى الرواية بالاجازة وهو الصحيح المختار الذي
عليه عمل الجمهور واختاره اهل التحري والورع فلا يجوزون
ان يطلق المحدث اخبرنا وحدثنا فى المناولة بل عليه تقييد ذلك

بعبارة تبين الواقع في كيفية التحمل وتشعر به فيقول اخبرنا فلان او
حدثنا اجازة او منا ولة او اذ نا او في اذنه او اذن لي او اطلق لي
روايته عنه او اجازني او اجاز لي او سوغ لي ان اروي عنه او اباح لي
او ناولني وما اشبه ذلك من العبارات المبينة لكيفية التحمل وان اباح
المجيز للمجاز اطلاق اخبرنا او حدثنا في الاجازة او المناولة لم يجز له ذلك
كما يفعله بعض المشايخ في اجازتهم فيقولون عمن اجاز و الى ان
قال حدثنا وان شاء قال اخبرنا فان قلت المصنف مالكي وقد
قال المصنف في الالماع يقول بجواز اطلاق حدثنا واخبرنا في
الرواية بالاجازة مطلقا ابن جريج وجماعة من المتقدمين ثم قال وحكى
الوليد بن بكر انه مذهب مالك رضي الله عنه واهل المدينة فلم لم يطلق المصنف
اخبرنا بلا تقييد وان ذلك جائز عند امامه قلت لعل المصنف ممن
يختار مذهب الجمهور ولا يلزم القول بمقالة امامه على انه يجوز ان يكون
ذكر هذا القيد خروجا من خلاف من اوجبه لا انه ذكره على سبيل الخروج من
عهدة الواجب هذا والظاهر انه قيد للعنعنة بدليل ذكره متاخرا
عنها وانما ذكر كونه اجازة لان العنعنة عند الاطلاق تحمل على السماع
على اصطلاح المتقدمين كما قال ابن الصلاح ولم يرد بالمتقدمين من
سبقه في الزمن ولو بزمن يسير بل مراده بهم من كان قبل نشو
التصانيف قال ابن الصلاح ان كون عن وما اشبهها محمولة على
السماع والحكم له بالاتصال هو في المتقدمين خاصة والا فلا ان الحكم

يستفن

يستفن بعدهم من وجد من المصنفين في تصانيفهم مما ذكروه عن مشايخهم
قائلين فيه ذكر فلان قال فلان ونحو ذلك فليس له حكم الاتصال الا
ان كان له من شيخه اجازة وليس مراد ابن الصلاح بذلك الزمن المتقدم
على زمنه ليحتاج الى تقييد ذلك بكون المصنف سابقا على ابن الصلاح
ومن اصله اي من اصل ابي الوليد الباجي نقلت وانما نص على كونه
منقولا من اصل ابي سليمن الباجي لجلالة قدره فيؤيد ذلك صحة الحديث
ويقوي شانه فان قلت نقل الحديث من الكتب المعتمدة مشروط
بان يقابله الناقل اما على اصول متعددة معتمدة كما قاله ابن الصلاح
واما على اصل واحد معتمد على ما رجحه النووي وههنا لم يصرح المصنف
بكونه قابله وعرضه على اصل ولا على اصول قلت ذاك محله فيما اذا
لم يكن الحديث مرويا له واما اذا كان له به رواية فلا يشترط ذلك
وههنا المصنف سرد سنده في الحديث وايد هذا السند بكونه
نقله من اصل هذا الامام الحافظ حدثنا ابو ذر الحافظ هو ابو ذر
الهروي الحافظ العلامة عبد بن غير اضافة ابن احمد بن محمد بن
عبد الله بن عفير الانصاري المالكي ابن السماك شيخ الحرم رحمه الله سمع
بهراة ابا الفضل بن خميرويه وبسرخس ابا محمد بن حمويه وزاهر
بن احمد وببلخ ابا اسحق المستملي وبمرو ابا الهيثم الكشميهني
وسمع بالبصرة وببغداد وبدمشق وبمصر وجاور بمكة وصنف
التصانيف وسمع منه جماعة وروى عنه بالاجازة جماعة منهم الخطيب

ترجمة ابي ذر الهروي

وابن عبد البر وغيرهم توفي في شوال سنة اربع وثلاثين وقيل سنة
ست وثلاثين كذا قاله ابن سكرة والصواب سنة اربع واربعمائة
قال حدثنا ابو محمد الحموي بفتح الحاء وتشديد الميم المضمومة نسبة الى
جده حمويه السرخسي هو نزيل بوشنج هراة رحل الى ما وراء النهر وهو
ثقة صاحب اصول حسان قاله ابو ذر الحافظ توفي في ذي الحجة سنة احدى
وثمانين وثلاثمائة وكان مولده سنة ثلاث وتسعين ومائتين قال حدثنا
ابرهيم بن خزيم الشاشي خزيم بخاء معجمة مضمومة ثم زاي مفتوحة
والشاشي نسبة الى شاش بلد بما وراء النهر يجوز فيه الصرف ومنعه
فالمنع باعتبار البقعة والصرف باعتبار الموضع قال حدثنا عبد بن حميد
عبد بغير اضافة ابن حميد بن نصر ابو محمد الكسي بكسر الكاف وبالسين
المهملة ويقال بفتح الكاف وبالشين المعجمة ويقال فيه الكجي والصواب
انه الكسي بفتح الكاف وبكسرها وبعدها سين مكسورة وياء النسبة نسبة
الى كس بكسر الكاف وفتحها قال في القاموس هي بلد قرب سمرقند قال
ولا تقل بالشين المعجمة اسمه عبد الحميد كان احد الحفاظ والمصنفين الف
المسند قال البرهان الحلبي وقد قرات منتخبه بالقاهرة قلت وارويه
انا عن والدي التاج عبد الوهاب العرضي عن الكمال بن الناسخ الطرابلسي
اجازة عن البرهان الحلبي الى اخر سنده روى عبد بن حميد عن محمد بن
بشر العبدي وابي داود الطيالسي وروح بن عبادة وعبد الرزاق
وخلائق وعنه مسلم صاحب الصحيح وناهيك به من امام وابنه محمد بن

عبد

عبد بن حميد واخرون قال البخاري في صحيحه في دلائل النبوة وقال
عبد الحميد حدثنا عثمن بن عمر قال حدثنا معاذ بن العلا عن نافع في
حنين الجذع قيل عبد الحميد هذا هو عبد بن حميد وقد ذكره ابن حبان
في ثقاته في عبد الحميد بن حميد بن نصر الكسي فقال كنيته ابو محمد قال وهو
الذي يقال له عبد بن حميد قال مات في سنة تسع واربعين ومائتين
انتهى قال حدثنا هاشم بن القاسم هو ابو النضر من اهل خراسان
سكن بغداد وهو الذي يقال له قيصر يروي عن شعبة وسفين
روى عنه يحيى بن معين واهل العراق مات في ذي القعدة سنة خمس
ومائتين وقيل سنة سبع ومائتين ذكره ابن حبان في الثقات عن
ابي جعفر قيل هو عيسى بن ابي عيسى ماهان وقيل عيسى بن عبد الله
ابن ماهان مولى تميم مروزي كان يتجر الى الري يروي عن عطاء
وابن المنكدر وعنه ابنه عبد الله وابو احمد الزبيري قال البرهان
الحلبي صالح الحديث وله ترجمة في الميزان واقول لفظ صالح الحديث
هي المرتبة الرابعة من مراتب التعديل بل حكى ابن الصلاح عن ابي جعفر
احمد بن سنان قال كان ابن مهدي ربما جرى ذكر الرجل فيه ضعف وهو
صدوق فيقول هو صالح الحديث هذا وقد نقل الابجي عن التلمساني
ان ابا جعفر هذا هو محمد الباقر رضي الله عنه قال وهو موافق لما
ذكره الذهبي انه من تلاميذ الربيع ومشايخ هاشم واقول
البرهان الحلبي قال انه عيسى بن عبد الله او عيسى بن ابي عيسى والقول ما

قالت حذام فان البرهان الحلبي كان رحلة في هذا الشان عن الربيع بن انس
اعلم ان الربيع بن انس اثنان كل منهما اسمه الربيع واسم ابيه انس وهما
ثقتان تابعيان الاول الربيع بن انس بن زياد البكري سكن مرو
وهو يروي عن انس بن مالك وروى عنه ابن المبارك وابو جعفر
الرازي والناس يتقون حديثه ما كان من رواية ابي جعفر عنه لان
في احاديثه عنه اضطرابا كثيرا الا انه ثقة وذكره ابن حبان في الثقات
الثاني الربيع بن انس يروي عن ابي العالية روى عنه عبد العزيز
القسملي وابو جعفر الرازي وذكره ايضا ابن حبان في الثقات
والظاهر ان الربيع هذا هو الاول منهما كما يتراءى ذلك من كلام البرهان
الحلبي واليه هذا الحديث يساق فانه ابو عذرة هذا الفن فان قلت
من اين اخذت ذلك من كلام البرهان قلت من تاريخ وفاته فانه ارخها
سنة تسع وثلاثين ومائة وقد ارخ ابن الجزري في الجمال وفاة
الاول بذلك وكذا الذهبي في الكاشف ثم ان هذا الحديث مرسل لان الربيع
تابعي ولم يذكر الصحابي الذي رواه عنه هذا بناء على ما نقله ابن عبد البر
والحاكم عن جمهور المحدثين ان المرسل مرفوع تابعي من التابعين
اي تابعي كان سواء كان تابعيا كبيرا وهو الذي لقي جماعة من الصحابة
وجالسهم وكان جل روايته عنهم ام صغيرا وهو الذي لم يلق منهم
الا العدد اليسير او لقي جماعة منهم الا ان جل روايته عن التابعين فان
الربيع المذكور تابعي صغير واما على قول من قيده بالتابعي الكبير فلا يسمى

مرسلا

مرسلا بل يسمى منقطعا وقد قيده بذلك ابن عبد البر في مقدمة التمهيد
لكن قال الحافظ الشهاب بن حجر العسقلاني لم ار التقييد بالكبير
صريحا عن احد نعم قيد الشافعي رضي الله عنه في الرسالة المرسل الذي
يقبل اذا اعتضد بان يكون من رواية التابعي الكبير ولا يلزم من
ذلك ان لا يسمى ما رواه التابعي الصغير مرسلا بل الشافعي رضي الله
عنه مصرح بتسمية رواية من دون كبار التابعين مرسلة فقد قال
رضي الله عنه ومن نظر في العلم بخبرة وقلة غفلة استوحش من مرسل
كل من دون كبار التابعين بدلائل ظاهرة ولا يخفى ان المصنف مالكي
وامامه يحتج بالمرسل كابي حنيفة رضي الله عنهما وجمهور اتباعهما
وجماعة من المحدثين والامام احمد رضي الله عنه في رواية عنه حكاها
عنه النووي وابن القيم وجمهور النقاد من المحدثين كالشافعي واحمد
رضي الله عنهما في اصح الروايتين عنه ردوا المرسل للجهل بالساقط في
اسناده فانه يحتمل ان يكون تابعيا لعدم تقييد التابعين بالرواية
عن الصحابة وحينئذ يحتمل ان يكون ضعيفا لعدم تقيدهم بالرواية
عن الثقات وعلى تقدير كونه ثقة يحتمل ان يكون روى عن تابعي
ايضا ويحتمل ان يكون ذلك التابعي ضعيفا وهلم جرا الى ستة
او سبعة فانه اكثر من رواية بعض التابعين عن بعض قال كان
النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى قام على رجل واحدة ورفع الاخرى
فانزل الله عز وجل طه يعني طأ الارض يا محمد ما انزلنا عليك

القران لتشقى فان قلت لم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع احدى
رجليه في الصلوة قلت قال ابن حجر قرات بخط الصدفي في هامش
نسخته بلغنا ان موسى عليه السلام حين كلمه ربه عز وجل قام على
اطراف اصابعه خوفا فقال الله عز وجل له طاها اي اطمئن انتهى وكان
موسى عليه السلام قصد المبالغة في الادب فانها حضرة حقيقة بذلك
ورسول الله صلى الله عليه وسلم لاحظ ذلك فاراد ان يفعل في هذه الحضرة
السامية ما هو اللائق بها من التذلل والتملق واتعاب الهيكل
البشري فقام على رجل واحدة فالله عز وجل اكرمه وقابله بالرحمة
وقال طا الارض ولا تشق على نفسك ولا تتعبها لاني ارضى منك بالادب
على قدر الطاقة البشرية **ولا خفا بما في هذا كله من الاكرام وحسن المعاملة**
وان جعل طه من اسمائه عليه الصلوة والسلام كما قيل او جعلت قسما
لحق الفصل بما قبله اي لحقت هذه الاية المذكورة في هذا الفصل بما قبل هذا
الفصل لا ان الفصل كله يلحق بما قبله وانما اسند اللحوق الى الفصل
كله مع ان اللحوق انما هو لبعض المذكور في الفصل لان هذه الاية هي
عروس هذا الفصل فانها مصرحة بان الله عز وجل لا يشقيه وما ذاك
الا شفقة عليه ورحمة له فان لحقت هذه بما قبل هذا الفصل فكان
الفصل كله لحق بما قبله فذكر الاية واراد الفصل كله وهذا مجاز وارتكابه
لا يعد مسامحة تامة لان ارتكاب مثل هذا المجاز له نكتة فهو على حد
قول النبي صلى الله عليه وسلم الحج عرفة كانه لا ركن للحج الا عرفة وليس فيه

حذف

حذف وانما هو من قبيل ذكر الكل وارادة البعض لان ذلك البعض اجل
اجزاء الكل فان قلت اما يجوز ان يكون استخداما بان يراد بالفصل
المذكور في عنوان الكلام الفصل الاصطلاحي وهو قطعة من العلم مشتملة
على عدة مسائل ويراد بهذا الفصل اللاحق بما قبله قطعة من العلم من
غير تقييد بكونها مشتملة على مسائل قلت مثل هذا لا يعد استخداما
لانه لا ضمير هنا يرجع الى الفصل باعتبار معناه الاخر اللهم الا ان يكون
الاسم الظاهر واقعا موقع الضمير نعم هو على طريقة الاستخدام و نمط
فان قلت قول المصنف وان جعلنا طه من اسمائه كما قيل او جعلت
قسما لحق الفصل بما قبله يقتضي انها لو جعلت اسما من اسمائه ولم يرد
القسم يلحق بما قبله مع انها لا تلحق بما قبله الا اذا كان قسما باسمه
وكان طه اسماله فهي من الفصل الرابع بل من الخامس ايضا وان
كان قسما بغيره فهي من الخامس لانه قسم لتحقيق المكالمة قلت
ليس مراده ان جعلنا طه من اسمائه مجرد كونه اسماله بل مع كونه اسما
له يريد به انه اقسم به او ناداه فان كان مقسما به فهو من الفصول
السابقة وان كان منادى كان من هذا الفصل وهذا القيد اعتبرناه
اخذا له من سياق كلامه فتامله **ومثل هذا من نمط الشفقة** قال الشمني
النمط في الاصل نوع من انواع البسط ولا يستعمل في غيره الا مقيدا انتهى
وقد انكر بعض المعلقين على المصنف استعمال النمط في هذا ثم قال
ولعل القاضي استعار النمط للنوع اذ النمط من انواع البسط ولا

يطلق على النوع من غير تقييد قال وجرى في كلام المتاخرين اطلاقه على مطلق
النوع من غير قيد فقالوا اما انت من هذا النمط قال ولعل القاضي تبعهم في
ذلك واقول بل يطلق النمط في كلام من تقدم ومن تاخر مرادا به
مطلق النوع ففي حديث علي بن ابي طالب كرم الله وجهه خير هذه الامة
النمط الاوسط قال الهروي في الغريبين قال ابو عبيدة النمط هو
الطريقة يقال الزم هذا النمط قال والنمط الضرب من الضروب والنوع
من الانواع يقال ليس هذا من ذلك النمط اي من ذلك النوع كره علي
رضوان الله عز وجل عليه الغلو والتقصير وهذه العبارة بعينها
موجودة في النهاية الاثيرية وصرح في القاموس بان النمط يطلق
على النوع وعلى الطريقة واما الشفقة فهي اسم من الاشفاق وهو
الخوف واسناد الخوف الى الله عز وجل مجاز لان معنى اشفقت على
ولدي خفت عليه من نزول السوء به ولا يستقيم اسناد ظاهر هذا
المعنى الى الله عز وجل فتعين ان يراد به لازمه وهو ارادة دفع
الشقاء عن نبيه صلى الله عليه وسلم والمبرة اي الاحسان قوله عز وجل
فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا
الفاء تفيد ترتب ما بعدها على ما قبلها من كونه انزل عليه الكتاب الى اخر
ما ذكره ولعل تاتي للتوقع وهو الترجي في المحبوب والاشفاق
في المكروه لكن حكى البغوي عن الواقدي ان جميع ما في القران من لعل
فانها للتعليل الا قوله عز وجل لعلكم تخلدون فانها للتشبيه قال وكونها

للتشبيه

للتشبيه غريب لم يذكره النحاة واقول الظاهر ان التعليل فيها يؤخذ
من لوازم الكلام والاظهر هنا للاشفاق وهو هنا ارادة الله عز وجل ان
نبيه صلى الله عليه وسلم لا يجهد نفسه بسبب عدم ايمان قومه رحمة له
وحثا له على تفويض الامر الى الله عز وجل وقوله باخع نفسك
اي قاتل نفسك ومهلكها مبالغا فيها حرصا على اسلامهم يقال
بخع بالشاة اذا بالغ في ذبحها وبخع الشاة اذا قطع نخاعها وبخع
له بالطاعة اذا بالغ له في ذلك وبخع له نصحه اذا اقر به وبالغ فيه
وقوله على اثارهم جمع اثر وهو ما يبقى للانسان بعد ذهابه
ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم للذي مر بين يديه وهو يصلي قطع
صلاتنا قطع الله عز وجل اثره دعا صلى الله عليه وسلم عليه بالزمانة
لانه اذا زمن انقطع مشيه فانقطع اثره وفي الكشاف شبههم
واياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله عليهم من الوجد
والاسف على توليهم برجل فارقه احبته واعزته فهو يتساقط
حسرات على اثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وتلهفا على فراقهم
انتهى وهو يقتضي انه شبه الهيئة الحاصلة له ولهم في حال توليهم
عن تصديقه بالحالة الحاصلة لمن فارقته احبته الى اخره فيكون ذلك
استعارة تمثيلية ولو جعل المشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم في
شدة جزعه على تولي قومه عن الايمان به والمشبه به الباخع نفسه
على من مات فهو يجزع على اثاره ويكون ذلك اما استعارة تصريحية

واما تشبيه بليغا لان المشبه والمشبه به مذكوران فهو على حد زيد
اسد فانه اريد بالاسد معناه الحقيقي كان تشبيها بليغا وان اريد
به لازم معناه وهو الشجاع كان مجازا واستعارة تصريحية ان لم يؤمنوا
بهذا الحديث اي القران والحديث لغة ضد القديم وقد اطلق على القران
انه حديث وانه محدث والمراد انه محدث تنزيله واما هو في نفسه
فهو قديم ازلي صفة من صفات الموصوف بالقدم عز وجل وقد اطلق
عرفا على ما اضيف الى النبي صلى الله عليه وسلم قولا او فعلا او صفة في
الحركات والسكنات في اليقظة والمنام وقرا الجمهور ان لم بكسر
الهمزة ووجهه الزمخشري بان اسم الفاعل للاستقبال وذلك
لان ان الشرطية تقلب الماضي مستقبلا وقرئ بفتح الهمزة
ووجهه على ان اسم الفاعل اي في قوله باخع للمضي اسفا في الغريبين
هو شدة الغضب وقال الزجاج الاسف المبالغة في الحزن والغضب
وانتصب على انه مفعول له او مصدر في موضع الحال من الضمير المستكن
في باخع اي قاتل نفسك لذلك اي لعدم ايمانهم بالقران فقد علق
كونه باخعا نفسه على عدم ايمانهم فاشعر بان عدم ايمانهم علة وسبب
لبخعه نفسه غضبا قال ابن عرفة الغضب من المخلوقين شيء
يداخل قلوبهم ويكون منه محمود ومذموم والمذموم ما كان في غير الحق
او غيظا وهو شدة الحرارة الهائجة من القلب عند انفعال النفس
قال ابن عرفة في قوله عز وجل تكاد تميز من الغيظ اي من شدة الحر

يقال

ان ح

يطلب

يقال تغيظت الهاجرة اذا اشتد حميها قال الاخطل
لدن غدوة حتى اذا ما تغيظت ٭ هواجر من شعبان حام اصيلها ٭
وفي القاموس الغيظ الغضب او اشده او سورته او جزعا هو ضد
الصبر ومثله قوله عز وجل ايضا اي مما ورد مورد الشفقة والمبرة
لعلك في الكشاف لعل للاشفاق اي اشفق على نفسك ان تقتلها
حسرة على ما فاتك من اسلام قومك انتهى يريد ان الاشفاق لاستحالة
معناه الحقيقي على الله عز وجل مصروف الى المخاطب وزعم بعضهم ان
صاحب الكشاف قال اشفق بصيغة المتكلم وحده ويحتاج
حينئذ الى حمل الاشفاق المعزو اليه تعالى على ارادة لازمه اللائق
بجلال قدسه باخع نفسك في الكشاف البخع ان يبلغ بالذبح البخاع
بالباء وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذبح انتهى فقوله
مستبطن الفقار الصواب القفا بتقديم القاف على الفاء وبدون راء
كما قاله في المغرب وفي النهاية الاثيرية وفي الحديث اتاكم اهل اليمن
هم ارق قلوبا وابخع طاعة اي ابلغ وانصح في الطاعة من غيرهم كانهم
بالغوا في بخع انفسهم اي قهرها واذلالها بالطاعة قال الزمخشري
هو من بخع الذبيحة اذا بالغ في ذبحها وهو ان يقطع عظم رقبتها
ويبلغ بالذبح البخاع وهو الخيط الابيض الذي يجري في الرقبة
هذا اصله ثم كثر حتى استعمل في كل مبالغة هكذا ذكره في كتاب
الفائق في غريب الحديث وكتاب الكشاف في تفسير القران قال ولم

من الطويل

[illegible]

استعمل لكما من عبارة النهاية فانظر
البخع بالباء وهو العرق الذي في الصلب
والنخع بالنون دون ذلك وهو
ان يبلغ بالذبح النخاع الابيض
فانظر

اجده لغيره وطالما بحثت عنه في كتب اللغة والطب والتشريح فلم اجد النخاع
مذكورا في شي منها انتهى ان لا يكونوا مومنين في الكشاف اي لئلا يكونوا
مومنين او لامتناع ايمانهم او خيفة الا يومنوا واقول انما قدر هذه
التقادير الثلاثة لان قوله ان لا يكونوا مومنين لا يجوز ان يكون منصوبا
بنفسه على انه مفعول لاجله لانه ليس فعلا لفاعل الفعل المعلل لان عدم
ايمانهم فعلهم وبخع النبي صلى الله عليه وسلم نفسه الشريفة الذي هو المعلل
فعل النبي صلى الله عليه وسلم وذلك لان اللام المفيدة للتعليل ليست
محذوفة لذلك وانما حذفت لان حذفها قبل ان المصدرية قياس
مطرد ويجوز ان يلاحظ فيها التعليل وانها كانت موجودة وما بعدها
مجرور بها ولكنها لم تذكر استغناء عنها بان فانها يوتى بها في موطن
التعليل كثيرا ولما كان مآل هذين التوجيهين الى شي واحد اقتصر
على احدهما القاضي البيضاوي فقال لئلا يومنوا فان قلت ما بال
ابي السعود مفتي ديار السلطنة قال اي لعدم ايمانهم قلت ليصرح
بمصدرية المفعول له ويجعلها صريحة فان قلت عبر صاحب الكشاف
بالامتناع وابو السعود بالعدم فاي المقالتين اسد قلت كلام صاحب
الكشاف اسد لان الظاهر ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشق عليه مجرد
عدم ايمانهم لجواز ان يرجوه بعد ذلك وانما شق عليه انه اطلعه الله عز وجل
على ان ارادته تعالى وتقدس اقتضت انه لا يومنوا فصار ايمانهم في حيز
الاشياء المستحيلة اذ يستحيل ان يقع في الوجود ما لا يريده الله عز وجل

ولا

ولا يشاؤه ويمكن ان يقال ان بخع النبي صلى الله عليه وسلم نفسه انما كان قبل ان
يطلعه الله عز وجل على انه تعالى اراد عدم ايمانهم فلما اطلعه الله عز وجل على
ذلك استراح لان الياس احدى الراحتين وبالجملة فالامر في ذلك سهل
واما التقدير الثالث وهو خيفة ان لا يكونوا مومنين فهو اشعار بجواز
ان يكون مفعولا له منصوبا ويقدر له مضاف مصدر فاعله وفاعل
الفعل المعلل واحد وهو خيفة لان الخيفة فعل النبي صلى الله عليه وسلم
كما ان البخع فعله ايضا ثم قال اي الله عز وجل ان نشا ننزل عليهم من السماء
اية الاية في الاصل العلامة الثابتة من قولك تاييت بالمكان اذا اقمت — الكلام على معنى الآية
به وثبت فيه ومن ثم يقال لاجعلنك اية اي علامة وسميت الاية
القرانية اية لانها بمفارقتها كلام البشر علامة على صدق الدعوة والمراد
بالاية هنا الدلالة الملجئة الى الايمان فان الله عز وجل امرنا بالايمان
النظري الناشي من النظر في الادلة ولو شا لجعل الايمان ضروريا كايمان
من وصلت روحه الى الحلقوم فظلت هي فعل ماض ناقص قال الرضي معنى
ظل زيد متفكرا كان في جميع النهار كذلك فقارن مضمون الجملة وهو
تفكر زيد جميع النهار وكان مستغرقا له ومعناها هنا استغراق
الاوقات اعناقهم لها اي لهذه الاية خاضعين اي منقادين وجملة
فظلت الى اخره معطوفة على ننزل فالماضي في ظلت بمعنى المستقبل
فظلت في محل جزم ويجوز ان تكون مستانفة فان قلت قد وقع من
ابن مالك انه استدل بهذه الاية على وقوع فعل الشرط مضارعا والجزاء

ماضيا بنا على انه معطوف على الجزاء والمعطوف يقع موقع المعطوف
عليه فكانه قال ان تشا ظلت تكلت لا دليل فيه لاحتمال الاستيناف
وانه ليس معطوفا على تنزل سلمنا انه معطوف فلا دليل لانه يغتفر في
التوابع ما لا يغتفر في ما كان اصلا نعم خالف ابن مالك الجمهور في جعل نحو
ان تفعل فعلت جائزا في الاختيار ولو في ذلك دليل جلي وهو قول النبي صلى
الله عليه وسلم من يقم ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه
والاكثرون نصوا على ان مثل ذلك مخصوص بالشعر واستشهدوا في ذلك قوله

ان تصرمونا وصلناكم وان تصلوا ملاتم انفس الاعداء ارهابا ☼ — من البسيط

والحق ما قاله ابن مالك وهو مقتضى كلام سيبويه ثم ان في الاية
اشكالا من جهة انه اخبر عن الاعناق وهي لا تعقل بقوله خاضعين وهو
لا يسند الا لمن يعقل وقد اجابوا عن ذلك بوجوه الاول قال في
الكشاف اصل الكلام فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق
لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على اصله كقولهم ذهبت اهل
اليمامة فكان الاهل غير مذكور الثاني وهو جواب الاخفش ان
الاعناق جمع عنق وهو الجماعة يقال جاني عنق من الناس اي جماعة
الثالث ان المراد بالاعناق عظماؤهم شبهوا بالاعناق كما قيل لهم
الروس والنواصي والصدور الرابع انه حذف مضاف اي اصحاب
اعناقهم وروعي المحذوف في خاضعين الخامس ان الاعناق لما
اضيفت للمذكر العاقل اكتسبت منه ذلك كما يكتسب المذكر التانيث

من

مصراع من الطويل

من اضافته للمونث في نحو كما شرقت صدر القناة من الدم ☼

منه البسيط — وفي قوله انارة العقل مكسوف بطوع هوى وعقل عاصي الهوى يزداد تنويرا ☼
ومما اكتسب فيه المضاف المذكر التانيث قولهم قطعت بعض
اصابعه وقرى تلتقطه بعض السيارة وقوله

من الوافر — وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا ☼

السادس انها لما وصفت بصفة العاقل وهو الخضوع جمعت جمعه
كما قال تعالى اتينا طائعين السابع قال الكسائي خاضعين حال من
الضمير المجرور لا من الاعناق ورد بانه كان حينئذ يفتقر الى ابراز الضمير
اي خاضعين هم لجريانه على غير من هو له وهو الاعناق لكن تعقب
معاجه — بان هذا لا يلزم على مذهبهم لانهم انما يلتزمون ابرازه عند اللبس
وفي الكشاف عن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الاية فينا وفي
بني امية قال ستكون لنا عليهم الدولة فتذل لنا اعناقهم بعد صعوبة
ويلحقهم هوان بعد عزة فتكون هذه الاية من اعلام النبوة فلقد كان
كما قال ازال الله عز وجل ملك بني امية واعاد العز الى بني هاشم في
الدولة العباسية وانما نبه المصنف على انه قال بقوله ثم قال في هذه
الاية ولم يسرد الاية برمتها فانها بعد الاية الاولى من غير فاصل
لينبهك على ان الاية الثانية من شواهد هذا الفصل وانها حقيقة
بان تذكر فيه وليست شاهدية هذا الفصل مختصة بالاية
الاولى ووجه لياقتها بهذا الفصل اشارتها الى ان الله عز وجل

لوشا لالجاهم الى الايمان وجعل ايمانهم ضروريا فلانه يقول ان عدم
ايمانهم اقتضته حكمتنا فهون عليك وارح نفسك وافعل ما لزمك
ودع ما لا يلزمك واعرض عما لا يواخذك الله عز وجل به وهو ايمانهم
البتة ومن هذا الباب قوله تعالى فاصدع اي شق جماعتهم بتوحيد
الله عز وجل وقيل اجهر بالقران وقيل اظهر الدين وقيل احكم
بالحق وافصل بالامر والصديع الصبح في كلامهم وقيل معنى فاصدع
بما تومر اي افصل بما تومر تقول صدعت فلانا اي قصدته لانه كريم
وقال ابن عرفة اراد وفرق بين الحق والباطل يقال تصدع القوم
تفرقوا ومنه قوله عز وجل يومئذ يصدعون اي يتفرقون فريق في
الجنة وفريق في السعير بما تومر جوزوا في ما ان تكون موصولا
اسميا وعائد الموصول محذوف وهو منصوب اي بالذي تومر على حد
قولهم امرتك الخير وجوزوا في امر ان يتعدى بالبا فيقال امرتك بكذا
وهو الاكثر فيشكل ذلك لان شرط حذف العائد المجرور بالحرف ان
يكون الموصول مجرورا بمثله معنى ومتعلقا نحو قوله عز وجل ويشرب
مما تشربون اي منه وقد قيل ان اصدع بمعنى امر وقال الاخفش
ما موصولة والتقدير بما تومر بصدعه فحذف المضاف ثم الجار ثم
الضمير وفي الكشاف يجوز ان تكون مصدرية اي بامرك من المبني
للمفعول قال السفاقسي وهذا مبني على مذهب من يجيز ان يكون
المصدر يراد به ان والفعل المبني للمفعول قال والصحيح ان ذلك لا يجوز

قال ابن فارس في المجمل
والصديع الفجر ه

واعرض

واعرض عن المشركين اي عن الاهتمام باستهزائهم وعن المبالاة بقولهم
فقد برأك الله عز وجل عما يقولون قال ابن عباس رضي الله عنهما هذه
منسوخة باية السيف وهي قوله عز وجل اقتلوا المشركين وقال عبد الله
ابن عبيد ما زال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزل قوله عز وجل
فاصدع بما تومر فخرج هو واصحابه وقيل اراد الجهر بالقران في الصلوة
واعرض عن المشركين لا تبال بهم قال ابن اسحق لما تمادوا في الشر
واكثروا برسول الله صلى الله عليه وسلم الاستهزا انزل قوله عز وجل فاصدع
بما تومر الى اخره الى قوله ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون
الى اخر السورة ومن اعظم ما ورد في هذه الايات مورد الشفقة عليه
صلى الله عليه وسلم قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين المستهزءون
الوليد بن المغيرة والاسود بن المطلب بن زمعة من بني اسد
والاسود بن عبد يغوث والحرث بن عطل السهمي والعاص بن
وائل لما تمادوا في الشر واكثروا برسول الله صلى الله عليه وسلم الاستهزاء
فاتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت فقام
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنبه فمر به الاسود بن المطلب
فرمى في وجهه بورقة خضراء فعمي ثم مر به الاسود بن عبد يغوث
فاشار الى بطنه فاستسقى بطنه فمات حينا ومر به الوليد
ابن المغيرة فاشار الى اثر باسفل كعبه كان اصابه قبل ذلك بسنين
وذلك انه مر برجل من خزاعة يريش نبلا له فتعلق سهم له من نبله بازاره

انظر
قصة المستهزئين
قاتلهم الله
ه

فخدش في رجله ذلك الخدش وليس بشيء فانتقض به ذلك الخدش فقتله
ومر به العاص بن وائل فاشار الى اخمص رجله فخرج على حمار له
يريد الطائف فربض على شبرقة فدخل في اخمص رجله شوكة فقتلته
ومر به الحرث بن الطلاطلة فاشار الى راسه فامتخط قيحا
فقتله وقال بعض المفسرين انه لما اشار الى الاسود بن عبد يغوث
قعد في اصل شجرة فجعل ينطح راسه بالشجرة ويضرب وجهه
بالشوك حتى مات ولما اشار الى اخمص العاص بن وائل دخلت
فيها شوكة فقال لدغت لدغت وانتفخت رجله حتى صارت كالرحا
ومات وقد اشار الى ذلك الصرصري حيث قال

وكفاه رب العرش شر عصابة ... مردوا على السخرية والطغيان
مستهزئين بارض مكة خمسة ... لم يكمل لهلاكهم يومان

فالمراد بقوله انا كفيناك اي باهلاكهم واذهابهم من الدنيا فقد
ماتوا كلهم قبل وقعة بدر وقيل انا كفيناكهم بجمعهم واتى بصيغة
الماضي اما لان الاية نزلت بعد اهلاكهم او لان اهلاكهم متحقق فعبر
عما لم يقع بصيغة الماضي لتحقق وقوعه حتى كانه وقع وصار واما
قوله بعد ذلك الذين يجعلون مع الله الها اخر حيث اتى بصيغة
المضارع فلحكاية الحال الماضية وقوله فسوف يعلمون اي يوم
القيمة فان الله عز وجل جمع للكافرين عذابين فقد عذبهم في الدنيا
ويعذبهم في الاخرة ثم سلاه بعد ذلك بقوله ولقد نعلم انك يضيق

صدرك

صدرك بما يقولون اي بما تسمعه من تكذيبهم اياك وردهم قولك وبما
ينالك واصحابك من اعدائك فسبح بحمد ربك يجوز في الباء ان تتعلق
بسبح وان تكون للسببية وللملابسة اي افزع الى الصلوة فانها
غاية التسبيح ونهاية التقديس فذكر السجود واراد به الصلوة من
قبيل ذكر الجزء وارادة الكل لانه اشرف اركانها قال صلى الله عليه وسلم
اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فاخلصوا فيه الدعاء وانما لم
يكن هذا الموضع من محال سجود التلاوة لان المدار في سجدات التلاوة
على التوقيف والنقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يرد عنه
انه سجد في هذا المحل ثم انه تعالى وتقدس حثه على ما فيه الصلاح
له وهو قوله واعبد ربك حتى ياتيك اليقين وهو الموت فامره
بعبادته اذا قصر عباده في خدمته وانما قيد امره بعبادته بهذه
الغاية لانه لو اقتصر على قوله اعبد ربك لكفى في امتثال امره اتيانه
بعبادته مرة واحدة وانما لم يقل ابدا لانه قد يفسر بدهر وهو يطلق
على الزمن اليسير فالمراد ان يستمر عبادته لله عز وجل مدة حياته
كما قال عيسى عليه السلام واوصاني بالصلوة والزكوة ما دمت
حيا ومما يدل على ان المراد باليقين الموت حديث ام العلاء الانصارية
وهي احدى المبايعات لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم في شان عثمان بن مظعون رضي الله عنه اما عثمان
فقد جاءه اليقين واني لارجو له الخير والله لا ادري وانا رسول

الله ما يفعل بي وبهم وقيل ان اليقين هنا الحق الذي لا ريب فيه من نصرك
على اعدائك قاله ابن سمرة والاول اصح وقد وقع في هذه الايات بعد
التصريح بانواع من اللطف به صلى الله عليه وسلم ايماء الى تسليات متعددة
منها ان الله نعت الذين يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستهزئون
به بانهم يجعلون مع الله الها اخر تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتهوينا
عليه باعلامه بانهم لم يقتصروا في كفرهم على الاستهزاء به صلى الله عليه وسلم
بل اجترأوا على البلية العظمى والخصلة الوخيمة وهي اشراكهم بالله عز وجل
ومنها ان حلى الجملة المسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم بالتاكيد المستفاد من
القسم وقد المحققة لما بعدها ومنها الاتيان بصيغة المضارع المفيدة
لاستمرار العلم حسب استمرار ما يوجبه من اقوال الكفرة ومنها دلالته
على ما يفرج همه ويتخلص من الغم الذي ناله وهو اشتغاله بالصلوة فانها
مفرجة الهموم وكاشفة الضيق ومنها تعرضه في ذلك لعنوان الربوبية
اذ لم يقل بحمد الله للاشارة الى ان من رباك يلطف بك ومنها
اضافة الرب اليه صلى الله عليه وسلم تلطفا به ومنها اعادة الرب ثانيا
مع ان المقام مقام اضمار كل ذلك لتاكيد اللطف به مع الاشعار بعلة
الامر بالعبادة كانه يقول انما امرتك بان تديم عبادتي لاني ربك وحق
للمربوب ان يعبد الرب فان قلت اطلاق اليقين على الموت لماذا قلت
لان كل احد يتيقن ان الموت اتيه فاطلاق اليقين عليه من باب اطلاق
المصدر على المفعول كاطلاق الضرب على المضروب ويجوز ان يكون اطلاقه
عليه

عليه لان الغطاء ينكشف بالموت وتصير الامور التي كان الانسان يعتقدها
بطريق الايمان بالغيب معاينة مشاهدة فيحصل عند الموت اليقين
بما اخبر به النبيون وكتب الله عز وجل المنزلة فاطلاق اليقين على الموت
من باب اطلاق اسم المسبب على السبب فهو مجاز مرسل ويجوز ان
يراد باليقين ما يحصل للانسان من العلم بسبب الموت لان
اليقين هو العلم يقع بالشيء بعد ان لم يكن واقعا به ولهذا لا يقال لعلم
الله عز وجل انه يقين لانه لا يطلق الا على علم يثلج معه الصدر ولهذا
يقال ثلج اليقين ولا يقال ثلج العلم وقوله ولقد استهزئ برسل من
قبلك هذه الاية وردت مورد الشفقة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذ اشتملت على تسلية عظيمة له فيما يلقاه من اذى قومه ومن اعراضهم
عن الايمان بايات الله عز وجل وفيها من الاعتناء بالتسلية ما لا
يخفى وقد دل عليه تصدير الجملة بالقسم الذي وقعت في جوابه اللام
وحرف التحقيق وتنكير رسل قد دل على امرين الاول التفخيم والثاني
التكثير اي برسل ذوي قدر علي وعدد كثير ومن قبلك متعلق بمحذوف
وقع صفة لرسل اي رسل كائنين من زمان قبل زمانك على حذف
المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وتمام الاية التي في سورتي
الانعام والانبياء فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون اي
عقب استهزائهم من غير تراخ ولا مهلة حاق بهم اي نزل وحل قال
ابن عرفة يقال حاق به الامر يحيق اذا لزمه ووجب عليه اراد عاد سوء

ذلك عليهم يعني العذاب الذي هو جزا استهزائهم وقال الازهري الحيق في
اللغة ما يشتمل على الانسان من مكروه فعله وقوله عز وجل ولا يحيق
المكر السيء الا باهله اي لا يرجع عاقبة مكروههم الا عليهم وفي بعض
التفاسير ان معناه يدور على الشمول واللزوم ولا يكاد يستعمل الا في
الشر بالذين سخروا منهم اي استهزوا بهم تقول سخرت منه وبه
اسخر سخرا بالفتح والضم في السين والخا وما في قوله ما كانوا به يستهزون
يجوز ان يكون موصولا اسميا مفيدا للتهويل اي فاحاط بهم ما كانوا به
يستهزون حيث هلكوا به فلم يحق بهم الا العذاب الذي سببه
استهزاؤهم فنسبة الحيق الى الاستهزا مجاز عقلي ويجوز ان يكون
ذكر الاستهزا واراد العذاب من باب ذكر السبب وارادة المسبب فهو
مجاز مرسل ويجوز ان يكون ما مصدرية اي فحاق بهم استهزاوهم اي
وبال استهزائهم وتقديم الجار والمجرور على عامله قيل لرعاية الفواصل
وعندي انه للحصر اي لم يحق استهزاوهم الا بهم لا بمن لم يستهزئ لانه لا
تزر وازرة وزر اخرى قال مكي هو مكي بن ابي طالب حموش بن محمد بن
مختار القيسي المقرى ابو محمد القيرواني سكن قرطبة من اهل التبحر
في علوم القران والعربية حسن الفهم جيد الذهن كثير التاليف في علم
القران ولد لسبع بقين من شعبان سنة خمس وخمسين وثلاثمائة
بالقيروان عند طلوع الشمس له في علوم القران والعربية نحو ماية مصنف
مات يوم السبت عند صلوة الفجر ودفن يوم الاحد لليلتين خلتا من المحرم

لكنه

ترجمة مكي تقدمت

سنة سبع وثلاثين واربعماية ودفن بالربض وصلى عليه ابنه ابو طالب
تسلاه الله عز وجل بما ذكر فان قلت التسلية بماذا حصلت قلت قضية
كلام الكشاف ومتابعيه انها حصلت بمجرد قوله ولقد استهزئ برسل من
قبلك وذلك لما فيه من التاسي بالانبيا والرسل الذين قبله فان ذلك
تسلية ظاهرة كما قالت الخنساء عن اخيها صخر

من الوافر

الا يا صخر لا انساك حتى ... اوسد في التراب بلحد رمس
ولولا كثرة الباكين حولي ... على اخوانهم لقتلت نفسي
ولا يبكون مثل اخي ولكن ... اسلي النفس عنه بالتاسي

ويكون قوله فحاق الى اخره تهديدا للذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم فان قلت
لم يحصل للمستهزين به صلى الله عليه وسلم ما حصل للمستهزين بمن قبله من
الاستيصال فان الله عز وجل استاصل من كفر بمن قبله قلت انه
يحيق بهم وبال استهزائهم ولا يلزم ان يكون طبق ما وقع لمن قبلهم
بل المراد حصول عاقبة الاستهزا وقد حصلت بقتل بعضهم وسبي
بعض وادخالهم مواطن الذلة ودخولهم في منازل الحقارة باخذ الجزية
والجلاء من الاوطان او ان المراد انهم استحقوا ذلك ولكن لم يقع
ما يستحقونه لان النبي صلى الله عليه وسلم ارسله الله عز وجل رحمة
للعالمين فكان ميله الى عدم وقوع العذاب عليهم كما تشهد بذلك
النصوص هذا ابنا على ان مراد المصنف بهذه الاية التي تكلم عليها مكي
واستشهد بها المصنف اية الانعام او اية الانبياء ويجوز ان يريد

بهاية الرعد التي وقع فيها بعد قوله ولقد استهزئ برسل من قبلك قوله
عز وجل فامليت للذين كفروا ثم اخذتهم فكيف كان عقاب ومعنى
امليت تركتهم ملاوة من الزمان اي برهة منه اي اطلت لهم المدة
يقال اقام ملاوة من الزمان اي حينا ومنه قوله تعالى واهجرني مليا
اي حينا ويقال لليل والنهار الملوان وقد املى له في الغي اي اطيل اباه
وهذه المقالة تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم عما لقي من المشركين من التكذيب
واقتراح الايات على طريق الاستهزاء به ووعيد لهم والمعنى ان ذلك ليس
مختصا بك بل هو امر مطرد قد فعل كذلك برسل كثيرة كائنة من قبلك فاطلت
مدة ايام الذين فعلوا ذلك فان قلت ما المراد بالذين كفروا اهل هم الذين
استهزءوا او غيرهم قلت بل هم هم فالعدول في الصلة الى وصف الكفر ليس
لان المملى لهم غير المستهزئين بل للتصريح بان هولاء القوم جمعوا بين هذين
الوصفين القبيحين والنعتين الشنيعين الكفر والاستهزاء بالرسل
وكيف استفهامية والاستفهام فيه للتعجيب اي ان عقابي لهم كان
شيا عجيبا ففيه من الدلالة على تناهي كيفية هذا العقاب في الشدة
والفضاعة ما لا يخفى وهون اي الله عز وجل عليه اي على نبيه صلى الله عليه
وسلم ما يلقى من المشركين من الاستهزاء به بسبب انه اخبره بانك لست
اول من استهزئ به بل شاركت من قبلك في استهزاء اعدائهم بهم ولكن
راى المستهزءون عاقبة استهزائهم فالمشاركة تهون البلا كما اشار اليه
في شعر الخنسا واعلم اي اعلم الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم ان من تمادى

اي

اي تطاول وتاخر وهو تفاعل من المدى وهو الغاية يقال لا افعله
مدى الدهر اي طواله على ذلك اي تطاول مصرا على ذلك الاستهزاء وهو
ماخوذ من قوله عز وجل فامليت للذين كفروا وهذا قرينة على ان المصنف
اراد اية الرعد تحل به ما حل بمن قبله ذلك بضم الحاء مضارع حل اي نزل ان
كان مضارعه تحل بضم الحاء وان كان مضارعه تحل بكسر الحاء فمعناه يجب
ومنه قراءة الكسائي فيحل عليكم غضبي اي ينزل واما على قراءة الباقين
فيحل بكسر الحاء فمعناه يجب ومثل هذه التسلية قوله تعالى وان يكذبوك
فقد كذبت رسل من قبلك الى اخر الاية فان فيها تسلية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فعبر بالفعل المضارع لافادة الاستمرار اي ان استمروا على ان
يكذبوك في ما بلغتهم من الحق المبين بعد اقامتك الحجة والقامك اياهم
الحجر واوقعتهم في حيز المغلوبية والالزام فتاس باولئك الرسل
في المصابرة فجواب الشرط في الحقيقة امره صلى الله عليه وسلم بالتاسي
بمن كذب من الرسل عليهم السلام الا انه اتى بقوله فقد كذبت الى اخره لان
علمه بذلك سبب لتاسيه بهم فاستغنى بذكر السبب عن المسبب
ثم انه انما نكر رسلا للدلالة على التكثير والتعظيم اي رسل ذوو اعدد
كثير وذوو اقدار عظيم وذلك يقتضي زيادة في التسلية ثم انه اتى بجملة
تشتمل على وعد ووعيد وهي قوله والى الله ترجع الامور مقدما
معمول الفعل عليه للدلالة على الحصر اي ترجع اليه لا الى غيره فيجازيك
انت على صبرك على تكذيبهم وايذائهم لك ويجازيهم على تكذيبهم فان قلت

لم اقتصر على ذكر اختصاص المرجع الى الله عز وجل ولم يبين ثوابا ولا عقابا
قلت لان في الابهام من المبالغة ما ليس في التعيين فان قلت قرا
بعض القرا ترجع بالبنا للمفعول وبعضهم ترجع بالبنا للفاعل فاي
القراتين اليق بالمقام قلت قراة البنا للمفعول ادخل في التهويل لانها
تدل على ان الامور لا ترجع اليه بنفسها بل بمرجع يرجعها فان السلطان
اذا اراد ان يهول امرا يرسل في طلب من يهول امره ولو جا اليه بنفسه
لم يبلغ في التهويل مبلغ من يطلب فان قلت كون هذه التسلية مماثلة
لتلك التسلية في ماذا فان تلك اشتملت على وعيد وهذه خلت عنه
قلت انها مثلها في مجرد التسلية بالتاسي بمن مضى من الانبياء عليهم
السلام فان قلت اما يجوز ان يريد انها مثلها في ذلك وفي اشتمالها
على الوعيد بادخال قوله والى الله ترجع الامور في المماثل ويكون قد ذكر
بعض الاية واراد كلها على سنن ما يقال قرات يا ايها المزمل ويراد
جميع السورة وانشدت بانت سعاد ويقصد جميع القصيدة
قلت مثل ذلك مجاز مرسل ولا بد فيه من قرينة على ان يا ايها المزمل
صار بمنزلة العلم على هذه السورة وكذا بانت سعاد علم على القصيدة
المعروفة فاطلاق هذا البعض وارادة الكل غير محتاج الى قرينة
واما ذكر بعض اية وارادة كلها فهو مجاز لا بد فيه من القرينة ومع ذلك
فالفصل معقود لما ورد في حقه صلى الله عليه وسلم مورد الشفقة وذكر ما
فيه التسلي كاف فيما يدل على الشفقة ومن هذا اي من قبيل ما ورد من

الايات

الايات ما فيه تسلية له صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل كذلك هو خبر مبتدا محذوف
تقديره الامر كذلك فالمشبه ما وقع للرسل الماضين الذين قص الله عز وجل
عليه نباهم في صدر السورة والمشبه به المشار اليه باسم الاشارة تكذيب
اهل مكة لرسول الله عليه وسلم وتسميتهم له ساحرا او مجنونا وقوله عز وجل ما اتى
الذين من قبلهم الى اخره قال البيضاوي كالتفسير له والزمخشري تفسير له ولم
يات بكاف التشبيه فان قلت اي الصنيعين اولى قلت صنيع صاحب
الكشاف فلان جملة ما اتى الى اخره تصلح ان تكون كاشفة للامر المجمل المبهم
ولم يرد انه يشبه التفسير لانه تفسير حقيقة وليس مراده كشف المعنى
الذي وضع له اللفظ بل بيان المراد منه فان قلت اما يجوز ان يكون
المشبه حال النبي صلى الله عليه وسلم في تكذيب اهل مكة له وقولهم في حقه انه
ساحر او مجنون والمشبه به الذي هو مدلول اسم الاشارة تكذيب
الذين من قبلهم رسلهم وتسميتهم كل رسول اتاهم شاعرا او مجنونا
وحينئذ لا يكون ما اتى الى اخره تفسيرا للامر بل هي جملة مستانفة
قلت ينبغي ان يكون المشبه به اجلى من المشبه والله عز وجل بعد
ان قص عليه صلى الله عليه وسلم نبا من مضى من الامم في هذه السورة اراد ان
يجلي له الامر ويكشفه فقال له حال اولئك مثل حالك الذي وقع
لك وحاله يشاهده ويطلع عليه وحال اولئك غائب عنه وجعل
المشاهد المعاين مشبها به اولى من العكس بل يتعين ذلك او يراد
كشف سنة الله عز وجل في رسله وانبيائه مع اقوامهم وشانه

مناقشة
مع ابن الحنبلي

وحاله معهم فقال الامر الذي قدرته وقضيته في بعثة الرسل ومعالجتهم
لاقوامهم مثل حالك انت فيه ثم اوضحه بقوله ما اتى الى اخره من رسول من
رسل الله عز وجل الا قالوا في شانه ساحر اي هو ساحر او مجنون ولا يجوز
ان تكون الكاف اسمية وتكون منصوبة باتى الواقع بعد ما النافية لان ما
النافية لها صدر الكلام فلا يعمل ما بعدها فيما قبلها فان قلت قال في (ما النافية لها صدر الكلام)
الكشاف ولو قيل لم يات لكان صحيحا على معنى مثل ذلك الاتيان لم يات من
قبلهم رسول الا قالوا والقاضي وابو السعود مفتي دار السلطنة لم
يتعرضا لذلك وحذفاه من البين مع كونه قلما يحذفان من مقاصده قلت
لله دره على ذلك فان لم لا تودي معنى ما الا ترى ان سيبويه قال ان
في ما معنى التاكيد لانه جعلها في النفي جوابا لقد في الاثبات فكما ان قد
فيها معنى التاكيد فكذلك ما جعل جوابا لها واي كلمة افادت تاكيدا من
كلمة لم تفده فكيف تسد هذه مسد هذه لا سيما والمقام حري بالتاكيد
وتاديته لمعنى ما في مجرد النفي لا يستلزم ان تسد مسدها ولا ان
تقوم مقامها فان قلت هل كون هذه الاية من قبيل التسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم التي سبقت وكونهما من واد واحد في مجرد التسلية
ام فيها وفي اقتران التسلية ~~لرسول الله صلى الله عليه وسلم~~ بالوعيد قلت
هذه الاية ايضا قارنها وعيد وهو قوله عز وجل اتواصوا به بل هم قوم
طاغون فان اول هذه الجملة انكار وتعجيب من حالهم واجماعهم على تلك
المقالة الشنيعة التي لا تكاد ان تخطر ببال عاقل فضلا عن التفوه به

فان

فان الانبياء عليهم السلام عن اخرهم حالهم القويمة تابى عن ان يتهموا بانهم
سحرة واراؤهم السديدة وعقولهم الراجحة تابى عن ان يخطر ببال احد
ان باحد منهم جنونا اي اوصى بهذا القول بعضهم بعضا حتى اتفقت
كلمتهم عليه ثم انه اضرب عن كون بعضهم اوصى بعضا بذلك وان اتفاقهم
على هذا الشر لم يكن لكون بعضهم اوصى بعضا به وانما هو لامر اشنع منه
واقبح وهو انهم قوم طاغون وان الطغيان شمل الجميع فما صدر ذلك
منهم الا لطباعهم الردية والحاصل انه ربه عز وجل عزاه بما اخبر به عن
الامم السالفة ومقالها لانبيائهم قبله ومحنتهم بهم وسلاه بذلك عن
محنته بمثله من كفار مكة وانه ليس اول من لقي ذلك ثم طيب نفسه
وابان عذره بقوله عز وجل فتول عنهم اي اعرض عنهم اي عن جدالهم
فقد كررت عليهم الدعوة فابوا الا الاباء والامتناع فما انت بملوم اي
بمعنف على التولي بعد ما بذلت جهدك وجاوزت في التبليغ كل حد
ممكن للطور البشري في اداء ما بلغت لانك لم تقصر فيه وابلاغ ما
حملت لانك اديت ما اوجبه ربك عليك فان قلت في الكشاف
معنى فما انت بملوم لا لوم عليك في اعراضك بعد ما بلغت الرسالة
وبذلت مجهودك في البلاغ والدعوة ومثله في تفسير القاضي
والمصنف قال فما انت بملوم في اداء ما بلغت وابلاغ ما حملت
فهل بين كلاميهما تخالف قلت لا منافاة بين كلاميهما بل ولا مخالفة
لان الله عز وجل امر نبيه صلى الله عليه وسلم بعد ان بذل جهده في ما الزمه

بالاعراض عنهم وترك جدالهم بعد ذلك واخبره بانك بعد ان تترك تبليغهم
لا لوم عليك حيث تركت التبليغ بعد ان بذلت جهدك فيه ولا انت ملوم
بعد ذلك في اداء ما بلغت لانك خرجت عن العهدة فلا تعاتب على اداء ما
امرت بتبليغه والحاصل انه بعد ذلك ترك التبليغ بعنف فان
جعلت نفي اللوم على ترك التبليغ صح وان جعلت نفي اللوم في كونه
ادى ما امر بتبليغه صح وهما متساويان لان من ترك التبليغ قصر في
الاداء فالله عز وجل قال ما انت بملوم اي على ترك التبليغ ولك ان
تقول ما انت بملوم على الاداء بحيث تنسب الى التقصير فيه فانك
لم تقصر وبذلت الجهد وافرغت الوسع وقال بعضهم لا يبعد ان يراد
لا تلتفت الى لومهم لك بقولهم لم تركت ملة الاباء وامرتنا به ونحو
ذلك فانك لست بملوم عندنا وفي نفس الامر بل في اعتقادهم
واقول فيه نظر لانه لا يرتبط هذا المعنى بما قبله ولا يناسب سياقا
ولا سباقا وهل الاتيان بالفاء في قوله فتول عنهم الا لارتباط هذه
الجملة بما قبلها وهل اتيانه بها في قوله فما انت بملوم الا لارتباطها بما
قبلها وهل يصح ان يفسر ما انت بملوم بلا تلتفت الى لومهم فهذا الوجه
ليس بوجيه بل هو وجه لا نظر فيه هذا وان اكثر المفسرين على ان هذه
الاية منسوخة باية السيف وقيل بقوله بلغ ما انزل اليك من ربك
وقيل بقوله عز وجل عقبها وذكر فان الذكرى تنفع المومنين واقول
الارجح انها منسوخة باية السيف واما قوله بلغ وذكر فانه لا

يستقيم

يستقيم ان يكون ناسخا لهذه الاية لان معنى قوله تول عنهم اي تول عن
جدالهم ومعاندتهم وهذا لا ينافي التذكير والوعظ او المراد بقوله
تول عنهم اي اصرف قلبك عن الحزن والغيظ الناشي من قولهم في
شانك انك ساحر او مجنون ودعهم يقولوا ما شاؤا ودم انت على
التذكير والتبليغ والموعظة ولا تتركها بل قال القاضي ابو بكر ابن العربي
كلما في القران من الصفح عن الكفار والتولي والاعراض والكف عنهم
فهو منسوخ باية السيف وهي قوله عز وجل فاذا انسلخ الاشهر
الحرم فاقتلوا المشركين الاية نسخت مائة واربعا وعشرين اية
وقد وقع من بعض الشارحين انه بعد ان نقل عن ابن الجوزي
انه قال ان الناسخ لقوله عز وجل فتول عنهم فما انت بملوم قوله وذكر
فان الذكرى تنفع المومنين قال وهو قول غريب اذ الناسخ معطوف
على المنسوخ بالواو المقتضية التشريك ثم قال ولا يبعد ان يكون
الاية ناسخة وتكون الواو للاستفتاح فقد جاءت له على ما ذكره
ابن العيني في شرح قوله

واذا تباع كريمة او تشترى … فسواك بائعها وانت المشتري

فانه صدر قصيدة واقول هذا كلام من لم يطلع على شئون النسخ فان
العطف لم انفصال حي الجملة عن المعطوف عليه وانما نقول يجوز بل
وقع ان اية اخرها ناسخ لاولها وهي اية واحدة لا نظير لها وهي
قوله عز وجل عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فان قوله

انظر
ان اية اخرها
ناسخ لاولها

لا يضركم من ضل اذا اهتديتم اي بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر
فهو ناسخ لقوله عليكم انفسكم بل في القرآن اية اولها واخرها
منسوخ ووسطها محكم وهي قوله عز وجل خذ العفو الاية فان اولها
واخرها وهو قوله واعرض عن الجاهلين منسوخان باية السيف
ووسطها وامر بالعرف محكم لم ينسخ وقد جوز في ذكر ان يلاحظ
فيه اللزوم وان كان متعديا بالا ان المراد به اوجد التذكير والموعظة ولا
تدعها بالمرة وان يلاحظ فيه معناه وهو التعدية اي ذكرهم وحذف
منه الضمير الذي هو مفعوله للعلم به ومثله في كونه تسلية قوله عز وجل
فاصبر لحكم ربك اي فيما الزمك به من تبليغ رسالاته وانهائها الى الكفرة
باهمالهم الى اليوم الموعود وابقائك بينهم مقاسيا لتحمل الشدائد
معانيا لهموم المصائب ولا تخف على نفسك من ان يقتلوك فانك
باعيننا اي اصبر على اذاهم فانك بحيث نراك ونحفظك هذا
تفسير لقوله فانك باعيننا لدفع ما عسى ان يتوهم من ظاهر الاية ان
لله عينا هي جارحة وقد ورد نسبة العين الى الله عز وجل في احاديث
وايات منها قوله لنوح عليه السلام واصنع الفلك باعيننا ولموسى عليه
السلام ولتصنع على عيني ولمحمد صلى الله عليه وسلم فانك باعيننا وفي شان
السفينة تجري باعيننا وفي الحديث الصحيح عن عطا ابن ابي رباح
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام
العبد الى الصلوة فانه بين عيني الرحمن فاذا التفت قال له الرب عز
وجل

مطلب

سلاه الله تعالى بهذا في اي كتبه من هذا المعنى ح

متن اعقلها لك ح

وجل الى من تلتفت الى من هو خير لك مني اقبل الي فاني خير لك ممن تلتفت
اليه وتاويل ذلك ان يحمل مثل هذه الالفاظ على شدة العناية والحراسة
فان العين في كلام العرب تستعمل على معان كثيرة منها المشاهدة والرؤية
ومنها الحفظ والكلاية ومنها الجودة ومنها الدلالة ومنها الجارحة فالاول
كقول القائل انت على عيني واصنع هذا المتاع على عينك اي على مراى
منك ومشاهدة والثاني كقولك انت بعين الله عز وجل اي في حفظه
وكلايته ومنه هذه الاية فان المراد بها في حفظنا وكلايتنا والثالث
كقولهم فلان عين القوم اي دليلهم والرابع كقولهم هذا عين القلادة
اي جيدها وهو المختار من جواهرها واما الخامس فهو معلوم ولا شك
ان الجارحة مستحيلة على الله عز وجل بالدليل البرهاني المقرر في الكتب
الكلامية فتعين حمل مثل ذلك على الحفظ والكلاية وكذلك يحمل على هذا
المعنى في هذا الحديث فان معناه ان الله عز وجل موفق للمصلي حافظ
له وانه بحفظه وكلايته حيث وفقه للصلوة وحرسه عن المعصية
بتركها كان بعينه اي في حفظه وكلايته ورعايته ويجوز ان يراد
بالعين هنا البصر فاطلقت العين واريد بها البصر لان العين محل
البصر من قبيل اطلاق المحل وارادة الحال اي فانك بمراى منا فقوله
فانك باعيننا اي ملتبس بها فالبا للملابسة كان لله عز وجل مع
نبيه صلى الله عليه وسلم أعيناً تكلاه اي رقبا وحفظة كانه من
شدة حفظ الله عز وجل له ظهر منه اعين ورقبا يحفظونه فان العين

تطلق على الحافظ كثيرا فهو من باب التجريد دلت عليه الآية وهو ابلغ انواع
التجريد لانهم ينتزعون من نفس الشي اخر مثله في صفته مبالغة
لكمالها فيه واصل الكلام فانك بحفظي اي ملابس لحفظي وكلائتي ثم ترقى
ونزع من نفسه حفظة وكلاة ثم قال انت نحفظ اولئك وكلائتهم
وفي تفسير البيضاوي في قوله عز وجل واصنع الفلك باعيننا عبر بكثرة
آلة الحس الذي هو به يحفظ الشي ويراعى عن الاختلال والزيغ عن
المبالغة في الحفظ والرعاية على طريق التمثيل واقول هذا مبني على ان
المراد بالاعين آلة الحس الا انه اضافها الى الله عز وجل على طريق التمثيل
وبيانه في هذه الاية انك يا محمد محروس من حراسة كلية احاطت بك
من سائر الجهات فهي اي معك في حفظي لك ومحفوظيتك لي كهيئة
من يحرس باعين متعددة بها مع ان كلا منهما لا يتوصل اليه الضرر ولا
ينال الاذى لحراسة باعين اصحابها اقويا قادرون على دفع من يروم
المحروس بالاذى او يقصده بالاضرار بدليل اضافة الاعين الى الله عز وجل
وقد ذكر بعض العلما من جملة الاحاديث التي فيها اثبات العين لله تعالى
وتقدس قول النبي صلى الله عليه وسلم في شان الدجال انه اعور وان ربكم
عز وجل ليس باعور وهو حديث صحيح اخرجه الشيخان قال الفخر الرازي
ان هذا الحديث مشكل لان ظاهره يقتضي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اظهر الفرق بين الاله تعالى وبين الدجال بكون الدجال اعور وكونه تعالى
ليس باعور وذلك بعيد وخبر الواحد اذا ابلغ هذه الدرجة في ضعف

المعنى

المعنى وجب ان يعتقد ان هذا الكلام كان مسبوقا بمقدمة لو ذكرت لزال
هذا الاشكال اليس ان راوي هذا الحديث هو ابن عمر ثم المشهور ان
ابن عمر لما روى قوله عليه الصلوة والسلام ان الميت ليعذب ببكا اهله
عليه طعنت عائشة رضي الله عنها فيه وذكرت ان هذا الكلام من الرسول
صلى الله عليه وسلم كان مسبوقا بكلام اخر واحتجت على ذلك بقوله عز وجل
ولا تزر وازرة وزر اخرى فلم لا يتمسك في هذا الخبر بقوله عز وجل ليس كمثله
شي ونزعم ان هذا كان مسبوقا بكلام اخر لو حكي لزال الاشكال وانه من
البعيد صدور مثل هذا الكلام من رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي اصطفاه
الله عز وجل لرسالته وامره ببيان شرائعه انتهى واقول لا يخفى ان الدجال
فتنته من اشنع الفتن بل هي اشنع الفتن الا ترى ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لم يصل صلوة الا واستعاذ بالله عز وجل من فتنة الدجال وان
الله عز وجل لم يبعث نبيا الا وانذر امته الاعور الكذاب وسبب
كون فتنته شنيعة دعواه الالهية واظهار خوارق يظن صدقه
فيها كثير من ذوي العقول الناقصة وانه يحيي ويميت ويقول
للارض انبتي فتنبت ويقول للسما امطري فتمطر ومثل هذه
الامور ربما يفتتن بها ذووا الافكار الناقصة والنبي صلى الله عليه وسلم
كشف شانه وبين حاله اتم بيان وارتفع بهذا البيان كل شبهة
تداخل القلوب في صدق دعواه الربوبية فابدى لهم مقدمة مسلمة
عندهم وعند كل ذي عقل ان الاله متعال عن النقائص وهذا الدجال

تامل هذا الرد لكلام
الفخر الرازي وافهم
وانصف
منه

ناقص والنقص ينافي الربوبية فان قلت يكفي في بطلان ربوبيته
كونه جسما والجسمية تنافي الربوبية قلت نعم لكن منافاتها لها نظرية
بخلاف منافاتها للنقص فانها بديهية فابدى لهم مقدمة بديهية
مسلمة عند كل احد وهي عور الدجال واثبات النقص له في ضمن
خصوص عوره فانه نقص مقطوع بكونه نقصا عند كل احد من اهل النظر
وغيرهم ثم انه نفى العور عن الله عز وجل مريدا به نفي النقص عنه فذكر الخاص
واراد العام او نفى الملزوم واراد نفي لازمه ولا يلزم منه ان يريد نفي نفس
العور ليلزم منه ان يكون له عين جارحة الا انه لا عور فيها بل اراد نفي
النقص الذي ثبت للدجال في ضمن كونه اعور فكانه قال ان الدجال اعور
وان الله عز وجل متعال عن النقص وانما خص نفي العور من بين افراد
النقص للمشاكلة ويمكن ان يحمل كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قياس
من الشكل الاول بان يقال الدجال اعور وكل اعور ليس باله فالدجال
ليس باله او يقال الدجال ناقص الذات وكل ناقص الذات ليس باله
فالدجال ليس باله فنسبة الرازي ضعف المعنى الى هذا الحديث
اما من سوء ادبه وغلبة علم الاوائل على فهمه واما من عدم اطلاعه على
شان هذا الحديث وعلو مقامه فان هذا حديث بلغ مبلغ التواتر
واخرجه نحو عشرين اماما من ائمة الحديث اجلهم الشيخان ومالك في
موطاه واحمد والشافعي في مسنديهما رضي الله عنهم اجمعين وليت
شعري اي ضرر في الدين لحصل من بيان النبي صلى الله عليه وسلم الفرق بين

الدجال

الدجال وبين الله عز وجل وان كان الفرق جليا الا ان هذا الخبيث يظهر
منه امور يحتاج فيها ذووا العقول السخيفة الى الفرق ولو لم يكن شانه
موقعا في ريب عظيم لما حثنا صلى الله عليه وسلم على الاستعاذة من شره
في كل صلوة وكم من اية في كتاب الله عز وجل بينت الفرق بين الله عز
وجل وبين الاصنام التي هي جمادات ففتنة الدجال اشد من فتنة
الاصنام وكون راوي هذا الحديث ابن عمر زاده صحة وزاد القلب
به طمانينة وما كان ظني في الرازي انه يجهل مقام ابن عمر رضي الله عنه
الذي قيل انه بمكانة لا يداني اول من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم
تحت الشجرة بيعة الرضوان وكان من الورع والعلم له القدم الراسخ في
اتباع اثار النبي صلى الله عليه وسلم وتحريه واحتياطه في فتواه امر مشهور
قال ابن وهب نشر نافع عن ابن عمر علما جما افتى في الاسلام ستين
سنة وعرضت عليه الخلافة فاباها وهو احد العبادلة الاربعة
عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عباس وعبد الله
ابن عمرو بن العاص المشهورين بالعلم التام المشهورين بالفقه والورع
وكثرة الحديث والدين التام بل قال البخاري ان اصح الاسانيد ما
رواه مالك عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما ويكفي في فضله وكمال
سعادته التامة شهادة النبي صلى الله عليه وسلم في حقه بقوله نعم الرجل
عبد الله لو كان يصلي من الليل فكان عبد الله لا ينام من الليل الا قليلا
ثم ان قوله ثم المشهور الى اخره المشتمل على ان عائشة رضي الله عنها

مطلب يتعلق بابن عمر رضي الله عنه والعبادلة

طعنت في ابن عمر غير صحيح بل لم يقل به احد فان كلام عائشة رضي الله عنها
لم يكن مع ابن عمر رضي الله عنهما وانما كان مع عمر امير المومنين رضي الله عنه نفسه
لا مع ابنه ولم يكن ذلك منها طعنا ولا نسبة منها له الى سوء وانما كان
ذكر اختلاف فهم فهي سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم شيا وفهمت منه
امرا وهو سمع شيا وفهم منه امرا واعاذ الله ام المومنين من ان تطعن
في مثل امير المومنين المشهود له بالجنة الذي قال في حقه ابن عباس
رضي الله عنهما لما دفن عمر بن الخطاب دفن معه تسعة اعشار العلم
وقد بين الغزالي رضي الله عنه في الاحيا اي علم دفن مع عمر رضي الله عنه
وقد جمع البخاري في صحيحه بين اختلاف عائشة وعمر رضي الله عنهما وحمل
ما رواه عمر على حالة وما روته عائشة على حالة اخرى قال في باب قول
النبي صلى الله عليه وسلم يعذب الميت ببعض بكا اهله عليه اذا كان النوح
من سنته اي اذا سن الميت النوح بان امرهم به وحملهم عليه كما
كان اهل الجاهلية يفعلون لقول الله عز وجل قوا انفسكم واهليكم نارا وقال
النبي صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسول عن رعيته فاذا لم يكن من
سنته فهو كما قالت عائشة رضي الله عنها لا تزر وازرة وزر اخرى
ثم ذكر البخاري بعد ذلك بسنده الصحيح الى عبد الله بن عبيد الله بن
ابي مليكة قال توفيت بنت لعثمن رضي الله عنه بمكة وجئنا
لنشهدها وحضرها ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم واني لجالس بينهما
او قال جلست الى احدهما ثم جا الاخر فجلس الى جنبي فقال عبد الله بن عمر

لعمرو

لعمرو بن عثمن الا تنهى عن البكا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الميت
ليعذب ببكاء اهله عليه فقال ابن عباس رضي الله عنهما قد كان عمر رضي الله عنه
يقول بعض ذلك ثم حدث اي ابن عباس فقال صدرت مع عمر رضي الله
عنه من مكة حتى اذا كنا بالبيداء اذا هو بركب تحت ظل سمرة فقال
اذهب فانظر من هولاء الركب قال فنظرت فاذا صهيب فاخبرته
فقال ادعه لي فرجعت الى صهيب فقلت ارتحل فالحق امير المومنين
رضي الله عنه فلما اصيب عمر رضي الله عنه دخل صهيب يبكي يقول واخاه
واصاحباه فقال له عمر رضي الله عنه اتبكي علي وقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الميت ليعذب ببعض بكاء اهله عليه قال ابن عباس
رضي الله عنه فلما مات عمر رضي الله عنه ذكرت ذلك لعائشة رضي الله عنها
فقالت رحم الله عمر والله ما حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
ليعذب المومن ببكاء اهله عليه ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان
الله عز وجل ليزيد الكافر عذابا ببكاء اهله عليه وقالت حسبكم القران
ولا تزر وازرة وزر اخرى قال ابن عباس عند ذلك والله هو اضحك وابكى
قال ابن ابي مليكة والله ما قال ابن عمر رضي الله عنهما شيا فهذا صريح
في ان الرد انما كان على عمر وبعد موته ثم روى البخاري بسنده الى عائشة
رضي الله عنها انها قالت مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على يهودية يبكي
عليها اهلها فقال انهم ليبكون عليها وانها لتعذب في قبرها على ان ما
ذهب اليه ابن عمر وابوه رضي الله عنهما ذهب اليه كثير من العلما فان هذه المسلة

اقول ان الميت
يعذب بنواح اهله

الفصل السابع

فيه خلاف بينهم على اقوال اصحها وهو تاويل الجمهور لقوله صلى الله عليه وسلم ان
الميت ليعذب ببكاء اهله عليه انه محمول على من اوصى به كما كانت العرب
تفعله الثاني يعذب بسماع بكاء اهله عليه يرق لهم ويسوءه اتيانهم بما
يكره ربه عز وجل وهذا اولى قال المصنف في شرح مسلم الثالث انهم
يعددون في نواحهم جرايم الموتى ويظنونه محمودا كالقتل وشن
الغارات فهو يعذب بما ينوحون به عليه الرابع ان قول النبي صلى الله
عليه وسلم ببكاء اهله معناه عند بكائهم عليه الخامس انه محمول على الكافر
وغيره من اصحاب الذنوب السادس انه مخصوص بشخص بعينه
ذكره القاضي ابو بكر الباقلاني احتمالا وذهب داود الظاهري
وطايفة من العلما الى ان النهي على ظاهره وهو الذي فهمه ابن عمر
وابوه لانه اهمل نهيهم فعذب لتفريطه الفصل
السابع فيما اخبره الله عز وجل به في كتابه العزيز اي الغالب الذي
غلب المبطلين فلم يقدروا على ان ياتوا بمثله ولا بمثل اقصر سورة منه
يقال عزه يعزه عزا اذا غلبه من عظيم قدره بيان لما وشريف منزلته على
الانبياء اي منزلته الشريفة اي العالية وحظوة رتبته اي قربها من الله عز
وجل يقال حظيت المراة عند زوجها تحظى حظوة وحظوة بالضم والكسر
اي سعدت به ودنت من قلبه واحبها وفي الصحاح رجل حظي اذا كان
ذا حظوة ومنزلة وقد حظي عند الامير واحتظى به بمعنى واحظيته على
فلان اي فضلته عليه قوله تعالى كذا في نسختي التي بيدي الان وهو على هذه
النسخة

قلت عندي نسختان موافقتان لنسخة شيخنا ه

النسخة مبتدا خبره محذوف اي من ذلك واذ اخذ الله ظرف العامل فيه
اذكر يا محمد او اذكروا يا اهل الكتاب او قال من قوله قال اقررتم وهو
احسن لعدم تكلف الاضمار واجاز بعضهم ان يكون معطوفا على اذ من
قوله اذ قالت امراة عمران والعامل فيها اصطفى من قوله ان الله
اصطفى وهو بعيد جدا ميثاق النبيين الميثاق العهد مفعال من الوثاق
وهو في الاصل حبل او قيد يشد به الاسير والدابة والمراد به هنا ما
وثق الله عز وجل به عهده من الايات او الكتب او ما وثقوه به من
الالتزام والقبول والمراد ان الله عز وجل اخذ على النبيين العهد
بذلك فاضافة الميثاق اليهم اضافة المصدر الى مفعوله لان النبيين
ماخوذ عليهم الميثاق وقيل ان اضافة الميثاق الى النبيين من اضافة
المصدر الى فاعله والمعنى واذ اخذ الله عز وجل الميثاق الذي وثقه
الانبياء عليهم السلام على اممهم فان قلت على ما قررنا الا تدخل الامم في ذلك
قلت اذا ذكر النبيون فالامم بالطريق الاولى وقيل من قبيل سرابيل
تقيكم الحر وان التقدير ميثاق النبيين واممهم واستغنى بذكرهم عن
ذكر اممهم وفي الكشاف ذكر وجهين اخرين الاول ان يراد ميثاق
اولاد النبيين وهم بنوا اسرايل على حذف المضاف الثاني ان يراد
اهل الكتاب وان يرد على زعمهم تهكما بهم لانهم كانوا يقولون نحن اولى
بالنبوة من محمد صلى الله عليه وسلم لانا اهل الكتاب ومنا كان النبيون
ويدل عليه قراءة ابن مسعود رضي الله عنه واذ اخذ الله ميثاق الذين

اوتوا الكتاب انتهى وفي تفسير البيضاوي وقيل اولاد النبيين على حذف
المضاف وهم بنو اسرايل وسماهم نبيين تهكما بهم لانهم كانوا يقولون
نحن اولى بالنبوة من محمد صلى الله عليه وسلم لانا اهل الكتاب والنبيون كانوا
منا انتهى فان قلت اي العبارتين اسد فان عبارة الكشاف تقتضي ان
التهكم انما وقع باهل الكتاب واما اولاد النبيين فلا تهكم عليهم بل يكون
الكلام على ظاهره باعتبار ملاحظة المضاف وعبارة القاضي تقتضي ان
التهكم وقع على بني اسرايل الذين هم اولاد الانبياء وان حذف لهذا
المضاف وتسميتهم نبيين تهكم قلت الظاهر ان كلام الكشاف
اسد لانا اذا اعتبرنا المضاف فاي تهكم هنا فانه لم يرد حينئذ اطلاق
النبيين عليهم ليكون تهكما وانما اراد اطلاقه على ابائهم والنبوة صفة
ابائهم حقيقة نعم ان اطلق لفظ النبيين على اولاد النبيين من غير
ملاحظة مضاف كان ذلك تهكما وتقرير التهكم ان يصير التقدير
واذ اخذ الله ميثاق هولاء الذين سموا انفسهم نبيين وقالوا
نحن احق بالنبوة من محمد صلى الله عليه وسلم وهذا كمن ائتمنته على
شي وهو خائن به ثم ادعى بعد ذلك انه امين فقلت له يا امين
اذكر حين استودعتك ذلك الشي وعهدت اليك بحفظه وقد ذكر
بعضهم وجها اخر فقال يجوز ان يكون المعنى واذ اخذ الله على
الناس ميثاقا مثل ميثاق النبيين اي ميثاقا غليظا ثم جعل
ميثاقهم نفس ميثاقهم بحذف اداة التشبيه وعليه قوله عز وجل

واذ

واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ويجوز
ان تكون الاضافة بمعنى التعليل لادنى ملابسة كانه قيل واذ اخذ
الله الميثاق على الناس لاجل النبيين قال الراغب الصحيح ان
العهد ماخوذ من الفريقين من الرسل والمرسل اليهم وخص الانبياء
بالذكر لكونهم الروس والامة تبع لهم ولذلك خص نبينا صلى الله عليه وسلم
في كثير من المخاطبات التي يشاركه فيها امته نحو يا ايها النبي اذا طلقتم
النساء ولانه اذا اخذ الميثاق على الانبيا عليهم السلام فقد اخذ على
اممهم لمشاركتهم انبياءهم في عامة ما شرع لهم وفي قوله عز وجل لما اتيتكم
قرآات الاولى قراءة حمزة بكسر اللام وتخفيف الميم فاللام للتعليل وما
موصولة صلتها اتيتكم والعائد محذوف والتقدير اتيتكموه وثم جاءكم
معطوف على الصلة والعائد من الجملة المعطوفة الى الموصول محذوف
لدلالة المعنى عليه والتقدير ثم جاءكم رسول به وجوزوا ان يكون
الرابط ما في قوله مصدق لما لان ما هنا هي ما الاولى ومصدق فهما
واحد كانه قيل ثم جاءكم رسول مصدق له وقد جا الربط في الصلة بغير
الضمير الا انه قليل منه قوله ابو سعيد الذي رويت عن الخدري
اي رويت عنه وقال الشاعر

من الطويل

فيا رب ليلى انت في كل موطن وانت الذي في رحمة الله اطمع ⊕
اي في رحمته واجاز ابو البقا ان يكون العائد ضمير الاستقرار العامل
في مع وجواب اذ على هذه القراة لتومنن به وضمير به عائد على رسول

ويجوز الفصل بين القسم المأخوذ من قوله ميثاق النبيين وبين المقسم
عليه بمثل هذا الجار والمجرور كما لو قلت اقسمت للخبر الذي بلغني عن عمرو
لاحسنن اليه فان ذلك جائز وفي تفسير القاضي البيضاوي ما في هذه
القراءة مصدرية اي لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب ثم مجي رسول
مصدق اخذ الله عز وجل الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه وفي الكشاف
واللام على قراءة حمزة داخلة للتعليل على اخذ الله عز وجل ميثاقهم ليؤمنن
بالرسول صلى الله عليه وسلم ولينصرنه لاجل اني اتيتكم الكتاب والحكمة
اقول عندي كلام القاضي احسن لسلامته من الاعتراض الوارد على
عبارة الكشاف فان ظاهرها ان التعليل لقوله لتؤمنن به وهو لا يصح لانه
خلاف ظاهر الاية كيف وان ما بعد اللام المتلقى بها القسم لا يعمل فيما
قبلها لكونها من ذوات الصدارة نعم اجاز بعضهم في معمول جواب
القسم اذا كان ظرفا او جارا ومجرورا كما في هذه الاية تقدمه وجعلوا
منه قوله عز وجل عما قليل ليصبحن نادمين بخلاف كلام البيضاوي فانه
صرح في ان التعليل انما هو لاخذ الله عز وجل الميثاق على ان لنا ان
نحمل عبارة الكشاف على ان التعليل في قوله لاجل هو لاخذ الله عز وجل
الميثاق وان بعد في الذكر فان لتؤمنن اقرب في الذكر منه وانما
صرف اليه مع بعده لاجل صحة المعنى القراءة الثانية لما بفتح اللام
وتخفيف الميم قال البيضاوي واللام في لما موطئة للقسم لان اخذ
الميثاق بمعنى الاستحلاف وما تحتمل الشرطية ولتؤمنن ساد مسد
جواب

جواب القسم والشرط وتحتمل الخبرية واقول لا يخفى ان اللام الموطئة
للقسم هي الداخلة على اداة شرط للايذان بان الجواب بعدها مبني على
قسم قبلها لا على الشرط وسميت موطئة لانها وطات الجواب للقسم
اي مهدته له واكثر ما تدخل على ان الشرطية وقد تدخل على غيرها ولقلة
دخولها على غير ان كان الاولى في هذه الاية ان يجعل اللام للابتدا وما
موصولة لانه حمل على الاكثر ثم ان جعله جملة لتؤمنن ساد مسد
جواب القسم والشرط فيه بحث لان لتؤمنن لا يصلح ان يكون
جواب الشرط لان هذه اللام تمنع منه وجواب الشرط اذا كان فعلا
مضارعا او ماضيا ولم يوجد فيه الفا فهو مجزوم لفظا او محلا وان
وجدت فيه الفا كانت الجملة في محل جزم وجواب القسم لا محل له فلا
يصح ان تكون جملة واحدة لها محل ولا محل لها نعم هذه الجملة جواب
القسم وجواب الشرط محذوف دلت عليه جملة جواب القسم فيصح
كونها سادة مسده باعتبار دلالتها عليه ويجوز ان تكون اللام
لام الابتدا وما اسم موصول مبتدا وجملة اتيتكم صلة الموصول
والعائد محذوف اي اتيتكموه وثم جاءكم معطوف على الصلة والعائد
منها محذوف اي جاءكم به وجملة القسم وجوابه خبر المبتدا وضمير به عائد
على الموصول المبتدا القراءة الثالثة لما بتشديد الميم قال البيضاوي
هي بمعنى حين او لمن اجل ما اتيتكم على ان اصله لمن ما بالادغام
فقلبت النون ميما ثم حذفت احدى الميمات الثلاثة استثقالا

واقول لا يخفى ان جعل لما بمعنى حين مذهب ضعيف قال الفارسي ومذهب
سيبويه انها حرف وجوب لوجوب لا ظرف واما التخريج الثاني فلا
ينبغي ان يخرج عليه كلام العرب فضلا عن كلام رب العزة جل وعلا وقوله
عز وجل من كتاب وحكمة من هنا قال البيضاوي تابعا للزمخشري للتبعيض
واقول المقصود بهذا المجرور تخصيص عموم الشرط فلو قلت من تضرب
اضربه كان عاما فاذا قلت من رجل اختص بجنس الرجال وقيل انها
لبيان الجنس فهو تفسير لما وبيان له وقيل زائدة وكتاب وحكمة مفعول
ورد بانها لا تزاد الا في كلام غير موجب والشرط ليس من قبيل غير الموجب
والحكمة قال ابن عرفة ما منع به الجهل يقال احكمت فلانا اي منعته قال الشاعر
ابني حنيفة احكموا سفهاءكم ٭ اني اخاف عليكم ان اغضبا ٭ من الكامل
وبه سميت حكمة اللجام لانها يمنع بها الدابة والمراد بالحكمة هنا العلم
الدال على ما يرضي الله عز وجل ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به
ولتنصرنه فيه وضع الظاهر موضع الضمير لانه كان مقتضى الظاهر ان
يقول مصدق له والنكتة فيه هنا زيادة التقرير والتمكين ويجوز
ان يكون النكتة فيه ازالة اللبس حيث يوهم الضمير انه غير الاول
فهو على حد قوله عز وجل قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء
فانه لو قال تؤتيه من تشاء لتوهم انه غير الاول وقوله عز وجل مصدق
لما معكم اي للكتاب الذي هو معكم وهو التوراة ومعنى كونهم معهم
انهم ملازموه ومطلعون على ما فيه وذلك مؤذن بعلمهم بان هذا النبي
يصدق

يصدق التوراة فان المعية منبئة عن تكرار المراجعة للتوراة والوقوف
على ما في تضاعيفها المؤدي الى العلم بتصديقه صلى الله عليه وسلم لها
ومعنى تصديق النبي صلى الله عليه وسلم للتوراة انه بعث بالاين مطابق
لما نعت في التوراة وجاء بكتاب نزل على طبق ما ذكر فيها ويوافق
ما فيها من القصص والمواعيد والدعوة الى التوحيد والعدل
بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش واما مخالفة نبينا صلى
الله عليه وسلم لها في بعض فروع الشرائع المتفاوتة بحسب تفاوت الاعصار
فليست بمخالفة في الحقيقة بل هي موافقة لها من حيث ان كلا منها
حق بالاضافة الى عصره وزمانه للحكمة التي اقتضاها التشريع وليس
في التوراة دلالة على ابدية احكامها المنسوخة حتى يخالفها ما ينسخها
بل لما يدل على انها مشروعة مطلقا من غير تعرض لبقائها وزوالها
بل نقول هي ناطقة بنسخ تلك الاحكام فان نطقها بصحة القرآن
الذي نزل على نبينا صلى الله عليه وسلم الناسخ لها نطق بنسخها فاذن
مناط المخالفة في الاحكام المنسوخة انما هو اختلاف العصر حتى
لو تاخر نزول المتقدم لنزل على وفق المتاخر ولو تقدم نزول المتاخر
لوافق المتقدم قطعا ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لو كان موسى
حيا لما وسعه الا اتباعي وتقييد الرسول بكونه مصدقا لما معهم
لتاكيد وجوب الايمان ونصرته فان ايمانهم بما معهم يقتضي الايمان
بما يصدقه قطعا قوله عز وجل قال اقررتم واخذتم على ذلكم اصري

اي عهدي وميثاقي سمي به لانه يوصر اي يشد قوله عز من قائل **قالوا**
اقررنا قال فاشهدوا اي فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وقيل
الخطاب فيه للملائكة قوله عز وجل **وانا معكم من الشاهدين** اي وانا
ايضا شاهد على اقراركم وتشاهدكم على ذلك وانما جعل نفسه الكريمة
معهم لانهم هم الشهود حقيقة وفي هذه المقالة من التاكيد والتحذير ما لا
يخفى **قال ابو الحسن القابسي** هو الحافظ الفقيه العلامة ابو الحسن
علي بن محمد بن خلف المعافري القروي اخذ بافريقية عن ابن مسرور
الدباغ ودارس بن اسمعيل وبمصر عن حمزة بن محمد الحافظ وابي زيد
المروزي ولد سنة اربع وعشرين وثلثمائة وكتبه في غاية الصحة
كان يضبطها له ثقات اصحابه والقابسي بالقاف وبعد
الالف موحدة مكسورة ثم سين مهملة ثم يا النسبة وانما قيل له
القابسي لان عمه كان يشد عمامته شد اهل قابس وفي القاموس
قابس كناصر بلدة بين طرابلس وسفاقس قال حاتم الاطرابلسي
توفي في ربيع الاخر سنة ثلاث واربعمائة بمدينة القيروان **اختص**
الله عز وجل محمدا صلى الله عليه وسلم بفضل لم يوته غيره ابانه به ابان ياتي
لازما ومتعديا وقد جعله المصنف متعديا فهو اما ماخوذ من قولك
ابنته اذا جعلته مفارقا لغيره منقطعا عنه ومنه بينونة المراة
وهي انفصالها عن زوجها اي جعل الله عز وجل بهذه الفضائل والمزايا
محمدا صلى الله عليه وسلم منقطعا منفصلا عن سائر الانبيا انفصال

ترجمة القابسي

الفاضل

الفاضل عن المفضول واما من قولك ابنت الشي اذا وضحته لان شؤون
محمد صلى الله عليه وسلم ربما تخفى على الناس فاوضحها الله عز وجل في كتبه المنزلة
لا سيما في التوراة فصار الواقفون عليها يعرفونها كما يعرفون ابناءهم فلا
ينبغي ان يفسر ابانه بجعل فضله كالبين بل يتعين ازالة كاف التشبيه
ويقول جعله بينا واي بيان اعظم من بيان جعل معرفتهم بنبينا صلى الله
عليه وسلم كمعرفتهم بابنائهم **وهو** اي ذلك الفضل الذي اختص به **ما ذكره**
الله عز وجل في هذه الاية قال المفسرون اخذ الله عز وجل الميثاق بالوحي
فلم يبعث نبيا الا ذكر له محمدا صلى الله عليه وسلم ونعته واخذ عليه
ميثاقه ان ادركه ليومنن به وقيل ان يبينه لقومه وياخذ ميثاقهم
ان يبينوه لمن بعدهم وانما اخذ على النبيين كلهم المواثيق ان يومنوا بمحمد
صلى الله عليه وسلم ان ادركوه لانه هو صاحب النبوة الكاملة والسيادة
الشاملة ففي صحيح مسلم قال صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم ولا فخر
وفي رواية ولا فخر بالزاي وهو التبجح بالباطل وفي صحيح مسلم ايضا انا
سيد الناس يوم القيمة فثبتت له السيادة والشرف على ابنا جنسه
من البشر قال الشيخ محيي الدين بن عربي فكانت الانبيا في العالم
نوابه صلى الله عليه وسلم من ادم الى اخر الرسل وقد ابان صلى الله عليه وسلم
عن هذا المقام بامور منها قوله صلى الله عليه وسلم والله لو كان موسى
عليه السلام حيا ما وسعه الا ان يتبعني وقوله في نزول عيسى عليه السلام
في اخر الزمان انه يامنا امامنا اي يحكم فينا بسنة نبينا صلى الله عليه وسلم

ويكسر الصليب ويقتل الخنزير قال ولو كان محمد صلى الله عليه وسلم قد
بعث في زمان ادم عليه السلام لكانت الانبيا وجميع الناس تحت حكم
شريعته الى يوم القيمة حسا ولهذا لم يبعث عامة الا هو خاصة فهو
الملك والسيد وكل رسول سواه بعث الى قوم مخصوصين فلم تعم
رسالة احد من الرسل سوى رسالته صلى الله عليه وسلم فمن زمان ادم
عليه السلام الى زمان بعث محمد صلى الله عليه وسلم الى يوم القيمة ملكه وتقدمه
في الاخرة على جميع الرسل وسيادته منصوص على ذلك في الصحيح
فروحانيته صلى الله عليه وسلم موجودة وروحانية كل نبي ورسول منه
وجدت فكان الامداد ياتي اليهم من تلك الروح الطاهرة ثم قال تنسب
كل شرع الى من بعث به وهو في الحقيقة شرع محمد صلى الله عليه وسلم
وان كان مفقود العين من حيث لا يعلم ذلك كما هو مفقود العين الان
وفي زمان نزول عيسى عليه السلام فالحكم شرعه واما نسخ الله عز وجل
بشرعه جميع الشرائع فلا يخرج هذا النسخ ما تقدم من الشرائع عن ان
يكون من شرعه فان الله عز وجل قد اشهدنا الظاهر المنزل به صلى
الله عليه وسلم في القران والسنة النسخ مع اجماعنا واتفاقنا على ان
ذلك المنسوخ شرعه الذي بعث به الينا فنسخ بالمتاخر المتقدم
فكان هذا النسخ الموجود الان في القران والسنة تنبيها لنا على ان
نسخه لجميع الشرائع المتقدمة لا يخرجها عن كونها شرعا له وكان نزول
عيسى عليه السلام في اخر الزمان حاكما بغير شرعه او بعضه الذي كان عليه

في

في زمن رسالته وحكمه بالشرع المحمدي المقرر اليوم دليلا على انه لا حكم
لاحد اليوم من الانبيا عليهم السلام مع وجود ما قرره عليه الصلوة والسلام
في شرعه ثم قال فتخرج من هذا المجموع كله انه ملك وسيد على جميع بني
ادم عليه السلام وان جميع من تقدمه كان ملكا له وتبعا والحاكمون فيه
نواب عنه ثم قال فان قيل فقوله صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني فالجواب
نحن ما فضلناه بل الله عز وجل فضله فان ذلك ليس لنا وان كان قد
ورد اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده لما ذكر الانبيا عليهم السلام
فهو صحيح فانه قال فبهداهم اقتده وهداهم من الله عز وجل وهو شرعه
صلى الله عليه وسلم اي الزم شرعك الذي ظهر به نوابك من اقامة الدين
ولا تتفرقوا فيه ولم يقل فبهم اقتده وفي قوله ولا تتفرقوا فيه تنبيه
على احدية الشرع وقوله اتبع ملة ابرهيم وهو الدين فهو مامور
باتباع الدين فان الدين انما هو من الله عز وجل لا من غيره وانظر ما
في قوله صلى الله عليه وسلم لو كان موسى حيا ما وسعه الا ان يتبعني فاضاف
الاتباع اليه وامر هو صلى الله عليه وسلم باتباع الدين وهدى الانبيا عليهم
السلام لا بهم فان الامام الاعظم اذا حضر لا يبقى لنائب من نوابه حكم الا له
فاذا غاب حكم النواب بمراسمه فهو الحاكم غيبا وشهادة ثم انه اطال
الكلام في تحقيق ذلك وهو في الفتوحات المكية في الباب التاسع
من ابوابه فقف عليه ان اردته هذا هو السبب البين في اخذ الله عز وجل
الميثاق على النبيين انهم اذا ادركوا محمدا صلى الله عليه وسلم ان يؤمنوا به وينصروه

التنوين في الاصل الا انه ما اصلحناه
صح عنده

فصل نذكر فيه ما وقفنا عليه من ذكر الله عز وجل لمحمد
صلى الله عليه وسلم في الكتب السالفة على لسان الانبياء الماضين ذكر
ابن ظفر في كتابه خير البشر بخير البشر مما ترجموه في كتاب شعيا النبي عليه
السلام وهو نبي بعثه الله عز وجل حين انقرض آل سليمن وصار الملك
الى صاحب شعيا واسمه صدقيه بعث الله عز وجل شعيا يسدده
ويرشده وهو الذي بشر بعيسى ومحمد صلى الله عليهم جميعا وسلم ترجموا
ما في كتابه الذي هو بالسرياني الى العربي عبدي الذي سرت به نفسي
انزل عليه وحيي فيظهر في الامم عدلي ويوصيهم بالوصايا لا يضحك
ولا يسمع صوته في الاسواق يفتح العيون العور والاذان الصم
ويحيي القلوب الغلف وما اعطيه لا اعطي احدا مشفح يحمد الله
عز وجل حمدا جديدا يفرح البريه وسكانها يهللون الله عز وجل على
كل شرف ويكبرونه على كل رابية لا يضعف ولا يميل الى الهوى
ولا يذل الصالحين الذين هم كالقصبة الضعيفة بل يقوي
الصديقين وهو ركن المتواضعين وهو نور الله عز وجل الذي لا
يطفا اثر سلطانه على كتفه هذه ترجمة السريانيين وعبر العبرانيون
عنه بان قالوا على كتفيه علامة النبوة قال ابن ظفر فهذا كله صريح
في البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم مع ما فيه من ذكر دولة العرب بقوله
يفرح البريه وسكانها ومشفح هو محمد صلى الله عليه وسلم لان الشفح
بلغتهم هو الحمد والمدح ومما ترجم السريانيون من كتاب شعيا اخبارا

عن

عن الله عز وجل انه قال اقسمت بنفسي كقسمي ايام نوح لا اغرقن الارض
بالطوفان كذلك اقسمت اني لا اسخط عليك ولا ارفضك وان الجبال
تزول والقلاع تنحط ورحمتي عليك لا تزول يا مسكينه يا مضطهده
ها انا ذا بان بالحص حجارتك ومزينك بالجوهر ومكللا باللولو سقفك
وبالزبرجد ابوابك وتبعدين من الظلم والجادس وكل سلاح يصنعه
صانع لا يعمل فيك وكل لسان يقوم معك بالخصومة ويسميك الله عز وجل
اسما جديدا قومي واشرقي فانه قد دنا نورك ووقار الله عز وجل عليك
انظري بعينيك حولك فانهم مجتمعون ياتيك بنوك وبناتك عدوا
فحينئذ تشرقين وتزهرين ويخاف عدوك ويتسع قلبك وكل غنم
قيدار مجتمع اليك وسادات نباوت يخدمونك وتفتح ابوابك دائما
الليل والنهار ويتخذونك قبلة وتدعين بعد ذلك مدينة الرب عز وجل
قال ابن ظفر فهذا تصريح بالبشرى بنبينا صلى الله عليه وسلم لانه خطاب
يختص بالكعبة الا تسمعون الى ذكره قيدار ونباوت فقيدار هو
ابن اسمعيل عليه السلام ونباوت هو نبت بن قيدار بن اسمعيل عليه السلام
والاسم الجديد الذي سميت به الكعبة هو البيت الحرام وفي كتاب شعيا
ايضا ايتها العاقر افرحي واهتزي وانطقي بالتسبيح فانا اهلك
يكون اكثر من اهلي فالعاقر مكة لانها بواد غير ذي زرع ولانها لم يبعث
بها قبل هذا الخطاب نبي وكان الانبيا قبل هذا الخطاب بغيرها كثير بين
فهي عاقر من الانبيا قبل ان يبشرها الله عز وجل بمحمد صلى الله عليه وسلم

وقوله يكون اهلك اكثر من اهلي ان سلم من التحريف وسوء العبارة يمكن
تاويله فقال الشيخ بدر الدين محمد بن ايوب التاذفي شارح قصيدة البردة
من زائدة والمعنى ان المسلمين يكونون اكثر اهل طاعة الله عز وجل
وتوحيده وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان امته اكثر اهل الجنة والاهل
والال يكنى بهما عن الجماعة الخاصة قال شاعر قريش

من الرمل

نحن ال الله في كعبته ، لم نزل الاعلى الى ارام ه ويروى لم نزل الاعلى
عهد ابرهم ولما رجع ابو بكر الصديق رضي الله عنه في استخلافه عمر رضي الله
عنه وقيل له ماذا تقول لربك عز وجل فقال اقول تركت على اهلك
خير اهلك واقول لا تخفى ان من لا تزاد في الاثبات الاعلى راي
ضعيف وان مدخولها لا يكون الا نكرة وان يكون مدخولها اما
فاعلا او مفعولا به او مبتدا وكل هذه الشروط مفقودة هنا وعندي
الصواب هنا ان من ليست الداخلة بعد اسم التفضيل على المفضل
عليه وانما المفضل عليه محذوف والتقدير يكون اهلك اكثر من غيرهم
وهم اي اهلك من اهلي اي من خاصتي فمن في قوله من اهلي للتبعيض
اي من اوليائي فاهل المضاف الى الكاف يراد به اللائذون بالكعبة
لواذ تعظيم واجلال واعتقاد لحق واهلي المضاف الى الياء معناه
اوليائي وخاصتي وقد فسر اهل في قوله صلى الله عليه وسلم اهل القران هم
اهل الله باوليائه فيصير التقدير فان اهلك يكونون اكثر من غيرهم
ويكونون من اهلي فمن اهلي خبر بعد خبر وقد جاء ما في هذا الكتاب طبق

ما في

ما في الخارج فان اتباع نبينا صلى الله عليه وسلم اكثر من اتباع جميع الانبياء
قال ابن ظفر ومن كتاب حزقيل ما ترجمته من قصة ذكر فيها ظهور اليهود
وعزهم وكثرتهم وشبههم بشجرة الكرم ثم قال لم تلبث تلك الكرامة
ان قطعت بالسخطة ورمي بها على الارض فاحرقت السمائم ثمرتها
فعند ذلك غرس غرس في البلد وفي الارض المهملة العطشى فخرج
من اغصانه الفاضلة نار فاكلت تلك الكرامة حتى لم يوجد فيها
قضيب فلا شك ان ارض البدو والمهملة العطشى هي ارض العرب
وغرس الله عز وجل الذي غرس فيها هو محمد صلى الله عليه وسلم وقد اخزى الله
عز وجل بهم اليهود وزعم اليهود ان رجلا ادعى النبوة في زمن بخت نصر
فحكوا عنه انه قال اذا جاءت الامة الاخرة يسبح بهم صاحب الجمل او قال
راكب الجمل تسبيحا جديدا في الكنائس الجدد فافرحوا وسيروا الى
صهيون بقلوب امنة واصوات عالية بالتسبيحة الجديدة لله عز
وجل في الايام الاخرة امة جديدة بيدهم سيوف ذات شفرتين
فينتقمون من الامة الكافرة في جميع الاقطار قال ابن ظفر ولا شك
في ان صاحب الجمل وراكبه من الانبياء هو محمد صلى الله عليه وسلم
والامة الجديدة هي العرب الذين ذكروا في التوراة بانهم يكونون وحش
الناس والكنائس الجدد المساجد وصهيون مكة وقد سمعت
جماعة من علمائهم يعترفون بذلك فان ادعوا انه بيت المقدس قيل
لهم ما زلتم تسيرون اليه فمن راكب الجمل من بني اسرائيل ومن الامة

الجوبة اصحاب السيوف المصلتة الرافعوا اصواتهم بالتسبيح الجديد
وما الذي يجدد لهم من التسبيحات بعدما في التوراة كلا بل التسبيحة
الجديدة لبيك اللهم لبيك واما التوراة فانها اشتملت باسرها على دلالات
وايات تدل على ان شريعة المصطفى صلى الله عليه وسلم حق واظهرها
ذكره ابرهيم وابنه اسمعيل عليهما السلام ودعاوه في حقه وذريته
واجابة الرب عز وجل اياه اني باركت على اولاد اسمعيل ودعاءه في
حقه وذريته وجعلت فيهم الخير كله وساظهره على الامم كلها وسابعث
فيهم رسولا منهم يتلو عليهم اياتي واليهود معترفون بهذه القصة الا انهم
يقولون اجابة الملك دون النبوة والرسالة ونحن نقول لهم ان
الملك سلمتم اهو ملك بعدل وحق ام لا فان لم يكن بعدل وحق فكيف
يمن على ابرهيم بملك في اولاده هو جور وظلم وان سلمتم العدل
والصدق من حيث الملك فالملك يجب ان يكون صادقا على الله عز
وجل فيما يدعيه بقوله فكيف يكون الكاذب على الله عز وجل صاحب
عدل وحق اذ لا ظلم اشد من الكذب على الله عز وجل ففي تكذيبه
تجويزه وفي التجويز رفع المنة بالنعمة وفي التوراة ان الله عز وجل جاء
من سينا وظهر بساعير وعلن بفاران وساعير جبال بيت المقدس
الذي كان به مظهر عيسى عليه السلام وفاران جبال مكة التي كان بها مظهر
المصطفى صلى الله عليه وسلم ولا يخفى ان الاسرار الالهية والانوار الربانية
في الوحي والتنزيل على ثلاث مراتب مبدا ووسط وكمال والمجيء

اشبه

اشبه بالمبدا والظهور بالوسط والاعلان بالكمال وعبرت التوراة عن
طلوع صبح الوحي وبالمجي والنزول بطور سينا دل على طلوع شمسها وعبر
عن كمالها وارتفاعها بالاعلان على جبال فاران ففي هذه المقالة اثبات نبوة
المسيح ومحمد صلى الله عليهما وسلم وروى الواقدي عن ثعلبة بن ابي مالك ان
عمر بن الخطاب رضي الله عنه سال ابا مالك وكان من احبار اليهود وهو
ابو ثعلبة هذا فقال له اخبرني بصفة النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة فقال
ان صفته في توراة بني هرون التي لم تبدل ولم تغير احمد من ولد اسمعيل بن
ابرهيم وهو اخر الانبياء وهو النبي العربي ياتي بدين ابرهيم الحنيف
يأتزر على وسطه ويغسل اطرافه في عينيه حمرة بين كتفيه خاتم
النبوة ليس بالقصير ولا بالطويل يلبس الشملة ويجتزي بالبلغة
يركب الحمار ويمشي في الاسواق سيفه على عاتقه لا يبالي بمن لقيه
من الناس معه صلوة لو كانت في قوم نوح عليه السلام ما اهلكوا
بالطوفان ولو كانت في عاد ما اهلكوا بالريح ولو كانت في ثمود ما اهلكوا
بالصيحة مولده بمكة ومنشاه وبدء نبوته بها ودار هجرته يثرب
بين لابتي حرة ونخل وسبخة وهو امي لا يكتب ولا يقرا المكتوب
وهو الحماد يحمد الله عز وجل على كل شدة ورخا سلطانه بالشام
وصاحبه من الملائكة جبريل عليه السلام يلقى من قومه اذى شديدا
ثم يدال له عليهم فيحصدهم حصدا يكون له وقعات بيثرب منها له ومنها
عليه ثم له العاقبة ومعه قوم هم الى الموت اسرع من الماء من راس الجبل

[illegible]

الى اسفل صدورهم اناجيلهم قربانهم دماوهم ليوث النهار رهبان الليل
يرهب عدوه منه مسيرة شهر يباشر القتال بنفسه حتى لجرح ويكلم
لاشرلمة معه ولاحرس الله عز وجل لحرسه ونحوه عن السدي وقتادة
في آي تضمنت فضله من غير وجه واحد النحو الطريق والجهة كذا في القاموس
يقال نحوت نحوك اي قصدت قصدك ونحوت بصري اليه صرفته اليه
اي مشى على طريقة السدي قال البرهان الحلبي السدي اثنان كبير وصغير
فالكبير هو اسمعيل بن عبد الرحمن بن ابي كريمة السدي الكوفي يروي عن
ابن عباس وانس وطائفة وعنه زائدة واسرائيل وابو بكر بن عياش
وخلق وراى ابا هريرة مختلف فيه وهو حسن الحديث ثم قال
واما السدي الصغير فهو محمد بن مروان الكوفي يروي عن هشام بن
عروة والاعمش تركوه واتهمه بعضهم وهو صاحب الكلبي له ترجمة
في الميزان انتهى واقول قد رايت في كتاب الثقات لابن حبان
ما لفظه اسمعيل بن عبد الرحمن بن ابي ذويب السدي الاعور مولى
زينب بنت قيس بن مخرمة من بني عبد مناف يروي عن انس بن مالك
وقد راى ابن عمر روى عنه الثوري وشعبة وزائدة مات سنة سبع وعشرين
ومائة في امارة ابن هبيرة وفي كتاب الجمال لابن الجزري سمي جده اباكريمة
وقال انه كوفي كما ذكر البرهان الحلبي وكان جده له اسمان ابو كريمة وابو ذويب
وقد ذكره ابن حبان في الثقات فان قلت ضعفه ابن معين قلت لكن
قال ابن عدي مستقيم الحديث وقال احمد بن حنبل رضي الله عنه وناهيك

م

[illegible]

به من امام السدي ثقة وانت خبير بان القاعدة ان من جرح فيه جرحا
لم يبين سببه توقف فيه فالسدي المذكور جرحه يحيى بن معين لكن
لم يبين سبب الجرح فيه الى ان جا الائمة المعتبرون فوثقوه وناهيك
بالامام مسلم بن الحجاج فانه روى عنه في الصحيح وقد قال بعض الائمة
من روى عنه الشيخان او احدهما فقد جاز القنطرة واما السدي الصغير
فقد قال في حقه يحيى بن معين ليس بثقة وقال صالح جزره كان يضع
وذكرناه للتمييز بينه وبين من وافقه في الاسم وانما سمي الاول
سديا لانه كان يقعد في سدة باب المسجد فسمي السدي واما الثاني
فلم اقف على سبب تسميته بذلك ولعله كان يفعل ذلك ايضا او انه
سمي بما سمي الاول تبركا باسمه والمراد بالسدي المروي عنه هذه
المقالة هو الاول اذ هو العالم الكبير الذي تروي الناس عنه وتنقل
واما قتادة فهو ابن دعامة بكسر الدال التابعي ابو الخطاب
السدوسي البصري ولد اعمى سمع انس بن مالك وغيره من الصحابة
وخلائق من التابعين روى عنه جماعة من التابعين منهم الاعمش
وحميد الطويل وايوب وخلائق من تابع التابعين قال النووي
في تهذيبه روينا عن معمر قال جاء رجل الى ابن سيرين فقال رايت
حمامة التقمت لؤلؤة فخرجت منها اعظم مما دخلت ورايت حمامة
اخرى التقمت لؤلؤة فخرجت اصغر مما دخلت ورايت حمامة
اخرى التقمت لؤلؤة فخرجت كما دخلت سواء فقال ابن سيرين

ترجمة
قتادة التابعي الاعمى
رضي الله عنه وارضاه

للكامنة الاولى الحسن يعني البصري يسمع الحديث فيجوده بمنطقه ثم يصل
فيه من مواعظه والثانية ابن سيرين يشك فيه فينقص منه والثالثة
قتادة فهو احفظ الناس ورويناعن ابن المدائني قال سال اعرابي غريب
على باب قتادة وانصرف ففقد ولعوجا فجي قتادة بعد عشر سنين
فوقف اعرابي فسالهم فسمع قتادة كلامه فقال هذا صاحب القدح
فسالوه فاقر وكان احفظ اهل البصرة قرئت صحيفة جابر مرة واحدة
فحفظها توفي سنة سبع عشرة وقيل سنة ثمان عشرة ومائة وهو ابن ست
وقيل خمس وخمسين سنة جالس سعيد بن المسيب رضي الله عنه
اياما فقال له سعيد قم يا اعمى فقد نزفتني وجالس الحسن ثنتي عشرة
سنة روى عنه شعبة والناس مات بواسط وقد اقتصر المصنف
في تفسير هذه الاية على هذا القول لانه عليه تكون الاية محلا للاستشهاد
بها والحاصل ان المفسرين اختلفوا في المعني بهذه الاية فذهب
قوم الى ان الله عز وجل اخذ الميثاق على النبيين خاصة ان
يبلغوا كتاب الله عز وجل ورسالاته الى عباده وان يصدق
بعضهم بعضا واخذ العهود على كل نبي ان يومن بمن ياتي بعده
من الانبياء وينصره ان ادركه وان لم يدركه ان يامر قومه بنصرته
ان ادركوه فاخذ الميثاق من موسى عليه السلام ان يومن بعيسى عليه السلام
ومن عيسى ان يومن بمحمد صلى الله عليه وسلم وقال الاخرون انما اخذ
الميثاق منهم في امر محمد صلى الله عليه وسلم فعلى هذا اختلفوا منهم من قال انما

اخذ

اخذ الميثاق على اهل الكتاب الذين ارسل منهم النبيين وهذا قول
مجاهد والربيع الاترى الى قوله ثم جاكم رسول الى اخره وانما كان محمد
صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى اهل الكتاب دون النبيين يدل عليه ان
في قراءة عبد الله بن مسعود وابي بن كعب واذا اخذ الله ميثاق
الذين اوتوا الكتاب واما القراءة المعروفة واذا اخذ الله ميثاق النبيين
فاراد ان الله عز وجل اخذ ميثاق النبيين ان ياخذوا الميثاق على اممهم
ان يومنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويحيل قوه وينصروه ان ادركوه
وقوله ثم جاكم الخطاب لاهل الكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم
ينبغي ان تكون هذه المقالة من المصنف من تتمة قيل في قوله وقيل ان
يبينه لقومه الى اخره وتقريره ان الله عز وجل لم يبعث نبيا الا اخذ
عليه الميثاق ان يبين محمدا صلى الله عليه وسلم لقومه وياخذ منهم الميثاق
ان يبينوه لمن بعدهم وهلم جرا الى ان يبعثه الله عز وجل ثم انه صلى
الله عليه وسلم بعثه الله عز وجل في زمن اهل الكتاب الذين كانوا في عصره
فقال لهم الله عز وجل ان ميثاق نبيكم بل انبيائكم الماضين قد شملكم
وقد علمتم بيانه من اسلافكم وقد جاكم طبق ما بينه لكم السلف
فنقضتم عهد الله عز وجل مع ان الله عز وجل اشهد بعضكم على بعض
او اشهد ملائكته عليكم او اشهد انبياءكم وهو تعالى شاهد فيكون
الله عز وجل هو الذي اخذ الميثاق على النبيين بذلك فاضافة
الميثاق الى النبيين اضافة الى الموثق عليه لا الى الموثق لان

هذه المقالة هي في نسختي
كما ينبغي غير ان نسخة
سمعها الشارح مخالفة
والله اعلم

لان العهد الذي شمل اهل الكتاب الذين كانوا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم
هو عهد الله عز وجل الذي اخذه على انبيائهم عليهم السلام ولا احتياج في
صحة ذلك الى ان يكون الله عز وجل اخذ على اهل الكتاب الذين هم في
عصر نبينا صلى الله عليه وسلم العهد ومن منع كونهم تتمة القول الثاني
مستندا على ذكر بان حاصل القول الثاني (مبتدا) انه تعالى اخذ الميثاق
على كل نبي ان يبين محمدا صلى الله عليه وسلم لقومه ليكونوا ناصرا له عن ايمان
به وياخذ ميثاقهم ان يبينوه لمن بعدهم ليكونوا ناصرين له عن ايمان
به ايضا فكيف يكون خطاب جاءكم ومثله خطاب لما اتيتكم لاهل الكتاب
المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم او لاهل الكتاب مطلقا فقوله (خبر المبتدا) مردود لان
الخطاب في جاءكم لا يصلح الا لاهل الكتاب المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم
لان العهد لم يشمل غيرهم ممن كان موجودا في زمنه والنبي صلى الله عليه وسلم
لم يجئ لاحد ممن شمله العهد الا اليهم فاما ان يجعل مراد هذا القائل
لم يبعث الله عز وجل نبيا من انبياء بني اسرائيل الا اخذ عليه العهد
ان يبين محمدا صلى الله عليه وسلم واما ان يجعل الضمير في جاءكم مخصوص
عائدا الى اهل الكتاب الذين عاصروا محمدا صلى الله عليه وسلم لعدم صلاحية
عوده الى غيره او عائدا الى مجموع النبيين والامم مرادا به هولاء من
بينهم مع عود اتيتكم الى جميع الانبياء واممهم بمقتضى ما قررنا قال الحليمي
عهد الله عز وجل الى بني اسرائيل على لسان موسى عليه السلام اني باعث من
بني اسمعيل نبيا اميا فمن اتبعه وصدق بالنور الذي ياتي به غفرت له ذنبه

وادخلته

وادخلته الجنة وجعلت له اجرين اثنين وهو معنى قوله عز وجل واذ اخذ
الله ميثاق اهل الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه يعني امر محمد
صلى الله عليه وسلم هذا والاظهر في معنى الاية ان النبيين ماخوذ عليهم
الميثاق من الله عز وجل ان يومنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم اذا ادركوه وادركوه
وان ينصروه واتباعهم وان يحكموا اذا ادركوه بشريعته لانه هو افضل الرسل
والمفضول تابع للفاضل وان الخطاب في اتيتكم للنبيين وفي جاءكم
لهم ايضا وان اممهم في ذلك تبع لهم وقد وقع ذلك في الخارج فهذا
عيسى عليه السلام وهو من افضل اولي العزم ينزل اخر الزمان ويصير
من اتباع النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك الخضر والياس وهما حيان على قول
اكثر اهل العلم حتى كاد ان يكون اجماعا تابعان له ولم يثبت ان نبيا
له شريعة امر بترك شريعته وان يتمسك بشريعة نبي اخر الانبيا
صلى الله عليه وسلم فان جميع الانبيا لو وجدوا في زمنه لما كانوا الا على شريعته
وقد قدمنا نقلا عن الشيخ محيي الدين بن عربي يرشد الى ان الانبياء
عليهم السلام كانوا خلفا النبي صلى الله عليه وسلم ونوابه وقال به من علماء النقل
الشيخ تقي الدين السبكي الذي بلغ درجة الاجتهاد وهو الذي سمع الناس
يوم موته صائحا يقول يسمع صوته ولا يرى شخصه

من الكامل

يا دهر بع رتب المعالي بعده … بيع الكساد ربحت ام لم تربح
قدم واخر من تريد من الورى … مات الذي قد كنت منه تستحي

فان قلت رد كلام الايجي في ما كتب على هذا الكتاب قائلا واما

ما نقل عن الشيخ تقي الدين السبكي ان فهي من ان الانبيا عليهم السلام كانوا من
امته وعلى دينه في زمنهم والاختلاف بحسب الزمان والعباد فمما لا دليل
عليه ولا قايل به قلت لم يرد حديث يقول فيه ان الانبيا عليهم السلام كانوا
من امتي وعلى ملتي وشريعتي نعم جات احاديث صحيحة تكاد ان تكون صريحة
في ذلك منها قوله صلى الله عليه وسلم لو كان موسى عليه السلام حيا ما وسعه الا
اتباعي ومنها قوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وادم بين الما والطين وقد
فهم ذلك من هذه الاحاديث ونحوها كحديث الشفاعة يوم القيمة واثبات
السودد التام يومئذ والسودد يومئذ فرع للسيادة عليهم في دايرة
النبوة ارباب القلوب النيرة كالشيخ محيي الدين بن عربي والحكيم الترمذي
والشيخ شرف الدين بن الفارض حيث قال في نظم السلوك على لسان المقام المحمدي

ختام

وجا باسرار الجميع مفيضها ... علينا لهم على حين فترة ۞
وما منهم الا وقد كان داعيا ... به قومه للحق عن تبعيتي ۞

اي جا باسرار جميع الانفعالات التي هي اثار المعجزات الحاصلة للانبياء
عليهم السلام نبينا محمد صلى الله عليه وسلم التي افاضها لاجل الختم على زمان
فترة وانقطاع رسالة فجمع جميع اسرار الانبيا التي هي مبادي الاثار
والانفعالات المنسوبة اليهم في القران اذ جميع القران هو صورة تفاصيل
احواله واخلاقه كما قالت عايشة رضي الله عنها حين سيلت عن خلق رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان خلقه القران فجميع الانبيا عليهم السلام مظاهر
تفاصيل احواله واخلاقه للخلق في صورة كل نبي ومرسل سر من اسراره

فقد

فقد كان داعيا الى الله عز وجل قومه بذلك السر بتبعية الرسول فالمراد
بالمفيض هنا محمد صلى الله عليه وسلم كذا قاله القيصري في شرح نظم السلوك
فان قلت كلام ابن عربي وابن الفارض ليس دليلا فكيف تحتج بهما في ذلك
من الاحاديث والايات مع انهما رجلان منورا القلب لهما من الوقوف
على اسرار كلام الله عز وجل وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم ما ليس لعالم امتلا
بطنه من اموال السلاطين واعضاوه من متابعة الشياطين ولعمري
اني رايت غالب ارباب القلوب على ذلك والله الموفق قال تعالى واذ
اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابرهيم الاية اذ ظرف
متعلق باذكر والنبيون جمع محلى باللام فافاد الاستغراق اي اخذ
الله عز وجل من كل نبي نبي واضافة الميثاق اليهم اضافته الى الموثق
عليه والميثاق الماخوذ على النبيين قال بعضهم انه ان يبينوا امر
محمد صلى الله عليه وسلم للناس ولا يكتموه واخذ على محمد صلى الله عليه وسلم العهد
ان يعلن انه صلى الله عليه وسلم لا نبي بعده وقيل هو الميثاق بتبليغ الرسالة
والدعا الى الدين القيم وقوله ومنك الى اخره عطف للخاص على العام
للتنبيه على فضل هولا الانبيا حتى كانهم ليسوا من جنس النبيين
الذين ذكرهم بوصف العموم تنزيلا للتغاير في الوصف منزلة التغاير
في الذات وقدم محمدا صلى الله عليه وسلم في الذكر مع تاخره في الزمن باعتبار
الوجود العيني تعظيما له على من شاركه في التصريح باسمه فان هذا
العطف لبيان فضيلة الانبيا الذين هم مشاهيرهم فلما كان محمد

صلى الله عليه وسلم افضل هولاء المفضلين قدم عليهم لبيان انه افضلهم ولولا
ذلك لقدم من قدم زمانه على انه يمكن ان يكون تقديم نبينا صلى الله عليه وسلم
هنا الكلا المزيتين لانه سابق على الانبياء وجودا وفضلا اما الفضل
فظاهر واما الوجود فبمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم كنت اول الانبياء
في الخلق واخرهم في البعث لكن مقتضى الاثر المروي عن عمر الاتي ان
الملاحظ في هذه الاية انما هو زمن البعثة وزمن بعثة نبينا صلى الله
عليه وسلم متاخر عن زمن بعثة المذكورين فلم يقدم ذكره صلى الله عليه وسلم
الا لمجرد الافضلية وصرح بذلك عمر رضي الله عنه بقوله لقد بلغ من فضيلتك
الى اخره فان تقديم شي على شي قد يكون للفضل ومنه تقديم الرسول على
النبي في قوله عز وجل من رسول ولا نبي وتقديم المهاجرين على الانصار
في قوله عز وجل والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار
وتقديم اسمعيل على اسحق لانه افضل منه بكون نبينا صلى الله عليه وسلم
من ولده وتقديم موسى على هرون واما تقديم التوراة والانجيل على الفرقان
مع ان الفرقان افضل منهما وذلك في قوله عز وجل وانزل التوراة والانجيل
من قبل هدى للناس وانزل الفرقان فلانهما سبقا في الانزال وتقديم
الركوع على السجود في قوله عز وجل اركعوا واسجدوا فلتقدم الركوع
على السجود في الوجوب ومنه تقديم الصفا على المروة في قوله عز
وجل ان الصفا والمروة ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم نبدا بما بدا
الله عز وجل به فان قلت الواو لا تقتضي ترتيبا لا زمانيا ولا رتبيا

قلت

قلت ما قلناه لم يستفد من الواو وانما استفيد من مخالفة مقتضى الظاهر
فان الظاهر ان من سبق زمنا ينبغي ان يقدم ذكره فاذا ترك ذلك وقدم من
تاخر زمنه فلا بد ان يكون ذلك لنكتة والنكتة هنا هي افضلية المتاخر زمنا
وفي الكشاف فان قلت فقد قدم عليه نوح في الاية التي اخت هذه الاية
وهي قوله عز وجل شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك
قلت مورد هذه الاية على طريقة خلاف طريقة تلك الى اخر ما قال وحاصله
ان لكل مقام مقالا وفي الاتقان لشيخ اشياخنا الجلال السيوطي وقد
يقدم لفظ في موضع ويوخر في اخر ونكتة ذلك اما لكون السياق في كل
موضع يقتضي ما وقع فيه كما تقدمت الاشارة اليه واما لقصد البداة
والختم به للاعتنا بشانه كما في قوله عز وجل يوم تبيض وجوه الايات
واما لقصد التفنن في الفصاحة واخراج الكلام على عدة اساليب كما في
قوله عز وجل وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة وقوله وقولوا حطة وادخلوا
الباب سجدا وقال تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين في سورة النساء
من بعده الى قوله شهيدا وجه استشهاده بهذه الاية ان الله عز وجل قدمه
في الذكر مع تاخر زمن بعثته وهذا جواب لسوال اهل الكتاب النبي صلى الله
عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا من السما ثم ان الله عز وجل ذمهم وذكر من
معايبهم ثم دفع شبهتهم بان امر النبي صلى الله عليه وسلم في الوحي كسائر
الانبياء ثم ذكر من النبيين جماعة مع شمول الانبيا لهم تعظيما لهولاء
المذكورين واشعارا بانهم غايروا من سواهم لاشتمالهم على كمالات لم توجد

مطلب
يتعلق بخصائص
نوح عليه السلام ه

في غيرهم فبدا بذكر نوح عليه السلام لانه ابو البشر مثل ادم كما قال تعالى وجعلنا
ذريته هم الباقين ولانه اول نبي من انبيا الشريعة واول نذير على الشرك بالله
عز وجل واول من عذبت امته لردهم دعوته واهلك اهل الارض بدعائه
وكان اطول الانبيا عمرا وجعلت معجزته في نفسه لانه عمر الف سنة
ولم تسقط له سن ولم تشب له شعرة ولم تنقص له قوة ولم يصبر نبي
على اذى قومه ما صبر هو على طول عمره ثم عطف النبيين على نوح عطف

عطف العام على
الخاص ه
وانكر بعضهم وجوده
في القران ه

عام على خاص وقد انكر بعضهم وجوده في القران وهو خطا وهذه الاية
من امثلته والفائدة فيه التعميم وافرد الاول بالذكر اهتماما بشانه ثم بعد
ذكر النبيين خص جماعة منهم اولهم ابرهيم عليه السلام وانما بدا به قال القاضي
لانه اول اولي العزم منهم وعيسى اخرهم والباقون اشراف الانبياء
ومشاهيرهم اقول كلام القاضي مبني على قول من لم يجعل نوحا عليه السلام
من اولي العزم والجمهور على انه منهم ولعل مراد القاضي بقوله اولهم اي
بعد نوح وبقوله وعيسى اخرهم اي ما عدا محمدا صلى الله عليه وسلم ومعنى قوله
والاسباط اي اسباط يعقوب وفي تفسير القاضي والاسباط جمع سبط
وهو الحافد يريد به حفدة يعقوب او ابناءه وذراريهم فانهم حفدة
ابرهيم واسحق واقول الاسباط في ولد اسحق بمنزلة القبائل في ولد
اسمعيل عليهما السلام يقال سموا بذلك ليفصل بين اولادهما قال ومعنى
القبيلة معنى الجماعة يقال لكل جماعة من اب وام واحد قبيلة ويقال
لكل جمع من اباء شتى قبيل بلا هاء قال الازهري والاسباط اشتقاقها

من

من السبط وهي شجرة لها اغصان كثيرة واصلها واحد كان الوالد بمنزلة
الشجرة والاولاد بمنزلة اغصانها وفي الحديث الحسين سبط من الاسباط
اي امة من الامم في الخير وقيل الاسباط خاصة الاولاد ثم ان الله عز وجل
اخبر بانه اعطى داود زبورا والزبور في الاصل كل كتاب ذي حكمة وغلب
على كتاب الله عز وجل الذي انزله على داود فهو علم بالغلبة كما غلب الفرقان
على كتابنا وقرا حمزة زبورا بضم الزاي جمع زبر بمعنى مزبورا وعلى انه
مصدر كالقعود والجلوس وقوله ورسلا قال البيضاوي نصب بمضمر
دل عليه اوحينا اليك كارسلنا واقول جوزوا ايضا ان يكون من باب
الاشتغال اي قد قصصنا رسلا والجملتان بعدهما مفسرة للمحذوفة
فلا موضع لهما من الاعراب ويترجح النصب لان العطف على جملة
فعلية وهي واتينا داود وعلى الوجه الذي ذكره البيضاوي محل الجملتين
نصب على انهما صفتان لرسلا وقوله وكلم الله موسى تكليما قال البيضاوي
وهو منتهى مراتب الوحي خص به موسى عليه السلام من بينهم وقد فضل
الله عز وجل محمدا صلى الله عليه وسلم بان اعطاه مثل ما اعطى كل واحد منهم
واقول خص موسى عليه السلام بذلك من بين من تقدم ذكره من النبيين
عليهم السلام والا فقد اعطى الله عز وجل محمدا صلى الله عليه وسلم من هذا الوحي
ما هو اعلاه وارقى انواعه وهو المشار اليه بقوله عز وجل فاوحى الى عبده
ما اوحى وانضم الى ذلك ان تجلى له فراه بعيني راسه

من الطويل
وكل نبي خصه بفضيلة وخص برؤياه النبي محمدا ه

وقوله عز وجل رسلا مبشرين قال البيضاوي منصوب على المدح وجوزوا
ايضا ان يكون حالا موطئة وان يكون نصبه على البدل وان يكون بفعل
مقدر اي وارسلنا رسلا ومن قال انه منصوب بنزع الخافض وان
التقدير كما اوحينا الى نوح والى رسل فقد اخطا لان النصب بنزع الخافض
بابه سماعي الا في اماكن مخصوصة والحق ان انتصاب رسلا في الموضعين
بارسلنا فان فيه تحقيقا للمماثلة بين شانه صلى الله عليه وسلم وبين شئون
من يعترفون بنبوته من الانبياء في مطلق الايحا في ايتا الكتاب ثم في
الارسال فان قوله عز وجل انا اوحينا يشتمل على شيئين ايتا الكتاب
والارسال كانه قال اوحينا اليك مثل ما اوحينا الى نوح ومثل ما
اوحينا الى ابرهيم ومن بعده واتيناك الفرقان مثل ما اتينا داود
الزبور والمماثلة بينه وبين كتابنا في كونه ذا سور قال القرطبي
فيه مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم من الاحكام وانما هي حكم
ومواعظ وتحميد وتمجيد وثناء على الله عز وجل فان قلت لم لم يقل
واوحينا الى داود كما قال فيمن مضى قلت لان المماثلة بينهما في
ايتا الكتاب تستلزم المماثلة في الوحي والارسال فالمماثلة في ذلك
اخص من المماثلة في الوحي والارسال وايضا تقدر وارسلنا لك
ارسالا مثل ما ارسلنا رسلا قد قصصناهم عليك من قبل
ورسلا اخرين لم نقصصهم عليك من غير تفاوت بينك وبينهم في
حقيقة الارسال والايحا وهولاء اليهود والمشركون يسالونك شيا

لم

لم يعط احد من هولاء وانما نكر رسلا للدلالة على التعظيم والتكثير مثله في قوله
عز وجل وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك قال صاحب المفتاح رسل
اي رسل ذوو اعداد كثيرة واولوا ايات ونذر واهل اعمار طوال واصحاب
صبر وعزم وما اشبه ذلك وهو مقام التسلية والنظم المعجز يقتضيان ذلك
وبيانه ان قوله عز وجل يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء
موذن بان طلبهم هذا انما اغتم به حبيب الله صلوات عليه وسلامه ولذلك
اوقع قوله فقد سالوا موسى اكبر من ذلك جوابا للشرط محذوف يدل عليه سياق
الكلام قال وهو من احاسن الحذف ونحوه قول الشاعر

قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جينا خراسانا ه — من البسيط

اي ان صح ما قلتم ان خراسان المقصد فقد جيناه وان لنا الخلاص
ويسمون هذه الفا بالفا الفصيحة ومن ثم قدر هنا ان استكبرت ما سالوه
فقد سالوا موسى اكبر من ذلك ثم عد قبايحهم ونعى عليهم عنهم وعنادهم
ولما فرغ من ذلك اتى بنوع اخر من التسلية متضمنا للاحتجاج مخاطبا به
حبيبه صلوات الله عليه وسلامه واثر صيغة التعظيم تعظيما للموحي
والموحى اليه قائلا انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح اي لك اسوة بالانبياء
السالفة فتاس بهم وكلا نقص عليك من انبا الرسل ما نثبت به فوادك
لان شانك وحيك كشانهم ووحيهم فبدا بذكر نوح عليه السلام لانه اول نبي
قاسى الشدة من الامة وعطف عليه النبيين من بعده وخص منهم ابرهيم
عليه السلام تشريفا له وتعظيما لشانه وترك ذكر موسى عليه السلام ليبرزه مع

ذكرهم بقوله وكلم الله موسى تكليما على نمط ما من الاول لان قوله ورسلا قد
قصصناهم عليك ورسلا لم نقصصهم من التقسيم الخاص مزيد الشرف
واختصاصه بوصف التكليم دونهم اي رسلا فضلهم واختارهم واتاهم
الايات البينات والمعجزات الباهرات الى ما لا يحصى وخص موسى عليه السلام
بالتكليم وثلث ذكرهم على اسلوب يجمعهم في وصف عام على جهة المدح والتعظيم
بما يتناول غيرهم وهو كونهم مبشرين ومنذرين وجعلهم حجة على الخلق طرا
لقطع معاذيرهم فيدخل في هذا القسم كل من دعا الى الهدى وبشر وانذر
كالعلماء وظهر من هذا التقرير طبقات الداعين الى الله عز وجل وقوله عز
وجل لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ان قلت من المقرر انه يستحيل
ان يكون لاحد على الله عز وجل حجة في فعل من افعاله بل له ان يفعل ما يشاء
كما يشاء فكيف يكون للعباد حجة على الله عز وجل اذا لم يبعث رسولا قلت
المراد بالحجة هنا المعذرة اي لو لم يبعث الله عز وجل رسولا لكان للناس
عذر في جهلهم بما كلفهم الله عز وجل به فيقولون لولا ارسلت الينا رسولا
فيبين لنا شرائعك ويعلمنا ما لم نكن نعلم من احكامك لقصور القوى
البشرية عن ادراك جزئيات المصالح وعمر اكثر الناس عن ادراك كلياتها
وانما سمي المعذرة حجة للتنبيه على ان المعذرة في القبول عنده تعالى بمقتضى
كرمه ورحمته لعباده بمنزلة الحجة القاطعة التي لا مرد لها ولذلك
قال الله عز وجل وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقال صلى الله عليه وسلم
ما احد اغير من الله عز وجل ولذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن

وما

بحال على تقدير

وما احد احب اليه المدح من الله عز وجل ولذلك مدح نفسه وما احد احب
اليه العذر من الله عز وجل ولذلك ارسل الرسل وانزل الكتب وفي تفسير
البيضاوي وفيه تنبيه على ان بعثة الانبياء ضرورة لقصور الكل عن ادراك
جزئيات المصالح والاكثر عن ادراك كلياتها انتهى فان قلت قوله بعثة الانبياء
ضرورة قول بوجوب البعثة على الله عز وجل وهو قول المعتزلة وفصل
بعض المعتزلة فقال اذا علم الله عز وجل من امة انهم يؤمنون وجب عليه
ارسال النبي اليهم والا فلا يجب بل هو حسن وهو مخالف لقول اهل الحق
ان بعثتهم ممكنة قلت قد عبر كثير من اهل السنة عن بعثة الرسل بالوجوب
كجماعة من متكلمي الحنفية مما وراء النهر فانهم قالوا ان ارسالهم من مقتضيات
حكمة الباري تعالى وتقدس فيستحيل ان لا يكون وفي عمدة النسفي ان بعثة
الرسل في حيز الامكان بل في حيز الوجوب انتهى لكن ارادوا بالوجوب
الوجوب له لا الوجوب عليه وان كونها ضرورية لا ينافي كونها ممكنة لان
المراد بالامكان الامكان العام وهو لا ينافي وجوب الوقوع فكان ارسالهم
لطف من الله عز وجل ورحمة وذلك ان الله عز وجل في عباده تصرفا بالتكليف
والامر وعلى حركاتهم بالاحكام والحدود ولا شك ان نوع الانسان محتاج
الى الاجتماع على نظام وصلاح وان ذلك الاجتماع لن يتحقق الا بتعاون وتمانع
وان ذلك التعاون والتمانع لن يتصور الا بحدود واحكام وان تلك الحدود
والاحكام يجب ان تكون موافقة لحدود الله عز وجل واحكامه وليس له ان
يضع من عند نفسه حدودا واحكاما فلزم العقل ضرورة ان يكون

بين الناس شرع بفرضه شارع فتلقي من الله عز وجل وحيا ونزله على عباده
ترتيلا وعدم بعثتهم يؤدي الى التعجيز في نصب الادلة ويفضي الى التكذيب
في حيز الاستبعاد فبعثهم الله عز وجل لئلا يكون على الله حجة بعد الرسل
بتكليف ما لا يطاق فيقال ربنا لولا ارسلت الينا رسولا واذا ارسلت
فهلا بينت لنا طريقا ودليلا نتوصل به الى صدقه ونتوسل بتصديقه
الى معرفتك وطاعتك فليس المراد بالضرورة الوجوب على الله عز وجل
بل وجوب وقوعه ولكون التعبير بالضرورة موهما ما ذكر في مغني دار
السلطنة ابو السعود عن التعبير بها بل حذفها وذكر ما عداها
ثم ان الله عز وجل نوه بقدر نبيه صلى الله عليه وسلم وبين شريف منزلته
عنده واظهر قدره الرفيع لديه مثبتا ما نفاه اعداؤه من صدقه
في نبوته وفي ان ما انزل عليه كلام رب العالمين فقال لكن الله يشهد
فهو استدراك عما فهم مما قبله من انهم انكروا ان يكون ما جاء به وحيا من
الله عز وجل فكانه قال انهم لا يشهدون بصدقك ولكن الله عز وجل
يشهد به وناهيك بهذا المجد حيث زكاه الله عز وجل وشهد
بصدقه وانه انزله بعلمه الخاص وان الملائكة يشهدون بنبوته
وفي تفسير القاضي البيضاوي وفي قوله عز وجل والملائكة تنبيه على
انهم يودون ان يعلموا صحة النبوة على وجه يستغني عن النظر والتامل
وهذا النوع من خواص الملائكة ولا سبيل للانسان الى العلم بامثال
ذلك سوى الفكر والنظر فلو اتى هولاء بالنظر الصحيح لعرفوا نبوتك وشهدوا
بها.

يشهدون

به كما عرفت الملائكة وشهدوا انتهى واقول لم يتعرض الى هذا التنبيه
صاحب الكشاف ولا السعودي في تفسيريهما بل تفرد به القاضي
ووجه فرارهما منه ان القوم لم يظهر منهم انهم ودوا ذلك ولا تمنوه وانما
كان كفر القوم تعنتا فنظروا وتاملوا واذعنوا باطنا وكذبوا ظاهرا
بشهادة قوله عز وجل يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فلم يكونوا يودون ذلك
ولا في الكلام تنبيه عليه روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال في كلام
بكى به النبي صلى الله عليه وسلم في القاموس بكاه بكا وبكاه بكى عليه يعني يجوز
في ماضيه تخفيف الكاف وتشديدها ومعنا على كلتا الحالتين بكى عليه
اي في كلام بكى على النبي صلى الله عليه وسلم بسببه فقال عطف على بكى عطف
مفصل على مجمل على حد قوله عز وجل ونادى نوح ربه فقال بابي انت وامي
يا رسول الله انت مبتدا وبابي جار ومجرور خبر مقدم قدم للاهتمام بجعل ابيه
فدا الرسول الله صلى الله عليه وسلم وفصل بين المعطوف والمعطوف عليه
بذكر المفدى اهتماما به والبا متعلقة بفعل محذوف او باسم فاعل محذوف
والتقدير اما انت تفدى بابي او انت مفدى بابي وامي فان قلت
حذف متعلق البا هنا جائز ام واجب قلت هو جائز لانه من الافعال
الخاصة والكون الخاص اذا حذف وهو خبر كان حذفه جائزا لا واجبا
والجار لا دلالة له الا على الكون المطلق ولهذا توهم من توهم ان الكون الخاص
اذا وقع خبرا يمتنع حذفه وهو باطل لانهم اتفقوا على جواز حذف الخبر
عند وجود الدليل وعدم وجود معمول فكيف يكون وجود المعمول مانعا

بحث
نفيس في حذف الخبر اذا كان
كونا خاصا وكونا عاما اه

من الحروف مع ان المعمول هو الدليل او مقوى للدليل وعدم وجود معمول فان قلت
ما بال النحويين اشترطوا في حذف الخبران يكون كونا مطلقا قلت هو اشتراط
لوجوب الحذف لا الجواز وما حذف فيه الخبر وهو كون خاص قولهم من لي — قوله من لي بكذا اي من يتكفل لي به
بكذا اي من يتكفل لي به وقوله عز وجل فطلقوهن لعدتهن اي مستقبلات
وقوله عز وجل ان النفس بالنفس اي مقتولة والعين بالعين اي مفقوءة
والانف اي مجدوع والاذن اي مصلومة والسن اي مقلوعة بل قال
السيد الشريف في حواشي الكشاف ان القوم انما يقدرون في الظرف
المستقر فعلا عاما اذا لم توجد قرينة الخصوص واما اذا وجدت فلا بد
من تقديره لانه اكثر فائدة قال ونحقيقه ان هذا القسم من الظرف
انما سمي مستقرا لانه استقر فيه معنى عامله وفهم منه فان لم يفهم
منه سوى الافعال العامة كان المقدر منها وان فهم منها شي من خصوصيات
الافعال كان المقدر بحسب المعنى فعلا خاصا ومع ذلك لا يخرج ما قدر
فيه فعل خاص عن ان يكون ظرفا مستقرا لان معنى ذلك الفعل الخاص
استقر فيه ايضا وجاز تقدير الفعل العام لتوجيه الاعراب فقط ولما
كان تقدير الافعال العامة مطردا ضابطا اعتبره النحاة وفسروا المستقر
بما عامله محذوف وعام وقد وقع من بعض الفضلا هنا مقال ياليته — قسم الود على ابن الحنبلي
سكت عنه ولم يكتبه حيث قال واعلم ان الخطاب بقوله بابي انت — منه
وامي وما بعده انما كان بعد وفاته صلى الله عليه وسلم على ما ياتي فيكون من باب
خطاب الميت بعد تنزيله منزلة الحي كما في قول جرير يرثي عمر بن عبد العزيز

رضي الله عنه حملت امرا عظيما فاصطبرت له وقمت فينا بامر الله يا عمرا — من البسيط
واقول ان الاموات على الاطلاق يسمعون مقال الاحيا لا سيما ما يقال
لهم عند قبورهم ويشهد له حديث الصحيحين في تكليم النبي صلى الله عليه وسلم
قتلى بدر وقوله صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه ما انتم باسمع منهم ومع
ذلك فرسول الله صلى الله عليه وسلم حي في قبره وما من احد يسلم عليه الا رد
عليه السلام وانه صلى الله عليه وسلم وسائر الانبيا يصلون في قبورهم
وان من صلى عليه عند قبره سمعه واخرج ابو يعلى عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والذي نفسي بيده لينزلن عيسى
ابن مريم ثم لئن قام على قبري وقال يا محمد لاجيبنه والكلام على ذلك
مشهور فلا يسوغ لاحد ان يتفوه بان النبي صلى الله عليه وسلم من الاموات
وان مخاطبته مخاطبة اموات اعاذه الله من ذلك وقياسه على عمر بن
عبد العزيز وجعل هذا من قبيل مخاطبة جرير قياس مع الفارق وهل
يليق ان يجعل سيد الاولين والاخرين وافضل النبيين والمرسلين
صلى الله عليه وسلم مثل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الذي هو احد عباد الله
الصالحين والله انها لمقالة سمجة ينبغي الاعراض عنها لقد بلغ من فضيلتك
عند الله في القاموس بلغ المكان بلوغا وصل اليه او شارف عليه والغلام
ادرك انتهى اي وصل من فضيلتك انك الى اخره قيل معناه اي بلغنا من
جملتها وجوز بعضهم ان تكون المعنى لبعض فضيلتك ومضمون الجار
والمجرور فاعل كانه مبتدا في قوله عز وجل ومن الناس من يقول كما

صرح به التفتازاني وغيره وعلى الثاني فما بعد هذا اللفظ مفعول لبلغ لا فاعل والمراد حيثما تكرر في كلام عمر رضي الله عنه لقد بلغ بعض فضيلتك هذه المراتب الحسنية فما الظن بكلها انتهى واقول عندي ان الاولى ان يجعل من زائدة بنا على ما ذهب اليه الاخفش من جواز زيادتها في الاثبات وهو مذهب الكوفيين كلهم فهي على حد قوله عز وجل ولقد جاك من نبا المرسلين وقوله عز وجل يغفر لكم من ذنوبكم وقوله عز وجل يكفر عنكم من سياتكم وان جعلنا من تبعيضية ويكون مضمون الجار والمجرور فاعلا لبلغ وان وما بعدها في تاويل المصدر مفعول لبلغ لكان جائزا وجاز ان يكون الجار والمجرور فاعلا كما جاز ان يكون الفاعل جملة على قول هشام وثعلب في نحو قولك يعجبني قام زيد وحملوا عليه ثم بدا لهم من بعد ما راوا الايات ليسجننه وكما جاز ان يقع الجار والمجرور مبتدا قال السعد التفتازاني في شرح الكشاف في قوله عز وجل ومن الناس من يقول الوجه ان يجعل مضمون الجار والمجرور مبتدا بمعنى بعض الناس او بعض من الناس من هو كذا وكذا فيكون مناط الفائدة تلك الاوصاف ثم قال ووقوع الظرف موقع المبتدا ليس بمستبعد كقوله عز وجل ومنا دون ذلك والمعنى حينئذ لقد وصل بعض فضيلتك الى هذا الحد فكيف بكل فضيلتك هذا بنا على ان معنى بلغ وصل حد فضيلتك الى هذه المراتب العلية واما اذا قلنا ان معناه وصل الينا فمفعول بلغ محذوف وان تقديره بلغنا ومضمون الجار والمجرور فاعل وان وما بعدها في

تاويل

بحث وقوع الجار والمجرور مبتدا

تاويل المصدر بدل من الفاعل الذي هو مضمون الجار ان بعثك اي ارسلك اخر الانبيا بمقتضى قوله ولكن رسول الله وخاتم النبيين وذكرك في اولهم اي في اول مقام ذكر الله عز وجل اياهم وصرح به هنا وحذفها من قوله اخر الانبيا تفننا واللام في الانبيا للاستغراق الشمولي اي اخر جميع النبيين والضمير في اولهم راجع الى الانبيا فينبغي ان يكون اللام في مرجع الضمير للاستغراق ايضا فان قلت هو تعالى لم يذكره الا مقدما على نوح وابرهيم وموسى وعيسى بن مريم ولم يذكره مقدما على جميع النبيين كما جعله خاتما لجميع النبيين قلت هو تعالى لم يقدم ذكره على هولاء النبيين الا لكونه افضل منهم ولو ذكر غير هولاء من النبيين لذكره متاخرا عنهم لكونه مفضولا بالنسبة اليهم فيلزم من تقدمه في الذكر على هولاء تقدمه في الذكر على غيرهم لو ذكر فكان متقدما على جميع النبيين حكما ثم قال عمر رضي الله عنه بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله عز وجل ان اهل النار من الكفار الذين حقت عليهم كلمة العذاب بدليل ان الاية التي استشهد بها عمر رضي الله عنه نزلت في حقهم قال تعالى ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا ولا نصيرا يوم تقلب وجوههم في النار يودون لو انهم اطاعوك وهم بين اطباقها اي اطباق النار وهي اغطيتها التي تعم كل دركة من دركات جهنم اعاذنا الله عز وجل منها كلها ومنه ما في دعا الاستسقا اللهم اسقنا غيثا طبقا اي مالئا للارض مغطيا لها يقال غيث طبق اي عام واسع وفي الحديث لله عز وجل

ماته رحمة كل رحمة كطباق الارض اي كغشاها اي يقول اهل النار ذلك وهم بين
اطبقة جهنم التي عمتها وقوله **يعذبون** حال من الضمير المستكن في متعلق الظرف
والتقدير وهم كائنون بين اطباقها حال كونهم معذبين وانما صرح بهذه الحال
للاشارة الى ان طاعتهم هي السبب المنجي من عذاب الله عز وجل بحيث لا
يلهيهم ما دهاهم من العذاب عن التصريح بتمنيها ولو اقتصر على قوله
بين اطباقها لما افاد ذلك لجواز ان يكونوا بين اطباقها وهم غير معذبين
كما يقع للملائكة الذين هم خزنة جهنم فانهم بين اطباقها وهم غير معذبين
يقولون ياليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول قيل ان هذا تمن لانفسهم على
طريقة قول الشاعر ⁕ وهل تطيق وداعا ايها الرجل ⁕ او لمشاكلهم — مصراع من البسيط
في العذاب او للزبانية وعلى الاول ففي كلامهم تجريد وضمير ليتنا
للقائلين والقول لهم وهم الذين تودوا بعد ان انتزعهم القائلون
المعذبون من انفسهم مماثلين لهم في التعذيب تبينها على كمالهم فيه
ونكتة حذف المنادى اما المبادرة الى تمني ما فات لاستيلاء الحسرة
عليهم واما العجز عن ذكره لفرط تعذيبهم انتهى واقول هذا مبني على ان يا
في ذلك حرف ندا والاصح انها حرف تنبيه قال ابن مالك وان ولي يا
ليت او رب او حبذا فهي للتنبيه لا للندا نحو ياليتني كنت معهم — رجز
ويارب سار بات ما توسدا ⁕ ويا حبذا جبل الريان من جبل ⁕ — بسيط
وانما كانت مع هذه للتنبيه لان الناطق بها قد يكون وحده كقول
مريم ياليتني مت قبل هذا وقد يجمع بين الا ويا توكيدا نحو قوله

١١

الا ياليت ايام ما تولت ⁕ يكون الى اعادتها سبيل ⁕ وحينئذ لا يحتاج — من الوافر
الى هذه التكلفات وقولهم ياليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول لا ينبغي ان
يدخل في ذلك عصاة الموحدين بل ذلك خاص باهل الكفر الذين ماتوا
عليه والعياذ بالله لان عصاة الموحدين على تقدير دخولهم الى جهنم
يموتون فيها فلا يقولون هذا القول ولا ينطق بذلك حديث الشفاعة على ان
عصاة الموحدين صدق انهم اطاعوا الله عز وجل واطاعوا الرسول
صلى الله عليه وسلم في الجملة بل في اعظم ما امر به وهو الايمان هذا وان
الاثر المروي مقتطع من كلام طويل ذكر فيه ما جرى من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين في وفاة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نالهم من المشقة بسبب مصيبة الاولين
والاخرين بموته صلى الله عليه وسلم وقد قال شيخ شيخنا الجلال السيوطي
عن هذا الاثر اني لم اجده وقد ذكر بعضه القسطلاني في المواهب
ولفظه ولما تحقق عمر بن الخطاب رضي الله عنه موته صلى الله عليه وسلم بقول
ابي بكر الصديق رضي الله عنه ورجع الى قوله قال وهو يبكي بابي انت وامي
يا رسول الله لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه فلما كثروا اتخذت منبرا
لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فامتك اولى
بالحنين عليك حين فارقتهم بابي انت يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك
عند ربك ان جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله
ثم ذكر ذكره اول الانبيا مع بعثته في اخرهم وذكر تمني اهل النار الطاعة وهم
بين اطباقها يعذبون ثم قال ذكر هذا الاثر ابو العباس القصار في

شرح البردة الابوصيري وذكره الرشاطي في كتابه اقتباس الانوار والتماس
الازهار وذكره ابن الحاج في المدخل وساقه بتمامه وقال قتادة ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال كنت اول الانبيا في الخلق واخرهم في البعث قال حجة الاسلام
الغزالي اي بحسب التقدير ولم يرد العلم فانه لا ترتيب فيه بل علم الكل دفعة
وانما اراد تقدير ماكان ومايكون في اللوح او في علم ملك انتهى فيصير حاصل
الحديث على ما ذكر كنت اول الانبياء في تقدير الخلق واخرهم في تقدير البعث
فقد خلقني قبل تقدير خلق سائرهم وقدر بعثي بعد تقدير بعث من سواي
منهم واقول هكذا نقله بعضهم عن الغزالي وانا لم اره في كلامه لكن
هذا المنقول يفتقر الى ايضاح لان التقدير عند الاشاعرة هو ايجاد الاشياء
على قدر مخصوص وتقدير معين في ذواتها واحوالها فان اراد الغزالي ذلك
فيكون الله عز وجل قد اوجد محمدا صلى الله عليه وسلم قبل الانبياء على قدر مخصوص
وتقدير معين في ذاته واحواله فيعود الاشكال فانا نحتاج الى فهم كون
الله عز وجل اوجد محمدا صلى الله عليه وسلم قبل الانبيا عليهم السلام على قدر مخصوص
وتقدير معين فان قلت قد صح في صحيح مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان الله كتب مقادير الخلق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين
الف سنة فيجوز ان يتقدم كتابة محمد صلى الله عليه وسلم قبل جميع الخلق لانه
المقصود بالذات من العالم قلت الاشاعرة يفسرون القدر بما ذكرنا
وكتابة القدر غير القدر فيجوز ان يتقدم كتابة القدر على القدر والذي يحل
مشكل هذا الحديث ما رواه ابو سعد في الشرف عن كعب الاحبار قال لما

اراد

فلذلك وقع ذكره مقدما هنا قبل نوح وغيره م

اراد الله عز وجل ان يخلق محمدا صلى الله عليه وسلم امر جبريل عليه السلام ان
ياتيه بالقبضة البيضا التي هي نور الارض فهبط جبريل عليه السلام
مع الملائكة فقبض قبضة من موضع قبره وهي يومئذ بيضا نقية
فعجنت حتى جعلت كاللؤلؤة البيضاء ثم غمست في كل انهار الجنة
وطيف بها السموات والارضين والبحار فعرفت الملائكة محمدا صلى
الله عليه وسلم وفضله قبل ان عرفت ادم عليه السلام فلما خلق الله
عز وجل ادم عليه السلام سمع تخطيط جبهته كنشيش الذر فقال ما
هذا قال هذا تسبيح نبيك ولدك الى اخر الحديث فدل هذا على انه صلى الله
عليه وسلم خلق خلقا ايجاديا واشتهر فضله وعرف قبل ان يعرف ادم
ويزيد هذا ايضاحا مقالة العارف بالله محيي الدين بن عربي الحاتمي
الطائي في الباب الحادي عشر من الفتوحات المكية قال
باب في معرفة دورة فلك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهي دورة
السيادة وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات
والارض اعلم ايدك الله عز وجل انه لما خلق الارواح المخصوصة
المدبرة للاجسام بالزمان عند وجود حركة الفلك لتعيين المدة المعلومة
عند الله عز وجل وكان عند اول خلق الزمان بحركته خلق الروح المدبر
روح محمد صلى الله عليه وسلم فكان لها وجود في عالم الغيب دون عالم الشهادة
واعلمه الله عز وجل بنبوته وبشره بها وادم عليه السلام لم يكن الا كما قال بين
الما والطين وانتهى الزمان بالاسم الباطن في حق محمد صلى الله عليه وسلم الى الوجود

جسم وارتباط الروح به فانتقل حكم الزمان في جريانه الى الاسم الظاهر
فظهر محمد صلى الله عليه وسلم بذاته جسما وروحا ثم قال وهو صاحب الشرع
فانه قال كنت نبيا وما قال انسانا ولا كنت موجودا الى اخر ما قال
وفي بعض شروح الفصوص ذكر انه صلى الله عليه وسلم كان في عالم الارواح
حكما عدلا بين مظاهر الاسماء وبالجملة ظهر بذلك معنى تقدم خلقه وتقدم نبوته
وهو كلام ادى اليه نظر هذا الرجل الصالح العارف بالله ولا مخالفة لم
لنص كتاب ولا سنة واما الكلام على قوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وادم
بين وادم بين الماء والطين فسياتي في محله هذا وان هذا الحديث الذي
رواه من طريق قتادة اخرجه ابن ابي حاتم في تفسيره وابن ابي الدنيا
في مكارم الاخلاق وابو نعيم في الدلائل من حديث ابي هريرة رضي الله عنه
قال السمرقندي هو الامام الفقيه الحنفي في هذا التفضيل نبينا صلى الله عليه
وسلم لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو اخرهم قوله قبلهم ظرف متعلق بالذكر
اي بان ذكر قبلهم وقد وقع في الاية تخصيصان الاول عطف هولاء
النبيين على عامة النبيين عطف خاص على عام لبيان مزيد شرفهم على من
عداهم من النبيين فهو على حد عطف الصلوة الوسطى على الصلوات
في قوله عز وجل حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى والثاني انه
خص نبينا صلى الله عليه وسلم بان ذكره قبل هولاء المخصوصين ولم
يذكر قبل هولاء غيره مع تاخر زمنه لبيان مزيته ومزيد فضله على
هولاء الانبياء المخصوصين والحاصل ان الله عز وجل لم يقدم ذكر محمد

صلى

انواع التقدم

صلى الله عليه وسلم على هولاء النبيين بالنظر الى بعثته فانها متاخرة وانما
قدمه بالنظر الى خلقه وايجاده وان كانت بعثته متاخرة فان انواع
التقدم خمسة الاول التقدم بالعلية كتقدم حركة اليد على حركة الخاتم
الثاني التقدم بالذات وهو ان يتوقف المتاخر على المتقدم وليس
علة له كتقدم الواحد على الاثنين الثالث التقدم بالزمان كتقدم موسى
على عيسى عليهما السلام الرابع التقدم بالشرف كتقدم محمد صلى الله عليه وسلم
على غيره من النبيين والمرسلين صلوات الله عليهم وسلامه اجمعين
الخامس التقدم بالرتبة بان يكون المتقدم اقرب الى مبدا معين كما في
الصف الاول باعتبار قربه من الامام ولا يمكن جريان شيء من هذه
الانواع في تقديم نبينا صلى الله عليه وسلم على باقي النبيين الا التقدم
بالزمان والتقدم بالشرف اما الاول فهو معلوم الانتفا بالنظر الى
بعثته فتعين الثاني وهو التقدم بالشرف نعم ان نظرنا الى ابداعه
وخلقه فهو متقدم به ايضا فيكون تقديمه في هذه الاية لنوعين من
التقدم واما تقديم نوح عليه السلام على ابرهيم فلمجرد السبق بالزمان
والا فابرهيم افضل من نوح كما نص عليه الجلال السيوطي في نقايته

التفاضل بين اولي العزم

وعبارته فيها وان افضل الخلق على الاطلاق حبيب الله عز وجل المصطفى
صلى الله عليه وسلم فخليله ابرهيم عليه السلام يليه في الفضل فهو افضل
الخلق بعده نقل بعضهم الاجماع على ذلك وفي الصحيح قال النبي صلى الله
عليه وسلم خير البرية ابرهيم خصصته النبي صلى الله عليه وسلم فبقي على عمومه

تقدم من الشارح تصحيح ان موسى افضل من ابرهيم عليهما السلام فليحرر ذكر

ثم قال فموسى فعيسى ونوح الثلاثة بعد ابرهيم وهم افضل من سائر
الانبيا قال ولم اقف على نقل ايهم افضل وهولاء الخمسة هم اولوا العزم
من الرسل المذكورون في سورة الاحقاف المعنى اخذ عليهم الميثاق
اذ اخرجهم من ظهر ادم كالذر هو النمل الاحمر الصغير واحدتها ذرة وهي
المرادة من قوله عز من قائل ان الله لا يظلم مثقال ذرة وسيل ثعلب عنها
فقال ان مائة نملة وزن حبة والذرة واحدة منها وقيل الذرة ليس لها
وزن وقصة اخذ الله عز وجل الميثاق ذكرها الله عز وجل في القران وبينها
في حديث رواه مالك في موطائه عن عمر بن الخطاب وثبت ايضا من حديث
عبد الله بن مسعود وعلي بن ابي طالب وابي هريرة وغيرهم رضوان الله
عليهم اجمعين ورواه الترمذي بسنده الى ابي هريرة رضي الله عنه قال ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله عز وجل ادم عليه السلام مسح
ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها الى يوم القيمة وجعل بين عيني
كل رجل منهم وبيصا من نور ثم عرضهم على ادم عليه السلام فقال يا رب
من هولاء قال ذريتك فراى رجلا منهم فاعجبه وبيص ما بين عينيه
فقال اي رب من هذا فقال رجل من اخر الامم من ذريتك يقال له
داود فقال رب كم جعلت عمره قال ستين سنة قال اي رب زده من عمري
اربعين سنة فلما انقضى عمر ادم عليه السلام جاءه ملك الموت عليه السلام
فقال اولم يبق من عمري اربعون سنة قال اولم تعطها ابنك داود قال فجحد
ادم عليه السلام فجحدت ذريته ونسي فنسيت ذريته وفي غير الترمذي

فحينئذ

فحينئذ امر بالكتاب والشهود وفي رواية فراى فيهم الضعيف والغني
والفقير والمبتلى والصحيح فقال له ادم عليه السلام يا رب ما هذا الا سويت
بينهم قال اردت ان اشكر واخرج النسائي وابو داود بسندهما الى عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه انه سيل عن هذه الاية واذ اخذ ربك من بني ادم
من ظهورهم ذريتهم قال عمر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يسال عنها فقال ان الله عز وجل خلق ادم عليه السلام ثم مسح ظهره بيمينه
فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هولاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون
ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هولاء للنار وبعمل اهل
النار يعملون فقال رجل ففيم العمل يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله عز وجل اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة
حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخله الله عز وجل به الجنة واذا
خلق سبحانه العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من
اعمال اهل النار فيدخله به النار فان قلت مقتضى كلام الشيخ قدس سره
ان الانبيا المذكورين اخرجوا من ظهر ادم كالذر وهو مقتضى حديث عمر
رضي الله عنه والاية ناطقة بانه تعالى اخرج الذرية من ظهور بني ادم
لا من ظهر ادم حيث قال واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم
ذرياتهم قلت الذي عليه اكثر العلما انه تعالى خرج من ظهر ادم اولاده
لصلبه ومن ظهور اولاده اولادهم الصلبية وهكذا الى اخر السلسلة
فان قلت يحمل الحديث ينطق بانه تعالى اخرج الكل من ظهر ادم والاية

بانه تعالى اخرج الكل من ظهور بنيه فكيف الجمع قلت الحديث انما سيق
لبيان حال الفريقين اجمالا اهل السعادة واهل الشقا فاسند الجميع
الى الاب الاصلي لانهم خرجوا من صلبه في الجملة واما الاية الكريمة فانه
لم يتعرض فيها لاخراج الاولاد الصلبيين لادم عليه السلام لانها مسوقة
للاحتجاج على الكفرة الذين عاصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان عدم
افادة الاعتذار باسناد الاشراك الى اباهم فاقتضى الحال نسبة اخراج
كل واحد منهم الى ظهر ابيهم ولم يتعرض لمن خرج من ظهر ادم بنفسه فلا
دلالة في الاية على اخراج بني ادم الصلبيين من ظهره فان قلت لها
دلالة خفية على اخذ بنيه من ظهره بناء على ان تخصيص من دون بنيه لصلبه
بالاخذ من الظهر لاجل اخذ الميثاق دون بنيه لصلبه تخصيص من غير
مخصص فلابد ان تتساوى اقدام بنيه كلهم في الاخذ منه قلت
لا نسلم عدم المخصص اذ يمكن ان يقال ان بنيه الصلبيين لا يحتاجون
الى ان يؤخذ عليهم ميثاق بان الله عز وجل ربهم لقرب عهدهم من
دار الايمان وهي الجنة ولم يكن لهم آبا اشركوا بالله عز وجل حتى يقولوا
انما اشرك اباؤنا من قبل بل لم يروا الشرك ولم يسمعوا به ولا وقعت
فيهم الغفلة عن توحيد الله عز وجل فلا دلالة في الاية على شيء من
ذلك لا ظاهرة ولا خفية **وقال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على
بعض الاية** بين اولا ان النبي صلى الله عليه وسلم من جملة المرسلين في قوله وانك
لمن المرسلين ثم استانف استئنافا يفيد انه افضل الرسل واعلاهم

درجة

درجة فقال تلك الرسل واللام فيه للاستغراق واتى باسم الاشارة الموضوع
للبعيد ايذانا بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم وقوله فضلنا بعضهم على
بعض اي في مراتب الكمال بان خصصناه بمناقب لا توجد في غيره منهم
فان قلت ثبت في الاحاديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تخيروا
بين الانبيا ولا تفضلوا بين انبياء الله عز وجل رواها الائمة الثقات
قلت قيل ان ذلك قبل ان يوحى اليه بالتفضيل وقبل ان يعلم انه سيد
ولد ادم والقران ناسخ للمنع من التفضيل واما قوله صلى الله عليه وسلم
لا تخيروني على موسى عليه السلام فقد قاله تواضعا وكذا قوله لا تفضلوني
على موسى عليه السلام قاله تواضعا واحسن من هذا قول من قال ان المنع
من التفضيل انما هو من جهة النبوة التي هي خصلة واحدة لا تفاضل
فيها وانما التفضيل في زيادة الاحوال والخصوص والكرامات والالطاف
والمعجزات واما النبوة نفسها فلا تفاضل فيها واما قوله تعالى لا نفرق
بين احد من رسله فالمراد نفي التفريق بالتصديق والتكذيب فنصدق
بعضا ونكذب بعضا وقوله عز وجل منهم من كلم الله بين اولا التفضيل
اجمالا ثم فصله بهذه المقالة اي منهم من فضله الله على غيره بان كلمه
سبحانه بغير سفير وهو نبيان موسى عليه السلام حيث كلمه ليلة
الحيرة وفي الطور ومحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج حين كان قاب
قوسين او ادنى وبينهما بون بعيد وقرئ كالم الله بالنصب على المكالمة
فانه كلم الله كما ان الله عز وجل كلمه واتى بالاسم الجليل على طريق الالتفات

من التكلم الى لفظ الغيبة لتربية المهابة والرمز الى ما بين التكليم والرفع وبين ما سبق من مطلق التفضيل وما لحق من ايتا البينات والتاييد بروح القدس قوله عز وجل ورفع بعضهم درجات قال اهل التفسير اي مثل ابن عباس ومجاهد والشعبي اراد بقوله ورفع بعضهم درجات محمدا صلى الله عليه وسلم فمعنى الاية ومنهم من رفعه على سائر الانبيا فكان بعد تفاوتهم في الفضل افضل منهم بدرجات كثيرة وانما كان نبينا صلى الله عليه وسلم هو المراد لانه المفضل عليهم حيث اوتي ما لم يوته احد من الايات المتكاثرة المرتقية الى ثلاثة الاف اية او اكثر ولو لم يوت الا القران وحده لكفى به فضلا متنيفا على سائر ما اوتي الانبيا لانه المعجزة الباقية على وجه الدهر دون سائر المعجزات وفي هذا الابهام من تفخيم فضله واعلا قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على انه العلم الذي لا يشتبه والمتميز الذي لا يلتبس ويقال للرجل من فعل هذا فيقول احدكم او بعضكم يريد به الذي تعورف واشتهر بنحوه من الافعال فيكون افخم من التصريح وانوه بصاحبه وسئل الحطيئة عن اشعر الناس فذكر زهيرا والنابغة ثم قال ولو شئت لذكرت الثالث اراد نفسه ولو قال ولو شئت لذكرت نفسي ما فخم امره ووجه بعض العلما بيان كون هذه الاية مشيرة الى كونه صلى الله عليه وسلم افضل المرسلين وذلك لانه تعالى لما ادخله في زمرة المرسلين اجمعهم لانه جمع محلى باللام مفيد للشمول الجم

لسائل

لسائل ان يسال تلك الرسل هل يتفاوت حالهم في علو الرفعة ومراتب الرسالة ام هم سواء فقيل تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ثم اخذ ليشرع في بيان التفصيل في التفضيل منهم من كلم الله عز وجل ومنهم من رفع درجاته ومنهم من اوتي من المعجزات وانما فرق احد الاقسام بقوله بعضهم وبدرجات ليشير الى مباينة هذا القسم للاقسام كلها ومغايرته لها بحسب ما يخص به لان رفع الدرجات ليس من قبيل ما اوتوا والا هو داخل في حكم ما اعطوا ويعضده ما رويناه في صحيحي البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي من الانبياء الا اعطي من الايات ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحاه الله عز وجل الي فارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة وروى محيي السنة البغوي في هذه الاية وما اوتي اية الا اوتي نبينا مثل تلك الاية وفضل على غيره بايات مثل انشقاق القمر باشارته وحنين الجذع بمفارقته وتسليم الحجر والشجر عليه وكلام البهائم والشهادة برسالته ونبع الما من بين اصابعه وغير ذلك من المعجزات والايات التي لا تحصى واظهرها القران الذي عجز اهل السما والارض عن الاتيان بمثله وكذا قال الزجاج في تفسيره وضم البيضاوي اليه والمعجزات المتعاقبة بتعاقب الدهور والايام والفضائل العلمية والعملية الفائتة للحصر ونظير هذا التقسيم في اسلوب التقسيم بيت الحماسة

ومن الرجال اسنة مذروبة   ومزندون شهودهم كالغائب

من الكامل

منهم ليوث ما ترام وبعضهم   مما قمشت وضم حبل الحاطب ٥
قال المرزوقي يقول من الرجال رجال يمضون في الامور نفاذ الاسنة
ومنهم مزندون والمزند المتخلل المقلل وكان من حق التقسيم ومنهم
مزندون لكنه اكتفى بمن الاولى ومثله قوله عز وجل منها قائم وحصيد
قال وسمعت اباعلي الفارسي يقول كل صفتين يتنافيان ويتدافعان
فلا يصح اجتماعهما الموصوف لا بد من اضمار من معهما اذا فصل حمله بهما
متى لم يحمل ظاهره وقال المرزوقي ومن الرجال رجال كالاسود عزة
وانفة لا يطلب اقتسارهم ومنهم متقاربون كالقماش واللفائف
جمعوا على ما اتفق من شيء الى شيء كانه لم يقنعه ذلك التشبيه وتلك
القسمة فاستانف على وجه اخر يعني بين الصنفين تفاوت عظيم
وتباين شديد وذكر البعض بدلا عن قوله ومنهم لان من للتبعيض
فاستغنى به وضم حبل الحاطب معناه الحاطب يجمع في حبله الجيد
والردي واليابس والرطب على تدان بينهما **لانه بعث الى الاحمر**
والاسود في النهاية الاثيرية اي العجم والعرب لان الغالب على الوان العجم
الحمرة والبياض وعلى الوان العرب الادمة والسمرة وقيل اراد الجن
والانس وقيل اراد بالاحمر الابيض مطلقا فان العرب تقول امراة
حمرا اي بيضا وسئل ثعلب لم خص الاحمر دون الابيض فقال لان العرب
لا تقول رجل ابيض من بياض اللون انما الابيض عندهم الطاهر النقي من
العيوب فاذا ارادوا الابيض من اللون قالوا الاحمر قال وفي هذا القول
نظر

نظر فانهم قد استعملوا الابيض في الوان الناس وغيرهم ومنه الحديث
اعطيت الكنزين الاحمر والابيض هي ما افاء الله عز وجل على امته من كنوز
الملوك فالاحمر الذهب والابيض الفضة والذهب كنوز الروم لانه الغالب
على نقودهم والفضة كنوز الاكاسرة لانها الغالبة على نقودهم وقيل اراد
العجم والعرب وجمعهم الله عز وجل على دينه وملته واقول مما يؤيد ان
البياض يطلق على اللون ما رواه البيهقي في الدلائل عن الجريري في صفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت انا وابو الطفيل نطوف بالبيت
فقال ابو الطفيل ما بقي احد راى رسول الله صلى الله عليه وسلم غيري
قال قلت ورايته قال نعم قلت كيف كان صفته قال كان ابيض
مليحا مقصدا وروى مثله مسلم في صحيحه عن ابي الطفيل ايضا بلفظ
كان صلى الله عليه وسلم ابيض مليح الوجه وفي الصحيحين عن ابي جحيفة
قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم ابيض قد شاب وكان الحسن
ابن علي رضي الله عنهما يشبهه وعن نافع بن جبير قال وصف لنا علي
رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم قال كان ابيض مشرب الحمرة
وفي كتاب الشمائل للترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم ابيض كانما صيغ من فضة رجل الشعر والمراد
ببعثه الى الاحمر والاسود عموم رسالته وشمولها للعرب والعجم
والجن والانس وقد قال الله عز وجل ليكون للعالمين نذيرا وقال تعالى
في شان الجن اجيبوا داعي الله وفي صحيح مسلم من حديث ابي هريرة

رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبيا بست فذكر
منها وارسلت الى الخلق كافة فيشمل الانس والجن وحمله على الانس
خاصة تخصيص بغير دليل واما الاستدلال على تخصيص رسالته
بالانس بقوله عز وجل قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا
وبقوله عز وجل وما ارسلناك الا كافة للناس فانما يتمشى على مذهب
الدقاق القايل بان مفهوم اللقب حجة وانما كان عموم رسالته صلى
الله عليه وسلم دليلا جليا على افضليته على ساير الرسل لان النبي انما
يرسل الى القوم على قدر قوة دايرته وهمته بحسب استعداده ولما
كان الانبيا عليهم السلام ليست لهم قوة العموم وايصال الحق الى
اذهان كل الناس والى الجن خصت رسالتهم بمن لهم استعداد
على تبليغهم واما نبينا صلى الله عليه وسلم فاستعداده عام وقوته شاملة
فارسله الله عز وجل رحمة للعالمين وجعل هذا القران الذي جا به حاكما
على جميع الطبايع قاهرا لجميع السجايا البشرية وغيرها وما كان عطا
ربك محظورا (واحلت له الغنايم) جمع غنيمة وهي ما حصل من اموال
الكفار اذا كانوا حربيين بقتال منا او ايجاف اي اسراع خيل او ابل او
بغال او رجالة في البر او السفن ولو بعد انهزامهم في القتال او قبل
شهر السلاح حتى التقى الصفان ومن واحترزنا بالاموال عن الكلاب
التي يجوز اقتناوها فانها لا تكون غنيمة وجلد الميتة وابدى ابن الرفعة
من اصحابنا الشافعية فيه احتمالين في الحاقه بالكلب او بالمال لان كل

واحد

واحد منهما يقتنى ويمكن تطهيره قال الاذرعي والظاهر انه السرجين
ونحوه من السماد كالكلب واولى منه بالالحاق بالغنيمة والمراد بالمال
الذي كانوا يملكونه فان كانوا اخذوه من المسلمين او الذميين واستولينا
وجب رده الى اصحابه وليس بغنيمة فانهم لا يملكونه والمال الذي
فدي الاسير به اذا استولى عليه المسلمون هل يرد الى الاسير او يكون
غنيمة فيه وجهان قال في العيق ظاهر كلام الاصحاب الاول ومرادنا
بقولنا حصل اي نحن معاشر المسلمين حصلناه فلو حصله اهل
الذمة من اهل الحرب بقتال فقد نص الشافعي رضي الله عنه على انه
ليس بغنيمة فلا يخمس ولا ينزع منهم والمراد من الكفار الكفار
الاصليون لان الماخوذ من المرتدين فيء لا غنيمة وكذا مال اهل
الذمة لا يعد غنيمة ومن لم يبلغه دعوة نبي لا يغنم ماله هذا معنى
الغنيمة شرعا ولكن الغنيمة اذا اطلقت تتناول الفيء فيشمل ما
حصل من الكفار قهرا او ما حصل منهم من غير قهر فان كلا من الفيء والغنيمة
يشمل الاخر عند الافراد بالذكر واما اذا ذكرا معا تباينا واريد بكل
منهما معنى خلاف معنى الاخر وحل الغنايم من خصايص نبينا صلى الله
عليه وسلم وكان من تقدم على ضربين منهم من لم يوذن له في الجهاد فلم تكن لهم
مغانم ومنهم من اذن له فيه لكن كانوا اذا غنموا شيا لم يحل لهم ان ياكلوا
منه وجات نار فاحرقته وقيل المراد ان نبينا صلى الله عليه وسلم خص
بالتصرف في الغنيمة يصرفها كيف شا والاول هو الصواب وهو ان من مضى

حل الغنايم من خصايص نبينا صلى الله عليه وسلم ه

لم تحل لهم الغنائم ويدل على ذلك حديث رواه البخاري بسنده الى ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا نبي من الانبيا فقال
لقومه لا يتبعني رجل ملك بضع امراة وهو يريد ان يبني بها ولما يبن
بها ولا احد بنى بيوتا ولم يرفع سقوفها ولا احد اشترى غنما او خلفات
وهو ينتظر ولادها فغزا فدنا من القرية صلوة العصر او قريبا من
ذلك فقال للشمس انك مامورة وانا مامور اللهم احبسها علينا.
فحبست حتى فتح الله عز وجل عليه فجمع الغنائم فجاءت يعني النار
لتاكلها فلم تطعمها فقال ان فيكم غلولا فليبايعني من كل قبيلة رجل
فلزقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول فلتبايعني قبيلتك فلزقت
يد رجلين او ثلاثة بيده فقال فيكم الغلول فجاوا بمثل راس بقرة
من الذهب فوضعوها فجاءت النار فاكلتها ثم احل الله عز وجل لنا
الغنائم راى ضعفنا وعجزنا فاحلها لنا كذا في الصحيح ففي هذا الحديث
اشعار بان الله عز وجل جعل علامة الغلول التزاق يد الغال لانها يد
عليها حق يطلب ان يتخلص منه وان اظهار العجز بين يدي الله عز وجل
يستوجب ثبوت الفضل واول غنيمة اخذها نبينا صلى الله عليه وسلم — اول غنيمة
وقسمها بين الغانمين وخمسها غنيمة السرية التي خرج فيها عبد الله بن
جحش رضي الله عنه وذلك قبل بدر بشهرين فان قلت المشهور ان ابتدا
حل الغنائم له صلى الله عليه وسلم من غزوة بدر وفيها نزل قوله عز وجل فكلوا مما
غنمتم حلالا طيبا وقد ثبت ذلك في الصحيح من حديث ابن عباس رضي الله عنه
فكيف

فكيف الجمع بينهما قلت يمكن الجمع بما ذكره ابن سعد في طبقاته انه صلى الله
عليه وسلم اخر غنيمة تلك السرية حتى رجع من بدر فقسمها مع غنائم
اهل بدر ثم ان من مضى من الامم كانوا يغزون وياخذون اموال اعدائهم
واسلابهم ولكن لا يتصرفون فيها بل يجمعونها وعلامة قبول غزوهم ان
تاتي النار وتنزل من السما فتاكلها وعلامة عدم قبوله ان لا تنزل ومن
اسباب عدم القبول ان يقع فيهم الغلول واما امة نبينا صلى الله عليه
وسلم فقد طوى عنها فضيحة عدم القبول فلله عز وجل الحمد على نعمه تترى
ودخل في عموم اكل النار الغنيمة السبي وفيه بعد لان مقتضاه
اهلاك الذرية ومن لم يقاتل من النساء ويمكن ان يستثنوا من
ذلك استثناهم من تحريم الغنائم عليهم ويؤيده انهم كانت لهم عبيد
وارقا واما فلو لم يجز لهم السبي لما كان لهم ارقا ولم ار من صرح بذلك
ويحتمل ان يكون شرايعهم تقتضي جواز الارقاق من غير السبي كان يكون
منهم طوائف اذن الله عز وجل على لسان انبيائهم ان تكون ارقا وهم
منهم وان تكون ذراري الكفار الذين يغزونهم لا يجري عليهم الرق بمجرد
الغنيمة عملا بعموم قوله صلى الله عليه وسلم واحلت لي الغنائم ولم تحل
لاحد قبلي **وظهرت على يديه المعجزات** عبر باليدين عن ذاته الكريمة مع
ان المعجزات ظهرت منه نفسه وبعضها منشاه يداه كنبع الما من بين
اصابعه وبعضها منشاه غير يديه كالقران وسعي الاشجار وتكليم
العجم ونطق الذباب وحنين الجذع والاخبار عن المغيبات لان كثيرا منها

نشأ من يديه صلى الله عليه وسلم فكنى باليدين عن نفسه الكريمة مع امكان
ارادة المعنى الحقيقي في بعضها لان هذا شان الكناية فانها تفارق المجاز
بجواز ارادة المعنى الحقيقي منها دون المجاز والحاصل ان معنى قوله ظهرت
على يديه اي ظهرت منه فذكر اليدين واراد نفسه معبرا عن نفسه بيديه لان
كثيرا من المعجزات ظهر من يديه والقول بان المراد ان معجزاته ظهرت
ظهورا تاما كانها امر محسوس ظهر على يديه فرآه المبصرون على اليدين مناقشة
مكشوفا لم يشبه خفاء بواسطة كثرتها واشتمالها على ما هو اظهرها
قول يمجه الفهم السليم فان مقتضاه الا انه جعل من قبيل الاستعارة
وليس من قبيلها فتامل فليس احد من الانبياء اعطى اي اعطاه الله
عز وجل في الازل وفي عالم القضاء فضيلة في نفسه كالحلم والعلم والزهد والحب
لله عز وجل او كرامة اي شيء خارق للعادة سواء كان معجزة او ارهاصا
الا وقد اعطى محمد صلى الله عليه وسلم مثلها اي في الازل ثم ظهر بعد ذلك القدر
على وفق القضاء ووقع في الظهور طبق ما قدره الله عز وجل وحيث قلنا
ان المراد بالاعطاء في الازل فقد قارن زمن الحال زمن عاملها ولا يحتاج
الى ان يقدر الا وقد اراد الله عز وجل فان اعطاء الله عز وجل كثيرا ما يراد منه
الاعطاء الازلي وهل قول النبي صلى الله عليه وسلم واعطيت الشفاعة يراد منه
الا الاعطاء في الازل وبيان ذلك ان الله عز وجل خص محمدا صلى الله عليه وسلم
بفضائل ومعجزات لم يعطها نبي قبله وما اعطى نبي شيئا الا ولنبينا صلى الله
عليه وسلم مثله فانه كان نبيا وادم بين الروح والجسد وغيره من الانبياء

لم

لم يكن نبيا الا وقت نبوته ولما اعطي هذه المنزلة علم انه الممد لكل انسان كامل
مبعوث ويعجبني في ذلك ما قاله ابو القاسم الابوصيري في ميميته

وكل آي اتى الرسل الكرام بها فانما اتصلت من نوره بهم
فانه شمس فضل هم كواكبها يظهرن انوارها للناس في الظلم

قال بعض شارحيها يعني ان كل معجزة اتى بها كل واحد من الرسل عليهم السلام
فانما اتصلت بكل منهم من نور محمد صلى الله عليه وسلم وقوله فانما اتصلت يفيد
شيئا هو ان نوره امد الرسل ولم ينقص منه شيء كالشمس تمد الكواكب
بانوارها ولم ينقص من نورها شيء ويفيد ان الرسل وان اضاءت
انوارهم للناس لكنها بطريق النيابة عن صاحب النبوة الكاملة وقطب
دائرة الرسالة نظهر انوارهم اذا لم يكن موجودا واذا وجد وظهر الى عالم
الشهادة لا يسع باقي الرسل الا ان يكونوا اتباعا له ولهذا قال صلى الله عليه
وسلم لو ان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي فلم يعط احد من الرسل كرامة
او فضيلة الا ولنبينا صلى الله عليه وسلم مثلها فادم اكرمه الله عز وجل بان
خلقه بيديه وما اكرمه الله عز وجل بهذه الكرامة الا لاجل ابنه رسول الله
صلى الله عليه وسلم مع ان الله عز وجل تولى شرح صدر نبينا بنفسه ورفع
ذكره ووضع وزره ومعنى شرح صدره خلق الايمان والحكمة فيه
وهو الخلق النبوي فتولى من ادم الخلق البشري ومن نبينا الخلق
النبوي مع انه هو المقصود من خلق ادم عليه السلام واما سجود الملائكة
لادم عليه السلام فقد قال سهل هذا التشريف الذي شرف الله عز وجل به

محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله ان الله وملائكته يصلون على النبي الاية اتم واجمع
من تشريف ادم بامر الله الملائكة له بالسجود لانه لا يجوز ان تكون الله عز وجل
مع الملائكة في ذلك التشريف فتشريف صدر عنه عز وجل ابلغ من تشريف
تختص به الملائكة على ان الملائكة لم يسجد والادم الا لان نوره صلى الله
عليه وسلم كان في جبين ادم ولله در من قال شعر

من الطويل

تجليت جل في جبين ادم فصلت له الاملاك حين توصلاه

واما تعليم ادم عليه السلام الاسماء كلها فقد اخرج الديلمي في مسند الفردوس
من حديث ابي رافع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلت لي امتي
في الما والطين وعلمت الاسما كلها كما علم ادم الاسما كلها فقد علم صلى الله
عليه وسلم ما علمه ادم عليه السلام وزاد عليه بان علم المسميات واطلع
على ذوات المعلومات ولله در الابوصيري القائل في الهمزية

لك ذات العلوم من عالم الغيب ومنها لادم الاسماء

وما ناله ادريس اذ اعطي مقاما عليا فالمعراج الذي ناله نبينا صلى الله
عليه وسلم ارقى واعلى ونجي نوحا من الغرق والسفينة معجزة فنبينا
نجت امته ببركته من وبال الدارين واعطى سفينة النجاة وهي
الاستغفار وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم
يستغفرون واطفا الله عز وجل لابرهيم الخليل عليه السلام نار نمرود
واطفا الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم النار الابليسية فكلما اوقدها
على امته بمكره وخديعته اطفاها الله عز وجل بكرمه ورحمته فتصير النار

الابليسية

الابليسية على الامة المحمدية بردا كما صارت النار الشيطانية حين خرج
على نبينا صلى الله عليه وسلم الشيطان بشهاب من نار فاطفاها الله عز وجل
عنه وصارت بردا وسلاما عليه واقدره الله عز وجل على ذلك الشيطان
فدعته واراد ان يربطه في سارية من سواري المسجد فذكر دعوة
سليمن عليه السلام ولعمري ان اطفا هذه النار اعلى من اطفا نار نمرود
على ان كثيرا من صلحا امة محمد صلى الله عليه وسلم صارت عليه نار الدنيا بردا
وسلاما كابي مسلم الخولاني حين دعاه الاسود بن قيس لما تنبا ليومن
به فابى فاجج عليه نارا فصارت عليه بردا وسلاما واما الخلة الثابتة
لابرهيم عليه السلام فهي لنبينا صلى الله عليه وسلم وله منها الحظ الاوفر كما يشهد
به حديث الشفاعة اذ يقول الخليل انما كنت خليلا من وراء وراء واما
جعل ابرهيم عليه السلام الاصنام جذاذا بفاس فقد جعلها محمد صلى
الله عليه وسلم جذاذا بتقرير مقالة الحق وادخالها بعالي همته الى اذهان
الناس حتى هجروا الاصنام واطفا الله ثايرة الكفر على وجه
البسيطة بحيث لم يبق على وجه الارض صنم يعبد من دون الله عز وجل
وقد كان يوم الفتح بيده قضيب يشير الى الاصنام فتسقط على
وجوهها وهو يقول جا الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا
وعمر ابرهيم الخليل البيت عمارة حسية ومحمد صلى الله عليه وسلم عمره العمارة
الحقيقية فجعل القلوب تحن اليه والابدان تفد اليه على ان البيت عمر
مرة في صغر نبينا صلى الله عليه وسلم فوضع هو الحجر الاسود وانت خبير

بان الحجر الاسود هو روح البيت وسره اذ صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه يمين
الله عز وجل واعطى موسى عليه السلام قلب العصا حية فمحمد صلى الله عليه
وسلم حن اليه الجذع ونطق وصاح مشتاقا اليه واما اليد البيضا فنظيرها
العرجون الذي اعطاه قتادة بن النعمان فاضا من بين يديه عشرا ومن
خلفه عشرا وسياتي ذكره في باب المعجزات مع اخبار كثيرة ذكر فيها نورا اضا
بين يدي اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واما فلق البحر لموسى عليه السلام
ففلق الافلاك وخرقها وفلق الحجب التي لم يدخلها نبي مرسل ولا ملك
مقرب اعظم من ذلك وفلق القمر وجعله نصفين اعلى من ذلك واعظم قال
ابن المنير وذكر ابن حبيب ان بين السما والارض بحرا يسمى المكفوف
يكون بحر الدنيا بالنسبة اليه كالقطرة من البحر المحيط قال فعلى هذا
يكون ذلك البحر انفلق لنبينا صلى الله عليه وسلم حتى جاوزه يعني ليلة
الاسرا وهو اعظم من انفلاق البحر لموسى عليه السلام واعطى موسى عليه
السلام ان اجيبت دعوته فهذا قد اعطي منه نبينا صلى الله عليه وسلم
ما يقال حدث عن البحر ولا حرج ولله در من قال

من البسيط

وكل معجزة للرسل قد سلفت ... وافى باعجب منها عند اظهار
فما العصا حية تسعى باعجب من ... شكوى البعير ولا من مشي اشجار
ولا انفجار معين الما من حجر ... اشد من سلس من كفه جاري

واعطى موسى عليه السلام ان كلمه الله عز وجل فانت خبير بما جرى ليلة المعراج
لا سيما ان قلنا بتعدده ووقوعه في نومه ويقظته مرارا واما فصاحة

هرون

هرون عليه السلام فان جوامع الكلم اعلى منها مقاما واما ما اعطيه يوسف
عليه السلام من شطر الحسن فقد اعطي نبينا صلى الله عليه وسلم الحسن
كله ولنا فيه كلام طويل نذكره في قصة الاسرا ان شا الله عز وجل واعطى
تعبير الرويا فقد نال من ذلك ما لا حصر له على انه كان يقدر على قلب المنام
ويكون مقتضى تعبيره ان شرا فيجعله خيرا وهذه قوة عظيمة وقد صح وثبت
في مسند الدارمي ان امراة رات منامها تعبيره ان زوجها يموت وكان
غايبا فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجع زوجك سالما فرجع سالما
طبق ما عبر لها رسول الله صلى الله عليه وسلم واعطى داود عليه السلام
تليين الحديد له وقد اخضر العود اليابس لنبينا صلى الله عليه وسلم واورق
ومسح شاة ام معبد فدر لبنها كما سياتي تفصيل ذلك في بحث المعجزات
وكلم داود عليه السلام الطير ونبينا صلى الله عليه وسلم كلمته الشجر والحجر
وسبح الحصى في كفه بل وسبح ببركته في كف ابي بكر وعمر وكلمه ذراع
الشاة المسمومة وكلمه البعير وقصة الطير المعروفة وسخر لسليمن
عليه السلام الريح غدوها شهر ورواحها شهر فالبراق الذي ركبه واخترق
به السبع الطباق اعلى منها مما منه وقد ذكر الثعلبي وانعم به من ثقة كامل عالم
ان النبي صلى الله عليه وسلم سال الله عز وجل ان يرى اصحاب الكهف فقال انك
لن تراهم في هذه الدار ولكن ابعث اربعة من خيار اصحابك ليبلغوهم رسالتك
ويدعوهم الى الايمان فقال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام كيف
ابعثهم فقال ابسط كساك واجلس على طرف من اطرافه ابا بكر وعلى

الطرف الاخر الثاني عمر وعلى الثالث عثمن وعلى الطرف الرابع علي بن ابي طالب
ثم ادع الرخاء المسخرة لسليمن عليه السلام فان الله عز وجل يامرها ان
تطيعك ففعل فحملتهم الريح الى باب الكهف فقلعوا منه حجرا فحمل الكلب
عليهم فلما راهم حرك راسه وبصبص بذنبه واوما اليهم ان ادخلوا
فدخلوا فقالوا السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد الله عز وجل على الفتية
ارواحهم فقاموا باجمعهم فقالوا وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقالوا
يا معشر الفتية ان النبي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم يقرا عليكم السلام
فقالوا وعلى محمد رسول الله السلام مادامت السموات والارض وعليكم ما
بلغتم وقبلوا دينه واسلموا ثم قالوا اقرئوا محمدا رسول الله صلى الله عليه
وسلم منا السلام واخذوا مضاجعهم وصاروا الى رقدتهم فلا يقومون
حتى تقوم الساعة فاخبر جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ثم ردتهم الريح
فقال النبي صلى الله عليه وسلم كيف وجدتموهم فاخبروه الخبر وقد ذكر هذا
ايضا القرطبي في تفسيره وقد سخر الله عز وجل ريح الصبا لنبينا صلى الله عليه
وسلم ليلة الاحزاب ولهذا قال صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا واهلكت
عاد بالدبور وايضا الريح سخرت لسليمن عليه السلام لتحمله الى نواحي الارض
ونبينا زويت له الارض اي جمعت حتى راى مشارقها ومغاربها
وفرق بين من يسعى الى الارض ليقضي مآربه وبين من تسعى له الارض
واما تسخير الشياطين فانت خبير بما جرى له مع اعظم الشياطين كيدا
وهو ابليس حيث امكنه الله عز وجل منه وهذه مرتبة لم ينلها سليمن

واما

واما عدة الجن من جنود سليمن عليه السلام فيقابله بعدة الملائكة من
جنود محمد صلى الله عليه وسلم في حروبه وشتان ما بين الجندين على ان الجن
اطاعوا محمدا اختيارا وذاك اطاعوه قهرا فقالوا في شان محمد صلى الله عليه
وسلم انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد وقالوا لقومهم يا قومنا
اجيبوا داعي الله وتسخير الطير له سوت عنه حمامة واحدة ليعلم ان
الناصر له هو الله عز وجل ولم ينقل ان سليمن عليه السلام سخرت له
العنكبوت وقد سخرها الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم ولهذا
قال من قال

من الخفيف

ايها المدعي الفخار دع الفخـ ... ـر لذي الكبرياء والجبروت
نسج داود لم يفد ليلة الغا ... ر وكان الفخار للعنكبوت
وبقاء السمند في لهب النا ... ر مزيل فضيلة الياقوت
وكذاك النعام يلتقم الجمـ ... ـر وما الجمر للنعام بقوت

واما ما اعطيه من الملك فنبينا صلى الله عليه وسلم كان مالك الارض
بتمليك الله عز وجل اياه الا انه اختار مقام العبودية في الدنيا
فجعله الله عز وجل سيد الناس يوم القيمة على رؤوس الاشهاد
ويعترف بذلك جميع المخلوقات وابرا عيسى عليه السلام الاكمه والابرص
فرد عين قتادة بعد سيلانها على خده فيناظر ذلك على ان ذلك وقع
لمثل الشيخ عدي بن مسافر واحيا الموتى للشيخ عبد القادر ولجماعة
من اولياء امته رضوان الله عليهم اجمعين ذكرهم التاج السبكي في طبقاته

الكبرى واما رفع عيسى عليه السلام الى السما فلا تنس ما جرى لنبينا
صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ومع ذلك انفرد بخواص ومزايا
اشتمل على بعضها بحث المعجزات الاتي وذكر المصنف شيا منها ونحن
فصلناه ثم تفصيلا حسنا لا مزيد عليه فقف عليه ان اردته قال بعضهم
ومن فضله ان الله عز وجل خاطب الانبياء باسماهم وخاطبه بالنبوة
والرسالة في كتابه فقال يا ايها النبي ويا ايها الرسول لا اشكال ان الخطاب
بالنعوت واللقب المشعر بالمدح اعلى واكثر تعظيما من الخطاب بالاسم
المجرد عن ذلك والله عز وجل لم يخاطب نبيه صلى الله عليه وسلم في القران الا
بعنوان النبوة او الرسالة او بما فيه اشعار بملح وغيره من النبيين عليهم
الصلوة والسلام لم يخاطبهم الا باسماهم وايضا نهى الله عز وجل عن
مخاطبته باسمه بهم اما الاول فقد قال تعالى يا ادم اسكن يا نوح
اهبط يا ابرهيم اعرض يا موسى انى اصطفيتك يا داود انا جعلناك
خليفة فى الارض يا عيسى بن مريم يا زكريا انا نبشرك يا يحيى خذ
الكتاب واما نبينا صلى الله عليه وسلم فلم يخاطبه باسمه تعظيما له بل قال
له يا ايها النبي يا ايها الرسول يا ايها المزمل يا ايها المدثر فان قلت
نداوه صلى الله عليه وسلم بعنوان انه مزمل او مدثر اي تعظيم فيه
قلت فيه من الملاطفة ما لا يخفى ونظيره قول نبينا صلى الله عليه وسلم
لعلي رضى الله عنه قم ابا تراب كانه يقول له ان تزميلك لا يشينك كان
نوم علي رضي الله عنه على التراب لا يشينه ولهذا يقال ان ابا تراب

كان

كان احب اسما علي رضي الله عنه اليه وقيل معناه يا ايها الذي زمل امرا عظيما
وهو النبوة اي حمله ويعجبني في ذلك ما قاله ابن عطا معناه يا ايها
المخفي ما نظهره عليك من اثار الخصوصية آن اوان كشفه فاظهره
فقد ايدناك بمن يتبعك ويوافقك ولا يخذلك ولا يخالفك وهو
ابو بكر الصديق وعلي بن ابي طالب رضي الله عنهما واما الوثر ففيه
من الملاطفة ما في المزمل وقيل المراد المدثر بلباس النبوة
والمعارف الالهية وما احسن ما قال سهل بن عبد الله التستري
معناه يا ايها المستعد من اعانه نفسك على صدرك وقلبك
ثم بنا فاسقط عنك ما سوانا واندر عبادنا فانا قرهما اك لا اشرف
المواقف واعظم المقامات ثم ان في ذلك من تعظيمه صلى الله عليه وسلم
ما لا يخفى ولما ان الله عز وجل ذكر اسم نبيه صلى الله عليه وسلم للتعريف
قرنه بذكر الرسالة فقال عز وجل وما محمد الا رسول وقال محمد رسول
الله وقال وامنوا بما نزل على محمد ولما ذكره مع الخليل ذكر الخليل باسمه
وذكر نبينا صلى الله عليه وسلم بنعته فقال عز وجل ان اولى الناس بابرهيم
للذين اتبعوه وهذا النبي واما الثاني فانه تعالى يقول في كتابه العزيز
لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قال ابن عباس رضي الله
عنهما كانوا يقولون يا محمد يا ابا القاسم فنهاهم الله عز وجل عن ذلك
اعظاما لنبيه صلى الله عليه وسلم فقالوا يا نبي الله يا رسول الله ومثله
عن الحسن البصري قال مجاهد المعنى قولوا يا رسول الله في رفق ولين

ولا تقولوا يا محمد تبجيم وقال قتادة امرهم ان يشرفوه ويفخموه وقد اخبر
الله عز وجل عن الامم الماضين انهم كانوا يخاطبون انبياهم باسماهم
كقولهم يا هود ما جيتنا ببينة يا صالح قد كنت فينا مرجوا وقول
بني اسرايل لنبيهم موسى عليه السلام وقد خرجوا من البحر بعد ان اغرق
الله عز وجل فرعون ومروا على قوم يعكفون على اصنام لهم يا موسى
اجعل لنا الها وقول الحواريين لنبيهم عيسى عليه السلام يا عيسى بن مريم
هل يستطيع ربك زاده الله رفعة وشرفا وحكى السمرقندي هو
ابو الليث الفقيه الحنفي عن الكلبي هو محمد بن السايب وقد عزا
هذه المقالة الهروي في الغريبين الى ابن الاعرابي في قوله عز وجل وان
من شيعته لابرهيم الشيعة الفرقة وقوله عز وجل وكانوا شيعا اي
فرقا يتابع بعضهم بعضا يقال تشيعت فلانا اذا اتبعته والعرب
تقول شاعكم السلام اي تبعكم واشاعكم الله السلام اي اتبعكم وكل من
عاون انسانا وتحزب له فهو له شيعة ان الهاء اي الضمير المجرور عايدة
على محمد صلى الله عليه وسلم الداعي الى ان ارتكب الكلبي وابن الاعرابي
والفرا جعل الضمير عايدا الى محمد صلى الله عليه وسلم استبعاد ان يكون
الفاضل من شيعة المفضول ولا شك ان ابرهيم افضل من
نوح عليهما السلام فلزم ان يجعل ضمير شيعته راجعا الى من هو
افضل من ابرهيم وهو محمد صلى الله عليه وسلم فان قلت يبعد ان
يكون المتقدم من شيعة المتاخر قلت قال الهروي ان ابرهيم اخبر

نخبر

بخبر محمد صلى الله عليه وسلم فاتبعه ودعا له وان كان سابقا ومحمد صلى الله عليه
وسلم متاخرا على ان العرب قد استعملت جعل المتقدم شيعة
للمتاخر كما قال الكميت

من الطويل

وما لي الا ال احمد شيعة ۔ وما لي الا مذهب الحق مذهب

على ان تاخر محمد عن ابرهيم صلوات الله وسلامه عليهما ليس الا في
الوجود في عالم الشهادة والا فهو في الخلق والذكر والشهرة متقدم
كما قال صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وآدم منجدل في طينته اي انه من
شيعة محمد صلى الله عليه وسلم لابرهيم اي على دينه ومنهاجه في الغريبين
النهج والمنهاج والمنهج الطريق المستقيم يقال قد نهج لك منهج فالزمه
واجازه الفرا وحكاه عنه مكي وقيل المراد بالضمير نوح عليه السلام لانه لو
تقدم ذكره صريحا والاصل عود ضمير الغايب الى متقدم الذكر فهو موافق
للاصل لكن يبعد جعل الفاضل من شيعة المفضول فارتكب الفراء
ونحوه ما ارتكبوا لجعله عايدا الى متصور في الذهن على حد قوله عز وجل
ولابويه لكل واحد منهما السدس فالهاء عايدة الى الميت وان لم يسبق له
ذكر لانه متصور في الذهن ومنه قوله تعالى انا انزلناه اي القران وان لم
يسبق له ذكر لانه معلوم ذهنا متصور عقلا ومعنى كون ابرهيم عليه
السلام من شيعة محمد صلى الله عليه وسلم او من شيعة نوح عليه السلام انهما
متشايعان في اصول الدين وان اختلفت فروع شرايعهما ويجوز
ان يكون بين شريعتهما توافق كلي او اكثري وقيل معناه انه منا هل

دينه وعلى سنته او ممن نشا يعد في التصلب في دين الله عز وجل
ومصابرة المكذبين ولم يكن بين نوح وابرهيم عليهما السلام الا نبيان
هود وصالح عليهما السلام وكان بين نوح وابرهيم عليهما السلام الفان
وستمائة واربعون سنة **الفصل الثامن في اعلام الله عز وجل**
خلقه اي مخلوقاته المكلفين **بصلاته** اي الله عز وجل **عليه** اي على النبي صلى
الله عليه وسلم **وولايته له** بفتح الواو قال الازهري الولاية بالفتح في النسب
والنصرة يقال ولي بين الولاية واما الولاية بالكسر فهي الامارة ويقال
فلان ولي فلان اي يلاصقه بالنصرة واصله من الولي وهو القرب
ومنه اولياء الشيطان اي انصاره واعوانه اي نصر الله عز وجل
لنبيه صلى الله عليه وسلم وتاييده له **ورفعه العذاب بسببه** اي عمن
يستحقه من الكفار والمشركين **قال الله عز وجل وما كان الله ليعذبهم**
وانت فيهم هذه مقالة وقعت جوابا لكلمة الكفار الشنعا التي صدرت منهم
وهي قولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الاية وقد قال كثير قائلها
ابو جهل ففي صحيح البخاري بسنده الى انس بن مالك رضي الله عنه قال
قال ابو جهل اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من
السما او ائتنا بعذاب اليم فنزلت وظاهر هذا الحديث ان ابا جهل هو
القائل لهذه المقالة ليس الا وظاهر الاية انه منسوب الى جماعة
بدليل التعبير بصيغة الجمع ولعل البادي به ابو جهل ورضي الباقون فنسب
اليهم وقد روى الطبراني من طريق ابن عباس رضي الله عنهما ان قائل ذلك النضر

ابن

ابن الحرث الذي جاء من بلاد فارس بنسخ حديث رستم واسفنديار
وبقي يزعم ان هذا مثل الاحاديث التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم وانه من جملة
اساطير الاولين وحين قال هذه المقالة نزل قوله عز وجل سال سائل بعذاب
واقع ولا ينافي هذا ما جا في صحيح البخاري لاحتمال ان يكونا قالاه لكن
نسبته الى ابي جهل اولى وعن قتادة قال ذلك سفهة هذه الامة
وجهلتها وروى ابن جرير من طريق يزيد بن رومان ان قريشا قالوا ذلك
ثم لما امسوا ندموا فقالوا غفرانك اللهم فانزل الله عز وجل وما كان الله
معذبهم وهم يستغفرون ثم ان هولا يجوز ان يكونوا قالوا هذه المقالة
لشبهة في صدورهم او على وجه العناد وايهام الناس انهم على
بصيرة ثم ان السياق يابى ان يكون لهم شبهة والا لما استحقوا
العذاب ولما اخبر الله عز وجل عنهم بانهم حان تعذيبهم لان الله عز وجل
لا يعذب الكفرة حتى لا يبقى لهم شبهة وقد حل بهم يوم البطشة الكبرى
ما سالوا وفي القرطبي حكى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه لقيه رجل من
اليهود فقال له اليهودي ممن انت قال من قريش فقال انت من القوم
الذين قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الاية فهلا عليهم ان
يقولوا ان كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له ان هولاء قوم يجهلون
قال ابن عباس رضي الله عنه يا اسرايلي انت من القوم الذين لم
تجف ارجلهم من بلل البحر الذي اغرق الله عز وجل فيه فرعون وقومه
وانجى موسى عليه السلام وقومه حتى قالوا اجعل لنا الها كما لهم الهة

فقال لهم موسى عليه السلام انكم قوم تجهلون فاطرق اليهودي مفحما ونقل في
الكشاف عن معوية رضي الله عنه انه قال لرجل من سبا ما اجهل قومك حين
ملكوا عليهم امراة قال اجهل من قومك حين قالوا الرسول الله صلى الله عليه قومي صح
وسلم حين دعاهم الى الحق ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا
حجارة ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له واقول
لا منافاة بين النقلين لجواز التعدد واللام في قوله ليعذبهم لتوكيد
النفي لانها مسبوقة بما كان وكان هنا ناقصة مسنده الى ها اسند اليه
الفعل المنصوب وهو يعذب وهي المسماة عند كثير من النحاة بلام
الجحود لانها ملازمة للجحد اي النفي وهي مفيدة للتاكيد ووجه افادتها
التاكيد عند الكوفيين كونها زائدة لتقوية النفي كما زيدت الباء لتقويته
في قولك ما زيد بقايم وهي عندهم حرف ناصب للفعل المضارع ووجه
التوكيد عند البصريين ان الاصل ما كان الله مريدا للعذاب ونفي
ارادته ابلغ من نفي العذاب ولهذا كان قوله

من الكامل
يا عاذلاتي لا تردن ملامتي ٭ ان العواذل لسن لي بامير

ابلغ من لا تلمني لانه نهي عن السبب فهذه اللام دالة على ان تعذيبهم
وانت بين اظهرهم غير مستقيم في الحكمة لان عادة الله عز وجل وقضية
حكمته ان لا يعذب قوما عذاب استيصال ما دام نبيهم بين اظهرهم
وفيه اشعار بانهم مرصدون بالعذاب اذا هاجر عنهم اي ما كنت
يا محمد بمكة فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة وبقي فيها من بقي من

المومنين

المومنين نزل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ما هنا مصدرية
زمانية لنيابتها وسبكها مع مدخولها بالمصدر والتقدير مدة كونك بمكة ..
فهي على حد قوله ٭ اجارتنا ان الخطوب تنوب ٭ واني مقيم ما اقام عسيب ٭

من الطويل من الضرب الثالث المحذوف

اي زمن اقامته ومفاد هذه المقالة ان عذابهم عذاب استيصال لا يكون
من الله عز وجل بمعنى انه خارج عن عادة الله عز وجل حالة كون النبي
صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم ولا يستقيم ذلك في حكمته وقولنا عذاب
استيصال مخرج لما وقع لقريش والنبي صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم
وهو القحط بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم ففي صحيح البخاري بسنده
الى عبد الله بن مسعود ان قريشا لما غلبوا النبي صلى الله عليه وسلم
وفي رواية لما استعصوا على النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم اعني
عليهم بسبع كسبع يوسف عليه السلام فاخذتهم سنة اكلوا فيها
العظام والميتة من الجهد حتى جعل احدهم يرى ما بينه وبين
السما كهيئة الدخان من الجوع قالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا
مومنون فقيل له ان كشفنا عنهم عادوا فدعا ربه عز وجل فكشف
عنهم فعادوا فانتقم الله عز وجل منهم يوم بدر ومعنى قوله وهم
يستغفرون اما استغفار من بقي فيهم من المومنين بعد خروج
النبي صلى الله عليه وسلم من بينهم واما لانهم كانوا يقولون اللهم غفرا
واما فرض استغفارهم بمعنى انهم لو استغفروا لم يعذبهم الله
عز وجل فهو كقوله عز وجل وما كان ربك مهلك القرى بظلم واهلها

مصلحون فان اريد استغفار من بقي من المومنين فالضمير في قوله
ليعذبهم راجع الى اهل مكة كلهم والضمير في قوله وهم يستغفرون يرجع
اليهم ايضا باعتبار ان الاستغفار واقع من مجموعهم وان كان
العائد عاما فقد اريد منه شي خاص فهو على حد قوله عز من قائل
وبعولتهن احق بردهن بعد قوله والمطلقات فانه خاص بالرجعيات
منهن والذي عاد عليه الضمير عام فيهن وفي غيرهن فان قلت هذه
اوجه ثلاثة ذكر صاحب الكشاف منها وجهين الثالث والاول
ولم يذكر الوجه الثاني وهو كون كفار قريش مع كفرهم يقولون اللهم
غفرانا فلم اسقط صاحب الكشاف هذا الوجه مع ان قاله ابن عباس
قلت لان قولهم غفرانا من غير اسلام لا يجديهم نفعا سيما على مذهب
صاحب الكشاف مع ان هذا القول كان يقوله المعذبون يوم
بدر من كفار قريش ولم يدفع عنهم هذا القول العذاب فان قلت
اما يجوز ان يكون الله عز وجل قد نسخ القول الاول بقوله وما لهم ان
لا يعذبهم قلت هو نسخ في الاخبار والنسخ في الاخبار يجوز لكن بقيد
قال الخطابي النسخ يجري في ما اخبر الله عز وجل انه يفعله لانه يجوز
تعليقه على شرط بخلاف اخباره عما لا يفعله اذ لا يجوز دخول الشرط فيه
وما قال ابن الجوزي ان النسخ لا يدخل الاخبار ليس على الاطلاق
والحاصل ان النسخ هنا لا يجوز لان الله عز وجل اخبر انه لا يفعل نعم
يمكن ان يقال ان الاستغفار وان صدر من كافر يدفع الله عز وجل

ببركته

بحث حسن مع صاحب الكشاف والبيضاوي

ببركته انواعا من الاضرار والقوم حين كانوا مستمرين على هذه المقالة
لم يعذبهم ولعلهم لما حل بهم القتل يوم بدر تركوا ذلك واعرضوا عنه
كما هو سنة الله عز وجل في من يريد ان يعذبه واذا اردنا ان نهلك
قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا
ولهذا الاحتمال ذكر هذا الوجه القاضي البيضاوي ومتابعه ابو السعود
ولكون الاصل عدم هذا الاحتمال لم يعول صاحب الكشاف عليه
فان قلت ما بال صاحب الكشاف جعل الوجه الثالث اولا وجعله
اصلا عليه المدار وجعل الوجه الاول ثانيا وعبر فيه بقيل المشعر بالضعف
حيث قال وقيل معناه وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر
وهم المسلمون بين اظهرهم ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من المستضعفين والبيضاوي ذكرهما على ترتيبنا قلت لان
الاستغفار الصادر ممن كان بينهم من المسلمين الضعفة الذين تخلفوا
عن الهجرة لضعفهم يبعد ان يدفع الله عز وجل به العذاب عن الكفرة
مع ان فيه ارجاع ضمير المتبادر منه عوده الى كلهم الى بعضهم وهو
خلاف المتبادر ففيه ارتكاب خلاف الاصل من وجهين الاول ان
الاصل ان لا يدفع عن المسيء العذاب لاستغفار غيره وعلى الثاني جعل
الضمير راجعا الى بعض من يعود عليه مع ان عوده الى الكل من سبق هو
الاصل والظاهر فاختار ان يراد من الاية انهم لو اصلحوا واستغفروا
استغفار اقلاع عن الكفر لانتفى عنهم العذاب فيوافق ما هنا ما في قوله

قوله الى بعضهم متعلق بقوله ارجاع ه

وما كان ربك مهلك القرى بظلم واهلها مصلحون واما البيضاوي فانه
لاحظ ان الله عز وجل عزى اليهم الاستغفار بصيغة اسم الفاعل فقال
وهم مستغفرون والاصل انهم تلبسوا بالاستغفار بالفعل والاصل
ايضا ان يكون استغفارهم معتدا به لصدوره من مومن لان الاستغفار
مع الكفر لا جدوى له ولم يكن في مكة من تلبس بالاستغفار وهو معتد
به الا من بقي من المومنين الضعفة الذين تخلفوا عن النبي صلى الله
عليه وسلم لما هاجر فلهذا قدم هذا القول واما قول الكفار اللهم
غفرانك فالاصل عدم ارادته لانه غير معتد به وان كان صدق عليه انه
وقع منهم بالفعل فكونه مرادا من الاية مخالف للاصل من جهة
واحدة واما كونه اراد فرض استغفارهم لما خالف الاصل من
جهتين كانت ارادته من الاية بعيدة فمن ثم اخره عن الوجهين
وجعله اخر الاوجه فان قلت ظاهر الاية الاولى انه عز وجل لا يعذبهم
وظاهر الاية الثانية انه يعذبهم لا محالة وهو تناقض قلت معنى
الاية الثانية وهي قوله عز من قائل وما لهم الا يعذبهم الله انهم
مستحقون للعذاب من حيث ذواتهم وان المانع من وقوع العذاب
بهم امر خارج عنهم فمتى زال ذلك المانع استحقوا العذاب وقد حل
بهم العذاب يوم البطشة الكبرى وهو يوم بدر فان قلت لاي
نكتة غير الاسلوب في الايتين حيث قال جل ذكره ليعذبهم معبرا
بصيغة الفعل المضارع وفي الاستغفار قال معذبهم بصيغة اسم
الفاعل

الفاعل قلت قيل انه غير الاسلوب تفننا واشعارا بان عدم عذاب
المستغفر امر مستمر وقال بعضهم وعندي ان هذه هو الوارد على
الاصل وانما عبر بالفعل اولا ليتهيا دخول لام توكيد النفي على خبر كان
الداخل عليها ما النافية فاذا دخلت عليه استفيدت المبالغة في نفي
التعذيب بسببه صلى الله عليه وسلم اذ كان فيهم ومجرد نفي التعذيب بسبب
من بقي بمكة من المسلمين اذ كانوا يستغفرون فظهرت التفرقة بين مقام
ومقام هم كذا قيل واقول لو اريد مجرد التوكيد كان يمكن التعبير
بالاسم مع حصول التوكيد بان يزيد البا كان يقول ما كان الله
بمعذبهم وانت فيهم وزيادة البا تفيد ما يفيده زيادة اللام ثم لا يخفى
ان القاعدة المقررة ان الاسم يدل على الثبوت والاستمرار والفعل يدل
على التجدد والحدوث ولا يحسن وضع احدهما موضع الاخر وانت
خبير بان الكلام اذا كان فيه زيادة على اصل المعنى وفيه نفي توجه النفي الى
تلك الزيادة فقوله ما كان الله ليعذبهم نفيه متوجه الى تجديد العذاب
فيلزم نفي ثبوته واستمراره بالطريق الاولى بخلاف قوله وما كان الله
معذبهم فانه متوجه الى الثبوت والاستمرار كانه يقول لا يستمر تعذيب
الله عز وجل اياهم ولا يلزم من ذلك نفي حصوله في الجملة بخلاف النفي
الاول وهذا اي رفع العذاب عمن يستحقه من الكفار ببركة وجود المومنين
بينهم الذين نالوا ذلك ببركته صلى الله عليه وسلم مثل قوله تعالى لو تزيلوا الاية
هو ماخوذ من زلت الشي ازيله اي ميزته وزايلت فلانا اذا فارقته

اي لو تميز المومنون من الكافرين لانزلنا بالكافرين في نحركم عليهم اذا
كبسوهم عذابا اليما وقوله تعالى ولولا رجال مومنون الاية وهم المستضعفون
من المومنين كانوا بمكة بين الكفار كسلمة بن هشام وعياش بن ابي ربيعة
وابي جندل بن سهيل واشباههم وكان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا
اراد ان يدعو على احد او يدعو لاحد قنت بعد الركوع فربما قال اذا
قال سمع الله لمن حمده اللهم ربنا لك الحمد اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة
بن هشام وعياش بن ابي ربيعة اللهم اشدد وطاتك على مضر واجعلها
عليهم سنين كسني يوسف يجهر بذلك وكان يقول في بعض صلاته
في صلوة الفجر اللهم العن فلانا وفلانا لاحيا من العرب حتى انزل الله
عز وجل ليس لك من الامر شيء الاية وقد وقع قبل هذه الاية قوله عز وجل
هم الذين كفروا وصدوكم الى قوله اليما نزلت في قصة الحديبية حين
احرم النبي صلى الله عليه وسلم مع اصحابه بعمرة وقلد الهدي ليعلم قريش
انه لا يريد حربا وانما يريد النسك فصدوه عن البيت ومنعوا الهدي
وحبسوه عن ان يبلغ محله وهو معنى قوله والهدي معكوفا اي محبوسا
وقيل واقفا ومحله هو منحره وان يبلغ بدل اشتمال من الهدي والعامل
صدوا اي صدوا بلوغ الهدي محله ويجوز ان يكون مفعولا لاجله
والعامل صدوا اي كراهة ان يبلغ ويجوز ان يكون متعلقا معكوفا على معنى
عن اي محبوسا عن ان يبلغ محله وفي الكشاف ومحله الذي يحل فيه
نحره اي يجب وهذا دليل لابي حنيفة رضي الله عنه على ان المحصر محل هديه

الحرم

صلى الله عليه وسلم يدعو لهم ففي صحيح البخاري بسنده الى ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

تحرير مع صاحب الكشاف وابي السعود والقاضي

الحرم فان قلت فكيف حل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه وانما نحر
هديهم بالحديبية قلت بعض الحديبية من الحرم وروي ان مضارب
رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت في الحل ومصلاه في الحرم فان قلت فاذن
قد نحر في الحرم فلم قيل معكوفا ان يبلغ محله قلت المراد المحل المعهود وهو
منى مشى على ذلك السعودي وفي البيضاوي ومحله مكانه الذي يحل فيه
نحره والمراد مكانه المعهود وهو منى لا مكانه الذي لا يجوز ان ينحر في
غيره والا لما نحره الرسول صلى الله عليه وسلم حيث احصر فلا ينتهض حجة
للحنفية على ان مذبح هدي المحصر هو الحرم انتهى واقول هذه مسئلة فيها
خلاف بين الايمة وهي ان الانسان اذا احصر عن البيت وكان محرما
ومنعه العدو عن الوقوف او الطواف او السعي فانه يتحلل بنيته
ويذبح ويحلق او يقصر واذا ذبح هديه فليذبحه حيث احصر سواء
كان في ارض الحرم ام في الحل وعلى هذا الايمة الثلاثة واما ابو حنيفة
رضي الله عنه فقال لا ذبح الا بالحرم فيواطي رجلا ويرقب له وقتا
ينحر فيه ويتحلل في ذلك الوقت وزعم الزمخشري ان المراد بمحله
الذي يحل فيه نحره اي يجب فيه وهو منى فالقوم صدوا الهدي عن
بلوغه الى محله المعهود وهو منى وصار الهدي محبوسا عن بلوغه
منى فلا يصح تفسيره بالذي يجب فيه نحره وهو الحرم ثم انا ننظر الى نحر
النبي صلى الله عليه وسلم هديه في عام الحديبية اين وقع فقال مالك والشافعي
رضي الله عنهما وقع في موضع حصره وهو الحديبية وهي ليست من الحرم

وكان عطا يقول لم ينحر النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية الا في الحرم
ووافقه ابن اسحق وقال غيره من اهل المغازي انما نحر في الحل وفي
السيرة الهجرية روينا عن ابن سعد قال اخبرنا اسمعيل بن عبد الله
ابن ابي اويس عن مجمع بن يعقوب عن ابيه انه قال لما صد رسول
الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حلقوا بالحديبية ونحروا بعث الله عز وجل
ريحا عاصفا فاحتملت اشعارهم فالقتها في الحرم قال ابن عبد البر في
الاستذكار خبر ابن سعد يدل على انهم حلقوا في الحل لمنعهم من دخوله
ويدل على انه لا يكونوا ارسلوا الهدي مع من نحره في الحرم فان قلت
قد اخرج النسائي من حديث ناجية بن جندب صاحب النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ابعث معي بالهدي فانحره بالحرم قال فكيف تصنع
به قال اخرجه في الاودية لا يقدرون عليه فانطلق به حتى انحره بالحرم
قلت قد قال القرطبي ان هذا الحديث غير صحيح وانما ينحر حيث حل اقتداء
بفعله صلى الله عليه وسلم بالحديبية وهو الصحيح الذي رواه الائمة ولان
الهدي تابع للمهدي والمهدي حل بموضعه فالهدي ايضا مثله على انه
ان صح ذلك حمل على الاولى لا على الوجوب بل ظاهر القصة ان اكثرهم نحر
بمكانه وكانوا في الحل وذلك دال على الجواز ثم ان قول صاحب الكشاف
ان بعض الحديبية من الحرم مخالف لما قال الشافعي رضي الله عنه في الام
والشافعي اخبر من غيره بارض الحجاز لان الارض ارضه والبلاد بلاده
لكن نقل بعضهم عن الشافعي رضي الله عنه انه قال ان بعض الحديبية من الحل

وبعضها

وبعضها من الحرم لكن انما نحر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحل استدلالا
بقوله عز وجل وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا ان يبلغ محله
قال ومحل الهدي عند اهل العلم الحرم وقد اخبر الله عز وجل انهم صدوهم عن
ذلك قال فحيثما احصر ذبح وحل ولا قضا عليه وقوله عز وجل ان تطاوهم
اي تنالوهم بمكروه يقال وطيهم العدو اذا نكا فيهم ومنه الحديث اللهم
اشدد وطاتك على مضر اي خذهم اخذا شديدا وفي الحديث اخر وطاة لله
عز وجل بوج يعني اخر اخذ ووقعة ووج هي الطائف وكانت غزوة
الطائف اخر غزوات النبي صلى الله عليه وسلم وهو بدل اشتمال من رجال ومابعده
اي لولا وطوكم لرجال ونسا لم تعلموهم وقد غلب في الضمير المذكر على الاناث
فان قلت حيث جعل بدلا من رجال كان في الحقيقة هو مدخول لولا
وانت تعلم ان لولا تدخل على جملة اسمية ثم فعلية لربط امتناع الثانية
بوجود الاولى وههنا الوط غير موجود فكيف يربط به امتناع
الجواب قلت هو من قبيل لولا ان اشق على امتي اي لولا مخافة ان
اشق وههنا يقدر لولا كراهة ان تطاوهم ويجوز ان يكون بدلا من
الضمير المنصوب في تعلموهم والمعرة مفعلة من عره اذا دهاه ما يكرهه
ويشق عليه والمعرة الامر القبيح والمكروه والمعرة التي كانت تصيب
المومنين انهم لو كبسوا اهل مكة وبين ظهرانيهم قوم مومنون لم يتميزوا
من الكفار لم يامنوا ان يطاوا المومنين بغير علم فيقتلوهم فتلزمهم
ديتهم ويلحقهم مسبة بانهم قتلوا من هو على دينهم وفي حديث عمر بن الخطاب

رضي الله عنه اللهم اني ابرأ اليك من معرة الجيش وهي ان ينزلوا بقوم
فياكلوا من زرعهم شيا وقال ابن الاعرابي المعرة قتال الجيش دون
اذن الامير والمعنى انه كان بمكة قوم من المسلمين يختلطون بالمشركين
غير متميزين منهم ولا معروفي الاماكن فقيل لولا كراهة ان تهلكوا
ناسا مومنين بين ظهراني المشركين وانتم غير عارفين بهم فيصيبكم
باهلاكهم مكروه ومشقة لما كف ايديكم عنهم وحذف جواب لولا لدلالة
الكلام عليه فهو من قبيل ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب
رحيم اي لهلكتم فان قلت قال صاحب الكشاف ويجوز ان يكون لو
تزيلوا كالتكرير للولا رجال مومنون لمرجعهما الى معنى واحد ويكون
لعذبنا هو الجواب اي جواب لولا واما لو فلا جواب لها لانها ذكرت
تاكيدا وتكريرا فما يقال في هذه المقالة قلت هذا الوجه لا ينبغي ان يقال به
لان جواب لولا يفيد شيا لم يفده جواب لو لان لولا تفيد امتناع تسليط
ايديكم عليهم بسبب وجود مخافة وطيكم اياهم واما لو تزيلوا الى اخره
فان هذه الجملة تفيد امتناع عذاب الله عز وجل اياهم باي نوع من انواع
العذاب لامتناع تميزهم عنهم فلا يستقيم ان يكون جملة لو تزيلوا تاكيدا ولا
تكريرا لجملة لولا رجال مومنون ولهذا لم يعول على هذا امثالنا في تفسيرهما
القاضي البيضاوي وابو السعود فان قلت ما الذي يدل على جواب لولا
المحذوف قلت الكلام السابق هو الذي دل عليه حيث قال وهو الذي
كف ايديهم عنكم الاية ولا يقال ان الدال عليه جواب لو تزيلوا كما توهم لما

بينهما

مناقشة مع صاحب الكشاف

رد على ابن الحنبلي

بينهما من التخالف الذي لا يخفى فان قلت ما بال المصنف قدم في
الاستشهاد بالايتين قوله عز وجل لو تزيلوا على قوله ولولا رجال
مومنون مع تقدم ما اخره في التلاوة قلت لانه اصرح في المراد
لدلالته على انتفاء مطلق التعذيب بسبب اختلاط المومنين باهل
الكفر مع التصريح بجواب لو واما لولا رجال مومنون فلا يدل الا على انتفاء
كف الايدي فقط مع عدم التصريح بالجواب وفهمه من معونة الكلام فلما
هاجر المومنون اي الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة
لضعفهم نزلت وما لهم ان لا يعذبهم الله اي وما لهم مما يمنع تعذيبهم
متى زال ذلك وكيف لا يعذبون وحالهم انهم يصدون فاصدي المسجد
الحرام عن الدخول اليه صدا حقيقيا تارة كصدهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم عام الحديبية وحكميا اخرى ومنه الجاؤهم نبي الله صلى الله عليه وسلم
الى الهجرة من وطنه وترك بلده وكذلك من معه من المومنين وهذا من
ابين ما يظهر مكانته اي رفعة النبي صلى الله عليه وسلم وعلو مقداره ودرايه
العذاب عن اهل مكة بسبب كونه اي وجوده فيهم جملة درا معطوفة
على يظهر من قوله ابين ما يظهر اي وهذا من ابين ما درا الله عز وجل
بسببه الى اخره وهو اولى من جعل الجملة حالا وقد مضمرة كما قيل به
ثم كون اصحابه بعده بين اظهرهم يقال فلان بين اظهرهم وظهرانيهم
والمراد انهم اقاموا بينهم على سبيل الاستظهار والاستناد اليهم
وزيدت في ظهرانيهم الف ونون مفتوحة تاكيدا ومعناه ان ظهرا

بحث ظهرانيهم

منهم قدامهم وخلفهم ووراءهم فهم مكتنفون من جوانبهم ثم انه كثر حتى
استعمل في الاقامة بين القوم مطلقا فلما خلت مكة منهم عذبهم الله عز
وجل بتسليط المؤمنين عليهم وغلبتهم اياهم وحكم فيهم سيوفهم بالقتل
واورثهم ارضهم اي مكة فاصبحت ملكا للمسلمين دار اسلام حتى
انتسخ امر الهجرة بعد فتحها وصارت كغيرها من بلاد الاسلام وديارهم
فاصبحت ملكا للمسلمين واموالهم فصارت غنيمة وفيئا لهم قيل في كل
هذا ما يرشد الى ان مكة فتحت عنوة كما هو قول ابي حنيفة رضي الله عنه
واكثر اهل العلم وبهذا جزم البرهان الحلبي ولا عبرة بما قيل من عدم منافاته
انها فتحت صلحا كما هو رأي الشافعي رضي الله عنه واقول هذه المقالة
التي زعم هذا القائل انها تدل على ان مكة فتحت عنوة مقالة المصنف
القاضي عياض وليست اية قرانية ولا حديثا نبويا حتى تجعل مرشدا
الى ان مكة فتحت عنوة على ان تعبيره بالارث بمقتضى الارث الشرعي
ولا يلزم ان يكون ذلك بالعنوة على ان هذا المتوهم المقلد للبرهان
الحلبي فهم ان المسلمين اخذوا بيوت مكة وارضها قهرا على اهلها
وانهم تملكوها بسيفهم ولم يقف على ان الائمة كلهم ابا حنيفة وغيره
اجمعوا سوا القائل انها فتحت عنوة او صلحا على ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم واصحابه لم يغنموا منها مالا ولم يسبوا منها ذرية وهب
ان كلام المصنف يلزم منه ذلك فالمصنف رجل مالكي ومذهب
مالك كمذهب ابي حنيفة رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة

عنوة

عنوة لكن لا يقوم حجة على الشافعي رضي الله عنه ومع قول مالك وابي حنيفة
رضي الله عنهما بانها فتحت عنوة قالا عفا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الغنائم ومنّ على السبي ومذهبهما ان للامام اذا فتح بلدا عنوة
ان يعفو عن غنائمه ويمنّ على سبيه وذهب الشافعي رضي الله عنه
الى ان النبي صلى الله عليه وسلم دخلها صلحا عقده مع ابي سفيان كان
الشرط فيه ان من اغلق بابه كان آمنا ومن تعلق باستار الكعبة فهو
آمن ومن دخل دار ابي سفيان فهو آمن الا ستة انفس استثنى
قتلهم وان تعلقوا باستار الكعبة ولاجل عقد الصلح لم يغنم ولم يسب
وانه ليس للامام اذا فتح بلدا عنوة ان يعفو عن غنائمه ولا ان يمنّ على
سبيه لما فيهما من حقوق الله عز وجل وحقوق الغانمين وقد ترتب
على كون مكة فتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم عنوة او صلحا حكم بيع
دور مكة واجارتها فمنع ابو حنيفة من بيعها واجاز اجارتها في غير
ايام الحج ومنع منها في ايام الحج لرواية الاعمش عن مجاهد عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال مكة حرام ولا يجوز بيع رباعها ولا اجور بيوتها وذهب
الشافعي رضي الله عنه الى جواز بيعها واجارتها لان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اقرهم عليها بعد الاسلام على ما كانت عليه قبله ولم يغنمها ولم
يعارضهم فيها وقد كانوا بنوا بيوتها قبل الاسلام وكذلك بعده هذه
دار الندوة وهي اول دار بنيت بمكة صارت بعد قصي لعبد الدار بن
قصي فابتاعها معوية رضي الله عنه في الاسلام من عكرمة بن عامر بن هاشم

حاشية

اول دار بنيت
بمكة دار الندوة

ابن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي وجعلها دار الامارة وكانت من اشهر
دار بمعت ذكرا وانشرها في الناس خبرا فما انكر بيعها احد من الصحابة
رضي الله عنهم وابتاع عمر وعثمن ما زاداه في المسجد من دور مكة وتملك
اهلها اثمانها ولو حرم ذكر لما بذلاه من اموال المسلمين ثم جرى به
العمل الى وقتنا فكان اجماعا متبوعا وفعلا مشروعا واما روايته
مجاهد عن النبي صلى الله عليه وسلم فهي مرسلة لانه من التابعين فلا تكون
حجة على من لا يحتج بالمرسل كالشافعي رضي الله عنه ومع ارسالها فهي
محمولة على انه لا يحل بيع رباعها على اهلها تنبيها على انها لم تغنم فتملك
عليهم فلذلك لم تبع وكذلك حكم الاجارة واما الكلام على ما فتح من غير مكة
من البلاد كالشام ومصر فليس هذا محل ذكره وقصد من ذكره تسويد
الورق بما ليس في محله ولا تعلق له بما نحن فيه وفي الاية اي في قوله عز وجل
وما كان الله ليعذبهم الاية ايضا اي كان ذلك التاويل الماضي جار في
الاية هذا يجري في تاويل اخر اي غير التاويل الاول والتاويل قيل هو
توجيه اللفظ المتوجه الى معان مختلفة الى واحد منها بما ظهر من الادلة
وقال البغوي والكواشي التاويل صرف الاية الى معنى موافق لما قبلها
وما بعدها تحتمله الاية غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط
بخلاف التفسير فانه عبارة عما وقع مبينا في كتاب الله عز وجل ومعينا
في صحيح السنة وليس لاحد ان يتعرض له باجتهاد ولا غيره بل يحمل على
المعنى الذي ورد لا يتعداه حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله بقرائتي

عليه

الفرق بين التاويل والتفسير

عليه هذا هو ابن سكرة قال قلت لم قيد المصنف حدثنا بقوله بقرائتي
عليه قلت لان المصنف لم يسمع هذا الحديث من لفظ شيخه وانما
قراه عليه وقد حكى المصنف كما حكاه عنه ابن الصلاح عن النسائي
انه ذهب الى ما ذهب اليه احمد بن حنبل وعبد الله بن المبارك رضي الله
عنهم فانهم ذهبوا الى منع الاطلاق حدثنا واخبرنا من غير تقييد بقوله
بقرائتي عليه او قراءة عليه وقال القاضي ابو بكر انه الصحيح ثم حكى
المصنف عن الاكثرين انهم جوزوا ان يقال حدثنا واخبرنا من غير تقييد
وبالجملة فالمصنف فعل ما هو الواجب على الراي الاول والاولى على
الراي الثاني قال حدثنا ابو الفضل بن خيرون هو ابو الفضل احمد بن الحسن
ابن احمد بن خيرون وابو الحسين الصيرفي الصحيح انه ابو الحسين بالتصغير
لما وجد في بعض النسخ من انه ابو الحسن من غير تصغير وهو المبارك
ابن عبد الجبار قالا حدثنا ابو يعلى بن زوج الحرة قال حدثنا ابو علي السنجي
هو الحسن بن محمد بن احمد بن شعبة قال حدثنا محمد بن محبوب المروزي
هو ابو العباس محمد بن احمد بن محبوب المحبوبي والمروزي نسبة الى مرو
وهو راوي جامع الترمذي عنه قال حدثنا ابو عيسى الحافظ هو محمد بن عيسى
ابن سورة الترمذي قال حدثنا سفين بن وكيع هو سفين بن وكيع بن الجراح
ابو محمد يروي عن ابيه ومطلب بن زياد وعنه الترمذي والدارقطني
وابن صاعد هو شيخ صدوق الا انه ابتلي بوراق سوء كان يدخل عليه
فتكلم فيه لكونه لم يرجع توفي سنة سبع واربعين ومائتين له ترجمة في الميزان

قال حدثنا ابن نمير هو عبد الله بن نمير الهمداني الخارفي مولاهم من اهل
الكوفة كنيته ابو هاشم يروي عن يحيى بن سعيد الانصاري وابن ابي خالد
روى عنه ابنه محمد بن عبد الله بن نمير واهل العراق مات سنة تسع وتسعين
ومائة في شهر ربيع الاول وصلى عليه محمد بن بشر العبدي وكان له صدوقا
وذكره ابن حبان في الثقات عن اسمعيل بن ابرهيم بن مهاجر هو ضعيف
لم ترجمة في الميزان عن عباد بن يوسف وقال بعضهم انه عبادة بن يوسف
قال في الكاشف لم يصح خبره عن ابي بردة هو قاضي الكوفة قيل اسمه
الحرث وقيل عامر قال النووي وهو الصحيح المشهور يروي عن ابيه
وعلي بن ابي طالب والزبير بن العوام وروى عنه بنوه وكان من النبلا
مات سنة اربع ومائة وقيل سنة ثلاث عن ابيه ابوه ابو موسى
الاشعري الذي كان من اكابر الصحابة وافاضلهم له المناقب الجم والفضائل
المشهورة توفي رضي الله عنه سنة اربع واربعين وقيل غير ذلك وهذا
الحديث انفرد الترمذي باخراجه بين الستة وذكره في التفسير وقال حديث
غريب واسمعيل ضعيف في الحديث وقد اخرجه ابن ابي حاتم عن ابن عباس
رضي الله عنهما موقوفا وابو الشيخ عن ابي هريرة رضي الله عنه موقوفا نحوه
وذكر حجة الاسلام الغزالي في الاحيا بلفظ كان بعض الصحابة يقول كان
لنا امانان ذهب احدهما وهو كون الرسول صلى الله عليه وسلم فينا وبقي
الاستغفار فان ذهب هلكنا قال الزين العراقي في تخريج احاديث
الاحيا اخرجه احمد بن حنبل رضي الله عنه من قول ابي موسى الاشعري

ورفعه الترمذي من حديثه بلفظ انزل الله عز وجل امانين الحديث
وضعفه وابن مردويه في تفسيره من قول ابن عباس وبالجملة فهذا
الحديث وان ضعفه الترمذي فهو من جهة رفعه ومن خصوص هذا
الاسناد وقد عرفت ان له شواهد تشعر بصحته قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انزل الله عز وجل علي امانين لامتي وما كان الله
ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاذا
مضيت اي بالخروج من الدنيا وعن البشرية تركت فيهم الاستغفار
المراد بامتي الماخوذين بعنوان الاضافة اليه صلى الله عليه وسلم امة الاجابة
الذين اتبعوه فان الامة تطلق على اتباع الانبيا ومنه يقال امة محمد صلى
الله عليه وسلم وليس المراد امة الدعوة لان امة الدعوة على الاطلاق
لا يستحقون الامان ولا يليق بهم الرحمة التي كتبها الله عز وجل لاتباع
النبي الامي صلى الله عليه وسلم فان قلت قوله صلى الله عليه وسلم انزل الله عز وجل
علي امانين لامتي الى اخره يقتضي ان هذا الامان الوارد في الاية انما
هو للمؤمنين مع ان ظاهر الاية يقتضي ان هذا الكلام مخبر به عن قوم
قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق الى اخره وهم كفار قلت قيل ان ضماير
الغايبين فيها راجعة الى المؤمنين قال وقد ذكر ابو سليمن الدمشقي
في صدر الاية ان معناه وما كان الله ليعذب المؤمنين بضرب من
العذاب الذي اهلك به من قبلهم وانت حي فيكون معنى عجزها
بحسب ما يقتضيه مساق الكلام وما كان الله معذب المومنين وهم

بحث مع ابن الحنبلي

يستغفرون انتهى واقول يلزم من هذه المقالة انتشار الضمائر
واضطرابها لان ضمير قالوا عائد الى اهل مكة الكفرة وضمائر وما لهم
ان لا يعذبهم الاية راجعة اليهم قطعا فلو ارجعنا هذه الضمائر المذكورة
في الامانين للزم انتشارها ويابى هذا بلاغة كتاب الله عز وجل وعندي
ان الضمائر كلها راجعة الى الذين كفروا الذين وقع الكلام عليهم في صدر
الايات وهو قوله عز وجل واذ يمكر بك الذين كفروا ثم قال وما كان الله
ليعذبهم اي ليعذب هولاء الكفرة وانت فيهم وهذا الامان الاول وانما
كان هذا امانا لان الله عز وجل جرت عادته وسنته ان لا يعذب قوما
وفيهم نبيهم فقد كان وجود النبي صلى الله عليه وسلم امانا للكافرين منهم
فكيف لا يكون امانا لمن صدقه واتبعه فهو امان لهم ايضا بالطريق
الاولى فان قلت على ما قررت من عود ضمير فيهم الى الذين كفروا يكون
وجود النبي صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم امانا لهم بمقتضى اللفظ
ومنطوقه واما كونه امانا للمومنين فهل هو بطريق الاستنباط او
بطريق النص قلت لا يخفى عليك انه امان بطريق اولى اي يكون
وجوده بين اظهر اهل مكة امانا للمومنين بالطريق الاولى فهو معلوم
بمفهوم الموافقة الاولى المسمى عندنا بفحوى الخطاب اي معناه المفهوم
على سبيل القطع وعند الحنفية بدلالة النص فهو على نمط استفادة
تحريم ضرب الوالدين من تحريم التافيف لهما وتحريم قتل الولد
عند عدم خشية الاملاق من تحريمه عند خشيته فيكون ذلك

ماخوذا

ماخوذا من نص الاية وقد جعل ابن الحاجب والغزالي في بعض كتبه
مثل ذلك من قبيل المجاز وهو ذكر الخاص وارادة العام فقد ذكر هنا
ان وجود النبي صلى الله عليه وسلم بين الكفرة امان لهم من العذاب واراد
وجوده بين الناس مطلقا وبمثل هذا يقال في قوله وما كان الله
معذبهم وهم يستغفرون فالاستغفار امان لمن تلبس بالكفر
اذا وقع منه فكيف لا يكون امانا لمن تلبس بالايمان اذا وقع منه
ذنب فان قلت استغفار الكافر كيف ينفعه قلت الكافر لا
ينتفع بمجرد نطقه بلفظ استغفر الله لان معنى الاستغفار الضراعة
الى الله عز وجل في عدم المواخذة بالذنب وذلك فرع عن الاعتراف
بان ما فعله ذنب وهو فرع لتصديق النبي صلى الله عليه وسلم فكل من
استغفر استغفارا نافعا يلزم ان يكون مومنا فان قلت ما المراد
بالاستغفار النافع هل هو حل عقدة الاصرار فهذا هو التوبة فيلزم
ان لا فرق بين الاستغفار والتوبة وكيف يكون الاستغفار نافعا
من غير حل عقدة الاصرار مع انه جا في الحديث المستغفر من الذنب
وهو مصر عليه كالمستهزى بايات الله عز وجل وقيل الاستغفار
باللسان توبة الكذابين قلت الاستغفار قد ورد في فضله
احاديث تشعر بانه بمجرده ينفع وان لم يقترن بالتوبة وقد غاير
الله عز وجل بينهما في الامر حيث قال استغفروا ربكم ثم توبوا اليه وروى
الترمذي الحكيم عن الاغر المزني قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم

بحث في الاستغفار النافع ما هو

وهو رافع يديه وهو يقول يا ايها الناس استغفروا الله ثم توبوا اليه
فوالله اني لاستغفر الله عز وجل في اليوم مائة مرة والاستغفار
الذي هو توبة الكذابين هو الاستغفار بمجرد اللسان من غير ان يكون
للقلب فيه شركة كما يقول الانسان بحكم العادة وعن راس الغفلة
استغفر الله وكما يقول اذا سمع صفة النار نعوذ بالله عز وجل من غير ان
يتاثر قلبه وهذا يرجع الى مجرد حركة اللسان ولا جدوى له فاما اذا
انضاف اليه تضرع القلب الى الله عز وجل وابتهاله في سؤال المغفرة عن
صدق ارادة وخلوص رغبة فهذه حسنة في نفسها فتصلح لان يدفع
بها السيئة وعلى هذا تحمل الاخبار الواردة في فضل الاستغفار حتى قال
صلى الله عليه وسلم ما اصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين
مرة وهو عبارة عن الاستغفار بالقلب قال سهل بن عبد الله التستري
رضي الله عنه لا بد للعبد من مولاه في كل حال فاحسن احواله ان يرجع
اليه في كل حال فان عصى قال يا رب استر علي فاذا فرغ من المعصية
قال يا رب تب علي فاذا تاب قال يا رب ارزقني العصمة واذا عمل
قال يا رب تقبل مني وبالجملة فمعنى قوله تعالى وما كان الله معذبهم وهم
يستغفرون اي يؤمنون ويصدقون فيستغفرون ولا شك ان
الكافر اذا استغفر كان استغفاره فرعا عن ايمانه وبهذا يظهر
انه لا منافاة بين هذه الاية وبين قوله عز وجل وما لهم الا يعذبهم الله
لان المراد بها انهم مستحقون العذاب من حيث كفرهم وان الاستغفار

على

على تقدير صدوره منهم استغفار لساني لا يجدي لهم نفعا وانما ينفع
الاستغفار الناشئ عن اعتقاد صحيح لانه التضرع الى الله في غفران
الذنب هنا وان هذا الحديث الذي اورده المصنف ذكرنا مخرجه
لكن ذكره في نوادر الاصول للحكيم الترمذي بسياق طويل ففيه عن
ابي هريرة رضي الله عنه قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فراني
حزينا فقال ما لي اراك يا ابا هريرة فقلت كان بيني وبين اهل
بيتي شيء فعجلت اليهم فقال اين انت ثكلتك امك عن الاستغفار
فوالذي بعثني بالحق اني لاستغفر الله عز وجل في اليوم والليلة مائة مرة
فاكثر من الاستغفار فان في الارض امانين يوشك ان تفقدوا احدهما
عن قريب وهو موت نبيكم صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل وما كان
الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فانه
تجيء يوم القيامة محدقا باعمال الخلائق لها زئير حول العرش يقول الهي
حقي حقي فيجيبه الجبار جل جلاله فيقول خذ حقك فما يترك من
سيئات بني ادم سيئة الا اجتحفها بالجملة ونحو منه قوله عز وجل وما
ارسلناك الا رحمة للعالمين لانه بعث بسبب لاسعادهم وموجب
لصلاح معاشهم ومعادهم وقيل كونه رحمة للكفار امنهم به من الخسف
والمسخ وعذاب الاستيصال وفي صحيح مسلم بسنده الى ابي هريرة
رضي الله عنه قال قيل يا رسول الله ادع الله عز وجل على المشركين
قال اني لم ابعث لعانا انما بعثت رحمة واخرج صاحب الوفا

حزيناه

بسنده الى ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما
انا رحمة مهداة اي اهديت لكم وقال مفسر واقوله وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين ارسل صلى الله عليه وسلم رحمة لانه جاء بما يسعدهم
ان اتبعوه ومن خالفه ولم يتبع فانما اتي من عند نفسه حيث ضيع
نصيبه منها ومثاله ان يفجر الله عز وجل عينا عذبة فيسقي ناس
زروعهم ومواشيهم ويبقى ناس مفرطون في السقي فيضيعوا
فالعين المتفجرة في نفسها نعمة من الله عز وجل ورحمة للفريقين ولكن
الكسلان محنته من عند نفسه حيث حرمها ما ينفعها وقيل كونه رحمة
للفجار من حيث ان عقوبتهم اخرت بسببه وامنوا به عذاب
الاستيصال وقال السمرقندي يعني رحمة للجن والانس وقيل
لجميع الخلق رحمة للمومنين بالهداية وللمنافقين بالامن من القتل وقال
ابن عباس رضي الله عنهما رحمة للبر والفاجر لان كل نبي اذا كذب اهلك
الله عز وجل من كذبه ومحمد صلى الله عليه وسلم اخر من كذبه للموت او القيمة
واما من صدقه فله الرحمة في الدنيا والاخرة فذاته صلى الله عليه وسلم
رحمة تعم المومن والكافر كما قال تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت
فيهم وقال النبي صلى الله عليه وسلم انما انا رحمة مهداة رواه الدارمي واما
رحمة فهو منصوب على انه حال من الكاف في ارسلناك اي ارسلناك
ذا رحمة ويجوز ان باول بمعنى راحم اي ارسلناك يا محمد راحما
للعالمين وعندي انه يجوز ان يكون حالا من الضمير المرفوع اي ارسلناك

حال

حال كوننا راحمين العالمين بك وقال ابن عطية يحتمل ان يكون معناه
وما ارسلناك للعالمين الا رحمة ورد بان المشهور منع تعلق الجار
الواقع بعد الا بما قبلها الا ان يكون العامل مفرغا له نحو ما مررت الا بزيد
وقال صلى الله عليه وسلم انا امان لاصحابي هذا حديث صحيح اخرجه مسلم
في صحيحه بلفظ امنة لاصحابي ففي صحيح مسلم بسنده عن ابي موسى
الاشعري رضي الله عنه قال صلينا المغرب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قلنا لو جلسنا حتى نصلي معه العشا قال فجلسنا فخرج علينا فقال
معك
ما زلتم هاهنا قلنا يا رسول الله صلينا مع المغرب ثم قلنا نجلس حتى
نصلي معك العشا فقال احسنتم او اصبتم قال فرفع راسه الى
السما وكان كثيرا ما يرفع راسه الى السما فقال النجوم امنة للسماء
فاذا ذهبت النجوم اتى السما ما توعد وانا امنة لاصحابي فاذا ذهبت
اتى اصحابي ما يوعدون واصحابي امنة لامتي فاذا ذهب اصحابي اتى
امتي ما يوعدون وفي النهاية الاثيرية الامنة في هذا الحديث جمع امين
وهو الحافظ انتهى واقول يلزم من هذا ان يكون اسناد امنة الى
الضمير المفرد مشكلا حيث حمل جمعا على مفرد اما حمل امنة على النجوم وكذا
حملها على اصحابي فلا اشكال فيه لانه حمل جمع على جمع والمشكل انما
هو حمل امنة على انا ويمكن ان يقال ان وجوده حافظا لاصحابه
منزل منزلة حفظة متعددين وهو واحد يقوم مقام جمع
كانه وهو فرد في جلالته في عسكر حين تلقاه وفي حشم ه

فهو على حدات ابرهيم كان امنة وفى القاموس ان امنة من مصادر
امن كفرح والامنة والامن والامان بمعنى واحد وهو موافق للفظ
الرواية التي رواها المصنف حيث عبر بلفظ انا امان لاصحابي
والاولى ان يفسر به لفظ امنة في هذا الحديث الذي رواه مسلم وقد
وقد اراد بوعد السما انشقاقها وذهابها يوم القيمة وذهاب النجوم
تكويرها وانكدارها واعدامها وانتثارها واراد بوعد اصحابه ما
وقع بينهم من الفتن وكذلك اراد بوعد امته والاشارة في الجملة الى
مجئ الشر عند ذهاب اهل الخير فانه صلى الله عليه وسلم لما كان بين
اظهرهم كان يبين لهم ما يختلفون فيه فلما توفي جالت الآراء
واختلفت الاهواء وكانت الصحابة رضي الله عنهم يسندون الامر
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول او فعل او دلالة حال فلما فقد
قلت الانوار وقويت الظلم وكذلك حال السما عند ذهاب النجوم
كذا في النهاية واقول يظهر لي ان مراد النبي صلى الله عليه وسلم بذلك الاعلام
بعلامات تنبئ عن مجئ ما وقع الوعد به على لسان الصادق صلى
الله عليه وسلم وهو انفطار السما وطيها كطي السجل للكتاب وما وعد
به الصحابة من مجي الفتن كقوله اذا قتل عثمن رضي الله عنه سل
سيف الفتنة وما وعد الله عز وجل به الامة من ظهور البدع
والحوادث والفتن فاذا راى الناس تلك العلامات علموا بقرب
ما هي علامة له وهذا الحديث فيه معجزة ظاهرة لنبينا صلى الله عليه وسلم
فان

فانه صلى الله عليه وسلم لما ذهب من الدنيا اتى اصحابه ما وعدوا
به من الفتن والحروب وارتداد من ارتد من العرب واختلاف
القلوب ونحو ذلك مما انذر به صلى الله عليه وسلم صريحا وقد وقع كل ذلك
ولما ذهب اصحابه اتى امته ما وعدوا به من ظهور البدع والحوادث
في الدين والفتن فيه وطلوع قرن الشيطان وظهور الروم وغيرهم عليهم
وانتهاك المدينة ومكة وغير ذلك وهذه كلها من معجزاته صلى الله عليه وسلم
قيل انما اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله النجوم امنة للسما فاذا
ذهبت النجوم اتى السما ما توعد تمثيلا لما بعده واشعارا بان نسبته
اصحابه منه ونسبة امته من اصحابه كنسبة السما من نجومها
واقول هذا الكلام على حقيقته وليس فيه تمثيل ولا تشبيه ولا
استعارة ولا دلالة في هذا الكلام على ان نسبته امته من اصحابه
كنسبة السما من نجومها نعم يمكن ان يقال ان الامان انما يكون لمن
يعقل وقد جعل النجوم امانا للسما وكذلك الوعد انما يكون لمن يعقل
والسما ليست من ذوي العقول عند المليين ولكنه نزلها منزلة من
يعقل وجعل لها امانا ووعدا تشبيها لها بمن يعقل قيل من البدع.
قال ابن درستويه البدعة في اللغة احداث سنة لم تكن وتكون
في الخير والشر ومنه قولهم فلان بدعة اذا كان مجاوزا في حذقه وجعل
منه ابن فارس في المقاييس قوله عز وجل قل ما كنت بدعا من الرسل
اي اولهم واما في الشرع فهي موضوعة للحادث المذموم واذا اريد

مطلب
في اقسام البدع

مطلب من البدع الواجبة علم النحو ه

الممدوح قيدت ويكون ذلك مجازا شرعيا وحقيقة لغوية وقال الشافعي
رضي الله عنه المحدثات ضربان احدهما ما خالف الحادث كتابا او سنة
او اثرا او اجماعا فهذه البدعة الضلالة والثاني ما احدث من الخير الذي
لا مخالفة فيه ومنه قول عمر رضي الله عنه في قيام رمضان نعمت البدعة
هذه يعني انها محدثة لم تكن واذا كانت ليس فيها رد لما مضى من الكتاب
والسنة والاجماع وقال المتولي من الشافعية في التتمة البدعة اسم
لكل زيادة في الدين سوا كانت طاعة ام معصية فالطاعة ككثرة
الصوم والصلوة والمعصية كالوقيعة في الصحابة وخلل العقيدة
وقد قسمها اصحابنا الى الاحكام الخمسة وطريق معرفة ذلك ان تعرض
البدعة على قواعد الشرع فاي حكم دخلت فيه فهي منه فمن البدع الواجبة
علم النحو الذي يفهم منه القران والسنة وذلك واجب لان ضبط
الشريعة واجب ولا يتاتى ضبطها الا بمعرفة ذلك وما لا يتم الواجب
الا به فهو واجب ومن البدع المحرمة مذهب القدرية والجبرية ومن البدع
المندوبة احداث المدارس والربط ومن المباحة المصافحة عقب
الصبح وتوسيع الاكام ومن المكروهة زخرفة المساجد وتزويق
المصاحف وقيل ان وجود رسول الله صلى الله عليه وسلم امان من الاختلاف
والفتن قال بعضهم الرسول صلى الله عليه وسلم هو الامان الاعظم ما عاش اي
لشدة حصول الامن بسببه ساغ ان يجعل هو نفس الامان والحصر
المستفاد من ضمير الفصل متوجه الى الاعظمية اي ان الامان الذي هو

الاعظم

مبحث اختلاف امتي رحمه

الاعظم منحصر في رسول الله صلى الله عليه وسلم اي وجد فيه وانتفى وجوده
من غيره وانما كان اعظم لان وجوده يرفع عذاب الله عز وجل وكيد الشيطان
ويحسم مادة الاختلاف والفتن ويرفع الجهالة والضلالة مع ان رفع
العذاب بسببه شامل للمومن والكافر حاصل للبر والفاجر واما الاستغفار
فهو رافع لعذاب الاستيصال ان صدر من مومن وما دامت سنته
باقية فهو اي الامان باق فاذا اميتت سنته فانتظروا البلا والفتن
فقد ذهب بموت النبي صلى الله عليه وسلم الامان الاعظم وبمجرد موته تولد
الاختلاف ولا يخفى ان الاختلاف في الدين من النقائص المذمومة
فان قلت كيف تعدون وجود الاختلاف من موجبات ذهاب
الامان وقد قال صلى الله عليه وسلم اختلاف امتي رحمة قلت هو حديث
مطعون فيه اخرجه البيهقي في المدخل من حديث سليمن بن ابي كريمة
عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم مهما اوتيتم من كتاب الله عز وجل فالعمل به فلا
عذر لاحد في تركه فان لم يكن في كتاب الله عز وجل فسنة مني ماضية
فان لم يكن سنة مني فما قال اصحابي ان اصحابي بمنزلة النجوم في
السما فايما اخذتم به فقد اهتديتم واختلاف اصحابي رحمة ومن هذا
الوجه اخرجه الطبراني والديلمي في مسنده بلفظه سوا وجويبر ضعيف
جدا والضحاك عن ابن عباس منقطع وقد عزاه الزركشي الى كتاب الحجة
لنصر المقدسي مرفوعا من غير بيان لسنده ولا صحابيه وكذا عزاه العراقي

لادم بن ابي اياس بلفظ اختلاف اصحابي رحمة لامتي قال وهو مرسل
ضعيف وبهذا اللفظ ذكره البيهقي في رسالته الاشعرية بغير اسناد
وفي المدخل للبيهقي من حديث سفين عن افلح بن حميد عن القسم بن محمد
قال اختلاف اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم رحمة لعباد الله عز وجل قال
حافظ عصره الشهاب بن حجر هذا الحديث مشهور على الالسنة وقد
اورده ابن الحاجب في المختصر في مباحث القياس بلفظ اختلاف امتي
رحمة للناس وكثر السوال عنه وزعم كثير من الائمة انه لا اصل له لكن ذكره
الخطابي في غريب الحديث مستطردا وقال اعترض على هذا الحديث
رجلان احدهما ماجن والاخر ملحد وهما اسحق الموصلي وعمرو بن بحر
الجاحظ وقالا جميعا لو كان الاختلاف رحمة لكان الاتفاق عذابا ثم
تشاغل الخطابي برد هذا الكلام فقال وتجاب عن هذا الاعتراض
الفاسد بانه لا يلزم من كون الشي رحمة ان يكون ضده عذابا ولا
يقول بهذا الا جاهل او متجاهل وقد قال تعالى ومن رحمته جعل لكم
الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا فسمى الليل رحمة ولم يلزم منه ان
يكون النهار عذابا هذا وان النبي صلى الله عليه وسلم لما ذهب من هذه
الدار وقع الخلاف وظهر وبدا واشتهر فان المسلمين كانوا في حياته ودام ذلك
الى وقت وفاته على عقيدة واحدة الا من كان يبطن النفاق ويظهر
الوفاق ثم نشا الخلاف بينهم اولا في امور اجتهادية لا توجب ايمانا ولا
كفرا وكان غرضهم منها مراسم الدين وادامة مناهج الشرع القويم وذلك
كاختلافهم

كاختلافهم عند قول النبي صلى الله عليه وسلم في مرض موته ايتوني بقرطاس
اكتب لكم كتابا لا تضلوا حتى قال عمر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
وسلم قد غلبه الوجع حسبنا كتاب الله عز وجل وكثر اللغط في ذلك
حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم قوموا عني لا ينبغي عندي التنازع وكاختلافهم
بعد ذلك في التخلف عن جيش اسامة رضي الله عنه فقال قوم بوجوب
الاتباع لقوله صلى الله عليه وسلم جهزوا جيش اسامة لعن الله من تخلف عنه
وقال قوم بالتخلف انتظارا لما يكون من رسول الله صلى الله عليه وسلم في
مرضه وكاختلافهم بعد ذلك في موته صلى الله عليه وسلم حين قال عمر رضي الله
عنه من قال ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد مات علوته بسيفي وانما رفع
الى السما كما رفع عيسى عليه السلام وقال ابو بكر رضي الله عنه من كان يعبد
محمدا فان محمدا صلى الله عليه وسلم قد مات ومن كان يعبد الله عز وجل فان
الله عز وجل حي لا يموت وتلا قوله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت
من قبله الرسل فرجع القوم الى قوله وقال عمر رضي الله عنه كاني ما سمعت
هذه الاية الا الان وكاختلافهم بعد ذلك في موضع دفنه بمكة او
المدينة او بيت المقدس حتى سمعوا ما روي عنه من الانبياء
يدفنون حيث يموتون وكاختلافهم في الامامة وثبوت الارث عن
النبي صلى الله عليه وسلم ثم اختلافهم بعد ذلك في تنصيص ابي بكر رضي الله
عنه على عمر رضي الله عنه بالخلافة ثم في امر الشورى حتى استقر الامر
على عثمن رضي الله عنه ثم اختلافهم في قتله وفي خلافة علي ومعوية

رضي الله عنها وما جرى في وقعة الجمل وصفين ثم اختلافهم ايضا في بعض
الاحكام الفروعية كاختلافهم في الكلالة وميراث الجد مع الاخوة
وعقل الاصابع ودية الاسنان الى غير ذلك من الاحكام وكان الخلاف
يتدرج ويترقى شيا فشيا الى اخر ايام الصحابة حتى ظهر معبد الجهني
وغيلان الدمشقي ويونس الاسواري وخالفوا في القدر واسناد
جميع الاشيا الى تقدير الله عز وجل ولم يزل الخلاف يتشعب والاراء
تتفرق حتى تفرق اهل الاسلام وارباب المقالات الى ثلاث وسبعين
فرقة كما اخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم وقال تعالى ان الله وملائكته
يصلون على النبي الاية استدل بهذه الاية من اعمل اللفظ المشترك في
جميع مفهوماته الغير المتضادة او المتضادة الجائزة الارادة وهو
مذهب الشافعي رضي الله عنه واليه ميل القاضي ابي بكر الباقلاني
من الاشاعرة والقاضي عبد الجبار من المعتزلة وابي علي الجبائي
واختاره من اصحاب الشافعي البيضاوي في منهاجه ووجه
استدلالهم بهذه الاية ان الصلوة لفظ مشترك بين المغفرة والاستغفار
وهما معنيان مختلفان والمراد في الاية كلا المعنيين دفعة واحدة لان
الصلوة من الله المغفرة لا الاستغفار ومن الملائكة عكسه والوقوع
دليل الجواز فان قلت لم فسرت الصلوة من الله عز وجل بالمغفرة دون
الرحمة كما فسرها غيرك بالرحمة قلت لان الرحمة من الله عز وجل مجاز لانها
رقة القلب بخلاف الحقيقة وكلامنا في الحقيقة دون المجاز واعترض

على

على هذا الاستدلال بان يصلون فيه واو الجمع وهو متعدد لان الواو
ضمير عائد الى الله عز وجل وضمير عائد الى الملائكة واذا تعدد الضمير ان تعدد
الفعل فكانه قيل ان الله عز وجل يصلي والملائكة يصلون ومن المعلوم
المقرر ان محل الخلاف بين من منع ومن اجاز انما هو اذا اطلق لفظ المشترك
اطلاقا واحدا واريد به كل واحد واحد من معانيه كما يقال المولى يستحق
ان ينعم عليه ويراد به في حالة واحدة المعتق والمعتق واجيب عن هذا
الاعتراض بانه يتعدد معنى اللفظ فهو ملفوظ واحد يراد به معان متعددة
مختلفة في حالة واحدة فان قلت انه يجوز ان تكون الصلوة مستعملة في
القدر المشترك بين المغفرة والاستغفار وهو الاعتنا باظهار شرفه
صلى الله عليه وسلم كما صرح به الغزالي من الشافعية في المستصفى
قلت اطلاق الصلوة على الاعتنا مجاز وهو خلاف الاصل فان قلت
حمل لفظ الصلوة على مجموع المعاني مجاز فلم رجحتم احد المجازين على الاخر
قلت ليس الحمل على المجموع بل على كل واحد واحد وهو حقيقة والحقيقة
اولى من المجاز فان قلت لم لا يجوز ان يكون الخبر محذوفا ويكون
التقدير ان الله يصلي والملائكة يصلون فلا يكون مما نحن فيه قلت
يلزم فيه الاضمار والاضمار خلاف الاصل اي ان الله تعالى فضل نبيه صلى
الله عليه وسلم بصلاته عليه ثم بصلوة ملائكته ثم هنا للتراخي في الرتبة وامر
بسكون الميم على انه مصدر امر يامر وهو معطوف على صلاته اي ان
الله عز وجل فضل نبيه بصلاته ويامر عباده بالصلوة والسلام عليه

ولو جعل امره بصيغة الماضي عطفا على ابان لفاتت نكتة كون امره
عباده بالصلوة عليه مما دخل تحت ابانة فضله مع انها مرادة من الاية
لان الله عز وجل لم يامر عباده بالصلوة والتسليم على احد من النبيين فضله
فان قلت قد شاركه في صلوة الله عز وجل وملائكته المومنون بدليل
قوله عز وجل هو الذي يصلي عليكم وملائكته قلت اذا تاملت صلوة
الله عز وجل وملائكته على المومنين تجدها من الامور التي ابان الله
عز وجل فيها فضل نبيه محمد صلى الله عليه وسلم على سائر الانبياء لان الاعتناء
بشان الامة اعتناء بشان نبيهم ولو لم يكن نبينا صلى الله عليه وسلم في غاية
الرفعة عند الله عز وجل لما جعل امته في هذه المرتبة بحيث ان الله عز
وجل من عليهم بمنة لم يشاركهم فيها امة والدليل على ذلك ان الله عز وجل
اخبرهم باني ما صليت عليكم انا وملائكتي الا لاتباعكم محمدا صلى الله عليه
وسلم حيث قال هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى
النور والمراد بالظلمات الكفر وبالنور الايمان فكانه قال يصلي الله
عز وجل وملائكته عليكم لتتبعوا هذا النبي الذي هو منبع الايمان كما
قال قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فكما انه صلى الله عليه
وسلم حبيب الله كذلك من علي من اتبعه ان يكون حبيب الله
وكذلك رب العزة جل وعلا صلى هو وملائكته على نبيه صلى الله عليه
وسلم وكذلك صلوا على من اتبعه بل ربما يقال ان اية هو الذي يصلي
عليكم وملائكته تنبئ عن فضل نبينا صلى الله عليه وسلم اكثر من قوله ان الله

وملائكته

وملائكته يصلون على النبي الاية فتامل ذلك ويرشدنا الى ان هذه
منقبة راجعة الى النبي صلى الله عليه وسلم ما رواه ابو نعيم في الحلية
في ترجمة سفيان بن عيينة انه سئل عن اللهم صل على محمد وعلى ال محمد
كما صليت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم فقال اكرم الله عز وجل امة محمد
صلى الله عليه وسلم فصلى عليهم كما صلى على الانبياء فقال هو الذي يصلي عليكم
وملائكته وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم ان صلاتك سكن لهم والسكن
من السكينة فصلى عليهم كما صلى على ابرهيم واسحق ويعقوب
والاسباط وهولاء الانبياء المخصوصين منهم وعم الله عز وجل هذه
الامة بالصلوة وادخلهم فيها ادخل فيه نبيهم صلى الله عليه وسلم ولم يدخل في شي
الا دخلت فيه امته وحكمة تغاير اسلوبي الايتين اي قوله عز وجل ان الله
وملائكته الاية وقوله هو الذي يصلي عليكم الاية الاشارة الى مزيد الخصوصية
له صلى الله عليه وسلم على سائر امته فان اسناد الفعل الى اثنين ليس كاسناده
الى واحد ثم عطف اخر عليه لاشعاره في الاول بانه مسند اليهما اصالة
وفي الثاني بانه اصالة في الاول وتبعا في الثاني فصلوة الملائكة على المومنين
تابعة لصلوة الله عز وجل عليهم لا توجد بدونها ضرورة التبعية وصلاته
عليه صلى الله عليه وسلم بطريق الاصالة فتوجد مطلقا فالاثنان وان
استويا في صلوة الله عز وجل فهما متفاوتتان في صلوة الملائكة ونقل
عن الامام الرازي ان صلوة الملائكة على المومنين بطريق التبعية
لصلاته تعالى عليهم لتاخر ذكرها واما صلاتهم عليه صلى الله عليه وسلم

فبطريق الاصالة ففي الاية الاولى تفضيل له على غيره كما اذا قيل يدخل فلان
وفلان فانه يدل على تقديم الاول بخلاف ما لو قيل فلان وفلان يدخلان
قال شيخنا الرضي محمد بن التاذفي المعروف بابن الحنبلي وفيه بحث
لان الواو لمطلق الجمع دون الترتيب في اي التركيبين كانت واما قول
ابي حنيفة رضي الله عنه ان من قال لغير المدخول بها ان دخلت الدار
فانت طالق واحدة وواحدة وقعت عليه واحدة بخلاف من قال لها
انت طالق واحدة وواحدة ان دخلت الدار حيث يقع ثنتان فليس
بمبني على ان الواو للترتيب بل على ان المعلق بالشرط كالمنجز عند وجوده
وهو لو نجز الاول حقيقة لم يقع الثاني فكذا اذا صار كالمنجز حكما
بخلاف ما اذا اخر الشرط لان صدر الكلام يوقف على اخره لوجود المغير
في اخره فكان في حكم البيان كما بين في محله وليس صلى الله عليه وسلم داخلا
تحت المخاطبين بالاية الثانية ليقال انه لما امروا بالصلوة عليه من
عمومهم دل التمييز دلالة واضحة على ترجيح لم فيها كقولك احب القوم
واحب زيدا بتقديم الاول وتاخيره لان المخاطبين بها انما هم المومنون
بخاصة بقرينة السباق والسياق انتهى واقول كون الواو تفيد
الترتيب ذهب اليه بعض البصريين وجماعة من الكوفيين ونقله
صاحب التتمة من اصحابنا الشافعية في كتاب الطلاق عن بعض
الشافعية وبالغ الماوردي في باب الوضوء من الحاوي فنقله عن
الاخفش وجمهور اصحابنا واختاره الشيخ ابو اسحق في التبصرة

وفي

وفي تسهيل ابن مالك تاخير المعطوف عن المعطوف عليه كثير وتقدمه قليل
والمعية احتمال راجح والاصح انها لمطلق الجمع لا دلالة فيها على ترتيب
ولا معية قال سيبويه قولك مررت برجل وحمار كانك قلت مررت
بهما وليس في هذا دليل على انه بدا بشي قبل شي ولا بشي مع شي
هذا والاصح عندنا في هذه المسلة وقوع ثنتين مطلقا قدم الشرط
ام اخر وقد ذكر اصحابنا في نظير هذه المسلة وهي ما اذا قال لزوجته
قبل الدخول بها ان دخلت الدار فانت طالق وطالق وطالق او قدم
الجزا على الشرط فقال انت طالق وطالق وطالق ان دخلت الدار
فدخلت وقع الثلاث في اصح الاوجه لان الجميع يقع في حال الدخول
والثاني لا يقع فيها الا واحدة كما لو نجز الثلاث والثالث ان قدم
الشرط فواحدة وان قدم الجزا وقعت الثلاث ثم ان ما ذكره الرازي
من الفرق بين يدخل فلان وفلان وبين فلان وفلان يدخلان
مخالف لما قاله النحاة ومنهم ابن مالك في شرح التسهيل في الكلام على
تثنية المشترك وجمعه ان واو العطف بمثابة الف التثنية مع
الاثنين وبمثابة واو الجمع مع الثلاثة فصاعدا حتى يكون قول القائل
قام الزيدان كقوله قام زيد وزيد وقد فرع فقهاونا على ذلك فروعا
كقولك بعتك هذا وهذا بكذا فانه لا فرق بينه وبين قولك بعتك
هذين بكذا لكنهم خالفوا ذلك في مواضع منها اذا كان للمريض عبدان
كل منهما ثلث ماله فقال اعتقت هذا وهذا عتق الاول وان قال

اعتقت هذين اقرع بينهما ومنها ما اذا قال له علي درهم ودرهم
الا درهما ففيه وجهان احدهما انا نجمع هذا المفرق ويصح الاستثناء
فكانه قال ثلاثة دراهم الا درهما واصحهما انا لا نجمع وحينئذ يبطل
الاستثنا لكونه مستغرقا هذا بالجملة فتثنية المشترك وجمعه يشعر
باستقلال كل منهما او منهم والعطف يشعر في الجملة بالتبعية في
المعطوف لكن يظهر لي شي وهو ان الرازي لم يتلق ذلك الا بنا على ان حين
نزول اية هو الذي يصلي عليكم وملائكته عن اية ان الله وملائكته الاية
وذلك ان لسائل ان يسال ويقول ما وجه تغيير اسلوب هذه الاية عن
تلك فنقول الاشارة الى تبعية الملائكة هنا واستقلالهم ثم وان
تغيير الاسلوب والعدول عن اسلوب الاية السابقة في النزول هو
المشعر بذلك فان قلت ما معنى تبعية الملائكة واستقلالهم ثم قلت
صلوة الله عز وجل على المومنين من باب الرحمة لهم في مقابلة ذكرهم
له تعالى ويترتب على رحمته لهم اخراجهم من المعصية الى الطاعة ومن
الكفر الى الايمان لا باعتبار انهم كاملون ولما ان الملائكة يطلعون على
ان الله عز وجل تفضل عليهم بذلك يصلون عليهم تبعا لما تفضل الله عز وجل
به عليهم بمقتضى رحمته التي وسعت كل شي بخلاف صلاتهم على النبي صلى
الله عليه وسلم فانه لما كان كاملا في ذاته منزها عن معايب البشر ونقص
الانسان صلوا عليه لذلك على ان صلوة الله عز وجل على النبي صلى الله عليه
وسلم زيادة تشريف بخلاف صلاته على المومنين فانها محض رحمة

قال

قاله بكر القشيري ثم انه صلى الله عليه وسلم دخل في عموم هو الذي يصلي عليكم
ثم انه امتاز بمفرده بصلوة لم يشاركه فيها المومنون فان قلت
المخاطب في اية هو الذي يصلي عليكم المومنون ~~ثم انه~~ خاصة فكيف
يدخل النبي صلى الله عليه وسلم فيهم قلت لا يخفى ان صدر الاية يا ايها
الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا الى ان قال هو الذي يصلي عليكم
ولا يخفى ان الصحيح وقول الجمهور ان يا ايها الذين امنوا ويا ايها
الناس ويا عبادي شامل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانه صلى الله
عليه وسلم مخاطب بما تضمنته اية تصدرت بذلك كما ان الامة مخاطبون
بذلك فلا يخرج مما تضمنته الاية الا بدليل فان قلت قرينة المشافهة
تابى ان يدخل غير المشافه في ذلك الخطاب لا سيما والنبي صلى الله عليه
وسلم هو الذي شافه المومنين بذلك والمشافه غير المشافه والمبلغ
غير المبلغ والامر غير المامور والناهي غير المنهي فلا يكون داخلا
قلت الخطاب في الحقيقة هو من الله عز وجل والنبي صلى الله عليه وسلم
من جملة من خوطب ولا ضير في كون النبي صلى الله عليه وسلم مخاطبا مبلغا
ومخاطبا ومبلغا باعتبارين واحتمال كون ذلك من خصائصه غير
ملتفت اليه لان الاصل عدمه حتى ياتي دليل وقد حكى الامام ابو بكر
ابن فورك هو محمد بن الحسن بالتكبير وقد غلط من قال ان اباه الحسين
بالتصغير ابن فورك الاستاذ ابو بكر الانصاري الاصفهاني قال
السبكي في طبقاته الكبرى لعلي الـ[illegible] فعبارة ما ملخصه هو الامام الجليل

ترجمة الامام ابن فورك

والحبر الذي لا يجارى فقها واصولا وكلاما ووعظا ونحوا مع مهابة
وجلالة وورع بالغ رفض الدنيا وراء ظهره وعامل الله عز وجل في سره
وجهره وصمم على دينه

من البسيط وكذا الابيات التي في هذه الصفحة

مصمم ليس يلويه عواذله … في الدين ثبت قوي باسه عسره
وحوم على السنة في نصرة الحق لا يخاف الاسد في عرينه
ولا يلين لغير الحق يتبعه … حتى يلين لضرس الماضغ الحجر
وشمر عن ساق الاجتهاد
بهمة في الثريا اثر اخمصها … وعزمة ليس من عاداتها السأم
وعمر الدين عزم منه معتضد … بالله تشرق من انواره الظلم
وصبر والسيف يقطر دما
والصبر يجمل الا انه صبر … وربما جنت الاعقاب من عسله
لكنه مغرم بالحق يتبعه … لله في الله هذا منتهى امله
اقام اولا بالعراق الى ان درس بها مذهب الاشعري على ابي الحسن
الباهلي ثم لما ورد الري ووشت به المبتدعة وشنعوا عليه
قال الحاكم ابو عبد الله فتقدمنا الى الامير ناصر الدولة ابي الحسن
محمد بن ابرهيم والتمسنا منه المراسلة في توجيهه الى نيسابور
فبنى له الدار والمدرسة من خانقاه ابي الحسن البوشنجي واحيا الله
عز وجل به في بلدنا انواعا من العلوم لما استوطنها وظهرت بركته على
جماعة من المتفقهة وتخرجوا به سمع عبد الله بن جعفر الاصبهاني
وكان

وكثر سماعه بالبصرة وبغداد وحدث بنيسابور هذا كلام الحاكم وروى
عنه حديثا واحدا ولما حضرت الوفاة ابا عثمن المغربي وكان واحد
وقته وسيد عصره اوصى بان يصلي عليه الامام ابو بكر بن فورك روى
ان ابن فورك ما نام قط في بيت فيه مصحف واذا اراد النوم انتقل
عن المكان الذي هو فيه اعظاما لكتاب الله عز وجل قال عبد الغافر
بلغت تصانيفه في اصول الدين واصول الفقه ومعاني القرآن
قريبا من المائة دعي الى مدينة غزنة وجرت له بها مناظرات
ولما عاد منها سم في الطريق فتوفي سنة ست واربعمائة حميدا
شهيدا ونقل الى نيسابور ودفن بالحيرة وقبره ظاهر وقال
عبد الغافر يستسقى به ويستجاب الدعا عنده وكان شديد الرد
على ابي عبد الله بن كرام وان الفتنة التي حصلت له بها المحنة
من تشغيب اصحاب ابن كرام وشيعتهم المجسمة وسبب المحنة
التي حصلت لابن فورك قيامه في الحق وهمته العالية في نصرة الدين
وكان شديدا على الطائفة الكرامية المشبهة يضربهم بسهام
البحث بما لا قدرة لهم عليه فتحزبوا عليه واخر الامر انهم انهوا الى
السلطان محمود بن سبكتكين ان هذا الذي يولب علينا عندك
اعظم منا بدعة وكفرا وذلك لانه يعتقد ان نبينا محمد المصطفى
صلى الله عليه وسلم ليس نبيا اليوم وان رسالته انقطعت بموته
فسله عن ذلك فعظم على السلطان هذا الامر وقال ان صح هذا عنه لاقتلنه

وامر بطلبه فلما حضر بين يديه وساله عن ذلك كذب الناقل وقال ما هو معتقد
الاشاعرة على الاطلاق ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم حي في قبره رسول الله
ابد الاباد على الحقيقة لا المجاز وانه كان نبيا وادم بين الما والطين وان
نبوته باقية ولا تزال وعند ذلك وضح للسلطان الامر وامر باعزازه
واكرامه ورجوعه الى وطنه فلما ايست الكرامية وعلمت ان ما وشت
به لم يتم وان حيلهم ومكايدهم قد وهت عدلت الى السعي في موته والراحة
من تعبه فسلطوا عليه من سمه فمضى حميدا شهيدا وقد زعم ابن حزم
ان الاشاعرة كلهم قائلون بانقطاع رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم
قال التاج السبكي وابن حزم لا يدري مذهب الاشعرية ولا يفرق بينهم
وبين الجهمية لجهله بما يعتقدون وقد حكى ابن الصلاح ما ذكره
ابن حزم ثم قال ليس الامر كما زعم بل هو تشنيع على الاشعرية اثارته
الكرامية فيما حكاه القشيري وما اقبح تعصب الذهبي على الاشاعرة
فانه قال ان ابن فورك كان رجلا صالحا ثم قال كان مع دينه صاحب
فلته وبدعة فلا تلتفت الى هذه المقالة من الذهبي فانه شافعي وغالب
الشافعية اشاعرة كما ان غالب الحنفية كذلك واما المالكية فكلهم
اشاعرة لا يشذ منهم واحد ومع ذلك هو كثير الانتقاص لمن يكون
اشعريا وما شيا في عقيدته على سنن الاشاعرة وفورك اسم اعجمي
ممنوع من الصرف للعجمة والعلمية ان بعض العلما تاول قول النبي صلى الله عليه
وسلم وجعلت قرة عيني في الصلوة على هذا قرة العين سرورها وفرحها

غالب الحنفية اشاعرة وكذا غالب الشافعية

مطلب
في فورك وللشارح
فيه كلام في غير هذا
الفصل فلينظر

وحقيقته

وحقيقته ان تبرد دمعة العين لان دمعة الفرح والسرور باردة
وقيل معنى اقر الله عينك بلغك امنيتك حتى ترضى نفسك وتسكن
عينك فلا تستشرف الى غيره والمشار اليه بقوله هذا صلوة الله
عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم اي جعلت قرة عيني في صلوة الله
عز وجل علي وملائكته وامره الامة بذلك وحملها على ذلك ابن محمل
غير ان المتبادر من اطلاق الصلوة انما هي الصلوة التي هي حقيقة في
لفظ الصلوة وهي الصلوة التي وضع الشارع لفظ الصلوة لها وهي
ذات الاركان وقرة عينه صلى الله عليه وسلم فيها بما كان يحصل له من
التجليات الالهية والواردات الربانية والالطاف السماوية
وعلى هذا حملوا سهوه صلى الله عليه وسلم في الصلوة فان الذي يشغله عن
صلاته حتى سها فيها كان اعظم من الصلوة لقوله صلى الله عليه وسلم جعلت
قرة عيني في الصلوة فقد اخبر صلى الله عليه وسلم ان في الصلوة ما تقر به
عينه ولم يقل جعلت قرة عيني الصلوة فانه صلى الله عليه وسلم بظاهره
مع الخلق لتكميلهم فاقتضت الحكمة الالهية ان يكون ظاهره مناسبا لهم
من حيث البشرية ليتاتى لهم الانتفاع به صلى الله عليه وسلم فكانت تعتريه
احوال البشر كالنوم واليقظة والصحة والمرض والموت والحيوة وجميع
ما يطرا عليهم من الاحوال والتغيرات وما كانت تعتريه الا باعتبار ظاهره
واما باطنه فقد كان متصفا بصفات الملائكة بل اعلى منها مسلما من
التغير والافات ولهذا قال صلى الله عليه وسلم اني لست كهيئتكم اني ابيت

عند ربي يطعمني ويسقيني وان كان من حيث الظاهر كهيئة احدهم وكذلك
الانبيآء عليهم السلام الا انه صلى الله عليه وسلم ارقاهم رتبة واعظمهم شانا
ولذلك كان صلى الله عليه وسلم تنام عيناه ولا ينام قلبه وكان اذا دخل
الصلوة اشتغل ظاهره عن الخلق كما كان باطنه ايضا مشغولا عنهم وصار
بظاهره وباطنه بين يدي الله عز وجل فازداد صلى الله عليه وسلم قربا على قرب
ومشاهدة على مشاهدة ونورا على نور لانخراق نور بصره الى نور بصيرته
وتلك الزيادة التي هي غاية السعادة هي المعبر عنها بقرة العين والله اعلم
ولا شك ان تلك الحالة مغايرة لنفس الصلوة وهي روحها والمقصود منها
فتكون اعظم منها ونقل بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم لما عرج به ونال ما
نال من القرب والكرامة تمنى الاستمرار عليه وان لا يعود الى ما قبله بل
يستقر في حضرة الرب عز وجل على ما حصل له من كمال القرب فامر بالعود
الى الخلق لتبليغ الرسالة وتحصيل الكمالات لهم فوعد بانه كلما دخل في
الصلوة فاز بما فاز به اذ ذاك فضلا من الله عز وجل ونعمة فهو قرة
عينه في الصلوة وما نقله المصنف من قوله صلى الله عليه وسلم وجعلت
قرة عيني في الصلوة مقتطع من حديث رواه الطبراني في الاوسط
من حديث الاوزاعي بسنده الى انس رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم بلفظ
حبب الي النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلوة وكذا هو في
الصغير ورواه ايضا النسائي في سننه ورواه الحاكم في مستدركه بلفظ
حبب الي النساء والطيب وقرة عيني في الصلوة بدون لفظ جعلت

قال

قال ابن القيم رواه احمد في الزهد بزيادة لطيفة وهي اصبر عن الطعام
والشراب ولا اصبر عنهن واما ما اشتهر في هذا الحديث من زيادة لفظ
ثلاث حيث يروى بلفظ حبب الي من دنياكم ثلاث الى اخره فقال
الشمس السخاوي لم اقف عليها الا في موضعين من الاحيا وفي تفسير
ال عمران من الكشاف وما رايتها في شي من طرق هذا الحديث بعد مزيد
التفتيش وبذلك صرح الزركشي فقال انه لم يرد فيه لفظ ثلاث قال
وزيادته مخلة للمعنى فان الصلوة ليست من الدنيا واقول يمكن توجيه
الرواية التي ذكر فيها لفظ ثلاث من حيث المعنى بان المراد ما يقع في الدنيا
واما على رواية حبب الي الطيب والنسآء من غير ذكر من دنياكم فلا اشكال
به في ذكر ثلاث لانه لم ينعتها بكونها في الدنيا ونقل شيخ الاسلام
الشهاب بن حجر عن الامام ابي بكر بن فورك انه الف في هذا الحديث بخصوصه
جزا مفردا اثبت فيه لفظ ثلاث ووجهها من حيث المعنى وقول المصنف
الى يوم القيمة معناه ان الله عز وجل خاطب المومنين في الاية بقوله يا
ايها الذين امنوا صلوا عليه بهذا الحكم وهو الامر بالصلوة فيشمل ذلك كل من
هو مومن الى يوم القيمة بمقتضى عموم هذا الخطاب ومثل هذا الخطاب لا
خلاف في عموم الحكم الذي تضمنه لمن لم يشافه به سوا كان موجودا غايبا
وقت تبليغ النبي صلى الله عليه وسلم او معدوما بالكلية فاذا بلغ الغايب
والمعدوم بعد وجوده تعلق به الحكم وهذا مجمع عليه بين العلما فيشمل
مثل هذا الخطاب الامة الى يوم القيمة وانما الخلاف بين العلما في جهة

[illegible]

عمومه هل هو باللغة او بدليل اخر فذهب جمع من الحنابلة والحنفية الى
انه من اللفظ وذهب الاكثرون الى انه بدليل اخر وذلك مما علم من عموم
دينه صلى الله عليه وسلم بالضرورة الى يوم القيمة ويدل عليه قوله عز وجل لانذركم
به ومن بلغ وقوله صلى الله عليه وسلم وبعثت الى الناس كافة واصرح
من ذلك قوله عز وجل هو الذي بعث في الاميين رسولا الى قوله واخرين
منهم لما يلحقوا بهم وهذا معنى قول كثير كابن الحاجب ان مثل يا ايها
الناس ليس خطابا لمن بعدهم اي من بعد المواجهين وانما ثبت الحكم
بدليل اخر من اجماع او نص او قياس واستدلوا بانه لا يقال للمعدومين
يا ايها الناس واجابوا عما استدل به الخصم بانه لو لم يكن المعدوم
مخاطبين بذلك لم يكن صلى الله عليه وسلم مرسلا اليهم وبانه لا يتعين الخطاب
الشفاهي في الارسال بل مطلق الخطاب كاف والصلوة من
الملائكة ومنا له اي للنبي صلى الله عليه وسلم دعا ومن الله عز وجل رحمة
ومن مجيئها بمعنى الدعا قوله عز وجل وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم
وقوله ولا تصل على احد اي لا تدع له ومنه الصلوة على الجنازة اي
الدعا للميت وانشدوا • وقابلها الريح في دنها • وصلى على دنها وارتسم • من المتقارب
قال ابو عمر بن عبد البر النمري ومنه قول الاعشى
• لها حارس لا يبرح الدهر بينها • وان ذبحت صلى عليها وزمزما • من الطويل
وسمي الدعا صلوة لان قصد الداعي جميع المقاصد الحسنة الجليلة
والمواهب السنية الرفيعة ثم ان الدعا الذي الصلوة بمعناه على نوعين
دعا

دعا عبادة ودعا مسئلة فالعابد داع كالسائل وبهما فسر قوله عز وجل ادعوني
استجب لكم فقيل معناه اطيعوني اثبكم وقيل سلوني اعطكم وقوله عز وجل
اجيب دعوة الداعي اذا دعاني قال ابن القيم والصواب ان الدعا يعم
النوعين ثم ان الصلوة يختلف حالها بحسب حال المصلي والمصلى له
والمصلي عليه ففي البخاري عن ابي العالية ان معنى صلوة الله عز وجل على
نبيه صلى الله عليه وسلم ثناؤه عليه عند ملائكته ومعنى صلوة الملائكة عليه
الدعا له وكذلك صلوة المومنين عليه معناها الدعا له وقال المبرد
الصلوة من الله عز وجل الرحمة ومن الملائكة رقة تبعث على استدعا
الرحمة واعترض عليه بان الله عز وجل غاير بين الصلوة والرحمة في قوله
اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ولو كانت الصلوة بمعنى الرحمة
لما طلب الصحابة من النبي صلى الله عليه وسلم ان يعلمهم كيفية الصلوة عليه
مع كونهم كانوا يعلمون الترحم عليه بما في التشهد من قوله السلام
عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته واقرهم النبي صلى الله عليه وسلم
فلو كانت الصلوة بمعنى الرحمة لقال لهم قد علمتم ذلك في السلام واحسن
من ذلك ان يقال الصلوة في الاصل الدعا ومن الله عز وجل التزكية
والمغفرة والرحمة معناها اللطف والاحسان ويشعر بتغايرهما
عطف الرحمة على الصلوة في قوله عز وجل اولئك عليهم صلوات من
ربهم ورحمة وقيل يصلون يباركون وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم حين علم
علم الصلوة عليه بين لفظ الصلوة والبركة وذلك في حديث صحيح رواه مسلم

ومالك في الموطا وابو داود والترمذي والنسايي والبيهقي في الدعوات
باسانيدهم الى ابي مسعود الانصاري البدري واسمه عقبة بن عمرو رضي
الله عنه قال اتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعد بن
عبادة فقال له بشير بن سعد امرنا الله عز وجل ان نصلي عليك يا
رسول الله فكيف نصلي عليك قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى تمنينا انه لم يساله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل
على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ال ابرهيم وبارك على محمد وعلى ال محمد
كما باركت على ال ابرهيم في العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم
وفي الصحيحين بسنديهما الى عبد الرحمن بن ابي ليلى قال لقيني كعب بن
عجرة رضي الله عنه فقال الا اهدي لك هدية ان النبي صلى الله عليه وسلم
خرج الينا فقلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي
عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ال ابرهيم
انك حميد مجيد وغير ذلك من احاديث كثيرة كلها مصرحة بالفرق بين
الصلوة والبركة فان قلت حيث ثبت بان بينهما فرقا فما المراد بالبركة
قلت هي بمعنى النمو والزيادة من الخير والكرامة وقيل المراد التطهير
من العيوب والتزكية وقيل المراد ثبات ذلك ودوامه واستمراره
من قولهم بركت الابل اي ثبتت على الارض وبه سميت بركة الماء
بكسر اوله وسكون ثانيه لاقامة الما فيها فمعنى وبارك على محمد اثبت له
وادم له ما اعطيته من الشرف والكرامة من قولهم برك البعير اذا لزم

موضع

موضع الذي اناخ فيه وقد يأتي المبارك بمعنى الميمون والحاصل ان
المقصود ان يعطي محمدا صلى الله عليه وسلم واله من الخير اوفاه وان يثبت
ذلك لهم ويستمر فاذا قلنا اللهم بارك على محمد فالمعنى اللهم ادم ذكر محمد صلى الله
عليه وسلم ودعوته وشريعته واتباعه وعرف امته من يمنه وسعادته
وكثرة اتباعهم
ان تشفعه فيهم وتدخلهم جنانك وتحلهم دار رضوانك فيجمع التبريك
عليه الدوام والزيادة والسعادة وسنذكر حكم الصلوة عليه وحاصل
ما يأتي من المصنف ومنا ان فيها اقوالا احدها انها تجب في الجملة لكن اقل
ما يحصل به الاجزاء مرة الثاني يجب الاكثار منها من غير تقييد بعدد
الثالث تجب كلما ذكر قاله الطحاوي وجماعة من الحنفية الرابع تجب
في كل مجلس مرة ولو تكرر ذكره الخامس في كل دعاء السادس انها من
المستحبات وهو قول ابن جرير الطبري وادعى الاجماع عليه واحتج على
ذلك مع ورود صيغة الامر بذلك بالاتفاق من جميع المتقدمين والمتاخرين
من علماء الامة على ان ذلك غير لازم وانه لا يلزم من الامر بها فرضيتها
حتى يكون تارك ذلك عاصيا فدل على ان الامر فيه للندب ويحصل
الامتثال لمن قاله ولو كان خارج الصلوة وهو مردود بما هو مذكور في
فتح الباري للشهاب بن حجر السابع تجب في العمر مرة الثامن تجب
في الصلوة من غير تعيين للمحل التاسع تجب في التشهد العاشر
تجب في القعود في اخر الصلوة وهو مذهب الشافعي رضي الله عنه
وسيأتي الكلام على ما قاله المصنف في هذا القول وذكر بعض المتكلمين

في تفسير حروف كهيعص الجار متعلق بالمتكلمين اي بعض من تكلم في تفسير هذه الحروف والجوزان يتعلق بذكر اي ذكر بعض الذين لهم كلام ومقال في تفسير هذه الحروف قيل وهو بعيد وابعد منه ارادة علماء الكلام والقوى وجه كونه بعيد البعد المتعلق مع وجود ما هو قريب ووجه كون ذاك ابعد ان هذه المقالة لا تعلق لها بعلم الكلام وقد جرت العادة انهم لا يصفون قوما بصفة في مسئلة الا اذا كانت تلك المسئلة من ماخذ تلك الصفة فلا يقولون مثلا قال بعض الفقهاء كذا الا اذا كان ذلك القول من مسائل الفقه وهذه المقالة ليست من مسائل علم الكلام ونحن نقول لا نسلم انها لا تعلق لها بعلم الكلام كيف وهي من متعلقات مسئلة المتشابه الوارد وانها هل هي من الاسرار التي لا يعلمها الا الله او انها ماولة ولها معان يدل عليها بالتاويل وهذا المذكور هنا من تعلقات تاويلها فالمختار عندي ان يراد بالمتكلمين علماء الكلام ان الكاف من كاف الى اخره قد مال كثير من السلف الى ان هذه الحروف الواقعة اوائل السور مقتطعة من اسماء الله عز وجل ومن غيرها وان كل حرف منها يشير الى شيء قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله الم قال انا الله اعلم وفي قوله المص قال انا الله افصل وفي قوله الر انا الله ارى وروي عنه ايضا قال المص الالف من الله والميم من الرحمن والصاد من الصمد وقال الضحاك في قوله المص انا الله الصادق وقيل المص معناه المصور وقيل المر معناه انا الله

اعلم

اعلم وارفع وعن ابن عباس رضي الله عنهما في كهيعص قال الكاف من كريم والهاء من هاد والياء من حكيم والعين من عليم والصاد من صادق وعنه في كهيعص قال كاف هاد امين عزيز صادق وعن ابن مسعود وناس من الصحابة في كهيعص قال هو هجاء مقطع الكاف من الملك والهاء من الله عز وجل والياء والعين من العزيز والصاد من المصور وقيل الصاد من الصمد فان قلت هذه حروف الجوزان توجد في غير هذه الاسماء كالكاف فانه يوجد في الكبير والهاء في المهيمن قلت نعم ولكن هذا الاقتطاع توقيفي لا يجوز ان يقال به الا بسماع من النبي صلى الله عليه وسلم او بتوقيف ممن هو في حكم السماع منه صلى الله عليه وسلم وقوله اي كفاية الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم كفاية مبتدا ولنبيه خبره اي كفاية الله عز وجل ثابتة لنبيه صلى الله عليه وسلم لان الكاف رمز الى الكافي اي كافي نبيه ومعناه كفاية الله ثبتت لنبيه صلى الله عليه وسلم وليس هنا مبتدا محذوف كما توهم قال عز وجل اليس الله بكاف عبده الهمزة للاستفهام الانكاري المفيد لانكار النفي مبالغة في الاثبات والعبد هنا محمد صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يراد به الجنس وذلك ان قريشا لما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الهتهم قالوا انا نخاف ان تخبلك الهتنا لعيبك اياها فانزل الله عز وجل قوله اليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد ليكسر العزى فقال له سادنها

احذر كما ان لعائشة فعمد اليها خالد رضي الله عنه فهشم انفها فنزل
تخويف خالد منزلة تخويف النبي صلى الله عليه وسلم لان الامر بما خوف
عليه وقد ذكر هذا الوجه البيضاوي تبعا لصاحب الكشاف وقد
اسقطه السعودي لاستبعاده ان يكون المخاطب النبي صلى الله عليه وسلم
ويريد خالدا مع انه لا قرينة تدل على ذلك فان قلت القرينة على ذلك كون
النبي صلى الله عليه وسلم لا يخاف الاصنام فالتخويف انما توجه لمن يخافهم
قلت هو لا يخاف منهم كما ان خالدا رضي الله عنه لقوة ايمانه لا يخافهم
ولكنهم يخوفونه ولا يلزم من تخويفهم كونه يخافهم والله هدايته اي هداية
الله عز وجل له اي للنبي صلى الله عليه وسلم قال تعالى ويهديك صراطا مستقيما
والصراط المستقيم هو تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة
فان قلت هذه الاية في سورة الفتح وقد جعل الهداية الى الصراط المستقيم
مرتبا على فتح مكة مع ان ذلك حاصل له صلى الله عليه وسلم قبل فتح مكة
قلت نعم اصل الاستقامة كان حاصلا قبل فتح مكة لكن حصل بعد
ذلك له من ايضاح سبل الحق واستقامة مناهجه مالم يكن حاصلا
قبل ذلك كما هو معلوم من قصة الفتح والله تاييده اي تقويته اخذ هذه
الصيغة من الايد وهي القوة قال تعالى والسماء بنيناها بايد اي
بقوة والاد والايد القوة ومنه قيل ايدك الله بنصره اي قواك الله
بمعونته ومنه قوله عز وجل داود ذا الايد قال قتادة اعطي فضل القوة
قال تعالى هو الذي ايدك بنصره اي قواك به وهو استيناف جار مجرى

قوله والايد القوة وداود ذا الايد رسم على الكاتب بيا بعد الدال وهو سهو

التعليل

التعليل لقوله فان حسبك الله اي انما كان الله عز وجل كافيك ومحسبك
لانه ايدك بنصره وبالمومنين وكان قبل ان يظهر النبي صلى الله عليه وسلم
بين المومنين عداوة وعصبية وضغائن يتحملونها في ادنى شيء
ويتهالكون على الانتقام بحيث كانوا لا يأتلف منهم قلبان فالله عز وجل
ببركة النبي صلى الله عليه وسلم الف بين قلوبهم حتى صاروا كنفس واحدة
وهذا من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم ولهذا قال الله عز وجل له لو
انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف
بينهم بقدرته البالغة فانه المالك للقلوب يقلبها كيف يشاء والعين
عصمته له اي منعه وجعله ممنوعا من الناس فلا يقدر احد من الناس
ان يصل اليه لان الله عز وجل منعه منهم وحماه ومنه قوله واعتصموا
بالله اي امتنعوا به من اعدائكم والعصمة المنعة ومنه يقال
للبذرقة العصمة وقوله عز وجل لا عاصم اليوم اي لا مانع قال تعالى
والله يعصمك من الناس اي يمنع الناس من ان يصلوا اليك بالقتل
وازهاق الروح فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بعثني الله برسالته
فضقت بها ذرعا فاوحى الله عز وجل الي ان لم تبلغ رسالتي عذبتك
وضمن لي العصمة فقويت وليس المراد من عصمته من الناس
عدم لحوق ضرر به فان ذلك لم يكن مانعا من تبليغ الرسالة ولقد
شج وجهه وكسرت رباعيته واطعمه السم اليهود لكن للعصمة لم يوثر
في روحه الكريمة وسبب نزول هذه الاية ان النبي صلى الله عليه وسلم

كان نازلا تحت شجرة فجاء اعرابي فاخترط سيفه وقال للنبي صلى الله عليه
وسلم من يمنعك مني قال الله عز وجل فرعدت يد الاعرابي وسقط السيف
من يده وضرب براسه الشجرة حتى انتثر دماغه كذا في الصحيح وان
غورث هو صاحب القصة وان النبي صلى الله عليه وسلم عفا عنه فرجع الى
قومه فقال جئتكم من عند خير الناس وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله
قال غزونا مع النبي صلى الله عليه وسلم غزوة قبل نجد فادركنا رسول الله
في واد كثير العضاه فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة
فعلق سيفه بغصن من اغصانها قال وتفرق الناس في الوادي
يستظلون بالشجر قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا اتاني
وانا نائم فاخذ السيف فاستيقظت وهو قائم على راسي فلم اشعر
الا والسيف صلتا في يده فقال لي من يمنعك مني قال قلت الله
عز وجل قال في الثانية من يمنعك مني قال قلت الله عز وجل قال فشام
السيف وها هو ذا جالس ثم لم يعرض له رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم لما بعثني الله
عز وجل برسالته ضقت بها ذرعا وعرفت ان من الناس من يكذبني
فانزل الله عز وجل هذه الاية وكان يرسل ابو طالب كل يوم مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم رجالا من بني هاشم يحرسونه حتى نزل والله
يعصمك من الناس فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عماه ان الله عز وجل قد
عصمني من الجن والانس فلا احتاج الى من يحرسني فهذا يقتضي ان ذلك كان

بمكة

بمكة وان الاية مكية وليس كذلك وسورة المائدة مدنية باجماع ومما
يدل على ان هذه الاية مدنية ما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله
عنها قالت سهر رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمه المدينة ليلة فقال
ليت رجلا صالحا يحرسني الليلة قال فبينا نحن كذلك سمعنا خشخشة
سلاح فقال من هذا قال سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما جاء بك فقال وقع في نفسي خوف على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فجئت احرسه فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نام كذا
في الصحيح وفي غيره قالت فبينا نحن كذلك سمعت صوت السلاح فقال من
هذا قالوا سعد وحذيفة رضي الله عنهما جئنا نحرسك فنام النبي صلى الله
عليه وسلم حتى سمعت غطيطه ونزلت هذه الاية فاخرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم راسه من قبة ادم وقال انصرفوا ايها الناس فقد عصمني
الله عز وجل كذا قيل واقول الحق ان الاية مكية وان الله عز وجل
عصمه من الناس وهو بمكة لاجل ازاحة عذره في تبليغ الرسالة
فيسهل عليه حمل اعباء التبليغ واما كون سعد وحذيفة راما ان يحرساه
فلا ضير في ذلك لانهما خافا عليه من ان يضره منافق او يهودي بضرر
دون ضرر الموت كالاذعار او يوقع احد به جراحة فحرساه من ذلك
فانزل الله عليه ان مثل ذلك لا تخف منه فانت معصوم منه واما
ما جرى له يوم احد من شج وجهه وكسر رباعيته فهذا ضرر يحتمل لا سيما
لمن يريد الثواب وليتاسى به الناس في الثبات على الجهاد وعدم الفرار

والصاد صلاته اي صلوة الله عز وجل عليه قال الله عز وجل ان الله وملائكته
يصلون على النبي وقال الله تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه الاية
اي وليه وناصره عطف على قوله ان تتوبا الى الله والخطاب لحفصة
بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ولعايشة بنت ابي بكر الصديق
رضي الله عنهما على طريق الالتفات من الغيبة الى الخطاب ليكون ابلغ في
معاتبتهما وفي صحيح البخاري بسنده الى عبيد الله بن حنين انه سمع ابن عباس
رضي الله عنهما يحدث انه قال مكثت سنة اريد ان اسال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه عن اية فما استطيع ان اساله هيبة له حتى خرج حاجا فخرجت
معه فقلت يا امير المومنين من اللتان تظاهرتا على النبي صلى الله عليه وسلم
وسلم من ازواجه فقال تلك حفصة وعايشة رضي الله عنهما قال
فقلت والله ان كنت لاريد ان اسالك عن هذا منذ سنة فما
استطيع هيبة لك قال فلا تفعل ما ظننت ان عندي من علم فسلني
عنه فان كان لي علم خبرتك به ثم ذكر قصة حلفه عن نسائه شهرا لا
يدخل عليهن وفيه ايضا في كتاب النكاح بسنده الى عايشة رضي الله
عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب العسل والحلواء
وكان اذا انصرف من العصر دخل على نسائه فيدنو من احداهن فدخل
على حفصة بنت عمر رضي الله عنهما فاحتبس اكثر ما كان يحتبس فغرت
فسالت عن ذلك فقيل لي اهدت لها امراة من قومها عكة من عسل
فسقت النبي صلى الله عليه وسلم منه شربة فقلت اما والله لنحتالن له

فقلت

[illegible]

قوله كتاب النكاح صوابه كتاب الطلاق وهو بعد النكاح وكانه وقع سهوا من الشارح ه

فقلت لسودة بنت زمعة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم سيدنو منك فاذا
دنا منك فقولي اكلت مغافير فانه سيقول لك لا فقولي له ما هذه الريح
التي اجد منك فانه سيقول لك سقتني حفصة شربة عسل فقولي
جرست نحله العرفط وساقول ذلك وقولي انت يا صفية ذاك قالت
تقول سودة رضي الله عنها فوالله ما هو الا ان قام على الباب فاردت
ان اباديه بما امرتني به فرقا منك فلما دنا منها قالت له سودة يا رسول
الله اكلت مغافير قال لا قالت فما هذه الريح التي اجد منك قال
سقتني حفصة شربة عسل فقالت جرست نحله العرفط فلما دار الى
صفية قالت له مثل ذلك فلما دار الى حفصة قالت يا رسول الله الا
اسقيك منه قال لا حاجة لي فيه قالت تقول سودة والله لقد حرمناه
قلت لها اسكتي وفي صحيح مسلم بسنده الى عبيد بن عمير انه سمع عايشة
رضي الله عنها تخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت
جحش فيشرب عندها عسلا قالت فتواطات انا وحفصة ان ايتنا
ما دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فلتقل اني اجد منك ريح مغافير فدخل
على احداهما فقالت ذلك له فقال بل شربت عسلا عند زينب بنت
جحش ولن اعود له فنزل لم تحرم ما احل الله لك الى ان تتوبا
لعايشة وحفصة واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا لقوله بل شربت
عسلا ففي الرواية الاولى ان شرب العسل كان عند حفصة وفي
الرواية الثانية ان الذي شرب عندها زينب بنت جحش وان

جرست اي اكلت يقال للنحل جوارس والجرس في الاصل الصوت الخفي والعرفط هو شجر الطلح وله صمغ يقال له المغافير ذو رائحة كريهة ه كتب ذلك مولفه عمر الرضي وليس من الاصل ه كذا الكتب بخطه ه

المتظاهرتين عليه عائشة وحفصة رضي الله عنهما وكذلك ثبت في حديث
عمر بن الخطاب رضي الله عنه وابن عباس رضي الله عنهما ان المتظاهرتين
عائشة وحفصة رضي الله عنهما وذكر مسلم ايضا عن رواية ابي اسامة
عن هشام ان حفصة هي التي شرب العسل عندها وان عائشة
وسودة وصفية رضي الله عنهن هن اللواتي تظاهرن عليه قال
المصنف في شرح مسلم والاول اصح قال النسائي اسناد حديث
حجاج اصح وهو اولى بظاهر كتاب الله عز وجل واكمل فائدة يريد
قوله عز وجل وان تظاهرا عليه فهما ثنتان لا ثلاث وانهما عائشة
وحفصة كما قال فيه وكما اعترف به عمر رضي الله عنه وقد انقلبت الاسماء
على الراوي في الرواية الاخرى وكان الصحيح في سبب نزول الاية
انها في قصة العسل لا في قصة مارية المروي في غير الصحيحين ولم تات غيره
قصة مارية من طريق صحيح قال النسائي اسناد حديث عائشة
في العسل جيد صحيح غاية ثم قال بعد هذا الصواب ان شرب العسل
كان عند زينب وقوله تعالى واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا
هو قوله بل شربت عسلا واخرج ابن مردويه حديثا فيه ان حفصة
اهديت لها عكة فيها عسل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل
عليها حبسته حتى تلعقه او تسقيه منها فقالت عائشة رضي الله عنها
لجارية عندها حبشية يقال لها خضرا اذا دخل النبي صلى الله عليه وسلم
على حفصة فانظري ماذا يصنع فاخبرتها الجارية بشان العسل

فارسلت

فارسلت الى صواحبها فقالت اذا دخل عليكن فقلن انا نجد منك ريح
مغافير فقال هو عسل والله لا اطعمه ابدا فلما كان يوم حفصة
استاذنته ان تاتي اباها فاذن لها فذهبت فارسل الى جاريته
مارية رضي الله عنها فادخلها بيت حفصة رضي الله عنها قالت حفصة
فرجعت فوجدت الباب مغلقا فخرج ووجهه يقطر وحفصة تبكي
فقال اشهدك انها علي حرام انظري لا تخبري بهذا امراة وهي عندك
امانة فلما خرج قرعت حفصة الجدار الذي بينها وبين عائشة
رضي الله عنها فقالت الا ابشرك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم امته
فنزلت لكن صرح ابن حجر في شرح البخاري ان هذا الحديث ضعيف
فان قلت قول الله عز وجل لحفصة وعائشة رضي الله عنهما ان تتوبا
الى الله مقتض لوجود ما تيب منه فما كان ذنبهما الذي تتوبان منه
قلت هو افشا سر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ان النبي صلى
الله عليه وسلم اسر الى حفصة وقال لها اكتمي علي فقد حرمت مارية
على نفسي وابشرك ان ابا بكر وعمر يملكان بعدي امر امتي فاخبرت
حفصة به عائشة وكانتا متصادقتين وقيل خلا بها في يوم حفصة
فارضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه فنزل
جبريل عليه السلام فقال راجعها فانها صوامة قوامة وانها لمن
نسائك في الجنة فذنبهما افشاؤها بالحديث الذي اسر اليها نبي الله
صلى الله عليه وسلم وهو تحريم مارية او العسل او امر الخلافة وقد روى

انه قال لها الم اقل لك اكتمي عليّ فقالت والذي بعثك بالحق نبيا ما
ملكت نفسي فرحا بالكرامة التي خص الله عز وجل بها اباها ومعنى قوله
عز وجل صغت قلوبكما اي وجد منكما ما يوجب التوبة من ميل قلوبكما
عما يجب عليكما من ترك مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب ما
يحبه وكراهة ما يكرهه وقوله قلوبكما القياس قلباكما لان الاصل
في كلام العرب دلالة كل لفظ على ما وضع له فيدل المفرد على المفرد
والمثنى على اثنين والمجموع على جمع ولو اتى بما هو القياس جاز
كان يقول قلباكما لكن الجمع اكثر استعمالا منه وحسنه اضافته الى
مثنى وهو ضمير التثنية لانهم كرهوا اجتماع تثنيتين فعدلوا
الى الجمع لان التثنية جمع في المعنى ولا يجوز الافراد عند الاصحاب
الا في الشعر كقوله حمامة بطن الواديين ترنمي * يريد بطني الواديين — مصراع من الطويل
وقد خالف في ذلك ابن مالك فقال انه يجوز في غير الضرورة والحاصل
ان المضافين الى متضمنيهما يختار فيهما لفظ الافراد على لفظ التثنية
فقولك قطعت راس الكبشين مختار على قطعت راسي الكبشين
ويختار لفظ الجمع على لفظ الافراد فرؤوس الكبشين مختار على راس
الكبشين هذا اذا جمع متضمنيهما فان فرق اختير الافراد نحو
قطعت راس زيد وعمرو وقوله وان تظاهرا عليه قرئ بتاءين
على الاصل وباسقاط احداهما وبتشديد الظاء اي ان تتعاونا
عليه بما يسوءه من الافراط في الغيرة وافشاء سره صلى الله عليه وسلم

فلن

فلن يعدم من يظاهره ويعاونه فان الله عز وجل هو مولاه اي ناصره
المولى يطلق بالاشتراك على معان على ابن العم وعلى الحليف وهو
العقيد وعلى المنعم وعلى المعتِق والمعتَق بكسر التاء وفتحها وقوله
عز وجل ذلك بان الله مولى الذين امنوا اي وليهم والقائم باموركم
وكل من ولي عليك امرك فهو مولاك ويطلق المولى على الناصر
قال ابن عرفة في قوله عز وجل وان الكافرين لا مولى لهم الله مولى
الخلق ملكا ثم يوالي من يشاء ويعادي من يشاء وهو من قوله هو مولاه
ضمير فصل افاد ايجاب ان فائدة المسند ثابتة للمسند اليه دون
غيره وقد افاد ضمير الفصل هنا الحصر اي نفي ان يكون غير الله عز وجل
ظهيرا له ومولى وناصرا وقوله وجبريل مبتدا وما بعده معطوف
عليه والخبر ظهير فان قلت اما يجوز ان يكون جبريل وصالح
المومنين معطوفا على الله والملائكة مبتدا والخبر ظهير قلت القوم
جوزوا ان يرفع الاسم المعطوف على اسم ان بعد الخبر باجماع لكن
اختلفوا في رفعه لماذا فعند قوم منهم انه معطوف على محل اسم ان
والصحيح انه مرفوع على الابتدا والخبر محذوف وهو المفهوم من كلام
سيبويه فجعل جبريل وصالح المومنين معطوفا على الله يكون من قبيل
العطف على موضع اسم ان وفيه خلاف ويصح ان يكون معطوفا على هو
على ان يكون هو مبتدا ومولاه خبره والجملة خبر ان وصالح المومنين — يطلب
يحتمل ان يكون مفردا وان يكون جمعا حذفت منه الواو كقوله سندع

الربانية ويرجح كون جبريل مبتدا وما بعده معطوفا عليه كون اكثر القرا على
الوقف على مولاه وان وقف بعضهم على جبريل وبعضهم على صالح المومنين
الا ان الارجح الاول ويرجحه ايضا ان الناصر والمعاون في الحقيقة
انما هو الله عز وجل واما من ذكر بعده فانما بظاهرون ظاهرا لا حقيقة
وان ظاهروا فانما هو لاظهار شرفه صلى الله عليه وسلم وفضله فاذا وقف
على مولاه ثم ابتدى بما بعده ووقف على اخر الاية حصلت الاشارة الى ان
ما كان منه تعالى فحقيقي وما كان من غيره فظاهري فان قلت
حيث كان معنى الاية ان تتوبا الى الله فقد مالت قلوبكما عما يجب عليها من
ترك الميل الى مخالفة النبي صلى الله عليه وسلم وحب ما يحبه وكراهة ما
يكرهه فكيف يصح تسبب هذا الجزاء عن هذا الشرط مع ان ميل
قلوبهما عما يحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حاصل تابتا ام لم تتوبا ولا
يصح ان يكون مسببا عن الشرط ومن شان الجواب تسببه عن
الشرط قلت هذا المذكور دليل الجواب وجواب الشرط المسبب
عنه محذوف والتقدير ان تتوبا الى الله فقد فعلتما ما هو الواجب
المحتم عليكما لان قلوبكما قد صغت ومالت الى مخالفة النبي صلى الله عليه
وسلم وايذائه والتحقيق ان مثل هذا يكون جواب الشرط فيه
محذوفا فهو من قبيل من كان يرجو لقاء الله فان اجل الله لات
ومثله فان اجل الله عز وجل آت وجد الرجاء ام لم يوجد والاصل
فليبادر العمل فان اجل الله لات ومثله وان تجهر بالقول فانه يعلم السر
واخفى

مبحث
حذف جواب
الشرط له

واخفى والتقدير فاعلم انه غني عن جهرك فانه يعلم السر ومنه ان يسرق
فقد سرق اخ له من قبل اي فصدق متهم بالسرقة لانه قد سرق اخ
له من قبل وما ذكرناه من ان الجواب محذوف وما ذكر دليله هو
الحق قال بعضهم المراد ان تتوبا الى الله تحقق ذلك ميل قلوبكما عن الحق
قيل على اسلوب ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل في جنس التاويل
دون شخصه لان مضمون الشرط فيه محقق بمضمون الجزا وفيما
نحن فيه محقق لضرورة ان التوبة عن ذنب فهي تحققه انتهى
واقول ان اراد تحقق ميل قلوبهما عند الله عز وجل عن الحق فذاك
امر لا يتسبب عن توبتهما وان اراد تحقق ذلك عند الناس كان
معنى الكلام متى وجدت التوبة وجد تحقق ميل قلوبكما مع ان ذلك
غير لازم لجواز ان توجد التوبة ولا يتحقق الناس ميل قلوبهما بان
تتوبا خفية ولا تطلعا على توبتهما احدا لان التوبة امر سري لا يلزم
ان يظهر للناس والحق ما قلناه من انه من قبيل ان يسرق في
حذف الجواب والمذكور دليل الجواب وليس بجواب وصالح المومنين
قيل الانبيا وقيل الملائكة وقيل ابو بكر وعمر وقيل علي وقيل المومنون على ظاهره
اما كون الانبيا اعوانه فلانهم احيا في قبورهم يفعلون ما يفعله الاحياء
فيمدونه بالمعونات الروحية الموجبة للقوة البدنية واما القول
بان الملائكة ناصروه فذلك ظاهر من قصة بدر وحنين واحد والخندق
والمشاهد كلها من مشهد الاول وقد امده الله عز وجل بجند من الملائكة

مناقشة
مع ابن الحنبلي

قيل كون المراد بصالحي المومنين الملائكة بعيد لقوله والملائكة و العطف
للتفسير والتغاير في المفهوم بعيد واقول القايل بان المراد بصالح
المومنين الملائكة ينبغي ان يقول ان والملائكة مبتدا خبره ظهير
فيكون قد اثبت للملائكة نصرين لنبيه صلى الله عليه وسلم الاول نصر
تابع لنصر الله عز وجل اياه والثاني نصر مستقل مع قطع النظر عن نصر
الله عز وجل اياه ويمكن ان يقال انه اعاد ذكر نصرهم له مع انه ذكره
اولا لانه ذكرهم بعنوان انهم صالحوا المومنين وهو محتمل لان يراد به
غير الملائكة فاعاد ذكرهم للتصريح بنوع هولاء الصلحا واما كون المراد
بصالح المومنين ابا بكر وعمر رضي الله عنهما فالنكتة في تخصيصهما بالذكر
ان يقال ان ابوي الانسان لمزيد حنوهما على ولدهما يظاهران انه
على اي وصف كان لكن ابا بكر ابا عائشة وعمر ابا حفصة مع ابوتهما
لما غلب عليهما نعت الايمان ولهذا اخذهما بعنوان الايمان والصلاح
فاوجب لهما ان يتركا مظاهرة ولدهما ويظاهرا من انقذهما من
الهلاك الابدي لان المومن يتحتم عليه ان يحب رسول الله صلى الله عليه
وسلم اكثر من والده وولده والناس اجمعين ولعمري ان كون المراد
بصالح المومنين ابا بكر وعمر رضي الله عنهما مويد بتوسيطه بين جبريل
والملائكة فانه جمع بين الظهير المعنوي والظهير الصوري لان
جبريل ظهير له صلى الله عليه وسلم يويده بالتاييدات الالهية وهما
وزيراه وظهيراه في تدبير امور الرسالة وتمشية احكامها الظاهرة

ولان

ولان بيان مظاهرتهما له صلى الله عليه وسلم اشد تاثيرا في قلوبهما وتوهينا
لامرهما فكان حقيقا بالتقديم على ان كونهما المرادين من صالح المومنين
ثبت في حديث مرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم فقد روى شقيق
ابن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل فان الله هو
مولاه وجبريل وصالح المومنين قال ان صالح المومنين ابو بكر
وعمر فان قلت ثبت عن اسما بنت عميس رضي الله عنها قالت سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وصالح المومنين علي بن ابي طالب
رضي الله عنه فكيف الجمع بين الحديثين قلت الاية لم يقع فيها
تخصيص باحد وانما عبر بعنوان صالح المومنين فان قلنا ان
الاضافة للعهد فيجوز ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم افصح ببعض افراد
الحصة المعهودة اولا ثم افصح ببعض اخر ثانيا كان يكون الحصة
المعهودة تطلق على ثلاثة ابي بكر وعمر وعلي فذكر منهم اثنين اولا ثم
ذكر الثالث اخرا ولم يقع في الحالتين حصر فيما ذكر فيهما وقوله
وقيل المومنون على ظاهره يعني من صلح منهم يعني كل من امن وعمل
صالحا وعن سعيد بن جبير بريء من النفاق وفي الكشاف منه
فان قلت من صالح المومنين واحد ام جمع قلت هو واحد اريد به
الجمع كقولك لا يفعل هذا الصالح من الناس تريد الجنس مثل قولك
لا يفعله من صلح منهم ومثله قولك كنت في السامر والحاضر ويجوز
ان يكون اصله وصالحوا المومنين بالواو فكتب بغير واو على اللفظ

لان لفظ الواحد والجمع واحد كما جاءت اشياء في المصحف متنوع فيها
حكم اللفظ دون وضع الخط فان قلت كيف يراد من صالح المومنين
المومنون على ظاهره مع ان الاضافة تقتضى التخصيص بان يكون
من اضافة الصفة الى موصوفها اي المومنون الصالحون وقد فسر
الصالح بانه الذي يودي فرايض الله عز وجل وحقوق الناس ومثله
المصلح وهو المقيم على ايمانه المودى فرايض الله عز وجل عقدا وفعلا
قلت يمكن ان يقال في كل مومن انه صالح وتكون الصفة كاشفة لا
مخصصة او بيانية اي الصالحون الذين هم المومنون وانما كان
ارادة كل مومن هو الظاهر لان الاصل في الجمع المحلى باللام ان يكون
للاستغراق والصفة المذكورة ليست مخصصة بل كاشفة
فان قلت كيف يظاهره صلى الله عليه وسلم كل مومن مع ان من المومنين
من لم يره قلت لا يخفى ان كل من يتبعه فهو مظاهره الى يوم القيمة
لانه بمجرد الايمان يحصل للنبي صلى الله عليه وسلم ثواب دلالته على
هذا المنهج القويم وكلما فعل شيئا من الخيرات حصل للنبي صلى الله
عليه وسلم ثواب مثل ثواب من عمل بذلك الخير واي مظاهرة اعظم من
تكثير الحسنات في ميزان العبد فان قلت موالاة المومنين كلهم ليست
مسببة عن تظاهر حفصة وعايشة عليه صلى الله عليه وسلم قلت
قد قدمنا ان ذلك ليس جوابا عن الشرط وان جواب الشرط محذوف
والتقدير وان تظاهرا عليه فلا يبالي بتظاهرهما لان الله عز وجل مولاه

وناصره الى اخره فما ذكر في الاية كالبرهان والدليل لجواب الشرط وليس
هو بجواب كما قررنا الفصل التاسع فيما
تضمنته سورة الفتح قال الشهاب السمين في عمدة الحفاظ الفتح
في الاصل ازالة الاغلاق والاشكال وهو نوعان احدهما مدرك
بالبصر نحو فتح الباب والقفل والمتاع كقوله عز وجل فتحت ابوابها
ولما فتحوا متاعهم والثاني مدرك بالبصيرة كفتح الهم وهو ازالة الغم
وذلك ضربان احدهما في الامور الدنيوية كغم يفرج وفقر يزال بمنح المال
والثاني فتح ما استغلق من العلم نحو الشافعي رضي الله عنه فتح بابا مغلقا
من العلم انتهى وفي الغريبين الفتح النصر ومنه قوله عز وجل واستفتحوا
اي سالوا الله عز وجل النصر وفي الحديث كان يستفتح بصعاليك
المهاجرين اي يستنصر من كرامته صلى الله عليه وسلم بيان لما والمكرمات
التي تضمنتها هذه السورة لما نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم سر
سرورا زايدا ففي صحيح البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يسير في بعض اسفاره وعمر بن الخطاب رضي الله عنه يسير معه ليلا
فساله عمر رضي الله عنه عن شي فلم يجبه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم ساله فلم يجبه ثم ساله فلم يجبه فقال عمر بن الخطاب ثكلتك امك عمر
نزرت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك
قال عمر رضي الله عنه فحركت بعيري ثم تقدمت امام الناس وخشيت
ان ينزل في القران فما نشبت ان سمعت صارخا يصرخ بي فقلت

نزرت معه سنة نزرت في المسئلة
اي الححت عليه ونزرت عنى
الكلام ادبك بسكون
لو ايكن ه نهاية

لقد خشيت ان يكون نزل فيّ قرآن فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت
عليه فقال لقد انزل عليّ الليلة سورة لهي أحب اليّ مما طلعت عليه
الشمس ثم قرا انا فتحنا لك فتحا مبينا وفي صحيح مسلم عن قتادة
ان انس بن مالك رضي الله عنه حدثهم قال لما نزلت انا فتحنا لك الى قوله
فوزا عظيما وذلك مرجعه من الحديبية فقال لقد انزلت علي اية هي احب
اليّ من الدنيا جميعا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان اليهود شمتوا
بالنبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين قوله عز وجل وما ادري ما يفعل بي لما نزل قوله
ولا بكم وقالوا كيف نتبع رجلا لا يدري ما يفعل به فاشتد ذلك على النبي
صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل انا فتحنا لك فتحا مبينا قال الله عز وجل
انا فتحنا لك فتحا مبينا المراد هنا بالفتح غير معناه الاصلي الذي هو
ازالة الاغلاق وهو فتح البلد الذي هو عبارة عن الظفر به عنوة او صلحا
بحراب او بدونه ماخوذ من فتح باب الدار وانما اسند الفعل الى ضمير
المعظم نفسه ولم يسنده الى ضمير المتكلم وحده كان يقول اني فتحت لك
اشعارا بان نيل النبي صلى الله عليه وسلم هذا الفتح امر عظيم لا قدرة لمخلوق
عليه اذ اذل الله عز وجل له قوما لم يذلوا لاحد قط حتى مكنه من ديارهم
ودمائهم واموالهم وذراريهم وانما اسند الفتح اليه تعالى مع ان الفتح
انما جرى على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم لان افعال العباد كلها
مسندة اليه تعالى خلقا وايجادا والمراد به فتح مكة وهو المروي عن
انس رضي الله عنه بشر به النبي صلى الله عليه وسلم عند انصرافه عن الحديبية

وانما

وانما عبر بصيغة الماضي على سنن سائر الاخبار الربانية للايذان بتحقيقه
لا محالة تاكيدا للتبشير ولذلك صدره بحرف التحقيق وهو ان وقيل
هو ما ابيح للنبي صلى الله عليه وسلم في تلك السنة من فتح خيبر وهو المروي
عن مجاهد وقيل هو صلح الحديبية فانه وان لم يكن فيه حرب شديد
بل تراموا بين الفريقين بسهام وحجارة لكن لما كان الظهور للمسلمين
حيث سالهم المشركون الصلح كان فتحا بلا ريب وروي عن ابن عباس
ان المسلمين رموا المشركين حتى ادخلوهم ديارهم وعن الكلبي ظهروا
عليهم حتى سالوا الصلح وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم حين بلغه
ان رجلا قال ما هذا بفتح لقد صدونا عن البيت وصدوا هدينا قال بل
هو اعظم الفتوح وقد رضي المشركون ان يدفعوكم بالراح ويسالوكم
القضية ويرغبوا اليكم في الامان وقد راوا منكم ما يكرهون وعن الشعبي
نزلت بالحديبية واصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة ما
لم يصبه في غزوة فاصاب ان بويع بيعة الرضوان وغفر له ما تقدم
من ذنبه وما تاخر وبلغ الهدي محله واطعموا نخل خيبر وظهرت
الروم على فارس ففرح المسلمون به وكان في الحديبية اية عظيمة
هي انه نزح ماؤها حتى انه لم يبق فيه قطرة فتمضمض رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم مجه فيها فدرت حتى شرب جميع من كان معه وقيل
فجاش ماؤها حتى امتلات ولم ينفد ماؤها بعد الى قوله يد الله
فوق ايديهم تضمنت هذه الايات من فضله والثناء عليه وكريم

منزلته عند الله عز وجل ونعمته لديه ما يقصر الوصف عن الانتها،
اليه فابتدا جل جلاله باعلامه بما قضاه له من القضا البين هذا مبني
على ان الفتح ليس المراد به فتح البلاد بل المراد به القضا اخذ الرمى
الفتاحة وهي الحكومة ومنه قوله عز وجل ربنا افتح بيننا وبين
قومنا بالحق اي اقض والفتاح القاضي يقال بيني وبينك الفتاح
اي القاضي قيل ذلك لانه ينصر المظلوم على الظالم بظهوره وغلبته
على عدوه وعلو كلمته اي مقالته التي ارسله الله عز وجل بها وهي
كلمة التوحيد والنبوة التي اتى بها وامر بقبولها وعلوها عبارة عن
اقبال الناس عليها وترك ما يخالفها وينابذها والانقياد لما يتعلق
بها من التكاليف او ما تكلم به من الاوامر والنواهي وغيرها فاطيعت
ونفذت وعلت على ما عداها بحيث اذا عارضها شي سقط عن درجة
الاعتبار وانما اضيفت كلمة التوحيد والرسالة اليه لانها برزت
منه وصدرت عنه الا ترى ان القران قول الله عز وجل ومع هذا
فقد اضيف اليه في قوله عز وجل انه لقول رسول كريم في من فسر
الرسول الكريم برسول الله صلى الله عليه وسلم والى جبريل في من
جعله عبارة عنه ولعمري ان كلمة النبي صلى الله عليه وسلم التي اعلاها
الله عز وجل هي كلمة الله عز وجل الواقعة في قوله وجعل كلمة الذين
كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا فان المراد بكلمة الذين كفروا
الشرك بالله عز وجل وبكلمة الله عز وجل هي لا اله الا الله فهي تارة

تضاف

المفتاح الحكومة
والفتاح القاضي

تضاف الى الله عز وجل باعتبار انه امر بها وراض ممن نطق بها ومات
عليها جعلنا الله منهم في عافية بلا محنة وهي الركن الاعظم في اوامر
الله تعالى وتارة تضاف الى النبي صلى الله عليه وسلم باعتبار انه جا في
تحقيقها وابرز من علومها ما لم يبرزه من قبله ولهذا كان يسمى في
الكتب السالفة بصاحب لا اله الا الله وشريعته اي وعلو شريعته
على سائر الشرايع او على ما كان عليه الكفرة من قوانينهم واساليب
الجاهلية فنبذوا ذلك وراء ظهورهم وتمسكوا بشرع محمد صلى الله
عليه وسلم وانه مغفور له غير مواخذ بما كان وبما يكون قيل المراد بما
كان المعبر عنه في الاية بما تقدم من ذنبك ما كان قبل الرسالة وبما تاخر
ما كان بعدها وقيل المراد بما تقدم ما عملته في الجاهلية قبل ان يوحى
اليك وما تاخر كل شي لم تعمله وقيل ما تقدم اي قبل الفتح وما تاخر
اي بعده وقيل ما تقدم من ذنب يوم بدر وما تاخر من ذنب يوم حنين
وذلك ان الذنب المتقدم يوم بدر انه جعل يدعو ويقول اللهم ان تهلك
هذه العصابة لا تعبد في الارض وجعل يردد هذا القول دفعات
فاوحى الله عز وجل اليه من اين تعلم اني لو اهلكت هذه العصابة لا اعبد
ابدا فكان هذا الذنب المتقدم واما الذنب المتاخر فيوم حنين لما انهزم
الناس قال لعمه العباس رضي الله عنه ولابن عمه ابي سفين بن الحرث
ناولاني كفا من حصا الوادي فناولاه فاخذه بيده ورمى به في
وجوه المشركين وقال شاهت الوجوه حم لا ينصرون فانهزم القوم

عن اخرهم فلم يبق احد الا امتلات عيناه رملا وحصبا ثم نادى في اصحابه
فرجعوا فقال عند رجوعهم لو لم ارمهم لم ينهزموا فانزل الله عز وجل
وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فكان هذا الذنب المتاخر وانما
سمي ذلك ذنبا مع ان النبي صلى الله عليه وسلم معصوم من الذنب بناء
على انه كان صدورها منه على جهة التاويل والخطا فيه فجعله الله
عز وجل ذنبا وعاتبه عليه لعلو مرتبته وارتفاع منزلته فانه كلما ارتفعت
منزلة العبد وازداد قربه من الله عز وجل عوتب على ما لا يعاتب عليه
غيره ولذلك قيل حسنات الابرار سيات المقربين وهكذا نقول في
ما عوتب به باقي الانبيا عليهم السلام على ان في عتاب الانبيا عليهم السلام
على ذلك زجر الغير وحفظ المواضع الفضل عليهم وتاديبا لهم لان الغير
اذا علم ان الله سبحانه وتعالى لم يسامح انبياءه على جلالة قدرهم وعلو
منزلتهم بذلك القدر اليسير الذي صدر منهم فانهم لما عظمت منة الله
عز وجل عليهم وفضله اراد حفظ فضله عليهم فعاتبهم على اليسير
والصغير تحذيرا لهم عن الكثير والكبير وتاديبا وتهذيبا لئلا يواقعوا
ما يوجب زوال فضله عنهم وذلك من مقررات العصمة المفسرة بانها
ملكة نفسانية تمنع من ارتكاب المخالفة ويتوقف تحققها على العلم
بمفاسد المعاصي ومصالح الطاعات لان العفة اذا حصلت في
جوهر النفس وانضاف اليها العلم التام من جهة الشريعة بما في المعصية
من الشقاوة وفي الطاعة من السعادة صار ذلك العلم موجبا

لرسوخها

لرسوخها في النفس فيصير ملكة حينئذ وتاكد في الانبيا عليهم الصلوة
والسلام بتتابع الوحي والتبيان من الله عز وجل ليستحفظ التذكير
بالتكرير وبالمواخذة بما لا يواخذ به غيرهم كالاعتراض على ما يصدر منهم
خطا او سهوا والعتاب على ترك الاولى فينزل ترك الاولى بالنسبة
اليهم منزلة الذنب بالنسبة الى غيرهم ويعجبني في ذلك ما قاله الجنيد والنوري
وغيرهما من الاكابر ارباب القلوب المشرقة ان ما جرى على الانبيا عليهم السلام
جرى على ظواهرهم واسرارهم مستوفاة بمشاهدات الحق عز وجل
واستدلوا على ذلك بقوله عز وجل فنسي ولم نجد له عزما قالوا ولا تصح
الاعمال حتى يتقدمها العقود والنيات وما لا عقد فيه ولا قصد
فليس بفعل وقد نفى الله عز وجل ذلك عن ادم عليه الصلوة والسلام
بقوله فنسي ولم نجد له عزما قال بعضهم اراد غفران ما وقع وما لم يقع
اي انك مغفور لك اراد بذلك ان قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما
تاخر كناية عن وقوع المغفرة له البتة بحيث يستوعب جميع ما يعد
ذنبا من ترك الاولى وهذه مقالة يوتى بها عند ارادة تحقيق حصول
الامر يقال فلان يعطي الغادي والبادي وان لم يكن على حقيقته اي
يعم العطا فلا يبقى احدا الا وهو مشمول بعطائه والحاصل انها بشارة
من الله عز وجل له بالمغفرة قطعا ولهذا دخلت المسرات على النبي صلى الله
عليه وسلم لما نزلت هذه الاية ففي الترمذي عن انس بن مالك رضي الله عنه
قال انزلت على النبي صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك

وما تاخر مرجعه من الحديبية فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد انزلت علي
اية هي احب الي مما على وجه الارض ثم قراها النبي صلى الله عليه وسلم عليهم
فقالوا هنيئا مريئا يا رسول الله لقد بين الله عز وجل لك ما يفعل بك فما
يفعل بنا فانزل الله عز وجل ليدخل المومنين والمومنات جنات تجري
من تحتها الانهار حتى بلغ فوزا عظيما قال الترمذي حديث حسن صحيح
قال مكي جعل المنة سببا للمغفرة اي جعل الله عز وجل في هذه الاية
الامتنان على النبي صلى الله عليه وسلم بفتح مكة سببا لمغفرة الله عز وجل
له ذنوبه المتقدمة والموخرة مع ان لام التعليل دخلت على المغفرة
وما دخلت عليه لام التعليل هو العلة والسبب وكذلك الزمخشري
في كشافه جعل الفتح سببا للمغفرة حيث قال فان قلت كيف
جعل فتح مكة علة للمغفرة قلت لم يجعله علة للمغفرة ولكن لاجتماع
ما عدد من الامور الاربعة وهي المغفرة واتمام النعمة وهداية
الصراط المستقيم والنصر العزيز كانه قيل يسرنا لك فتح مكة ونصرناك
على عدوك ليجمع لك بين عز الدارين واغراض العاجل والاجل ويجوز
ان يكون فتح مكة من حيث انه جهاد للعدو سببا للغفران والثواب
فقد جعل الفتح علة وما بعد اللام معلولا وهذا كما تقول ضربت زيدا
ليتادب فالضرب علة لوجود الادب وانت خبير بانه يجوز ان
يكون كل منهما علة للاخر فالضرب علة للتاديب في الخارج والتاديب
علة للضرب في الذهن وهذا هو المعبر عنه عندهم بالعلة الغائية وحاصله

انه

انه جعل المغفرة غاية للفتح من حيث انه مرتب على سعيه صلى الله عليه وسلم
في اعلاء كلمة الله عز وجل بمكابدة مشاق الحروب واقتحام موارد
الخطوب فقد جعل المغفرة وما بعدها علة باعثة على الفتح في
الذهن والفتح علة لوجودها في الخارج هذا والاولى ان تكون هذه
اللام لام الصيرورة المسماة بلام العاقبة وتسمى بلام المال فهي على
حد قوله عز وجل فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وقوله
فللموت تغذو الوالدات سخالها كما لخراب الدور تبنى المساكن ه

من الطويل

وهي التي جعلها الزمخشري في التحقيق لام العلة وان التعليل فيها
وارد على طريق المجاز دون الحقيقة وبيانه انه لم يكن داعيهم الى الالتقاط
ان يكون لهم عدوا وحزنا بل المحبة والتبني غير ان ذلك لما كان نتيجة
التقاطهم وثمرته شبه بالداعي الذي يفعل الفعل لاجله فاللام
مستعارة لما يشبه التعليل كما استعير الاسد لمن يشبه الاسد
وقد جعل البيضاوي المغفرة علة للفتح فقال ليغفر لك الله علة
للفتح من حيث انه مسبب عن جهاد الكفار والسعي في اعلاء الدين
وازاحة الشرك وتكميل النفوس الناقصة قهرا ليصير ذلك بالتدريج
اختيارا وتخليص الضعفة عن ايدي الظلمة وجوز بعضهم ان يكون
اللام في ليغفر لك الله لام القسم وكسرت لحذف النون من الفعل
تشبيها بلام كي ورد بان لام القسم لا تكسر ولا ينصب بها ولو جاز
هذا لجاز ليقوم زيد في موضع ليقومن واجيب بان الكسر قد علل بالحمل

على لام كي واما الحركة فليست نصبا بل هي الفتحة الموجودة مع النون بعينه
بعد حذفها دالة على المحذوف ورد بانه لم يحفظ من كلامهم والله
ليقوم ولا بالله ليخرج زيد فان قلت اذا اخترتم ان هذه اللام لام العاقبة
فهل هو مبني على ان افعال الله عز وجل لا تعلل بالاغراض كما هو
مذهب اهل السنة قلت سبب جعلنا اياها لام العاقبة عدم
المناسبة بين فتح الله عز وجل مكة وبين مغفرة ذنوب النبي صلى الله
عليه وسلم لان فتح الله عز وجل ليس فعلا للنبي صلى الله عليه وسلم حتى يقال انك
انما فعلت ذلك لتنيل مغفرة الله كما يقال صام زيد رمضان ليغفر الله
عز وجل له سوا قلنا ان افعال الله عز وجل تعلل بالاغراض ام لا غاية
ما في الباب ان اهل السنة جعلوا مثل هذه اللام للتعليل للمناسبة
بين المعلول والعلة الا انهم اطلقوا على مدخول اللام العلة من باب
المجاز وهي مطلقة على الغاية والمنفعة دون العلة الغائية
فان قلت ما الفرق بين لام العاقبة وهذه اللامات التي تعلل بها
افعال الله عز وجل قلت لام العاقبة لا مناسبة بين مدخولها وبين
ما يظن انه معلول كما انه لا مناسبة بين التقاط فرعون موسى
عليه السلام وبين كونه عدوا وحزنا حتى لو تكلم احد من الناس ممن
افعاله تعلل بالاغراض بقوله التقط فلان فلانا ليكون له عدوا وحزنا
لقلنا ان تلك اللام لام العاقبة بخلاف قوله عز وجل وكذلك اعثرنا
عليهم ليعلموا ان وعد الله حق فان بين المعلول والعلة مناسبة

بحيث

بحيث لو تكلم متكلم غير رب العزة عز وجل لقلنا بان ما بعد اللام علة لما قبلها
ولو عرضنا قوله عز وجل وانزلنا اليك الذكر لتبين على معتزلي يجوز
ان تعلل افعال الله عز وجل بالاغراض لقال هذه اللام لام التعليل
ومدخولها علة لما قبله ولو عرض عليه قوله فالتقطه آل فرعون ليكون
لهم عدوا لقال هذه اللام لام العاقبة فليس جعل هذه اللام لام العاقبة
مبنيا على ذلك فافهم وكل من السبب الذي هو الفتح والمسبب الذي
هو المغفرة من عنده اي هو موجده فالكل بايجاده وخلقه سبحانه وتعالى
وهذا دافع لما عسى ان يتوهم من كون الله عز وجل جعل الفتح سببا
للمغفرة ان يكون المؤثر في المغفرة هو الفتح كما هو شان الاسباب
العقلية فاشار المصنف الى دفع ذلك الوهم بان كون الفتح سببا
للمغفرة ~~ان يكون المؤثر في المغفرة هو الفتح~~ انما هو سبب عادي
من قبيل ان الله عز وجل اختار واراد ايجاد ممكن وهو المغفرة
عند ممكن وهو الفتح ولا يكون احد الممكنين مؤثرا في الاخر فهو
كاختياره عز وجل ايجاد الشبع مع اكل الطعام والري مع شرب
الما والاحراق مع مس النار وتفريق الاجزا مع مس السيف
والانفعال مع القدرة الحادثة ونحو ذلك لا يدل شي من ذلك على ان
لتلك الامور المقارنة تاثيرا في ما قارنته لا استقلالا ولا معاونة
بل وجودها وعدمها بالنسبة الى التاثير سوا وايجاده جل وعلا
لممكن مع ممكن يقارنه كايجاده تعالى له منفردا عن مقارنة ممكن

بحسب السبب العادي ه

اخر وانما الله عز وجل الفاعل المختار ينصب ما شا من الامارات
المخلوقة له تعالى فيوجد ما شا من افعاله واحكامه ويترك ذلك
في بعضها لا يسال عما يفعل ونحن المسولون وقوله **لا اله غيره**
اي لا يستند شي من المحدثات والممكنات الى غيره تعالى وتقدس
والقصد بذلك الرد على فرق ضالة يسندون بعض التاثيرات الى غيره
تعالى كالقدرية القائلين بان الاسباب العادية موثرة في مسبباتها
ولا يتوقف المسبب القدرة الازلية وهولا الطائفة هم مجوس هذه
الامة بشهادة المعصوم صلى الله عليه وسلم وقد قام البرهان القاطع على
وجوب عموم تعلق قدرته عز وجل وارادته لجميع الممكنات واهل
السنة جميعهم على ما دل عليه ظواهر الكتاب والسنة واجمع عليه
السلف قبل ظهور البدع ان الله عز وجل هو الخالق بالاختيار
لكل ممكن يبرز الوجود ذاتا كان او قولا لها او فعلا لاستيثاره
تعالى بملك جميع الممكنات واختراعها شي اي شي كان وان
التاثير وايجاد الممكنات خاصة من خواص الرب عز وجل يستحيل
ان يشاركه فيها غيره قال جل من قائل انا كل شي خلقناه بقدر وقال تعالى
والله خلقكم وما تعملون وقال الله خالق كل شي وقوله **منة بعد منة**
المنة الاولى السابقة الفتح والمنة الواقعة بعدها المغفرة **وفضلا
بعد فضل** الفضل السابق الفتح والمسبوق المغفرة ثم قال **ويتم
نعمته عليك قبل خضوع من تكبر** كابي سفين بن حرب وابن عمه

ابي سفين

ابي سفين بن الحرث بن عبد المطلب وعكرمة بن ابي جهل وعثمان
ابن طلحة واخيه شيبة بن طلحة **وقبل بفتح مكة** لان الله عز وجل احلها
له ساعة من نهار ولم تحل لاحد قبله ولا تحل لاحد بعده ودخل اليها في
كتيبته الخضرا وهو على ناقته القصوى بين ابي بكر واسيد بن
حضير وراى ابو سفين من جنود الله عز وجل ما لا قبل له به فقال
لعمه العباس لقد اصبح ملك ابن اخيك ملكا عظيما فقال العباس له
ويحك انه ليس بملك ولكنه نبوة قال نعم ووضع النبي صلى الله عليه وسلم
راسه تواضعا لله عز وجل لما راى ما اكرمه الله عز وجل به من الفتح حتى
ان راسه يكاد يميس رحله شكرا لله عز وجل وخضوعا لعظمته
اذ احل له بلده ولم تحل لاحد قبله ولا لاحد بعده وخطب الناس
وعليه عمامة سودا على باب الكعبة ونزل بالخيف حيث تقاسموا
على الكفر يعني به المحصب وذلك ان قريشا وكنانة تحالفت على بني هاشم
وبني المطلب ان لا يناكحوهم ولا يبايعوهم حتى يسلموا اليهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم انه من على قريش الذين عادوه واذوه
منة السيد على عبيده قائلا لهم يا معشر قريش ما ترون اني فاعل بكم
قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم قال اذهبوا فانتم الطلقا اي الذين
اطلقوا فلم يسترقوا ولم يوسروا والطليق الاسير اذا اطلق وقد
عدد بعض ما انعم الله عليه به في فتح مكة العلامة ابو محمد
السفراطيسي حيث قال في قصيدته المشهورة

ويوم مكة اذ اشرفت في امم يضيق عنها فجاج الوعث والسهل
خوافق ضاق ذرع الخافقين بها في قاتم من عجاج الخيل والاسل
وجحفل قذف الارجاء ذي لجب عرمرم كرها كالليل منسحل
وانت صلى عليك الله تقدمهم في بهو اشراق نور منك مكتمل
تنير فوق اغر الوجه منتجب متوج بعزيز النصر مقتبل
تسمو امام جنود الله مرتديا ثوب الوقار لامر الله ممتثل
خشعت تحت بهاء العز حين سمت بك المهابة فعل الخاضع الوجل
وقد تباشر املاك السماء بما ملكت اذ نلت منه غاية الامل
والارض ترجف من زهو ومن فرق والجو يزهر اشراقا من الجذل
والخيل تختال زهوا في اعنتها والعيس تسال زهوا في بني الجدل ∴
لولا الذي خطت الاقلام من قدر وسابق من قضاء غير ذي حول
اهل ثهلان بالتهليل من طرب وذاب يذبل تهليلا من الوبل
الملك لله هذا عز من عقدت له النبوة فوق العرش في الازل
شعبت صدع قريش بعدما قذفت لهم شعوب شعاب السهل والقلل
قالوا محمد قد زارت كتائبه كالاسد تزأر في انيابها العصل
فويل مكة من اثار وطأته وويل ام قريش من جوى العبل
فجدت عفوا بفضل العفو منك ولم تلممهم باليم اللوم والعذل
اضربت بالصفح صفحا عن عوائلهم طولا اطال مقيل النوم في المقل
رحمت واشج ارحام اتيح لها تحت الوشيج نشيج الروع والوجل

عادوا

عاذوا بظل كريم العفو ذي لطف مبارك الوجه بالتوفيق مشتمل
ازكى الخليقة اخلاقا واطهرها واكرم الناس صفحا عن ذوي الزلل
ولعت بالبيت محبورا وطاف به من كان عنه قبيل الفتح في شغل

والطائف اي ان الله عز وجل اتم نعمته على نبيه صلى الله عليه وسلم بفتح الطائف وهي بلد ثقيف سميت بالطائف قال في الروض الانف ذكر بعض اهل النسب ان الدمون بن الصدف واسم الصدف ملك بن مالك ابن مريع بن كنده من حضرموت اصاب دما من قومه فلحق بثقيف فاقام فيهم وقال الا ابني لكم حائطا يطيف ببلدكم فبناه فسمي به الطائف ذكره البكري هكذا قال وانما هو الدمون بن عبيد بن مالك بن دهقل وهو من الصدف وله ابنان ادركا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعاه اسم احدهما الهميل والاخر قبيصة ولم يذكرهما ابو عمر في الصحابة وذكرهما غيره وذكر ان اصل اعنابها ان قيس بن منبه وهو ثقيف اصاب دما في قومه وهم اياد ففر الى الحجاز فمر بامراة يهودية فاوته فاقام عندها زمانا ثم انتقل عنها فاعطته قضبا من الحبلة وامرته ان يغرسها في ارض وصفتها له فاتى بلاد عدوان وهم سكان الطائف في ذلك الزمن فمر بسخيلة جارية عامر بن الظرب العدواني وهي ترعى غنما واراد سباءها واخذ الغنم فقالت الا ادلك على خير مما هممت به اقصد الى سيدي وجاوره فهو اكرم الناس فاتاه فزوجه من بنته زينب بنت عامر فلما جلت عدوان عن الطائف

بالحروب التي وقعت بينها اقام قسي وهو ثقيف فمنه تناسل اهل
الطائف وسمي قسيا لقسوة قلبه حين قتل اخاه او ابن عمه
وذكر بعض المفسرين وجها اخر في سبب تسميتها بالطائف فقال
في الجنة التي ذكرها الله عز وجل في سورة نون حيث يقول تبارك وتعالى
فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون قال كان الطائف جبريل عليه
السلام فاقتلعها من موضعها فاصبحت كالصريم وهو الليل اصبح
موضعها كذلك ثم سار بها الى مكة فطاف بها حول البيت ثم انزلها
حيث الطائف اليوم فسميت باسم الطائف الذي طاف عليها
وطاف بها وكانت تلك الجنة بضوران على فراسخ من صنعا ومن ثم
كان الماء والشجر بالطائف دون ما حولها من الارضين وكانت قصة
اصحاب الجنة بعد عيسى عليه السلام بيسير ذكر هذا الخبر النقاش وغيره ٥
وفي القاموس الطائف بلاد ثقيف في واد اول قراها القيم واخرها
الوهط سميت بذلك لانها طافت على الماء في الطوفان او لان جبريل
عليه السلام طاف بها على البيت او لانها كانت بالشام فنقلها الله عز وجل
الى الحجاز بدعوة ابرهيم عليه الصلوة والسلام او لان رجلا من الصدف
اصاب دما بحضرموت ففر الى وج وحالف مسعود بن معتب
وكان له مال عظيم فقال هل لكم ان ابني لكم طوفا عليكم يكون لكم ردا من
العرب فقالوا نعم وهو الحائط المطيف به وانما كان فتح الطائف نعمة
تامة لانه صلى الله عليه وسلم حصل له مشقة عظيمة في اسلام ثقيف ودخولهم
الى

هذا اخر كلام الامام
السهيلي في الروض ٥

الى الطاعة لانهم تكاثروا كلمة واحدة ودخلوا حصنهم وهيؤوا فيه ما يصلحهم
لسنة فجا النبي صلى الله عليه وسلم ونزل قريبا من الحصن وعسكر هناك
فرمى المسلمون بالنبل رميا شديدا كانه جراد وجرح ناس من المسلمين
وقتل منهم اثنا عشر رجلا وحاصرهم ثمانية عشر يوما وقيل بضعا
وعشرين ليلة ونصب عليهم المنجنيق اربعين يوما وقطع النبي صلى
الله عليه وسلم اعنابهم واصاب المسلمين من ذلك مشقة عظيمة واهل
الطائف قوم غلاظ شداد لم يدخلوا في دين الله عز وجل الا بعد ان
ذلت انوفهم فان قلت ذكر في السيرة الهشامية ان النبي صلى الله
عليه وسلم لم يؤذن له في فتح الطائف قلت لم يؤذن له في ذلك الحصار
لكن الله عز وجل بعد ذلك وفق ثقيفا وجاءوا مذعنين مسلمين
ودعا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اهد ثقيفا ثم لما غزا
تبوكا وقدم منها في رمضان سنة تسع قدم عليه وفد ثقيف ومن
فرحه صلى الله عليه وسلم بقدومهم وتوفيقهم للاسلام جا المغيرة
ابن شعبة مشتدا ليخبر النبي صلى الله عليه وسلم باسلامهم وهداينهم
ويبشره بذلك فلقيه ابو بكر الصديق رضي الله عنه فقال له
اقسمت عليك بالله عز وجل لا تسبقني الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى اكون انا احدثه ففعل فدخل ابو بكر رضي الله عنه على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بقدومهم عليه ثم خرج المغيرة الى اصحاب
فروح الطهر معهم وعلمهم كيف يحيون رسول الله صلى الله عليه وسلم

فلم يفعلوا الا تحية الجاهلية ولما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ضرب عليهم قبة في ناحية المسجد فكان خالد بن سعيد بن العاصي
هو الذي يمشي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اكتتبوا
كتابهم وكان خالد هو الذي كتبه وكانوا لا يطعمون طعاما يأتيهم من
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يأكل منه خالد رضي الله عنه حتى
اسلموا وقد كان فيما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدع لهم
الطاغية وهي اللات لا يهدمها ثلاث سنين فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذلك عليهم فما برحوا يسألونه سنة وسنة ويابى عليهم حتى سألوه
شهرا واحدا بعد قدومهم فابى عليهم ان يدعها شيئا مسمى وانما
يريدون بذلك فيما يظهر ان يسلموا بتركها من سفهائهم ونسائهم
وذراريهم ويكرهون ان يروعوا قومهم بهدمها حتى يدخلهم الاسلام
فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان يبعث ابا سفين بن حرب
والمغيرة بن شعبة فهدماها وقد كانوا سألوه مع ترك الطاغية ان
يعفيهم من الصلوة وان لا يكسروا اوثانهم بايديهم فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اما كسر اوثانكم بايديكم فسنعفيكم منه واما
الصلوة فانه لا خير في دين لا صلوة فيه ثم انهم اسلموا وحسن
اسلامهم وكسر رسول الله صلى الله عليه وسلم اوثانهم وهدم طاغيتهم
وهي اللات واصبحت الطائف يعلن فيها بالاذان وتقام فيها
الصلوة وعدو الله عز وجل فلم يخرج صلى الله عليه وسلم من الدنيا حتى

فتحت

فتحت الطائف وان لم تفتح في تلك الغزوة وقيل يرفع ذكرك في الدنيا
يرفع بصيغة المضارع وذكرك مفعول يرفع قال البرهان الحلبي وفي
نسخة برفع بالبا الجارة ومجرورها وينصرك ويغفر لك هذه الافعال
الثلاثة مرفوعة وان كان يتم الذي هو مفسرها منصوبا وهذه
الافعال خبر مبتدا محذوف والتقدير معنى يتم نعمته عليك يرفع ذكرك
وينصرك ويغفر لك فاعلم الله عز وجل بتمام نعمته عليه بخضوع متكبري
عدوه له متعلق بخضوع فممن خضع له بعد العداوة التامة هند
بنت عتبة بن ربيعة ففي الصحيحين انها جاءت الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت يا رسول الله ما كان على ظهر الارض اهل خبا احب الي
ان يذلوا من اهل خبائك ثم ما اصبح اليوم على ظهر الارض اهل
خبا احب الي ان يعزوا من اهل خبائك ثم قالت ان ابا سفين رجل
ممسك الحديث ومنهم ابو سفين بن حرب وعداوته لنبي الله صلى الله
عليه وسلم وحربه له وقتاله اياه امر مشهور ومنهم صفوان بن امية
ومنهم عمير بن وهب ومنهم ابو سفين بن الحرث بن عبد المطلب ومنهم
عكرمة بن ابي جهل وفتح ام البلاد عليه وفي نسخة اسنى ام قال
البرهان الحلبي كذا في النسخة التي وقفت عليها الان وعلى اسنى علامة
نسخة وعلى ام صح وفي ثبوتها نظر والذي يظهر ان احداها نسخة
والاخرى عوضها لا انها ثابتة معها فيكون فتح ام البلاد او فتح اسنا ام
انتهى ويجوز ان يكون في تلك النسخة كلاهما ثابتا ويكون ام البلاد

سبحان الله كيف يعترض شيخنا
وقد وضع على احدى الكلمتين
علامة نسخة على انها من

شيا متعددا منه ما هو اسنى ومنه ما ليس باسنى فهو قد فتح اسنى الاهم
وهو مكة لان فتحها كان مفتاح الفتوح وعنده دخلت الناس في دين
الله عز وجل افواجا كاهل مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر
قبائل العرب وكانوا قبل ذلك يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين
اثنين روى انه صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة اقبلت العرب بعضها على
بعض فقالوا اذا ظفر باهل الحرم فلن يقاومه احد وقد كان الله عز وجل
اجارهم من اهل الفيل ومن كل من ارادهم فكانوا يدخلون في دين الاسلام
افواجا من غير قتال **واحبها** اي احب البلاد **اليه** اي الى النبي صلى الله عليه
وسلم ويلزم من كونها احب البلاد اليه تكون افضل من مدينة النبي صلى
الله عليه وسلم وكونها افضل من المدينة هو مذهب سفين بن عيينة
والشافعي واحمد في اصح الروايتين عنه وابن وهب ومطرف وابن حبيب
الثلاثة من المالكية وهو مذهب جماهير العلماء ومع كونها افضل من
المدينة مسجدها ايضا افضل من مسجد المدينة واحتج اصحابنا
الشافعية على قولهم بافضلية مكة لحديث عبد الله بن الحمرا انه سمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف على راحلته يقول والله انك
لخير ارض الله الى الله عز وجل ولولا اني اخرجت منك ما خرجت قال
الترمذي حسن صحيح واستدل مفضلوا المدينة على مكة بقوله صلى الله عليه
وسلم ان ابرهيم عليه السلام دعاك لمكة واني ادعوك للمدينة بمثل ما
دعا ابرهيم عليه السلام لمكة ومثله معه ولا ريب ان دعا النبي صلى الله عليه وسلم

افضل

بحث الفاضلة بين مكة والمدينة شرفهما الله تعالى

افضل من دعا ابرهيم عليه السلام لان فضل الدعا على قدر فضل الداعي
وقد صح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة
او اشد وفي رواية بل اشد وقد اجيبت دعوته حتى كان تحرك دابته
اذا راها من حبها وروى الحاكم انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم انك اخرجتني
من احب البقاع الي فاسكني في احب البقاع اليك اي في موضع تصير
كذلك فيجتمع فيه الحبان قيل ان هذا الحديث ضعفه ابن عبد البر ولو
سلمت صحته فالمراد احب اليك بعد مكة لحديث ان مكة خير بلاد
الله وفي رواية احب ارض الله عز وجل الى الله سبحانه ولزيادة
التضعيف بمسجد مكة وقد تعقبه العلامة السيد الشريف
السمهودي بان ما ذكر لا يقتضي صرفه عن ظاهره اذ المقصود به الدعاء
لدار هجرته بان يصيرها الله عز وجل كذلك **ورفع ذكره** اي اتم نعمته
عليه برفع ذكره بان لا يذكر الا بعنوان النبوة والرسالة وما يترتب
عليهما ورفعه ايضا بان قرن اسمه مع اسمه في كلمة الشهادة والاذان
والاقامة وجعل طاعته طاعته وصلى عليه تعالى هو وملائكته وامر
المومنين بالصلوة والسلام عليه ونهى المومنين عن ان يدعوه
كدعا بعضهم بعضا وفي يوم القيمة بان منحه الله عز وجل المقام المحمود
وهو المقام الذي يغبطه فيه الاولون والاخرون **وهدايته** مصدر
يجوز ان يكون مضافا لمفعوله اي والفاعل محذوف اي هداية الله
عز وجل النبي صلى الله عليه وسلم **الصراط المستقيم المبلغ للجنة والسعادة**

كانه صلى الله عليه وسلم يحرك دابته اذا راى المدينة

ويجوز ان يكون مضافا الى فاعله والمفعول محذوف اي هدايته
اي الله عز وجل اياه اي النبي صلى الله عليه وسلم والصراط ماخوذ من
سرط الطعام اذا ابتلعه فكانه يسترط السابلة ولذلك سمي لقما
لانه يلتقمهم والمستقيم المستوي والمراد به هنا تبليغ الرسالة
واقامة مراسيم الرياسة واصل الاستقامة وان كان حاصلا
قبل الفتح لكن حصل بعد ذلك من ايضاح سبل الحق واستقامة مناهجه
مالم يكن حاصلا قبل **وينصرك الله نصرا عزيزا** العزة في الاصل القوة
والشدة والغلبة يقال عز يعز اذا صار عزيزا او عز يعز بالفتح اذا
اشتد والنصر العزيز هو الذي فيه عزة وقوة ومنعة ويجوز ان
يكون من قبيل وصف المصدر بوصف صاحبه اي عزيز صاحبه
مجازا للمبالغة **ومنته على امته المومنين بالسكينة والطمانينة**
السكينة تطلق على الوقار والتاني في الحركة والسير ومنه قول النبي صلى
الله عليه وسلم في الدفع من عرفة عليكم السكينة وقوله صلى الله عليه وسلم
في الخروج الى الصلوة فليات وعليه السكينة واما السكينة
الواقعة في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو قوله صلى الله عليه
وسلم ما كنا نبعد ان السكينة تنطق على لسان عمر رضي الله عنه
وفي رواية كنا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لا نشك ان السكينة
تكلم على لسان عمر رضي الله عنه فقيل هو من الوقار والسكون وقيل
الرحمة وقيل اراد السكينة التي ذكرها الله عز وجل في كتابه العزيز

قيل

قيل في تفسيرها انها حيوان له وجه كوجه الانسان مجتمع وسائره
خلق رقيق كالريح والهواء وقيل هي صورة كالهرة كانت معهم في
جيوشهم واذا ظهرت انهزم اعداوهم **التي جعلها في قلوبهم** والمراد
بالطمانينة زوال الم الوسوسة التي حصلت للصحابة رضي الله عنهم
من قصة الحديبية في ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يسال المشركون
شيا الا اطاعهم فيه من ذلك انه صلى الله عليه وسلم دعا الكاتب فقال
اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال له سهيل الذي جا في الصلح
اما الرحمن فوالله ما ادري ماهو ولكن باسمك اللهم كما كنت
تكتب اولا فقال المسلمون والله لا نكتبها الا بسم الله الرحمن الرحيم
فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكتب باسمك اللهم ثم قال هذا ما قاضى عليه
محمد رسول الله فقال سهيل والله لو كنا نعلم انك رسول الله ما
صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله
فقال النبي صلى الله عليه وسلم والله اني لرسول الله وان كذبتموني
اكتب محمد بن عبد الله قال الزهري وذلك لقوله لا يسالوني خطة
يعظمون فيها حرمات الله عز وجل الا اعطيتهم اياها فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم على ان تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال
سهيل والله لا تتحدث العرب انا اخذنا ضغطة ولكن ذلك من
العام المقبل فكتب فقال سهيل وعلى ان لا ياتيك منا رجل وان
كان على دينك الا رددته الينا قال المسلمون سبحان الله كيف يرد

الى المشركين وقد جا مسلما فبينما هم كذلك اذ دخل ابو جندل بن سهيل
يرسف في قيوده قد خرج من اسفل مكة حتى رمى بنفسه بين
اظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد اول ما اقاضيك عليه ان ترده
الي فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا لم نقض الكتاب بعد قال فو الله
اذا لا اصالحك على شي ابدا قال النبي صلى الله عليه وسلم فاجزه لي اي اتركه
لي قال ما انا بمجيزه لك قال بلى فافعل قال ما انا بفاعل قال مكرز بل قد
اجزناه لك قال ابو جندل اي معشر المسلمين ارد الى المشركين وقد
جيت مسلما الا ترون ما لقيت وكان قد عذب في الله عز وجل عذابا قومه
شديدا قال فقال عمر بن الخطاب فاتيت نبي الله صلى الله عليه وسلم فقلت
الست نبي الله حقا قال بلى قلت السنا على الحق وعدونا على
الباطل قال بلى قلت فلم نعطي الدنية في ديننا اذا قال اني رسول
الله ولا اعصيه وهو ناصري قلت اوليس كنت تحدثنا انا سناتي
البيت فنطوف به قال بلى قال فاخبرتك انا ناتيه العام قلت لا
قال فانك آتيه ومطوف به وفي رواية ابن اسحق كان الصحابة
لا يشكون في الفتح لرويا راها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راوا
الصلح دخلهم من ذلك امر عظيم حتى كادوا يهلكون قال عمر رضي الله
عنه فاتيت ابا بكر رضي الله عنه فقلت يا ابا بكر اليس هذا نبي الله
حقا قال بلى قلت السنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى
قلت فلم نعطي الدنية في ديننا اذا قال ايها الرجل انه لرسول الله

حقا

بعضهم

حقا وليس يعصي ربه عز وجل وهو ناصره فاستمسك بغرزه فو الله انه
على الحق قلت اليس كان يحدثنا انا سناتي البيت ونطوف به
قال بلى افاخبرك انه ياتيه العام قلت لا قال فانك اتيه ومطوف
به قال الزهري قال عمر رضي الله عنه فعملت لذلك اعمالا
قال بعضهم اي من الذهاب والمجي والسوال والجواب ولم يكن ذلك
شكا من عمر بل طلبا لكشف ما خفي عليه وحثا على اذلال الكفار
لما عرف من قوته في نصرة الدين قال شيخ الاسلام الشهاب
ابن حجر في شرح البخاري وتفسير الاعمال بما ذكر مردود بل المراد به
الاعمال الصالحة ليكفر عنه ما مضى من التوقف في الامتثال ابتداء
وكان عمر رضي الله عنه يقول ما زلت اتصدق واصوم واصلي
واعتق من الذي صنعت يومئذ مخافة كلامي الذي تكلمت به
قال عمر رضي الله عنه لقد اعتقت بسبب ذلك رقابا وصمت
دهرا ووقع في رواية ابن اسحق لما قال له ابو بكر رضي الله عنه
الزم غرزه فانه رسول الله قال عمر رضي الله عنه وانا اشهد انه
رسول الله قال السهيلي هذا الشك هو ما لا يستمر صاحبه
عليه وانما هو من باب الوسوسة كذا قال والظاهر ان هذا
من قبيل البحث من عمر رضي الله عنه ليطلع على الحكمة في القضية وينكشف
عنه الشبهة ونظيره توقفه في اقدام النبي صلى الله عليه وسلم على
الصلوة على عبد الله بن ابي وبالجملة فهذه قضية حصل للصحابة

تقرير كلام المفسرين العلامة البيضاوي وابي السعود

فيه توقف واضطراب ثم حصلت بعد ذلك لهم السكينة والطمانينة
واوقع الله عز وجل الرضا بما جرى في قلوب المسلمين فسلموا واطاعوا
وبشارتهم بمالهم بعد اي بعد ان جرى في الحديبية ما جرى من قوله عز وجل
ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم قال البيضاوي يقينا مع يقينهم برسوخ
العقيدة واطمئنان النفس عليها وفي التفسير السعودي يقينا
منضما الى يقينهم ولم يزد على ذلك واقول جعل البيضاوي اليقين المنضم
موكدا لليقين الذي كان موجودا فيحصل بسبب ذلك رسوخ في العقيدة
وثبات عليها وهذا مبني على ما عليه محققو الاشاعرة من قبول اصل
التصديق للزيادة والنقصان وتفاوت قوة وضعفا للقطع بان
تصديق احاد الامة ليس كتصديق النبي صلى الله عليه وسلم واما السعودي
فانه غير قائل بقبول التصديق للزيادة والنقصان فقال بما قال به امام
ابو حنيفة رضي الله عنه من حمل مثل هذه الاية الدالة على زيادة الايمان
على انهم كانوا امنوا في الجملة ثم ياتي فرض بعد فرض فكانوا يومنون
بكل فرض خاص وحاصله انه يزيد بزيادة ما يجب الايمان به ولهذا
لم يقل برسوخ العقيدة لان التصديق عنده لا يقبل الزيادة فقد
وقع بذلك لهم بشارة عظيمة برسوخ عقائدهم وكمال ايمانهم ثم بشرهم
بقوله ليدخل المومنين والمومنات جنات وهو ما لعله علة لما
دل عليه قوله ولله جنود السموات والارض من معنى التدبير اي
دبر ما دبر ليعرفوا نعمة الله عز وجل فيشكروها فيدخلوا الجنة

ويجوز ان يكون علة لقوله فتحنا او لقوله انزل السكينة وقيل ان قوله
ليدخل بدل من قوله ليزدادوا الى اخره بدل اشتمال كذا قال البيضاوي
واقول اما تعلقه بفتحنا فلا يجوز لان قوله عز وجل ليغفر متعلق به
والفعل لا يعمل في حرفي جر معناهما واحد من غير عطف او بدل
او تاكيد وفيه ايضا بعد من جهة المعنى بيانه ان الله عز وجل لم يدخل
المومنين في الفعل المعلل اذ لم يقل فتحنا لك وللمومنين وعندي
الاولى ان يكون متعلقا بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما
تاخر اي انما غفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر لادخل امتك
الذين امنوا بك وصدقوك الجنة بعضهم باعمالهم وبعضهم بشفاعتك
اذ الشفاعة لا تقبل الا ممن غفر له ذنبه ما تقدم منه وما تاخر
ويدل على ذلك ما وقع في حديث الشفاعة لما ياتي اهل الموقف الى
عيسى عليه الصلوة والسلام يقول لهم اذهبوا الى محمد صلى الله عليه وسلم
عبد غفر الله عز وجل له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فان قلت لا
يجوز ان يتعلق به لوجود الفاصل والبعد بينه وبين قوله ليغفر
قلت يتعلق بمحذوف تقديره غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما
تاخر ليدخل المومنين الى اخره وقيل متعلق بقوله ليزدا دوا
واعترض بان يعذب معطوف على ليغفر ولا يناسب ان يكون
ازدياد الايمان علة لتعذيب المنافقين واجيب بان التعذيب
ذكر لكونه مقصودا للمومنين كانه قيل بسبب ازديادكم في الايمان

يدخلكم الجنة ويعذب الكفار وانما نص على المومنات لان الاصح ان
جمع المذكر السالم كالمسلمين والمومنين لا يدخل فيه الاناث وهو
مذهب الشافعي واصحابه والجمهور قال القاضي ابو بكر هو الصحيح
وذهبت الحنفية ومنهم شمس الائمة وصاحب اللباب الى انه
يتناول الذكور والاناث لكن يظهر لي ان الخلاف انما هو في الاحكام
واما في الوعد والوعيد فلا يتناول ولعدم تناولهن احتيج الى
التنصيص عليهن ومما بشرهم الله عز وجل انه تعالى يكفر عنهم سيآتهم
اي يسترها بان يمحوها من صحائف اعمالهم ثم بين الله عز وجل ان
ادخالهم الجنة وتكفير سيآتهم عند الله فوز عظيم لانه منتهى ما يطلب
من جلب نفع او دفع ضر وفوزهم العظيم والعفو عنهم والستر لذنوبهم
المعبر عنه بقوله ويكفر عنهم سيآتهم ولو ان المصنف اخر قوله وفوزهم
العظيم عن قوله والستر لذنوبهم لكان اولى لان الاشارة في قوله وكان
ذلك عند الله فوزا عظيما راجعة الى كلا الامرين الادخال المذكور وتكفير
السيآت ولا يقال ان الاشارة الى مجرد الادخال لانه المقصود
بالذات وقوله والستر لذنوبهم تفسير لقوله ويكفر عنهم سيآتهم فان
معنى يكفر يغطيها ولا يظهرها وانما قدم الادخال الى الجنة في الذكر
على التكفير مع ان الترتيب في الوجود على العكس للمسارعة الى بيان
ما هو المطلب الاعلى ومعنى قوله وفوزهم العظيم هو الذي لا يقادر
قدره لانه منتهى ما يمتد اليه اعناق الهمم من جلب نفع او دفع ضر

ومعنى

ومعنى كونه عند الله عز وجل اي في علمه وقضائه وجملة قوله عز وجل
وكان ذلك عند الله فوزا عظيما وقعت اعتراضا بين المعطوف وهو
قوله ويعذب المنافقين والمعطوف عليه وهو قوله ليدخل المومنين
وقد اتى بهذا الاعتراض لنكتة وهي كون هذه الجملة مفيدة لتقرير ما
سبق وتحقيقه وهلاك عدوه في الدنيا والاخرة واعدا النبي صلى الله
عليه وسلم مكذبوه اما باطنا فقط مع اظهارهم تصديقه وهو اقبح
الكفر وهو النفاق ويسمى المتصف به منافقا وهو قوله عز وجل
ويعذب المنافقين والمنافقات وانما سمي المنافق منافقا قيل
لانه يستر كفره ويغيبه فشبه بالذي يدخل النفق وهو السرب
يستتر فيه وقيل لانه نافق كاليربوع وذلك لان اليربوع له جحران
يقال لاحدهما النافقاء والآخر يقال له القاصعاء فاذا طلب من النافقاء
قصع فخرج من القاصعاء فشبه المنافق باليربوع لانه يخرج
من الايمان من غير الوجه الذي يدخل فيه وقيل سمي منافقا لانه
اظهر غير ما يضمر تشبيها باليربوع وذلك انه يخرق في الارض حتى اذا
كاد يبلغ ظاهر الارض ارق التراب فاذا رابه ريب رفع ذلك
التراب براسه فخرج فظاهر جحره تراب كالارض وباطنه حفر
فكذلك المنافق ظاهره ايمان وباطنه كفر قال ابن عباس رضي الله عنهما
كان المنافقون من الرجال على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثمائة ومن
النساء مائة وسبعين وقد ذكر حافظ بلدنا وشيخ اقليمنا الشيخ برهان الدين

بحث
[illegible]

اي جلبه

الحلبي سبط ابن العجمي في شرحه على البخاري منهم جماعة وهم اوس بن قيظي
حاطب عثمان بخزج بشر بن ابيرق بشير بن زيد لبيد بن ابيرق ثعلبة
ابن حاطب جارية بن عامر حدير عبد الله بن نبتل جد بن قيس جلاس
ابن سويد الحرث بن سويد حاطب بن امية ابو حبيبة بن الازعر
حدير بن ابي حدير خذام داعس رافع بن وديعة رافع بن حريملة
رافع بن زيد رفاعة بن زيد زوي زيد بن جارية زيد بن اللصيت
سعد بن زرارة سلسلة بن برهام سعد بن حنيف سميح ضحاك
ابو ثابت عباد ابو حبيبة عبد الله بن ابي ابن سلول عبد الله بن نبتل
عبد الرحمن بن نبتل عثمان بن اوفى والمعروف انه ارتد بعد النبي صلى الله
عليه وسلم وامن بطليحة ثم اسر فمن عليه الصديق ولم يزل مظهرا
للاسلام ولم يذكره احد في المنافقين الا السراج بن الملقن قزمان
قيس بن عمرو بن سهل مخشي بن رفاعة مخشي بن زيد كنانة بن صوريا
مالك بن ابي نوفل معتب بن ابيرق مخشي بن حمير مجمع بن حارثة
يزيد بن مجمع قال البرهان اخذت ذلك من تلقيح ابن الجوزي ومن سيرة
ابن سيد الناس قال وجميع هولاء مشايخ ولم يكن فيهم شاب الا واحدا
وهو قيس بن عمرو بن سهل وانما قدم المنافقين على المشركين للدلالة
على انهم احق منهم بالعذاب في الدنيا اما تعذيب المشركين في الدنيا فظاهر
وذلك بالقتل والاسر وضرب الجزية واما في الاخرة فبالخلود والعياذ
بالله في جهنم واما تعذيب المنافقين في الدنيا فبالاهانة والمقت

وتنغيص

وتنغيص العيش بسبب عدم انشراح صدورهم لما منح الله عز وجل
نبيه صلى الله عليه وسلم لاضمارهم عداوته في قلوبهم وبسبب ما يسمعون
من ذم الله عز وجل اياهم في كتابه العزيز حيث قال في شانهم يخادعون
الله والذين الاية ثم قال في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا الاية وفي
قوله الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون وفي قوله الا انهم هم
السفهاء ولكن لا يعلمون ثم اقرا الايات بعد ذلك الى قوله ان الله على كل
شي قدير وتامل ما وقع في شانهم من الله عز وجل من الذم لهم في
سورة براة وفي سورة المنافقين واما في الاخرة فانهم في الدرك
الاسفل من النار ولعنهم وبعدهم من رحمته عطفه عليه عطف تفسيري
فان اللعن معناه الابعاد وكانت العرب اذا تمرد الرجل ابعدوه
منهم وطردوه لئلا تلحقهم جرائره فيقال لعين بني فلان ومما يدل على
هلاكهم في الدارين ان الله عز وجل ذمهم في كتابه العزيز ونعتهم
بالنعت الذميم فقال في شانهم الظانين بالله ظن السوء وهو انهم
ظنوا ان الله عز وجل لا ينصر رسوله صلى الله عليه وسلم والمومنين ثم
قال في شانهم عليهم دائرة السوء اي ما يظنون ويتربصون بالمومنين
فهو دائر بهم وحائق بهم وفي تفسير البيضاوي وقرا ابن كثير وابو عمرو
دائرة السوء بالضم وهما لغتان غير ان المفتوح غلب في ان يضاف
اليه ما يراد ذمه والمضموم جرى مجرى الشر وكلاهما في الاصل مصدر
والقول حاصل الفرق بين السوء بالضم والفتح انه بالضم يراد منه شي واحد

وهو الشر واما بالفتح فانه نعت لما يضاف اليه وان جا على صورة التركيب
الاضافي فانه يلاحظ ان المضاف اليه نعت للمضاف كقولك زيد رجل
سوء بفتح السين وامراة سوء وفي الحديث سَوْآء وَلُودٌ خيرٌ من حسناءَ
عقيم واما الدائرة فقد قال الازهري معناها الدولة تدور الاعداء
المسلمين عليهم قال ابن عرفة دائرة اي حادثة من حوادث الدهر
وتطلق الدائرة على الموت وجملة قوله عز وجل عليهم دائرة دعا على
الكفار بالهلاك ودعا عليهم بغضب الله قال ابن عرفة الغضب
من المخلوق شيء يداخل قلوبهم ويكون منه محمود ومذموم والمذموم
ما كان في غير الحق واما غضب الله عز وجل فهو انكاره على من عصاه
فيعاقبه فكل من اللعن والغضب يفيد معنى لا يفيده الاخر ثم ان
الله عز وجل اخبر عنهم بانه تعالى اعد لهم جهنم اي هياها لهم فقوله
عليهم دائرة السوء بيان لما استحقوه في الدنيا ثم انه تعالى عطف عليه
ما استحقوه في الاخرة فان قلت كان ينبغي في الاخيرين اعني قوله
ولعنهم واعد لهم الى اخره ان يعبر فيهما بالفا المشعرة بسببية ما
قبلها لها فانه لا سبب للعنهم وابعادهم عن حضرة الرب الا غضب الله
عز وجل عليهم فلم لم يات بها قلت للايذان باستقلال كل منهما في الوعيد
واصالته من غير اعتبار اتباع بعضها لبعض ثم قال تعالى في شان جهنم
وساءت مصيرا فساءت فعل من افعال الذم لا بد لها من فاعل وهو
هنا ضمير مستتر وقد فسر ذلك الفاعل بتمييز وهو قوله مصيرا وكونه

تمييزا

تمييزا هو قول سيبويه وغيره من البصريين والفرا من الكوفيين وذهب
الكسائي الى انه حال فان قلت لم ذكر قوله عز وجل ولله جنود السموات
والارض في اية الفتح والسكينة ثم ذكرها مرة ثانية في اية تعذيب
المنافقين والمنافقات ولم ختم الاولى بقوله وكان الله عليما حكيما
والثانية بقوله وكان الله عزيزا حكيما قلت اما الاعادة فلان جنود
الله قسمان اما جنود رحمة واما جنود عذاب فالفتح الذي حصل
للنبي صلى الله عليه وسلم بحسب الظاهر بجنوده الذين هم جنود الرحمة
وفي الحقيقة هولاء الجنود ملك لله عز وجل قلوبهم ونياتهم واسرارهم
وطوياتهم وقواهم وانما ختمها بقوله وكان الله عليما حكيما للاشارة
الى ان الفتح انما حصل بهذا الصلح ولم يحصل بالقتال والسفك
ودخول مكة عنوة بوطء اهلها والنزول بساحتهم على طريق القهر
وانما حصل بطريق المهادنة ورفع القتال لحكمة علمها الله عز وجل
واستاثر بعلمها ثم ظهرت اثارها وظهر غبارها وهي ان اهل مكة
وساير قبايل العرب كانوا قد باينوا النبي صلى الله عليه وسلم والمومنين
بسبب الحروب التي جرت بين الفريقين ولم يحصل للكفار تمكن من
الاجتماع التام بالنبي صلى الله عليه وسلم ورويته اياته ومحاسن سيرته
واخلاقه وظهور خوارقه ومعجزاته وهو صلى الله عليه وسلم في كل يوم
بل في كل وقت يظهر من اياته ما يبهر العقول ويحير الالباب
فاظهر الله عز وجل الامر بهذا الصلح حتى صار الفريقان على ان يجتمع

قوله وقواهم كذا هو بخط المصنف
وجعله بعض الناظرين فغيره
الى شواهم والله اعلم

بعضهم ببعض فجنحت قلوب الكفار الى الايمان وغلب على قلوبهم تصديق
النبي صلى الله عليه وسلم فما مضت على ذلك سنة الا وغالب العرب امنوا
ظاهرا وباطنا فكان هذا الصلح في الحقيقة جرى بامر العليم الحكيم
عز وجل واما حكمة تعذيب المنافقين والمشركين بذلك فلانه
يدفع بذلك توهمهم واستبعادهم التعذيب وقولهم اذ اي عسكر
يغلبنا في الدنيا فاشار الله عز وجل الى دفعه بقوله ولله جنود
السموات اي جنود العذاب ثم ختمها بقوله وكان الله عزيزا حكيما فان
العزيز معناه الغالب يقال عزه يعزه عزا اذا غلبه ومنه اذا عز
اخوك فهن اي اذا غلبك ولم تقاومه فلن له والحكيم معناه الحاكم
وهو القاضي والحكيم فعيل بمعنى فاعل او هو الذي يحكم الاشياء
ويتقنها فهو فعيل بمعنى فاعل ايضا وقيل الحكيم ذو الحكمة والحكمة
عبارة عن معرفة افضل الاشياء بافضل العلوم ويقال لمن يحسن
دقائق الصناعات ويتقنها حكيم ودخول هولاء الى جهنم هو الذي
عبر عنه المصنف بقوله وسوء منقلبهم اي وشر منصرفهم من الدنيا
فانهم ينصرفون والعياذ بالله عز وجل من هذه الدار الى جهنم وساءت
مصيرا ثم قال انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الاية اي اقرا
الاية لتتمة وهي قوله بعد ذلك ليومنوا بالله ورسوله ويعزروه ويوقروه
ويسبحوه بكرة واصيلا وهذه الجملة في عد الايات آيتان ولكن لما كانت
الاية الثانية مرتبطة بالاولى من حيث المعنى عدهما اية واحدة

ووجود

ووجود الارتباط المعنوي لا ينافي التعدد في الايات فعدد محاسنه
وخصائصه من شهادته على امته لنفسه بتبليغه الرسالة لهم من هنا
بيانية بناء على ان الاضافة في قوله محاسنه وخصائصه للعهد اي
خصائصه المعهودة ومحاسنه المعهودة وليس المراد بها العموم
اي كل محاسنه وكل خصائصه ويكون قوله ومبشرا خبر كونه المحذوف
والتقدير وكونه مبشرا او كونه منذرا او هو معطوف على شهادته وجعله
لابتداء الغاية في هذا المقام بعيد وما قاله المصنف مبني على ان
على في قوله تعالى وجئنا بك على هولاء شهيدا على بابها وانها جي بها
لتعدية مادة الشهادة وان امته مشهود عليهم يوم القيمة اي ان
امته يشهدون لجميع الانبيا بالتبليغ واما هو فانه يشهد لنفسه
على امته بانه بلغهم الرسالة لكن هذه الشهادة على من كذبه من امة
الدعوة واما امة الاجابة فلا يحتاجون الى من يشهد عليهم لانهم
معترفون بانه صلى الله عليه وسلم بلغ ما انزل اليه من ربه ولهذا قال بعض
المفسرين ان هولاء في قوله عز وجل وجئنا بك على هولاء شهيدا راجع الى
كفار قريش وغيرهم من الكفار وانما خص كفار قريش بالذكر لان
العذاب اشد عليهم منه على غيرهم لعنادهم عند رؤية المعجزات وما
اظهره الله عز وجل على يديه من خوارق العادات وهذه خاصة
عظيمة للنبي صلى الله عليه وسلم انه يدعي ويشهد لنفسه على منكر دعواه
وهذا امر اختص به في الدنيا فقد عدوا من خصائصه انه يدعي

ويشهد لنفسه ولولده ويشهد على خصمه ولا يكون في ذلك كغيره
لعصمته هذا في الدنيا اذ كان حيا حيوة دنيوية فكيف في الاخرة
وهي دار لا يجري فيها الا الحق الصرف وقيل ان شهادته لامته
بالعدالة لا عليهم وحينئذ يستشكل تعدية الشهادة بعلى في قوله
وجئنا بك على هؤلاء شهيدا اذ كان الظاهر ان يقول لهؤلاء لان شهادة
النبي صلى الله عليه وسلم لهم لا عليهم ودفع البيضاوي الاشكال بانه لما
كان الرسول صلى الله عليه وسلم كالرقيب والمهيمن على امته عدي بعلى ثم
قال وقدمت الصلة للدلالة على اختصاصهم بكون الرسول شهيدا
فان قلت ما الحامل لهذا القائل على ارتكاب هذه التعسفات ولم
لم يجعل تعدية الشهادة بعلى على بابها ويكون الرسول صلى الله عليه
وسلم شهيدا على امته بالتبليغ او على امته بتصديقهم
وتكذيبهم وبجناياتهم وصلاحهم وقد روى ابن المبارك رضي الله عنه
بسنده الى سعيد بن المسيب قال ليس من يوم الا يعرض على
النبي صلى الله عليه وسلم امته غدوة وعشية فيعرفهم بسيماهم واعمالهم
فلذلك يشهد عليهم فما الحامل لهذا القائل على ان لا يجعل على على بابها
وهلا جعل امته مشهودا عليهم بمقتضى هذه المقالات لا مشهودا
لهم ويرتكب التجوز في التعدية قلت الحامل له على ذلك موافقة
ما جاء في حديث الصحيحين الذي بلغ اقصى الغاية في الصحة ففيهما
واللفظ للبخاري بسنده الى ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعى نوح عليه الصلوة والسلام يوم القيمة
فيقول لبيك وسعديك يا رب فيقول هل بلغت فيقول نعم فيقال لامته
هل بلغكم فيقولون ما اتانا من نذير فيقول من يشهد لك فيقول
محمد صلى الله عليه وسلم وامته فتشهدون انه قد بلغ ويكون الرسول
عليكم شهيدا فذلك قوله عز وجل وكذلك جعلناكم امة وسطا
لتكونوا شهداء على الناس وقيل شاهدا لهم اي لامته بالتوحيد
وتكون هذه الشاهدية غير الشاهدية التي استفدناها من قوله
عز وجل ويكون الرسول عليكم شهيدا لان تلك شهادة عليهم وهذه
شهادة لهم وقوله تعالى شاهدا وما عطف عليه احوال مقدرة ومبشرا
لامته بالثواب البشارة هي الخبر السار فانه يظهر اثر السرور في
البشرة ولذلك قال الفقهاء هي الخبر الاول حتى لو قال الرجل لعبيده
من بشرني بقدوم ولدي فهو حر فاخبروه فرادى عتق اولهم
ولو قال من اخبرني عتقوا جميعا قال القاضي واما قوله تعالى
فبشرهم بعذاب اليم فعلى التهكم او على طريقة قوله
تحية بينهم ضرب وجيع ه واقول الفرق بين الوجهين ان البشارة
في الاول استعملت في ضدها فكانه عد الانذار فردا من افراد
البشارة التي هي ضده تهكما بهم وعلى الوجه الثاني يكون من باب
التعريض حيث كان اللائق بهم ان يكتسبوا ما يوجب البشارة
فاتى بفعل البشارة ثم اتى بعدها بما يقتضي الانذار لا التبشير

البشارة

مصراع من الوافر

فيكون تعريضا لهم وبذمهم حيث تركوا ما يوجب البشارة الى ما يوجب
الانذار كان الاخوان ينبغي ان يكون بينهم اذا تلاقوا التحية والسلام
واما هولاء فانهم تركوا ما هو اللائق واتوا بدله بالضرب الوجيع فقد
ارتكبوا بذلك ما ليس لائقا واعرضوا عما هو بهم لائق وقوله بالثواب
الثواب ما جوزي به الانسان على قوله من خير او شر يقال ثاب يثوب
اذا رجع فالثواب هو ما يرجع على المحسن من احسانه وعلى المسيء
من اساته وقيل بالمغفرة اي الستر للذنوب والغفار من اسماء الله
عز وجل معناه الستار لذنوب عباده وعيوبهم اخذا من الغفر
وهو الستر وفي حديث عمر رضي الله عنه انه لما حصب المسجد قال
لرجل لم فعلت هذا قال هو اغفر للنجاسة اي استر لها واصل الغفر
التغطية وبه سمي المغفر والغفارة وهما وقاية الراس ومنذرا عدوه
بالعذاب الانذار الاعلام بالشي الذي يحذر منه وكل منذر معلم وليس
كل معلم منذرا ومنه قوله عز وجل وانذرهم يوم الحسرة اي حذرهم
وحينئذ يصح ان يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم منذر لكل احد لانه
كما يحذر الكافر يحذر المومن من ان يرتكب ما لا يليق ويكون قوله
للعالمين نذيرا شاملا للمومن والكافر اي نذيرا لكل احد ممن بعث
اليهم محذرا لهم من عذاب الله عز وجل ان ارتكبوا ما نهى الله عز وجل
عنه ومبشرا لهم كلهم برحمة من الله عز وجل ان تلبسوا بما يرضيه
سبحانه وقد اجاب بعضهم عن اقتصار الله عز وجل في الاية على

وصف

وصف النذارة ولم يتعرض للبشارة بان السورة منساقة على
احوال الكفرة وفيه نظر فانها منساقة على احوال الفريقين وكيف
لا وقد ذكر فيها وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا
الى ان قال اولئك يجزون الغرفة بما صبروا وقيل محذرا من الضلالة
هي في الاصل سلوك غير سبيل القصد يقال ضل عن الطريق واضل الشي
اذا اضاعه واما الضلال في الشريعة فهو على الاطلاق الضلال عن امر
الله عز وجل والضال على ضربين احدهما السالك في سبيل الضلالة
عامدا كما في قوله عز وجل واما ان كان من المكذبين الضالين والاخر
الضال السالك غير القصد على غير تعمد ومنه قول موسى عليه السلام فعلتها
اذا وانا من الضالين اي من المخطيين اي اردت شيا فجزت الى
غيره وضللت عنه فهذه الثانية ليست قصدا انما هو سلوك غير القصد
على غير عناد وتحذير النبي صلى الله عليه وسلم من الضلال مطلقا سواء
كانت عن قصد ام لا ليومن بالله ثم به اي بالنبي صلى الله عليه وسلم
انما اتي بثم للدلالة على ان الانسان يجب عليه اولا ان يومن بالله ثم
يومن برسوله صلى الله عليه وسلم وايمانه برسوله صلى الله عليه وسلم متراخ عن
ايمانه بالله عز وجل فان قلت ينبغي ان يكون الايمان برسول الله صلى
الله عليه وسلم مقدما على الايمان بالله عز وجل لان معرفة الله من غير
طريق الرسل ضلالة فلا يومن بالله عز وجل ايمانا مرضيا الا من امن
~~برسول الله صلى الله عليه وسلم مقدما على الايمان بالله عز وجل لان معرفة~~

بيت في سورة الشعراء

مبحث
الايمان بالله عز وجل
سابق على الايمان برسوله
صلى الله عليه وسلم

اولا فلذلك لم يبعث من الرسل الا انهم يقولون لمن ارسلوا اليه اننا اولا
نرشدك الى معرفة ربنا الذي ارسلنا بان نخبرك عنه بما لا يمكنك
انكاره وهو احتياجك الى الصانع فاطر حكيم اذ كنت تعرف ضرورة
انك لم تكن فكنت وما كنت بنفسك بل بكون كونك وهو غيرك فاول
دعوة الرسل عليهم السلام انما هي الحجج المفحمة على خصامهم بتوحيد الله
عز وجل ثم انه يتحدى بالرسالة عنه تعالى ثانيا فان اردت تحقيق ذلك
فانظر الى شيوخ الذين تحققت رسالتهم في نفسها وتصدوا الدعوة
الناس الى وحدانية الله عز وجل لا تخلو نفس دعوته عن الدلالة
على التوحيد اولا ثم يتحدى بالرسالة عنه ثانيا فاعتبر حال جميع الانبيا
تجده كذلك فادم ثبت صدقه باخبار الله عز وجل ملائكته اني جاعل
في الارض خليفة ولم يكن ثم مشرك ليدعوه الى توحيده وحين
امروا بالطاعة فمن صدق الله عز وجل في خبره سجد له بامره ومن لم
يسجد فلانه لم يصدق فاستحق اللعنة وهو اول من كفر واما نوح
عليه الصلوة والسلام فاول كلامه مع قومه ان اعبدوا الله ما لكم من اله
غيره فاثبت التوحيد ثم النبوة فقال او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على
رجل منكم لينذركم واما هود عليه الصلوة والسلام بعده فقال يا
قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ثم قال ولكني رسول من رب
العالمين اثبت التوحيد ثم النبوة واما صالح عليه الصلوة والسلام
فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ثم قال قد جاءتكم بينة من ربكم

واما

واما لوط عليه الصلوة والسلام فكان يدعو الناس بدعوة الخليل ابرهيم
عليه الصلوة والسلام وما جرى بينه وبين قومه من عبدة الاصنام
من اظهر ما يتصور فقال اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون
وقال لابيه آزر اتتخذ اصناما الهة يا ابت لم تعبد ما لا يسمع
ولا يبصر ثم اثبت رسالته فقال يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم
يأتك فاتبعني اهدك صراطا سويا وكذلك موسى عليه الصلوة والسلام
قال رب السموات والارض في جواب من ربكما قال ربنا الذي اعطى
كل شيء خلقه ثم هدى ثم قال بعدما قرر التوحيد اني رسول من رب
العالمين فمن كان منكر التوحيد وجبت البداية معه في اثبات
التوحيد ومن كان مقرا به وجبت البداية معه باثبات النبوة كحال
عيسى عليه الصلوة والسلام مع بني اسرائيل اذ قال قد جئتكم ببينة
من ربكم الاية ولما كانت دعوة سيد البشر صلوات الله عليه
وسلامه اكمل ورسالته ارفع واجل كان يبتدى تارة مع
عبدة الاصنام باثبات التوحيد ثم بالنبوة كما قال الله عز وجل
يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم ثم قال بعد ذلك وان كنتم
في ريب مما نزلنا على عبدنا وربما كان يبتدى بدعوى الرسالة
لكنه يضمنها حقائق التوحيد كقوله قل يا ايها الناس اني رسول
الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت
حتى كانت الاية بعذوبة الفاظها ورطوبة عباراتها الخارجة عن نظم

الشعراء ونثر الفصحاء الخارقة لعاداتهم الجارية وعباراتهم الفائقة اوضح دلالة
على رسالته وصدق لهجته وكانت بمعانيها الحقيقية وحقائقها المعنوية
دالة على التوحيد فهذا يدل على ان الايمان بالتوحيد هو الواجب اولا ثم
الايمان بالرسالة **من سبقت له من الله الحسنى** اي الذين سبق لهم في
علم الله عز وجل وتقديره الحسنى والحسنى السعادة او الجنة وهذا
بيان من المصنف لقوله عز وجل ليومنوا بالله ورسوله ولهذا اعتبرنا
معنى من جمعا ليطابق المفسر وهو قوله ليومنوا وكلام المصنف يشير
الى ترجيح قراءة ليومنوا بالغيبة على قراءة لتومنوا بالخطاب واشار
الى ان ارسال النبي صلى الله عليه وسلم شاهدا ومبشرا ونذيرا يترتب عليه
ايمان كل من آمن بالله ثم برسوله صلى الله عليه وسلم ولا يختص بقوم دون
قوم واما ما روي ان عليا رضي الله عنه خطب يوما فقرا قوله عز وجل ان
الذين سبقت لهم منا الحسنى ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمن
وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة
ابن الجراح رضي الله عنهم جميعا ثم اقيمت الصلوة فقام يجر رداءه
ويقول لا يسمعون حسيسها فانه ليس بنص ولا ظاهر في كون
الموصول عبارة عن طائفة مخصوصة كيف وقد قال رضي الله عنه انا
منهم وعبارة المصنف صريحة في ان كل من امن بالله ورسوله فقد
سبقت له من الله عز وجل الحسنى جعلنا الله عز وجل منهم بمنه وكرمه
وانما اختار المصنف قراءة الغيبة على الخطاب مع ان القارئ بالغيبة

ابن كثير

ابن كثير وابو عمرو والباقون يقرون بالتاء على الخطاب تابعا في اختيارها
ابا عبيد لانها جارية على سنن ما سبق وما ياتي فان الله عز وجل ذكر
المومنين بالاسم الظاهر الذي هو غايب اولا وثانيا اما اولا ففي قوله
عز وجل ليدخل المومنين والمومنات واما ثانيا ففي قوله ان الذين
يبايعونك واما قراءة الخطاب فقد اختارها ابو حاتم والمصنف لم
يعول عليها في تبيين معنى الاية مع انها قراءة الاكثرين من السبعة
قيل لانها مفتقرة الى تنزيل خطابه صلى الله عليه وسلم منزلة خطاب
المومنين او الى القول بانهم عدوا حضورا معه فخوطب ثم صرف
الخطاب اليهم او بان فيها التفاتا على راي السكاكي وان كان من طرق
البلاغة عنده بخلاف الاولى فانها غنية عن ذلك فلذا اشار
المصنف الى اختيارها كما اختارها الجعبري لجري الكلام على سنن واحد
واقول احسن ما قيل في توجيه قراءة الخطاب اذ ورد بصيغة خطاب
الجماعة مع ان المخاطب في صدر الاية النبي صلى الله عليه وسلم وحده انه من
قبيل خطاب الشخص ثم العدول الى غيره وهذا واقع في القران ومداره
على صلاحية المخاطب ومن البين ان قوله عز وجل انا ارسلناك لا يصلح
لان يكون مخاطبا به الا النبي صلى الله عليه وسلم واما قوله لتومنوا وما
عطف عليه فينبغي ان يكون المخاطب به غير النبي صلى الله عليه وسلم ولا
ينبغي ان يخاطب به النبي صلى الله عليه وسلم فان الله عز وجل لم يرسل
النبي صلى الله عليه وسلم ليومن بالله الاخر فان ذلك كان ثابتا له قبل ارساله

وأما المخاطب به القوم الذين ارسل اليهم صلى الله عليه وسلم فهو على حد قوله
فان لم يستجيبوا لكم فانه خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال للكفار
فاعلموا انما انزل بعلم الله بدليل فهل انتم مسلمون واما القول بانه نزل
خطابه صلى الله عليه وسلم منزلة خطاب المومنين فيكون المخاطب بهذا
الخطاب النبي صلى الله عليه وسلم بعبارة خطاب المومنين ففيه نظر فانه
يبعد ان يراد بهذا الخطاب النبي صلى الله عليه وسلم كما لا يخفى نعم يمكن ان يقال
ان فيه التفاتا لكن ليس على راي السكاكي وحده بل على راي الكل فان
الالتفات عند الجمهور نقل الكلام من اسلوب الى اخر وعند السكاكي هو
اما ذلك واما التعبير باسلوب في ما حقه التعبير باخر وههنا قد عبر عن
الذين خوطبوا بالايمان بصيغة الغيبة لانه ذكر في صدر السورة الى
هنا المومنين والمومنات والمشركين والمشركات والمنافقين وكل
هولاء ذكروا بلفظ الغيبة لانه عبر عنهم بالاسم المظهر وهو غائب ثم
خوطبوا بقوله لتومنوا الى اخره والعجب انه من جعل هذا الالتفات على
راي السكاكي هو القائل بان في قراءة ليومنوا بالغيبة جرى الكلام على سنن
واحد وهو يقتضي ان في الخطاب مخالفة السنن والالتفات عند
الجمهور هو مخالفة السنن السابق **ويعزروه اي يجلونه** اي بالنون
المقتضية لكون الفعل مجردا عن الناصب والجازم مع انه تفسير لما
هو منصوب لكن المصنف لاحظ انه خبر مبتدا محذوف ووقعت الجملة
مفسرة لما وقع في الاية والتقدير اي هم يجلونه اي يعظمونه قال الزجاج

العزر

العزر في اللغة المنع وتاويل عزرت فلانا اي ادبته فعلت به ما يردعه
عن القبيح كما تقول نكلت به اي فعلت به ما يجب ان ينكل معه عن
المعاودة قال قتادة قوله عزرتموهم اي نصرتموهم بان تردوا عنهم
اعداءهم قال ونصرة الانبياء عليهم السلام هي المدافعة عنهم والذب عن
دينهم وتوقيرهم وتعظيمهم وقال غيره تعزروه تنصروه مرة بعد اخرى
وقيل تنصروه بالسيف ولذلك سمي الضرب دون الحد التعزير وانما
هو منع الجاني ان يعاود يقال عزرته وعزرته وانشد للقطامي
الا بكرت سلمى بغير سفاهة   تعنفني والمرء ينفعه العزر
وقد قال ورقة بن نوفل في حديث المبعث ان بعث وانا حي
فسأعزره وانصره قال في النهاية التعزير هنا الاعانة والتوقير
والنصر مرة بعد مرة **وقيل** معنى تعزروه **تنصرونه وقيل تبالغون**
في تعظيمه قال ابو ابرهيم التجيبي واجب على كل مومن متى ذكر
النبي صلى الله عليه وسلم او ذكر عنده ان يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن
من حركته ويأخذ في هيبته واجلاله بما كان ياخذ به نفسه
لو كان بين يديه ويتادب بما ادبنا الله عز وجل به **ويوقروه اي**
يعظموه فان قلت قد سبق ما يدل على تعظيمه فما وجه اعادة
ذلك قلت المراد فيما سبق تعظيمه بما يدل على عظمة شانه من
حيث الافعال   وهذا من حيث الاعتقاد
اي اعتقدوا فيه انه ذو قدر فخيم اي لا يكون كتعظيم الناس ملوكهم

فانه تعظيم ظاهري بل يكون ظاهريا باطنيا قلبيا سريا روحيا وقرا
بعضهم تعززوه بزايين من العز وهو القوة يقال عز الشي يعز عزا
اذا صار عزيزا لا يوجد فكانه اشتد وجوده وعز الشي يعز اذا
اشتد يقال يعز علي ان اراك بحال سيئة اي يشتد ويقال للعليل
اذا اشتدت به العلة قد استعز به المرض وفي الحديث فاستعز
برسول الله صلى الله عليه وسلم اي اشتد به المرض واشرف على الموت
وفلان معزار المرض اي شديده وقوله عز وجل فعززنا بثالث
اي قويناهم به والاظهر والاكثر ان هذا اي الحث على التعزير والتوقير
في حق محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال وتسبحوه فهذا الضمير راجع الى الله
عز وجل قد اختلفت مقالة المفسرين في مرجع هذه الضماير الثلاثة
الواقعة مفعولات لهذه الافعال فمنهم من قال ان ضميري
تعزروه وتوقروه راجعان الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال المصنف
انه الاظهر وعليه الاكثر من العلماء وانما كان اظهر لان فيه عود الضمير
الى اقرب مذكور وهو رسوله الواقع في قوله عز وجل لتومنوا بالله
ورسوله وايضا من حيث المعنى هو الاليق لان تعظيم الله عز وجل
وتوقيره وتعزيره امور تليق بجلال الله عز وجل لذاته ولا تكون
مرتبة على ارسال النبي صلى الله عليه وسلم وانما الذي ترتب على ارساله
صلى الله عليه وسلم تعزير امته له وتعظيمهم اياه وتوقيرهم له وانما حث
على ذلك لانه في الظاهر انسان فينبغي للمومنين به بل يتعين عليهم

ان

ان يخرجوه في الاجلال عن ان يعد كبا في افراد الانسان وان يعتقدوا
فيه من الكمالات ما لا يوجد في احد من خلق الله عز وجل

ابيات من بردة المدح من البسيط ﻫ

دع ما ادعته النصارى في نبيهم • واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم •
وانسب الى ذاته ما شئت من شرف • وانسب الى قدره ما شئت من عظم •
فان فضل رسول الله ليس له • حد فيعرب عنه ناطق بفم •

واما الله عز وجل فان كماله الذاتي مسلم عند كل احد فلا يحتاج الى ان
يحث على اجلاله على انه مع ذلك يكون مطابقا لقوله عز وجل فالذين
امنوا به وعزروه ونصروه فانها ضماير عائدة الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليس الا واما ضمير يسبحوه فانه عائد الى الله عز وجل ليس الا
اذ لا يليق ان يسبح غيره قيل ولهذا اختار بعضهم الوقف على قوله
توقروه ليقع الفصل بين الضمير الراجع الى النبي صلى الله عليه وسلم
والضمير الراجع الى الله عز وجل وجعله بعضهم وقفا تاما وفيه نظر لانه
معطوف على يومنوا وكيف يكون وقفا تاما وهو مرتبط بما قبله
ارتباط المعطوف بالمعطوف عليه ولو كان ابتدا الكلام لقال ويسبحونه
بنون اذ لا مقتضي حينئذ لحذف النون فان قلت يلزم على هذا

بحث حسن في تشتيت الضماير ﻫ

تشتيت الضماير وقد قال صاحب الكشاف ان من فرق الضماير
اي جعل بعضها عائدا الى النبي صلى الله عليه وسلم وبعضها الى الله عز وجل
فقد ابعد وقد راينا الزمخشري في كشافه نافرا عن تشتيت الضماير
في كثير من الايات فقال في تجويز بعضهم في قوله عز وجل ان اقذفيه في

التابوت فاقذفيه في اليم ان الضمير الثاني للتابوت والاول لموسى
عليه الصلوة والسلام فعابه الزمخشري وجعله تنافرا مخرجا للقران عن
اعجازه فقال والضماير كلها راجعة لموسى عليه الصلوة والسلام
ورجوع بعضها اليه وبعضها الى التابوت فيه هجنة لما يودي اليه من
تنافر النظم الذي هو ام اعجاز القران ومراعاته اهم ما يجب على
المفسر قلت لهذا القائل ان يقول ان تشتيت الضماير لاضير فيه
اذا امن الالتباس فقد وقع ذلك في قوله عز وجل ولا تستفت فيهم
منهم فان ضمير فيهم راجع الى اصحاب الكهف وضمير منهم الى اليهود
قاله ثعلب والمبرد وفي قوله عز وجل سيء بهم وضاق بهم ذرعا
قال ابن عباس رضي الله عنهما ساء بقومه ظنا وضاق ذرعا باضيافه
وقوله عز وجل الا تنصروه الاية فيها اثنا عشر ضميرا كلها للنبي صلى الله
عليه وسلم الا ضمير انزل سكينته عليه قال صاحبه نقله السهيلي عن
الاكثرين لانه صلى الله عليه وسلم لم تزل عليه السكينة ومنهم من قال ان
الضماير كلها راجعة الى الله عز وجل وعلى هذا متاخروا المفسرين
كالزمخشري والبيضاوي فعلى هذا تاويل تعزروه وتوقروه تثبتوا
له الربوبية وتنفوا عنه ان يكون له عز وجل ولد او شريك وقد
اختار هذا القول القشيري رحمه الله تعالى وقال بعضهم تعزروه
تقووه بتقوية دينه ورسوله صلى الله عليه وسلم واما تسبحوه فقيل
معناه تنزهوه عما لا يليق بجلاله واصل التسبيح التقديس

والتنزيه

والتنزيه من النقائص وقيل تسبحوه تصلوا له فقد يطلق التسبيح على
صلوة التطوع والنافلة فيقال لها سبحة يقال قضيت سبحتي
والسبحة من التسبيح كالسخرة من التسخير وانما خصت النافلة
بالسبحة وان شاركتها الفريضة في معنى التسبيح لان التسبيحات
في الفرائض نوافل فقيل لصلوة النافلة سبحة لانها نافلة
كالتسبيحات والاذكار في انها غير واجبة وفي الحديث اجعلوا صلاتكم
معهم سبحة وقوله بكرة واصيلا في القاموس البكرة بالضم الغدوة
كالبكرة محركة واسمها الابكار والغدوة بالضم ما بين صلوة الغداة
وطلوع الشمس والاصيل ما بين العصر الى المغرب يقال اصيل واصل
واصال واصائل قيل المراد بصلوة البكرة الفجر وبصلوة الاصيل
المغرب والعشا وانما خص هذه الثلاثة بالذكر لانها احق بالتحريض
عليها لاتصالها باطراف النهار وقال قتادة والطبري الاشارة الى
صلوة الغداة وصلوة العصر وانما خصهما بالذكر لمزيد شرفهما وعلو
مقامهما وقيل ان هذا كناية عن التسبيح دائما بحيث لا يترك
التسبيح والمراد به الكلمات المشعرة بالتنزيه يقولهن الطاهر
والمحدث والجنب قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يذكر الله عز وجل في كل احيانه قال ابن عطا هو ابو العباس
احمد بن محمد بن سهل بن عطا الادمي من ظراف مشايخ الصوفية وعلمائهم له
لسان في فهم القران يختص به صحب الجنيد بن محمد وابرهيم المارستا

ني

ترجمة ابن عطاء ره تعرفتها بابسط من هذا

ومن فوقهم من المشايخ وكان ابو سعيد الخراز يعظم شانه قال الخراز
ما رايت من اهل التصوف الا الجنيد وابن عطا مات سنة تسع او احدى عشرة
وثلثمائة **جمع للنبي صلى الله عليه وسلم في هذه السورة نعم مختلفة من الفتح**
المبين وهو اي الفتح المبين من اعلام الاجابة جمع عَلَم بحركتين وهو
السمة والعلامة اي ان الفتح الذي حصل للنبي صلى الله عليه وسلم سمة وعلامة على
استجابة دعائه الذي دعا الله عز وجل به حين خرج من مكة وذلك ان الله عز
وجل امره ان يدعوه حينئذ بقوله وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني
مخرج صدق فمدخل الصدق هو موضع الامن وهو المدينة فاخرجه من
مكة وصيره الى المدينة وهذا المعنى رواه الترمذي عن ابن عباس رضي الله
عنهما قال كان النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ثم امر بالهجرة فنزلت وقل رب
ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا
نصيرا وقال هذا حديث حسن صحيح ثم استجيب دعاؤه اذ قال واجعل
لي من لدنك سلطانا نصيرا وهو الفتح والعز والنصر واظهار دينه على الدين
كله ولما دعا بهذا الدعاء وعده الله عز وجل بنزع ملك فارس والروم
وغيرهما وجعله له صلى الله عليه وسلم واما تبيين ذلك بما ورد عن اليهود
انهم شمتوا بالنبي صلى الله عليه وسلم حين نزل لا ادري ما يفعل بي ولا بكم
فيمكن ان يكون دعا الله عز وجل فهو تبيين لما صار لانه لم يثبت انه دعا
وهذا الحديث غير معروف الصحة عندهم فبيانه بما ذكرنا هو المتعين
والمغفرة وهي من اعلام المحبة اي من علامات ان الله عز وجل يحبه

لان

لان ذنب المحبوب مغفور ولهذا لما قالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله
واحباؤه رد عليهم بقوله فلم يعذبكم بذنوبكم ولا يغفرها لكم ولو انكم كنتم احباءه
لما عذبكم بذنوبكم فلم يكونوا يخلون من احد وجهين اما ان يقولوا هو عز
وجل يعذبنا حسبما نطقت به كتبهم المنزلة عليهم فيقال لهم فقد سلمتم
انكم لستم ابناءه ولا احباءه فان الحبيب لا يعذب حبيبه وانتم تقرون
بعذابه فذلك دليل على كذبكم وهذا هو المسمى عند الجدليين ببرهان الخلف
وتمام النعمة وهي اي هذه النعمة التي هي تمام النعمة **من اعلام الاختصاص**
اي ان الله عز وجل اختصه من بين سائر المخلوقات بهذه المنقبة
التي هي تمام النعمة فان الله لم يتم نعمته على نبي الا على محمد صلى الله عليه وسلم
فان الله عز وجل بشره بانه هو وامته يسبقون الى دخول الجنة وان الله
عز وجل لا يبقي احدا من امته في النار ويشهد لاختصاصه بهذه
النعمة ما ورد في الصحيحين بسندهما الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه
ان رجلا من اليهود قال له يا امير المومنين آية في كتابكم تقرؤنها لو علينا
معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال اي اية قال اليوم
اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا قال
فقال عمر رضي الله عنه اني لاعلم حيث انزلت واين انزلت واين رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين انزلت يوم عرفة وانا والله بعرفة قال سفيان واشك
كان يوم الجمعة ام لا اليوم اكملت لكم دينكم الاية ولم يتخذ ذلك اليوم عيدا الا
للنعمة التي تضمنتها الاية وهي اكمال الدين واتمام النعمة **والهداية وهي من**

محل تأمل

اعلام الولاية وهي ولاية الاختصاص والاصطفا والاصطناع وصاحب
هذا المقام محفوظ ان لم يكن معه نبوة ومعصوم ان كان معه نبوة مسلوب
عن النظر الى الخلق بحظ ولا يفتنونه وهي المشار اليها بقوله عز وجل
يختص برحمته من يشا وقوله ان الله اصطفى وقوله اني اصطفيتك على
الناس وقوله ولتصنع على عيني وبهذه الولاية التي قارنت نبوته
صلى الله عليه وسلم قال صلى الله عليه وسلم ان حكمه حكم الله وطاعته طاعة
الله عز وجل وكان له ان يشرع لان الله سبحانه فوض اليه التشريع على
راى كثير من ايمة الاصول يدل عليه قوله لابي بردة بن نيار في عناقة تجزيك
ولا تجزي احدا بعدك وتخصيصه الاعرابي الذي واقع اهله في نهار
رمضان بقوله كله واطعمه عيالك وروي انه قال لم بعد ذلك يجزيك
ولا تجزي احدا بعدك الى غير ذلك من الوقائع الدالة على انه كان له التشريع
بحكم التفويض اليه ولا يصل العبد الى هذا المقام الا بعد ان يفنى عنه
صفات البشرية ويبقى له صفات الربوبية لتحققه بمقام قرب
النوافل الذي قال الله عز وجل في حقه وما يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل
حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به
ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها الحديث رواه البخاري فهداية
الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم الى الصراط دليل واي دليل على ان الله
عز وجل تفضل عليه بالولاية الاختصاصية وهي لا تفارق النبوة
الا ان الله عز وجل جاد على نبينا صلى الله عليه وسلم بالحظ الاوفر منها كما هو

محقق

محقق عند ارباب القلوب والبصاير المشرقة والمغفرة تبرئته من العيوب
اي معافاة منها يقال برأت من المرض ابرأ بالفتح فانا باري ومغفرة
الله عز وجل لعباده معناها ستر ذنوبهم وعيوبهم واصل الغفر التغطية
وبه سمي المغفر والغفارة وهي وقاية الراس سمع به المنسلخ قال
الاعشى • والشطبة السودا تطفر بالملاحح ذي الغفارة ه ومنه
المغفرة وهي الباس الله عز وجل الناس الغفر وتمام النعمة ابلاغ الدرجة
الكاملة التي هي السيادة على الانبيا والمرسلين والتجاؤهم اليه في الشفاعة
في يوم لا شان لمخلوق ارفع من شانه ولا مقام لنبي ولا ملك اعلى من
مقامه والهداية وهي الدعوة الى المشاهدة وهي سقوط الحجاب بين العبد
وبين الله عز وجل بتا قال الهروي في منازل السايرين وهي ولاية
العين والذات وهي عند صاحب المنازل اعلى مقاما من المكاشفة
فان المكاشفة بلوغ ما وراء الحجاب وجودا قال بعض شراحه المقصود
بالمكاشفة بلوغ العبد بعون الحق الى مطالعة ما اتصف به الحق من
كمال الصفات والتفضل بانواع المواهب والكرامات عن وجود
وتحقيق بخلاف من حجب عن ذلك ولم يوفق له فان الحجاب يصح في حق
العبد لا في حق المعبود تعالى عن ذلك ثم قال شارحه والفرق بين ولاية
النعت وولاية العين والذات ان النعت صفة ومن شاهد الصفة
فلا بد ان يشاهد متعلقاتها وذكر لذلك امثلة منها ان من شاهد العلم
القديم الازلي متعلقا بساير المتعلقات الواجبات والجايزات والمستحيلات

من الكامل المجزو المرفل ه

شاهد تعلقه بما لا يتناهى من الافعال الممكنات من نعيم اهل الجنة وعذاب
اهل النار وعلى كل حال رتبة هذا دون رتبة المشاهد للذات المصطلم
بالاستغراق في المشاهدة عن الشعور بالصفات وما لها من التعلقات
هذا معنى كلام الشارح المذكور وجعل الامام الغزالي في كتاب الاملاء
على الاحيا المكاشفة اتم من المشاهدة وليس المراد بالمشاهدة ما
جرى له ليلة المعراج بل المراد مشاهدة الاسرار والقلوب التي كان لا
يفارقها في كل شؤونه صلى الله عليه وسلم وقال جعفر بن محمد هو جعفر الصادق
ابن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب من اكابر
علماء اهل البيت وعبادهم لم يزل العلماء يستشهدون بقوله على مقاصدهم
ويستنيرون بضيائه على ما رابهم من كلامه انه قال لسفين الثوري لما قال
سفين لا اقوم حتى تحدثني واما اني احدثك قال وما كثرة الحديث لك بخير
يا سفين اذا انعم الله عز وجل عليك بنعمة فاحببت بقاها ودوامها فاكثر
من الحمد والشكر عليها فان الله عز وجل قال في كتابه لئن شكرتم لازيدنكم
واذا استبطات الرزق فاكثر من الاستغفار فان الله عز وجل قال في كتابه
استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال
وبنين يعني في الدنيا ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا يا سفين اذا
حزبك امر من سلطان او غيره فاكثر من لا حول ولا قوة الا بالله فانها مفتاح الفرج
وكنز من كنوز الجنة فعقد سفين بيده وقال ثلاث واي ثلاث قال
جعفر عقلها والله ابو عبد الله ولينفعنه الله عز وجل بها من تمام نعمته عليه

ان

[حاشية: جعفر الصادق هذه ثالث...]

[حاشية: يطلب]

ان جعله حبيبه دليله احاديث كثيرة منها ما روي في قصة الاسرا في مناجاته
صلى الله عليه وسلم لربه عز وعلا حيث قال له الله عز وجل يا محمد سل
فقال يا رب انك اتخذت ابرهيم عليه السلام خليلا وكلمت موسى عليه السلام
تكليما فقال له تعالى الم اعطك خيرا من هذا الى قوله واتخذتك حبيبا
او ما في معناه رواه البيهقي وهذا يعطي ان درجة المحبة ارفع من درجة
الخلة وسياتي الكلام على ذلك واقسم اي الله عز وجل بحياته فقال تعالى
لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون فقد اقسم في هذه الاية بحيوة محمد صلى الله عليه
وسلم والعمر والعمر واحد فاذا استعمل في القسم فالفتح لا غير ونسخ
به شرائع غيره النسخ لغة يطلق على الازالة كنسخت الشمس الظل اي
ازالته وعلى النقل مع عدم بقا الاول كالمناسخات في المواريث ومنه
قول بعض المبتدعة بالتناسخ في الارواح يزعمون ان الارواح تنتقل
من هيكل الى هيكل وعلى النقل مع بقا الاول فيكون المراد مماثلته
كنسخ الكتاب ومنه قوله تعالى انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون واما في الشرع
فقد اختلف في انه رفع الحكم او بيان لانتهاء امده والمختار الاول لشموله
النسخ قبل التمكن فعلى الاول تعريفه على قول علما الشرع رفع الحكم الشرعي من
حيث تعلقه بالفعل بخطاب والدليل على نسخ شريعة محمد صلى الله عليه وسلم
سائر الشرائع قوله عز وجل هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق
ليظهره على الدين كله اي ليجعله غالبا على جنس الدين بجميع افراده
المتعلقة بنسخ ما كان حقا من بعض الاحكام المتبدلة بتبدل الازمان

والعصور واظهر بطلان ما كان باطلا وقد وقع من ابي مسلم الاصبهاني
المعتزلي انه جعل شريعة محمد صلى الله عليه وسلم مخصصة لسائر الشرائع
وجعلها الجمهور ناسخة قال البرماوي الانصاف ان الخلاف بين
ابي مسلم والجماعة لفظي وذلك ان ابا مسلم يجعل ما كان مُغيّاً في علم الله
عز وجل كما هو مُغيّا في اللفظ ويسمي الجميع تخصيصا ولا فرق عنده
بين ان يقول واتموا الصيام الى الليل وان يقول صوموا مطلقا وعلمه
محيط بانه سيقول لا تصوموا وقت الليل والجماعة يجعلون الاول
تخصيصا والثاني نسخا ولو انكر ابو مسلم النسخ لزمه انكار شريعة
المصطفى صلى الله عليه وسلم وانما يقول كانت شريعة السابقين مغياة
الى بعثته صلى الله عليه وسلم وبهذا يتضح لك ان الخلاف الذي حكاه بعضهم
من ان هذه الشريعة مخصصة للشرائع او ناسخة فهي منتهية الى
مبعث نبينا صلى الله عليه وسلم قطعا لفظي وان ما ادعاه ابن الحاجب
من الاجماع على ان شريعتنا ناسخة فصحيح ولا ينافيه حكاية بعضهم
الخلاف في كونه تخصيصا او نسخا فان الخلاف لفظي كما قررنا فان قلت
لو ان بعض شرعنا وافق شيئا من شرع من سبق فلا يلزم ان يكون ناسخا
قلت هذا تشريع جديد فهو وان وافق الشرع السابق الا ان
تشريع نبينا صلى الله عليه وسلم له غير تشريع من سبق واما اذا لم يرد عن
نبينا صلى الله عليه وسلم تشريع في شي وكان شرع من قبلنا ناصا عليه فهل
يكون شرع من قبلنا شرعا لنا حتى يستدل به في احكام شرعنا اذا لم نجد
دليلا

دليلا يقرره ولا ورد ما ينسخه او ليس بشرع لنا حتى ياتي في شرعنا ما
يقرر ذلك الحكم فيه قولان لاصحابنا اصحهما انه ليس بشرع والمسئلة محققة
في الكتب الاصولية وعرج به اي اعرجه واصعده والعروج الصعود
يقال عرج في السلم يعرج عروجا اي صعد والمعارج الدارج وقوله
عز وجل وما يعرج فيها اي ما يصعد ثم ان الباء في قوله عرج به باء
التعدية وهي معاقبة للهمزة فمعناه اعرج به اي اصعده كما في قوله
عز وجل ذهب الله بنورهم فان معناه اذهبه فلا فرق بين تعدية
الفعل بالهمزة وتعديته بحرف الجر خلافا للسهيلي والمبرد فانهما زعما
ان بين التعديتين فرقا وانك اذا قلت ذهبت بزيد كنت
مصاحبا له في الذهاب وقولهما مردود بالاية وههنا معنى عرج به
اعرجه الى السماء وقد ورد عرج من غير ذكر حرف الجر بمعنى صعد فان ذكر
حرف الجر فهي بمعنى اصعد ولم نقل ان عرج به مفيد الحرف بمعنى
صعد فلا حاجة الى ان يرتكب ان ذكر حي زمن قبيل نسبة
الصعود اليه تعالى والمراد صعود رسوله جبريل مصاحبا للنبي صلى
الله عليه وسلم الى المحل الاعلى اي الى الجنة وقيل الى العرش وقيل الى فوق
العرش الى طرف العالم وفي الحديث الصحيح حتى ارتقيت الى منتهى اسمع
فيه صريف الاقلام وحفظ اي حفظ الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم في
المعراج حتى ما زاغ البصر وما طغى قال ابن عباس رضي الله عنهما اي ما عدل
يمينا ولا شمالا ولا تجاوز الحد الذي راى وقيل ما جاوز ما امر به وقيل

عملا بالاصل

لم يبد بصره الى غير ما راى من الايات وهذا وصف ادب النبي صلى الله عليه وسلم
في ذلك المقام اذ لم يلتفت يمينا ولا شمالا **وبعثه** اي ارسال الله عز
وجل اياه **الى كل احمر واسود** المراد بالاحمر العجم وبالاسود العرب
وقيل الاحمر الانس والاسود الجن وعلى الاول التنصيص على
الانس من باب التنبيه بالادنى على الاعلى لانه مرسل الى الجميع
ومراد جعفر رضي الله عنه بذلك انه صلى الله عليه وسلم خص بان رسالته
عامة شاملة لكل اهل الارض وقد نص صلى الله عليه وسلم على عموم
رسالته الى اهل الارض في حديث رواه الشيخان في الصحيحين
وغيرهما واللفظ لمسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا
لم يعطهن نبي قبلي الى ان قال وبعثت الى كل احمر واسود ومضمون
ذلك ان بعثته صلى الله عليه وسلم الى اهل الارض خاص به لم يعط هذه
المنقبة نبي قبله ولا يعترض بان نوحا عليه السلام كان مبعوثا الى اهل
الارض بعد الطوفان لانه لم يبق الا من كان مؤمنا معه وقد كان
مرسلا اليهم لان هذا العموم لم يكن في اصل بعثته وانما اتفق
بالحادث الذي وقع وهو انحصار الخلق في الموجودين بعد هلاك
سائر الناس واما نبينا صلى الله عليه وسلم فعموم رسالته من اصل
البعثة فثبت اختصاصه بذلك واما قول اهل الموقف لنوح عليه
الصلوة والسلام انت اول رسول الى اهل الارض فليس المراد
بعثته بل اثبات اول ارسالة لو يراد بالاضافة اعني اضافة اهل
الى

مسئلة عموم رسالة نوح عليه السلام ه

الى الارض العهد اي اهل مخصوصون بدليل تنصيصه في عدة ايات على ان
نوحا عليه الصلوة والسلام كان ارساله الى قومه فقط ولم يذكر انه ارسل الى
غيرهم واستدل بعضهم لعموم رسالة نوح عليه السلام بكونه دعا على جميع من
في الارض فاهلكوا بالغرق الا اهل السفينة ولو لم يكن مبعوثا اليهم
لما اهلكوا لقوله عز وجل وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقد ثبت
انه اول الرسل واجيب بجواز ان يكون غيره ارسل اليهم في اثناء مدة
نوح عليه السلام وعلم نوح عليه السلام انهم لم يؤمنوا فدعا على من لم يؤمن
من قومه وغيرهم فاجيبت دعوته وهذا جواب حسن لكن لم ينقل انه
نبئ في زمن نوح عليه السلام غيره وانا اجيب بان اهل الارض
قاطبة قوم نوح عليه السلام وغيرهم الا نوحا ومن امن به اكبوا على
عبادة الاصنام ولا عذر لمن يجعل مع الله عز وجل شريكا في المعبودية
وربما نقل عنهم انهم افردوا غير الله عز وجل بالمعبودية فدعا عليهم نوح
عليه السلام وانه لم يكن مرسلا اليهم لان ما بلغهم ابوهم ادم وشيث
عليهما السلام تواترته فكانوا يعلمون ان اباهم ادم وبعض بنيه
كان دابهم توحيد الله عز وجل فاستحقوا العذاب لذلك ويحتمل ان
يكون معنى خصوصية نبينا صلى الله عليه وسلم بعموم البعثة بقاء شريعته
الى يوم القيمة ونوح عليه السلام وغيره بصدد ان يبعث نبي في زمانه
او بعده فينسخ بعض شريعته ويحتمل ان يكون دعاؤه قومه الى توحيد
الله عز وجل بلغ بقية الناس فتمادوا على الشرك فاستحقوا العذاب

قوله اكبوا اجلة محلها الرفع على انها خبر ان ه

والى هذا نحا ابن عطية قال وغير منكر ان نبوته تبلغ القريب والبعيد
لطول مدته ووجهه ابن دقيق العيد بان توحيد الله عز وجل يجوز ان يكون
عاما في حق بعض الانبياء وان كان التزام فروع شريعته ليس عاما لان
منهم من قاتل غير قومه على الشرك ولو لم يكن التوحيد لازما لهم لم يقاتلهم
ويحتمل انه لم يكن في الارض عند ارسال نوح عليه السلام الا قوم نوح عليه
السلام الا قوم نوح عليه السلام فبعثته خاصة لكونها الى قومه
والحاصل ان الذي نطقت به الايات القرآنية ان نوحا عليه السلام
كباقي الانبياء عليهم السلام لم يرسل الا الى قومه وان اوقع في شك في
عموم رسالته دعوته على كفار اهل الارض قلنا لا يلزم من دعائه عليهم
وتعذيبهم بدعائه ان يكون الله عز وجل ارسله اليهم لان المؤمن يجب
عليه ان يغضب لله عز وجل ويدعو على من كفر بالله عز وجل فان قلتم
كيف عذبوا ولم ياتهم رسول والله عز وجل قال وما كنا معذبين حتى
نبعث رسولا قلنا قال ابو حنيفة رضي الله عنه وناهيك به من امام
لا عذر لاحد بالجهل بربه عز وجل وهؤلاء كانوا كفروا بالله عز وجل كفرا
شنيعا لا يصدر من عاقل وتقطع بداهة العقل بقبحه فلم يكن احد
من النبيين رسالته عامة الا محمدا صلى الله عليه وسلم اللهم زده رفعة
وشرفا لديك يا رب العالمين واحل له ولامته الغنائم اي مع انها لم تحل
لاحد من الانبياء عليهم السلام قبل نبينا صلى الله عليه وسلم ولا لامة من
الامم قبل امة نبينا صلى الله عليه وسلم وقد كان من تقدم على ضربين منهم من لم

يوذن

يوذن له في الجهاد فلم يكن له مغانم ومنهم من اذن له فيه لكن كانوا اذا غنموا
شيا لم يحل لهم ان ياكلوه وجاءت نار فاحرقته وقال بعضهم اعطي
صلى الله عليه وسلم ما يوافق شهوة امته لان النفوس لها التذاذ بها
لكونها حصلت لهم عن قهر منهم لتحصيلها وغلبة فلا يريدون ان
يفوتهم التنعم بها في مقابلة ما قاسوه من المشقة والتعب
وجعله شفيعا مشفعا الشفاعة هي السؤال في التجاوز عن الذنوب
والجرائم يقال شفع يشفع شفاعة فهو شافع وشفيع والمشفع
بكسر الفا الذي يقبل الشفاعة والمشفع بفتح الفا الذي تقبل
شفاعته والمراد بالشفاعة التي اختص بها النبي صلى الله عليه وسلم
هي المقام المحمود وهي الشفاعة العامة في فصل القضاء التي
يردها اليه النبيون واحدا بعد واحد حتى تنتهي اليه صلى الله عليه وسلم
وقيل هي الشفاعة في اخراج المذنبين من النار وعن ام حبيبة
بنت ابي سفيان ام المؤمنين رضي الله عنها قالت قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اريت ما تلقى امتي من بعدي وسفك بعضهم
دما بعض وسبق لهم من الله عز وجل ما سبق الامم قبلهم فسالت
الله عز وجل ان يوتيني شفاعة ففعل وسياتي تفاصيل ما ورد
في الشفاعة وتقرير ذلك على احسن وجه وذكر اقوال المخالفين
والرد عليهم في محله ان شاء الله تعالى وسيد ولد ادم السيد يطلق على
الرب والمالك والشريف والفاضل والكريم والحليم ومتحمل اذى قومه

والزوج والرييس والمقدام واصله من ساد يسود فهو سيود فقلبت
الواو يا وادغمت وهذا ماخوذ من قوله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد
ادم ولا فخر وقد قاله صلى الله عليه وسلم اخبارا عما اكرمه الله عز وجل به
من الفضل والسودد وتحدثا بنعمة الله عز وجل عنده واعلاما لامته
ليكون ايمانهم به على حسبه وموجبه ولهذا اتبعه بقوله ولا فخر اي ان
هذه الفضيلة التي نلتها كرامة من الله عز وجل لم انلها من قبل نفسي
ولا بلغتها بقوتي فليس لي ان افتخر بها وفي القاموس الولد محركة
وبالضم وبالكسر واحد وجمع والمراد هنا سيادته على كل اولاد ادم
وقرن ذكره بذكره اي قرن الله عز وجل ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بذكره تعالى
وذلك في التاذين وفيه يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه

اغر عليه للنبوة خاتم • من الله مشهور يلوح ويشهد •
وضم الاله اسم النبي الى اسمه • اذا قال في الخمس المؤذن اشهد •

وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل ورفعنا لك
ذكرك قال يقول لا ذكرت الا ذكرت معي في الاذان والاقامة والتشهد
ويوم الجمعة على المنابر ويوم الفطر والاضحى ويوم التشريق ويوم عرفة
وعند الجمار وعلى الصفا والمروة وفي خطبة النكاح وفي مشارق
الارض ومغاربها ولو ان رجلا عبد الله عز وجل وصدق بالجنة
والنار وكل شي ولم يشهد ان محمدا رسول الله لم ينتفع بشي وكان
كافرا ورضاه برضاه فقال تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه

وجعله

وجعله اي جعل ذكره اي ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وهو ان يشهد له بالرسالة
احد ركني التوحيد الذي به يصير الانسان مسلما وتجري عليه احكام
المومنين عملا بما رواه معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من
احد يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله صدقا من قلبه الا
حرمه الله عز وجل على النار ولهذا جعلت الشهادتان ركنا واحدا
من الاركان الخمسة المشار اليها بقول النبي صلى الله عليه وسلم بني الاسلام
على خمس شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلوة
وايتا الزكوة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع اليه سبيلا بل
عند ابي حنيفة رضي الله عنه وكثير من الايمة يكفي في الايمان وفي كون
الانسان يدخل في عداد المومنين وينجو من الخلود في النار ان
ينطق بالشهادتين مع تصديقه بهما فان نطق بهما فقط من غير
تصديق كان منافقا يخلد في النار وينجو في الدنيا من القتل ولهذا
كان النبي صلى الله عليه وسلم يكتفي من الناس اذا اسلموا ان ينطقوا
بالشهادتين فتجري عليهم احكام المسلمين ويكل اسرارهم الى الله عز وجل
خلافا للمحدثين في ذلك فالايمان عندهم تصديق الجنان واقرار اللسان
وعمل الاركان وبالجملة فاحد اركان الايمان الاتيان بالشهادتين
ولكثرة تعظيم الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم جعل الشهادة له
بالوحدانية مقرونة مع الشهادة لمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة
سوا قلنا بما روي عن ابي حنيفة رضي الله عنه ام قلنا بما روي عن

السلف من اهل الاثر فالشهادة لنبينا صلى الله عليه وسلم بالرسالة احد
ركني التوحيد سواكان توحيدا كاملا ام ناقصا فان كان كاملا بان انضم
الى النطق التصديق بالقلب نجاه من عذاب الدارين ملا الله عز وجل
قلوبنا تصديقا بذلك وان كان ناقصا بان نطق به باللسان فقط مع
جمود القلب والعياذ بالله نجاه من عذاب الدنيا وهو في الدرك الاسفل
من النار في الاخرة والعياذ بالله عز وجل ثم قال ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله يعني بيعة الرضوان المبايعة على الشيء عبارة عن
قصة بيعة الرضوان
المعاقدة عليه والمعاهدة كان كل واحد منهما باع ما عنده من صاحبه
واعطاه خالصة نفسه وطاعته دخيلة امره وذكر ابن عقبة عن
ابن شهاب الزهري قصة بيعة الرضوان وذلك ان رسول الله صلى
عليه وسلم استشار الناس حين بلغه ان قريشا تجمع له في غزوة
الحديبية لما اراد الاعتمار وصده المشركون عن البيت فقال اترون
ان نغير على ما جمعوا لنا وعلى حل اموالهم فنصيبهم فان قعدوا
قعدوا مغيظين موتورين وان نبق منهم عنق نقطعها ام ترون
ان نؤم البيت الحرام فمن صدنا عنه قاتلناه قال ابو بكر الصديق
رضي الله عنه الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم اعلم حيثا
لامر فنرى ان نؤمه فمن صدنا عنه قاتلناه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فنعم ويقال سار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان
بعسفان لقيه بسر بن سفين الكعبي فقال ان قريشا قد نزلت

بذي طوى

بذي طوى ثم ذكر قصة الصلح وكتابة الصحيفة التي ذكرناها سابقا
وفيه لما كتابة الصحيفة والصلح فهم ينتظرون نفاذ ذلك وامضاه
رمى رجل من احد الفريقين رجلا من الفريق الاخر فكان بينهم شيء
من قتال يترامون بالنبل والحجارة فصاح الفريقان كلاهما وارتهن
كل واحد من الفريقين من كان عنده من الاخرين فارتهن المشركون
عثمن بن عفان رضي الله عنه ومن كان معه وكان النبي صلى الله عليه وسلم
بعثه الى كفار قريش ليعلمهم انه لم يات محاربا وانما جاء معتمرا ولما
اراد ايصال الخبر اليهم بذلك اراد ان يبعث عمر بن الخطاب رضي
الله عنه فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم به ليبعثه الى مكة
فيبلغ عنه اشراف قريش ما جاء له فقال عمر رضي الله عنه يا
رسول الله اني اخاف قريشا على نفسي بمكة وما بمكة من بني عدي
ابن كعب احد يمنعني وقد عرفت قريش عداوتي وغلظتي عليها
ولكن ادلك على رجل اعز بها مني عثمن بن عفان فدعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عثمن بن عفان فبعثه الى ابي سفين واشراف
قريش يخبرهم انه صلى الله عليه وسلم لم يات لحرب وانه لم يات الا زائرا
لهذا البيت ومعظما له ولحرمته فخرج عثمن رضي الله عنه الى مكة
فلقيه ابان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة او قبل ان يدخلها
فجعله بين يديه ثم اجاره حتى يبلغ رسالة النبي صلى الله عليه وسلم
فانطلق عثمن رضي الله عنه حتى اتى ابا سفين وعظماء قريش

فبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ارسله به فقال ابو سفين
لعثمن رضي الله عنه حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم
اليهم ان شئت ان تطوف بالبيت فطف قال ما كنت لافعل حتى
يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتبسته قريش عندها
فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ان عثمن رضي الله عنه
قد قتل ولما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ان عثمان رضي الله عنه قد قتل
قال لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس
الى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة فكان الناس يقولون
بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت وكان جابر بن عبد الله رضي
الله عنهما يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبايعنا على الموت
ولكن بايعنا على ان لا نفر وقد جمع بين الروايتين بان حاصله ان من
اطلق ان البيعة كانت على الموت اراد لازمها لانه اذا بايع على ان لا
يفر لزم من ذلك ان يثبت والذي يثبت اما ان يغلب واما ان
يوسر والذي يوسر اما ان ينجو واما ان يموت ولما كان الموت لا يؤمن
في مثل ذلك اطلقه الراوي والحاصل ان احدهما حكى صورة البيعة
والاخر حكى ما تؤول اليه وجمع الترمذي بان بعضا بايع على الموت وبعضا
بايع على ان لا يفر واول من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة
الرضوان ابو سنان الاسدي واسمه وهب بن محصن اخو
عكاشة بن محصن وقال عامر كان اول من بايع بيعة الرضوان

ابو سنان

ابو سنان الاسدي قال يا رسول الله بايعني قال على ماذا قال على ما في نفسك
قال ما في نفسي قال الفتح والشهادة فبايعه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجاء الناس فجعلوا يقولون نبايعك على بيعة ابي سنان وقيل اول من بايع
سنان بن ابي سنان بايعه قبل ابيه والصحيح ان اباه بايع اولا لكن
قال ابو الفتح اليعمري ابن سيد الناس اول من بايع بيعة الرضوان
سنان بن ابي سنان وتوفي سنان بن ابي سنان في سنة اثنين وثلاثين
واما ابوه ابو سنان فمات في حصار بني قريظة وكان اسن من اخيه
عكاشة بسنتين وقد ذكر ان اول المبايعين عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
قال ابو عمر بن عبد البر ولا يصح وفي صحيح البخاري بسنده الى نافع
قال ان الناس يتحدثون ان ابن عمر اسلم قبل عمر رضي الله عنهما وليس
كذلك ولكن عمر ارسل يوم الحديبية عبد الله الى فرس له عند
رجل من الانصار ليقاتل عليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبايع عند
الشجرة وعمر رضي الله عنه لا يدري بذلك فبايعه عبد الله ثم ذهب الى
الفرس فجاء به الى عمر وعمر يستلئم للقتال فاخبره ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يبايع تحت الشجرة قال فانطلق عمر فذهب معه حتى بايع
رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي التي يتحدث الناس ان ابن عمر بايع قبل
عمر ثم ذكر في صحيح البخاري بسنده الى ابن عمر رضي الله عنهما قال ان الناس
كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية تفرقوا في ظلال الشجر فاذا
الناس محدقون بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال يا عبد الله انظر ما شان الناس

قد احدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدهم يبايعون فبايع ثم رجع الى
عمر رضي الله عنه فخرج فبايع ثم ان هذا السبب الذي في هذا الحديث غير ان
ابن عمر بايع قبل ابيه غير السبب الاول قبله ويمكن الجمع بينهما بانه بعثه
يحضر الفرس وراى الناس مجتمعين فقال له انظر ما شانهم فقعدا
يكشف حالهم فوجدهم يبايعون فبايع وتوجه الى الفرس فاحضرها
واعاد حينئذ الجواب على ابيه وما قاله ابن التين من ان ما وقع في
هاتين الروايتين اختلاف قال ولم يسند نافع الى ابن عمر ذلك في
شيء من الروايتين مردود بما وقع في الرواية الثانية من اسناد ذلك الى
ابن عمر رضي الله عنهما ثم زعم ابن التين ان المبايعة المذكورة انما كانت حين
قدموا الى المدينة مهاجرين وان النبي صلى الله عليه وسلم بايع الناس فمر به
عمر وهو يبايع الحديث قال الشهاب الحافظ ابن حجر العسقلاني
وبمثل ذلك لا ترد الروايات الصحيحة فقد صرح في الرواية ان ذلك كان
يوم الحديبية والقصة التي اشار اليها جاءت من وجه اخر وليس في
نقل فيها ما يمنع التعدد بل يتعين ذلك لصحة الطريقين والسبب
في بيعة الرضوان اما ما قيل ان عثمن رضي الله عنه قتله المشركون
واما ما بلغ المسلمين ان المشركين استعدوا لحربهم ولما وقعت البيعة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه يد عثمن رضي الله عنه وفي صحيح
البخاري بسنده الى عثمن بن موهب قال جاء رجل من اهل مصر يريد
حج البيت فراى قوما جلوسا فقال من هؤلاء القوم قال هؤلاء قريش

قال

قال فمن الشيخ فيهم قال عبد الله بن عمر قال يا ابن عمر اني سائلك عن
شيء فحدثني هل تعلم ان عثمن فر يوم احد قال نعم قال تعلم انه تغيب عن
بدر ولم يشهد قال نعم قال تعلم انه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها
قال نعم قال الله اكبر قال ابن عمر تعال ابين لك اما فراره يوم احد
فاشهد ان الله عز وجل عفا عنه وغفر له واما تغيبه عن بدر فانه
كانت تحته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت مريضة فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لك اجر رجل ممن شهد بدرا وسهمه
واما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان احد اعز ببطن مكة من عثمن
لبعثه مكانه فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمن رضي الله عنه
وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمن رضي الله عنه الى مكة فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده اليمنى هذه يد عثمن وضرب بها على يده
فقال هذه لعثمن فقال له ابن عمر رضي الله عنهما اذهب بها الان
معك فكانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم اليسرى خيرا لعثمن رضي الله
عنه من يده اليمنى ثم ان هذه الشجرة التي وقعت البيعة تحتها كانت
سمرة قال ابن سعد حدثنا عبد الوهاب بن عطا قال اخبرنا
عبد الله بن عون عن نافع قال كان الناس ياتون الشجرة التي يقال لها
شجرة الرضوان فيصلون عندها فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فاوعدهم
فيها وامر بها فقطعت ذكره ابو الفتح اليعمري ابن سيد الناس في سيرته
وجميع الصحابة بايعوا بيعة الرضوان الا الجد بن قيس كما رواه

مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما وهو من الانصار ابن عم
البرا بن معرور فانه لم يبايع بل اختبا تحت بطن بعيره وكان يرمى بالنفاق
وقيل انه تاب منه وحسن اسلامه توفي في خلافة عثمن رضي الله عنه
واخرج البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال لنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوم الحديبية انتم خير اهل الارض وكنا الفا واربعمائة
ولو كنت ابصر اليوم لاريتكم مكان الشجرة واخرج مسلم في صحيحه عن جابر
ابن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل
النار من شهد بدرا والحديبية واخرج مسلم من حديث ام مبشر
انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل النار احد من اصحاب
الشجرة وتمسك بقول النبي صلى الله عليه وسلم لاهل الحديبية انتم خير
اهل الارض بعض الشيعة في تفضيل علي على عثمن رضي الله عنهما
لان عليا كان من جملة من خوطب بذلك وممن بايع تحت الشجرة وكان
عثمن رضي الله عنه غائبا لكن تقدم ان النبي صلى الله عليه وسلم بايع عن
عثمن فاستوى عثمن رضي الله عنه معهم في الخيرية ولم يقصد في
الحديث الى تفضيل بعضهم على بعض واستدل بهذا الحديث على ان
الخضر عليه السلام ليس بحي حينئذ واجاب القائلون بحياته باحتمال
ان يكون حينئذ كان حاضرا معهم ولم يقصد النبي صلى الله عليه وسلم
او لم يكن حينئذ على وجه الارض بل كان في البحر والثاني جواب
ساقط وعكس ابن التين فاستدل على ان الخضر ليس بنبي فبني

الامر

تفضيل بعضهم على بعض

نكتة في نبوة الخضر والياس نافع

الامر على انه حي وانه ليس بنبي وبناه على قول من زعم ايضا انه حي وهو
ضعيف اعني كونه حيا واغرب ابن التين فجزم بان الياس ليس بنبي
وبناه على قول من زعم ايضا انه حي وهو ضعيف اعني كونه حيا واما كونه
ليس بنبي فنفي باطل ففي القران العظيم وان الياس لمن المرسلين
فكيف يكون احد من بني ادم مرسلا وليس بنبي وانما سميت بيعة
الرضوان لان الله عز وجل اتحف المبايعين برضوانه ومن عليهم به
فقال لقد رضي الله عن المومنين اي انما يبايعون الله ببيعتهم اياك ان قلت
انما من ادوات الحصر والحصر مفهومه مركب من جزئين سلبي وايجابي فالجزء الايجابي
معلوم وهو كونهم يبايعون الله فما الجزء السلبي الذي يفهم من انما قلت
هو انه ليس مبايعتكم للنبي صلى الله عليه وسلم كمبايعة باقي المخلوقات بل هي
مبايعة كمبايعة خالق الخلق عز وجل وان كان المبايع صورة هو النبي صلى
الله عليه وسلم لكنه في الحقيقة هو الله عز وجل فان المعنى انكم يا معشر
المبايعين عظموا شان هذه البيعة فانها ليست كباقي المبايعات
الجارية مع الناس بل عقد هذه المبايعة مع الرسول صلى الله عليه وسلم
كعقدها مع الله عز وجل من غير تفاوت بينهما فهو كقوله تعالى من يطع الرسول
فقد اطاع الله فنكث بيعته كنكث بيعة الله عز وجل والوفا بها كالوفاء
ببيعة الله عز وجل في انه سبب لتيسير اجر عظيم ثم ان المبايعة المذكورة
في الاية وفي كثير من الايات والاحاديث قال الشيخ شهاب الدين
ابن حجر العسقلاني في فتح الباري عبارة عن المعاهدة سميت بذلك تشبيها

بالمعاوضة المالية كما في قوله عز وجل ان الله اشترى من المومنين انفسهم
واموالهم بان لهم الجنة واقول ومن ذلك سمي الخوارج انفسهم الشراة
لانهم على زعمهم شروا انفسهم لله عز وجل بالجنة اي باعوها منه سبحانه
وتعالى ومنه قول من قال

من الطويل

وان كان ريب الدهر امضاك في الاولى ٭ شروا هذه الدنيا بجنات الخلد ٭
وقد نقل شيخنا الرضي ابن الحنبلي في شرحه عن التجاني كلاما فقال
قال التجاني سميت المبايعة بذلك لان الله عز وجل باع منهم الجنة
بانفسهم واموالهم وباعوا انفسهم واموالهم بالجنة قال ومن هذا
سمت الخوارج انفسهم بالشراة لانهم اشتروا بزعمهم الجنة من الله عز وجل
بنفوسهم قال واقول يدل هذا الكلام على ان الشرا الناطق به قوله تعالى
ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة شرا
مقايضة وان احد البدلين الجنة والمفهوم من كلام بعضهم في حواشي
الكشاف انه شرا سلم وان احدهما هو ان لهم الجنة وانه لما مثل صورة
بذل المومنين انفسهم واموالهم وصورة اثابته عز وعلا اياهم به الجنة
بالبيع والشرا اتى بقوله يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون بيانا
لان مكان التسليم هو المعركة لان البيع سلم قال ومن ثم قيل بان لهم
الجنة ولم يقل بالجنة بناء منه على انه لو قيل بالجنة لكان البدلان آجلين
في هذا البيع مع انه سلم والسلم انما هو بيع آجل بعاجل فلما قيل بان لهم
الجنة كان احدهما عاجلا وهو استحقاقهم في الحال اياها وان حصلت

في المآل

في المآل قال شيخنا والوجه كل الوجه خلاف ما عليه التجاني لمساعدة نظم
الاية له اذ قيل بان لهم الجنة دون بالجنة وليس في لفظ المبايعة هنا ما
يشعر بان كلا من البدلين مبيع ومبتاع ليكون ذلك من قبيل المقايضة
لان المراد به المعاهدة والمعاقدة على بيعهم انفسهم واموالهم منه تعالى
واشترائه تعالى اياها منهم بان لهم الجنة ولذا قال ومن اوفى بعهده من
الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به اي عاهدتم عليه وعاقدتم انتهى
وانا اقول لنا في هذا الكلام مناقشات اما اولا فقوله لان الله عز وجل
باع منهم الجنة باباه ويرده ادخال البا على قوله بان لهم الجنة وانت
تعلم ان البا لا تدخل في عقد البيع الا على الثمن وبه يمتاز الثمن عن المبيع
اذا صلح كل من العوضين لان يكون ثمنا ومثمنا بدخول البا فكل ما
دخلت عليه البا فهو الثمن والاية صريحة في ان الله عز وجل جعل الجنة
ثمنا وجعل انفسهم واموالهم مبيعة وانما جعل المبيع الذي هو العمدة
والمقصد في العقد انفس المومنين واموالهم والثمن الذي هو وسيلة
في الصفقة الجنة ولم يجعل الامر على العكس بان يقال ان الله باع
الجنة من المومنين بانفسهم واموالهم ليدل على ان المقصد في العقد
هو الجنة وما بذله المومنون في مقابلتها من الانفس والاموال
وسيلة اليها ايذانا بتعلق كمال العناية بهم وباموالهم الثاني قوله لانهم
اشتروا الخ الاحسن ان يقول لانهم شروا نفوسهم بالجنة اي باعوها بها
لانه انسب بتسميتهم الشراة والا لكان الاولى ان يسموا انفسهم

كتب شيخنا هنا ما لفظه
هذا الكلام من نصرة فتنا
نفيس على قوله عز وجل
ان الله اشترى فتامله
وانصفه

المشترين ولموافقته لقوله عز وجل ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء
مرضات الله الثالث ان القايل بان هذا شرا سلم غير مصيب لان
السلم يكون المبيع فيه في الذمة ويصفه بصفات تميزه ويكون الثمن
مقبوضا في المجلس ولا يجوز ان يكون في الذمة ايضا لئلا يصير ذلك غررا
وههنا المبيع النفوس والاموال والثمن الجنة على انه وقع التعبير فيه
بصيغة الشرا وهي من الالفاظ الصريحة في البيع ومن القواعد المقررة
ان ما كان صريحا في بابه وامكن نفاذه في موضوعه لا يكون كناية في
غيره فلا يجوز ان يكون الشرا الذي هو من الصيغ الصريحة في البيع
كناية في السلم ثم الحق ان هذا العقد بيع والمبيع الانفس والاموال
والثمن الجنة وهو بيع شي بثمن في الذمة والعقد قد لزم بتسليم
المبيع فان قلت المبيع لم يسلم قلت البيع لا يشترط في صحته تسليم
المبيع ولا الثمن سيما ان كان الثمن في الذمة على انه في هذا المقام
المومن سلم نفسه وماله لله فان قلت نفسه في محلها وماله في
يده فكيف سلمها لله عز وجل قلت التسليم هنا بالتخلية فالمومن
اذا ندب نفسه لامتثال امر الله عز وجل فقد خلى بين نفسه وبين
الله عز وجل وقال ها نفسي ومالي لك وبقيا في عبوديتك فكلما جاء وقت
تطلبني فيه للجهاد وانفاق مالي في سبيل الله فعلت وبقيت نفسي
في هيكلي وهي مملوكة لله عز وجل لا ملك لي فيها وكذلك مالي بقي تحت
يدي وانا على اسلوب الخازن له الذي احفظ لغيري فقد باع شيا

حاضرا

حاضرا وهو نفسه وماله بشي في ذمة المشتري وهو الجنة الرابع
ان قوله ان البيع سلم ومن ثم قيل بان لهم الجنة الى اخره فيه مواخذة
لان مقتضى كلامه انه جعل احد العوضين وهو انفسهم واموالهم
موجلا ولو قال بالجنة لكان العوض الاخر موجلا فلما قال بان لهم
الجنة صار العوض الاخر استحقاقهم للجنة واستحقاقهم لها عاجل
فصار احد العوضين وهو النفوس والاموال آجلا والعوض وهو
استحقاقهم الجنة عاجلا وهذا خبط عظيم لا يخفى على من له وقوف على
العلم لان النفوس والاموال حاضرة وقد باعوها وصارت وهي في
هياكلهم ملكا لله عز وجل وارتفعت يدهم عنها حتى اذا طلبها المشتري في
وقت القتال بادرون الى تسليمها له على مراده وان كانوا سلموها له
اولا بالتخلية والعوض الاخر نفس الجنة واما استحقاقهم الجنة فلا
يصلح ان يكون ثمنا فان قلت حيث كان الثمن نفس الجنة لا استحقاقهم
لها فلم قال بان لهم الجنة ولم يقل بالجنة قلت لا يخفى ان ان تقتضي
ثبوت مضمون الجملة التي دخلت هي عليها فقد قال ربنا عز وجل ذلك
مبالغة في تقرير وصول الثمن اليهم واختصاصه بهم بدليل تقديم خبر ان
على اسمها الذي من حقه التاخير كانه قيل بالجنة الثابتة لهم المختصة
بهم هذا وان الحق ان مثل هذا من باب المجاز وقد جعله البيضاوي
من قبيل التمثيل فقال انه تمثيل لاثابة الله عز وجل اياهم الجنة على بذل
نفوسهم واموالهم في سبيله انتهى ومضمونه انه شبه حالهم وحاله الله عز وجل

في بذلهم نفوسهم واموالهم واثابة الله عز وجل اياهم بالجنة بحال بائع
ومشتر ومبيع وثمن في ان ذلك عقد لازم وامر مبرم وفي الكشاف
مثل الله عز وجل اثابتهم بالجنة على بذلهم انفسهم واموالهم في سبيله
بالشرى وهي اسم من الشرى وروى تاجرهم فاغلى لهم الثمن وعن
عمر رضي الله عنه فجعل لهم الصفقتين جميعا وعن الحسن انفسا هو
خلقها واموالا هو رزقها وروي ان الانصار لما بايعوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم عند العقبة قال عبد الله بن رواحة للنبي صلى الله عليه
وسلم اشترط لربك ولنفسك قال اشترط لربي ان تعبدوه ولا
تشركوا به شيئا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون به انفسكم
قالوا فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل
ولا نستقيل ومر برسول الله صلى الله عليه وسلم اعرابي وهو يقراها فقال
كلام من هذا قال كلام الله عز وعلا فقال بيع والله مربح لا نقيله ولا
نستقيله فخرج الى الغزو واستشهد فصريح ما في الكشاف ان هذا
تمثيل والاولى فيما يظهر لي ان يكون من باب الاستعارة التصريحية
التبعية لانه شبه قبول الله عز وجل من المومنين انفسهم واموالهم
التي بذلوها في سبيله تعالى واثابته اياهم في مقابلتها الجنة بالشرى والبيع
وذكر المشبه به وهو الشرى وسكت عن المشبه فيكون ذلك استعارة
تبعية مع ان ما قاله البيضاوي وصاحب الكشاف له وجه وجيه فتامل
يد الله فوق ايديهم يريد عند البيعة قيل قوة الله عز وجل وقيل ثوابه

وقيل

كتب سيدنا الشـ رحـ هنا ما نصه
هذا
كلام نفيس لم اسبق الى
مجموعه في شان المتشابه
فعض عليه

وقيل منته وقيل عقده لا يخفى ان هذه الاية من قبيل المتشابه وذلك لان
الاعتماد في العقائد على مجرد ظواهر الكتاب والسنة من غير تفصيل بين ما
يستحيل ظاهره منها وما لا يستحيل اصل من اصول الكفر فاذن لا بد من
اخذ العقائد وتعلمها اولا من البراهين العقلية اليقينية المشار اليها
في كثير من الايات المحكمة التي هي ام الكتاب كسورة الاخلاص ونحوها
ثم اذا وجد بعد ذلك من الايات والاحاديث ما يخالف ظاهره ما علمنا
من الايات المحكمة الواضحة وشهدت بصحته الادلة العقلية اليقينية
وجب ان يعتقد فيه ان ظاهره المستحيل على الله عز وجل ليس مراد الله
عز وجل ولا الرسول صلى الله عليه وسلم ثم ان كان له تاويل واحد تعين
اجماعا كقوله عز وجل وهو معكم اينما كنتم اذ الكينونة بالذات مع الخلق
مستحيلة قطعا ثم ليس له بعد هذا الا تاويل واحد وهو الكينونة معهم
بالاحاطة بهم علما وقدرة وارادة وسمعا وبصرا وان امكن له اكثر من
تاويل واحد فهذا محل الخلاف والخلاف في ذلك على ثلاثة اقوال الاول
انه يصح التعرض للتاويل اي يصح ان يعين لذلك اللفظ معنى صحيح لائق به
جل وعلا عقلا وشرعا على وجه يصح استعمال ذلك اللفظ في ذلك المعنى
وحاصله انه يحمل اللفظ بعد تعذر استعماله في الحقيقة على اقرب مجاز
يصح وهذا مذهب امام الحرمين وجماعة لكن امام الحرمين رجع عنه فقال
في الرسالة النظامية الذي نرتضيه دينا وندين الله عز وجل به عقدا
اتباع سلف الامة فانهم درجوا على ترك التعرض لمعانيها وهذا الذي

رجع اليه امام الحرمين هو القول الثاني فقد وجدناهم لا يتعرضون للتاويل
ويكتفون بمجرد التنزيه عن الظاهر المستحيل وقال الشيخ تقي الدين بن
الصلاح من اصحابنا الشافعية على هذه الطريقة مضى صدور الامة وساداتها
واياها اختار ائمة الفقهاء وقاداتها واليها دعا ائمة الحديث واعلامه قال
ولا احد من المتكلمين من اصحابنا يصدف عنها ويأباها الثالث حمل تلك
الظواهر على اثبات صفات لائقة به جل وعلا عقلا وشرعا باعتبار ما في
نفس الامر وان لم تكن نعرف حقائق تلك الصفات فلذا نسميها صفات
سمعية اي دل السمع عليها لا العقل وهي عنده زائدة على الصفات المعلومة
لنا التي شهدت بها الدلائل عقلا وقد اول المصنف اليد في هذه الاية
بمعان الاول انها بمعنى القوة وقوة الله عز وجل معناها قدرته على كل
شي وقد فسر بعض العلماء اسمه تعالى القوي بانه القادر قدرة تامة
على كل شي وقد اثبت الاشعري بورود اليد في حقه عز وجل صفة
ثبوتية زائدة على ذاته وسائر صفاته لكن لا بمعنى الجارحة وعلى ذلك
السلف واليه ميل القاضي ابي بكر الباقلاني في بعض كتبه واثبت
بقوله لما خلقت بيدي صفتين ثبوتيتين زائدتين على الذات
وسائر الصفات وليستا بمعنى الجارحتين وقال الاكثر انها مجاز عن
القوة والقدرة والتثنية مجاز والافراد مجاز عن قدرة كاملة
فان قلت لم خص ادم بكونه الله خلقه بقدرته مع ان الكل مخلوق
بقدرته تعالى قلت لزيادة التشريف والتكريم لم لما اضاف الكعبة الى

نفسه

نفسه وكما خصص المومنين بالعبودية في قوله ان عبادي ليس لك
عليهم سلطان وقال ابن اللبان فان قلت ما حقيقة اليدين
في خلق ادم عليه السلام قلت الله اعلم بما اراد ولكن الذي استثمرته
من تدبر كتابه العزيز ان اليدين استعارة لنور قدرته القائم بصفة
فضله ولنورها القائم بصفة عدله ونبه على تخصيص ادم عليه
السلام وتكريمه بان جمع له في خلقه بين فضله وعدله قال وصاحبة
الفضل هي اليمنى التي ذكرها عز وجل في قوله والسموات مطويات
بيمينه وقد قالت المعتزلة اليد هنا مجاز عن القادرية بنا على
اصلهم الذي هو نفي الصفات واثبات الاحوال الثاني انها المنة
والنعمة والى هذا ذهب اكثر المفسرين اي منة الله عز وجل عليهم
في هذه المبايعة بما يستعملونه من العزة في الدنيا او من الثواب
في الاخرة فوق منتهم عليك بالمبايعة على ان يبذلوا نفوسهم
واموالهم ويجمع اليد على الايدي كما قال

من الطويل
لجودك في قومي يد يعرفونها • وايدي الندى في الصالحين فروض

ويجمع الايدي على الايادي كما قال الشاعر

من الطويل
ساشكر عمرا ان تراخت منيتي • ايادي لم تمنن وان هي جلت

واليد في قوله صلى الله عليه وسلم اسرعكن لحوقا بي اطولكن يدا واردة بهذا
المعنى لانه صلى الله عليه وسلم كنى بطول اليد عن العطاء والصدقة يقال
فلان طويل اليد وطويل الباع اذا كان سمحا جوادا وكانت ام المومنين

زينب رضي الله عنها لحب الصدقة وهي ماتت قبلهن وفي حديث
قبيصة ما رايت اعطى للجزيل عن ظهر يد من طلحة اي عن انعام ابتدا
من غير مكافاة هو قول من قال اليد هنا من الله عز وجل الثواب ومن
البايعين الطاعة راجع الى قول من قال انها المنة لان الثواب داخل
تحت منة الله عز وجل ولم يرد في اللغة بمعنى اليد الثواب ولا
الطاعة كما قيل واقول فيحتاج الى ان يقال هنا نقلا بان نقل
اليد من معنى النعمة الذي هو اعم الى الثواب الذي هو اخص قال السهيلي
اليد في الاصل كالمصدر عبارة عن صفة لموصوف ولذلك مدح الله عز وجل
بالايدي مقرونة مع الابصار في قوله تعالى اولي الايدي والابصار ولم يمدحهم
بالجوارح لان المدح انما يتعلق بالصفات لا بالجواهر قال ولهذا المعنى
قال الاشعري ان اليد صفة ورد بها الشرع قال والذي يلوح من معنى هذه
الصفة انها قريبة من معنى القدرة الا انها اخص والقدرة اعم كالمحبة
مع الارادة والمشيئة فان في اليد تشريفا لازما قال البغوي في قوله
عز وجل بيدي في تحقيق الله عز وجل التثنية في اليد دليل على انها
ليست بمعنى القدرة والقوة والنعمة وانما هما صفتان من صفات
ذاته عز وجل وجعل السيد الشريف في شرح مواقف العضد كون
اليد بمعنى النعمة في غاية الضعف اذ لا يلايم نسبة الخالق عز وعلا اليد
انتهى واقول وجه عدم الملايمة ان اليد وضعت للجارحة وانما اطلقت
اليد على النعمة لكثرة صدور النعم الصادرة من الادميين من ايديهم

فاطلاقها

فاطلاقها على النعمة مجاز مرسل علاقته المجاورة ومثل هذا المجاز لا يجوز
عزوه الى مالك الملك عز وجل لما فيه من الايهام وعدم تاتي العلاقة فيه
الثالث انها العقد وذلك لان الله عز وجل لما حث عليها وامر بها ورضي
بفعلها كانه هو الذي عقدها فاستعار اسم اليد للعقد من حيث كان
الادميون اذا بايعوا وضعوا ايديهم والمبايعة في الحقيقة انما هي
باللسان لكن جرت العادة بادخال اليد في عقد البيعة غالبا والا فالنساء
كان النبي صلى الله عليه وسلم يبايعهن ولا يضع يده الكريمة في يد واحدة
منهن فذكر اليد وارادة العقد من قبيل اطلاق المجاور على مجاوره لا
من قبيل اطلاق السبب على المسبب كما توهم وهذه اي اضافة اليد الى
الله عز وجل اذا اريد منها العقد استعارة قال البيانيون زوج المجاز
بالتشبيه فتولد بينهما الاستعارة فهي مجاز علاقته المشابهة ويقال في
تعريفها انها اللفظ المستعمل فيما شبه بمعناه الاصلي والاصح انها مجاز
لغوي لانها موضوعة للمشبه به لا للمشبه ولا لاعم منهما فاسد في
قولك رايت اسدا يرمي موضوع للسبع لا للشجاع ولا لمعنى اعم منهما
كالحيوان الجري وقال بعضهم حقيقة الاستعارة ان تستعار
الكلمة من شي معروف بها الى شي لم يعرف بها وحكمة ذلك اظهار الخفي
وايضاح الظاهر الذي ليس بجلي او حصول المبالغة او المجموع
والمقصود في هذه الاية بيان ان عقد البيعة مع الرسول صلى الله عليه وسلم
كعقده مع الله عز وجل من غير تفاوت بينهما كقوله عز وجل من يطع الرسول

كان صلى الله عليه وسلم اذا بايع النساء لا يضع يده الكريمة في ايديهن ه

تعريف الاستعارة ه

فقد اطاع الله وهذه الجملة اوردها الله عز وجل تاكيدا لقوله سبحانه ان الذين
يبايعونك انما يبايعون الله فاكد مضمون ذلك وحققه بهذه الجملة التي
اوردها بعد تلك الجملة فشبه الله عز وجل برسوله الذي من لوازمه اليد
لانه بشر فان قلت كيف ذلك والمشبه هنا اعلى من المشبه به وهو عكس
شان التشبيه قلت القصد في هذا المقام ان يقرب اتحاد البيعتين
الى اذهان المخاطبين حتى يزداد اعتناؤهم بشان بيعة رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى لا يصدر من احد منهم نكث لما بايع به وليصير مضمون تلك
البيعة امرا محتما لازما لانه بمنزلة من بايع جبار السموات والارض عز
وجل الا ترى ان الله عز وجل شبه نوره الذي لا شي اعلى منه بالمشكاة
والقصد بذلك تقريب هذا الامر الى اذهان المخاطبين فهذا التشبيه
استعارة مكنية ثم ان اثبات اليد للمشبه وهي من لوازم المشبه به
وهو استعارة تخييلية ويجوز ان تكون استعارة تمثيلية بان
يشبه الهيئة الحاصلة المنتزعة من كون يد النبي صلى الله عليه وسلم فوق
ايديهم بالهيئة المنتزعة من تخييل ان يد الله عز وجل فوق ايديهم ولم
يذكر المشبه بل اقتصر على ذكر المشبه به **وتجنيس في الكلام** التجنيس
تشابه اللفظين في اللفظ قال في كنز البراعة وفائدة ايراد التجنيس
في الكلام الميل الى الاصغاء اليه فان مناسبة الالفاظ تحدث ميلا
واصغاء اليها ولان اللفظ المشترك اذا حمل على معنى ثم جاء والمراد به اخر
كان للنفس تشوق اليه وهذا التجنيس وقع بين يد الله وايديهم

فانه

فانه يراد من يد الله عز وجل معنى ومن ايديهم معنى اخر ويسمى عند
البديعيين تجنيس الاطلاق بان يجمع اللفظان في المشابهة فقط
كقوله وجنى الجنتين دان وقوله قال اني لعملكم من القالين وقوله
ليريه كيف يواري وقوله وان يردك بخير فلا راد له وقوله اثاقلتم الى
الارض ارضيتم وقوله اعرض وذو دعاء عريض وليس المراد به
التجنيس اللغوي **وتاكيد لعقد بيعتهم اياه** يمكن ان يكون جملة يد الله فوق
ايديهم من قبيل التذييل وهو نوع من محاسن البلاغة وهو ان يؤتى
بجملة عقب جملة والثانية تشتمل على معنى الاولى لتاكيد منطوقها او
مفهومها ليظهر المعنى لمن لم يفهم وهذه الجملة موكدة لمنطوق الجملة
الاولى وفي الكشاف يريد ان يد رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تعلو
ايدي المبايعين هي يد الله عز وجل والله سبحانه منزه عن الجوارح وعن
صفات الاجسام وانما المعنى تقرير ان عقد الميثاق مع الرسول صلى الله
عليه وسلم كعقده مع الله عز وجل من غير تفاوت بينهما كقوله من يطع الرسول
فقد اطاع الله ويجوز في جملة يد الله فوق ايديهم ان تكون خبرا بعد خبر
لان وان تكون حالا من ضمير يبايعون الله وان تكون مستانفة فلا
محل لها من الاعراب **وعظم شان المبايع** عطف على عقد اي وتاكيد
لعظم شان المبايع بصيغة اسم المفعول صلى الله عليه وسلم ولا شان
اعلى من هذا الشان ولا رفعة لمخلوق الا وهي دون هذه الرفعة فتامل
ذلك تجد هذا النبي الكامل اعطاه الله عز وجل من الرفعة والعلو ما لم يعطه

مخلوقا فسبحان الكريم الوهاب ولقد نقل السلمي في حقائقه عن الواسطي
انه قال اخبر الله عز وجل بهذه الاية ان البشرية في نبيه صلى الله عليه وسلم
عارية واضافة دون الحقيقة وقال سهل ظهرت النعوت في محمد صلى
الله عليه وسلم فقال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقال الحسين
واظن انه الحلاج لم يظهر الله عز وجل مقام الجمع على احد بالتصريح الا على
اخص نسمة واشرفها وهو محمد صلى الله عليه وسلم فقال ان الذين
يبايعونك انما يبايعون الله ويقرب من هذا قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن
الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى في الكشاف لما كسروا
اهل مكة اي الصحابة من الانصار والمهاجرين وذلك في غزوة بدر اقبلوا
على التفاخر وكان القائل يقول قتلت واسرت ولما طلعت قريش قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها
يكذبون رسولك صلى الله عليه وسلم اللهم اني اسالك ما وعدتني فاتاه جبريل
عليه السلام فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فقال لما التقى
الجمعان لعلي رضي الله عنه اعطني قبضة من حصباء الوادي فرمى بها
في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه
فانهزموا وردفهم المومنون يقتلونهم وياسرونهم فقيل لهم فلم
تقتلوهم قال والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم
فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم لانه هو الذي انزل الملائكة والقى
الرعب في قلوبهم وشاء النصر والظفر وقوى قلوبكم واذهب عنها الفزع

والجزع

والجزع وما رميت يا محمد اذ رميت ولكن الله رمى يعني ان الرمية
التي رميتها لم ترمها انت على الحقيقة لانك لو رميتها لم يبلغ اثرها الا ما
يبلغه اثر رمي البشر ولكنها كانت رمية الله عز وجل حيث اثرت
ذلك الاثر العظيم فاثبت الرمية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لان
صورتها وجدت منه ونفى عنه اثرها الذي لا يطيقه البشر وهو فعل
الله عز وجل وكان الله عز وجل هو فاعل الرمية على الحقيقة وكانها لم
توجد من الرسول صلى الله عليه وسلم اصلا انتهى واقول هذا مبني على ان
هذه الاية نزلت في شان بدر وقد روى القصة ابن اسحق على غير
هذه الطريقة فقال حدثني محمد بن مسلم عن عبد الله بن ثعلبة بن
صعير العذري حليف بني زهرة انه حدثه انه لما التقى الناس ودنا
بعضهم من بعض قال ابو جهل اللهم اقطعنا للرحم واتانا بما لا يعرف
فاحنه الغداة فكان هو المستفتح على نفسه قال ثم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اخذ حفنة من الحصباء فاستقبل بها قريشا ثم قال
شاهت الوجوه ثم نفحهم بها وامر اصحابه فقال شدوا فكانت
الهزيمة فقتل الله عز وجل من قتل من صناديد قريش واسر من
اسر من اشرافهم قال ابن عقبة وابن عائذ فكانت تلك الحصباء
عظيما شانها لم تترك من المشركين رجلا الا ملات عينيه وجعل
المسلمون يقتلونهم وياسرونهم وبادر النفر كل رجل منهم منكبا
على وجهه لا يدري اين يتوجه يعالج التراب ينزعه من عينيه

هذا في غزوة بدر وذكروا في قصة حنين نظير ذلك ففي صحيح مسلم ثم اخذ
رسول الله صلى الله عليه وسلم حصيات فرمى بها وجوه الكفار ثم قال
انهزموا ورب محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال فما هو الا ان رماهم فما زلت
ارى حدهم كليلا وامرهم مدبرا ومن رواية اخرى ان النبي صلى الله عليه وسلم
نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب الارض ثم استقبل بها
وجوههم فقال شاهت الوجوه فما خلق الله عز وجل انسانا الا ملا
عينيه ترابا بتلك القبضة فولوا مدبرين فعلمنا ان هذا الرمي الذي ظهر
كونه على يد النبي صلى الله عليه وسلم حين رمى هذا التراب من افعال الله عز وجل
اي ما فعلت انت يا محمد تلك الرمية المستتبعة لهذه الاثار العظيمة
ولكن الله عز وجل فعلها اي خلقها حين باشرتها انت وهذا امر يعترف
به كل احد حتى المعتزلي القائل بان افعال العباد مخلوقة لهم لان هذه
الرمية ليست على نهج عادته تعالى وتقدس في خلق افعال العباد بل
على وجه غير معتاد ولذلك اثرت هذا التاثير الخارج عن طوق البشر
ودائرة القوى والقدر فمدار اثباتها لله تعالى ونفيها عنه عليه الصلوة
والسلام كون اثرها من افعاله سبحانه لا من افعال النبي صلى الله عليه وسلم
وتوضيح الفرق بين هذين الوجهين اللذين قررهما المصنف على هذه الاية
انه في الاول جعل بيعتهم للنبي صلى الله عليه وسلم هي بيعة الله عز وجل من غير
تفاوت في المرتبة وكانه استشعر ان سائلا سال فقال كيف تكون
بيعتهم محمدا صلى الله عليه وسلم هي بيعتهم لله عز وجل من غير تفاوت مع ان

عقد البيعة انما جرى مع النبي صلى الله عليه وسلم فاجاب بان يد الله عز وجل
فوق ايديهم وان اليد هنا يراد منها احد معانيها التي قررناها فاثبت للنبي
صلى الله عليه وسلم بيعة لكن تلك البيعة كبيعة الله عز وجل في الحكم وفي تحريم
النكث وفي ما يترتب على النكث من الاثام والعقوبات وفي الوجه
الثاني يكون من قبيل فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت
وتقريره ان قتل مشركي قريش صدر من الصحابة لكن على كيفية لا يتصور
صدورها من البشر فكانوا هم الكاسبين للقتل والفاعل هو الله عز وجل
ليس الا لان ايصال امر القتل ليس في مقدورهم فعلم ان هذا الرمي ليس
الا فعل الله عز وجل فالرمية التي رماها نبي الله صلى الله عليه وسلم لم يرمها
على الحقيقة اذ لو رماها لما وصل اثرها الى هذا المحل وكذلك القتل الذي
صدر من الصحابة رضوان الله عليهم لم يصدر منهم على الحقيقة اذ لو صدر
منهم لم يقع منهم هذا القتل البالغ هذا المبلغ وكذلك نقول هنا مبايعة
القوم للنبي صلى الله عليه وسلم ليست ببيعة له على الحقيقة اذ لو كانت
بيعة له من حيث انه مخلوق لله عز وجل لما وصل فضل المبايعين الى
ان نص الله عز وجل في كتابه على الرضا عنهم والى ان من حضر بيعة
الرضوان من اهل الجنة وان الصحابة بايعوه على الموت وانه من نكث
باء باثم عظيم ولما كان هذا الوجه فيه ما فيه لان ما نحن فيه من واد
واية الانفال من واد اخر لانه لا وجه في اية الفتح لان تنفى المبايعة
عن النبي صلى الله عليه وسلم كما صح ان ينفى الرمي عنه وان ينفى قتل المشركين

عن الصحابة رضي الله عنهم لسبب ان الرمي الذي صدر من النبي صلى الله عليه وسلم
والقتل الصادر من الصحابة للمشركين باق مبلغا يصح ان ينفيا عنهما واما
المبايعة المذكورة فلا يصح ان تنفى عن النبي صلى الله عليه وسلم بحال **وان كان**
الاول في باب المجاز وهذا في باب الحقيقة المراد بالاول قوله عز وجل ان
الذين يبايعونك انما يبايعون الله ووجه كون ذلك مجازا انه حمل بيعتهم
لله عز وجل على بيعتهم للنبي صلى الله عليه وسلم ويعرف كونه مجازا من انه لا يتبادر
الى الفهم الا ان المومنين بايعوا نبي الله صلى الله عليه وسلم ولم يتبادر الى الفهم
انهم بايعوا الله عز وجل ولو انهم في ابتدا الامر قبل اطلاعهم على انهم بايعوا
الله عز وجل نفوا مبايعتهم لله عز وجل لامكن ذلك اذ لو قالوا نحن لم نبايع
الله لصح ذلك ولا شك ان صحة النفي دليل المجاز بخلاف الحقيقة فانها
لا تنفى فان قلت من اي قسم من اقسام المجاز هو قلت من قسم الاستعارة
التصريحية اما كونه من الاستعارة فلان العلاقة فيه المشابهة لانه شبه
بيعتهم للنبي صلى الله عليه وسلم ببيعتهم لله عز وجل في توثيقها وتاكيدها
وحلول رضا الله عز وجل عليهم بها ووجوب الوفا بها وتحريم نكثها
وحلول الوبال في الدارين على ناكثها والمتخلف عنها فان قلت هنا قد
جمع بين المشبه والمشبه به على وجه الحمل وحذف اداة التشبيه فهو من
قبيل زيد اسد ومن قبيل قوله عز وجل صم بكم عمي اي هم صم بكم عمي فقد
جمع بين المشبه وهو مبايعتهم للنبي صلى الله عليه وسلم والمشبه به وهو
مبايعتهم لله عز وجل مع حذف اداة التشبيه اذ لم يقل ان الذين يبايعونك

كانما

كانما يبايعون الله وقد جعل الزمخشري مثل هذا تشبيها بليغا ولم يجعله
استعارة فمن اي جهة يكون مجازا لان شرط الاستعارة ان يطوى ذكر
المستعار له ويجعل الكلام خلوا عنه صالحا ومن هنا ترى المفلقين السحرة
يتناسون التشبيه ويضربون عنه صفحا وعلله السكاكي بان من شرط
الاستعارة امكان حمل الكلام على الحقيقة في الظاهر وتناسي التشبيه
قلت كلام المصنف مبني على ما قاله جماعة من محققي البلغا وذلك ان
الصلاحية للصرف الى الحقيقة ممنوعة بل لو عكس ذلك لكان هو القول
بان يقال لا بد من عدم الصلاحية لان الاستعارة مجاز لا بد فيه من
القرينة والقرينة استحالة صرفه الى حقيقته كقولنا زيد اسد فالاخبار
عن زيد بانه اسد قرينة صارفة عن ارادة حقيقته قال البها
ابن السبكي في عروس الافراح الذي نختاره في زيد اسد انه قسمان تارة
يقصد به التشبيه فتكون اداة التشبيه مقدرة وتارة يقصد به
الاستعارة فلا تكون مقدرة ويكون الاسد مستعملا في حقيقته
وذكر زيد والاخبار عنه بما لا يصلح له حقيقة قرينة صارفة الى
الاستعارة دالة عليها فان قامت قرينة على حذف الاداة صرنا اليه
وان لم تقم فنحن بين اضمار واستعارة والاستعارة اولى فيصار اليها
فقد حمل مبايعتهم لله عز وجل على مبايعتهم للنبي صلى الله عليه وسلم حمل هو هو
ولم يلاحظ اداة تشبيه فلان استعارة واما كون الثاني وهو قوله
عز وجل فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله

رمى من باب الحقيقة فانه اثبت ان قتل الصحابة للمشركين هو قتل الله اياهم
ونفى عنهم القتل ولا شك ان العقيدة الحقة ان افعال العباد مخلوقة لله
عز وجل لان القاتل والرامي بالحقيقة هو الله عز وجل وهو خالق قتله
ورميه وقدرته عليه ومسببه هذا هو مذهب اهل السنة وهو ان افعال
العباد الاختيارية واقعة بقدرة الله عز وجل وحدها وليس لقدرة العباد
فيها تاثير بل الله سبحانه اجرى عادته بان يوجد في العبد قدرة واختيارا
فاذا لم يكن هناك مانع اوجد فيه فعله المقدور مقارنا لهما فيكون فعل
العبد مخلوقا لله عز وجل ابداعا واحداثا ومكسوبا للعبد والمراد
بكسبه اياه مقارنته لقدرته وارادته من غير ان يكون هناك منه تاثير
او مدخل في وجوده سوى كونه محلا له وهذا مذهب الاشعري وقال اكثر
المعتزلة افعال العباد واقعة بقدرة العبد وحدها على سبيل الاستقلال
بلا ايجاب بل باختيار وقالت طائفة هي واقعة بمجموع القدرتين
على ان يتعلقا جميعا بالفعل نفسه وجوز هذا البعض اجتماع المؤثرين
على اثر واحد وقال القاضي على ان تتعلق قدرة الله عز وجل باصل الفعل
وقدرة العبد بصفته من كونه طاعة او معصية الى غير ذلك من
الاوصاف التي لا توصف بها افعاله سبحانه كما في لطم اليتيم تاديبا او
ايذاء فان ذات اللطم واقعة بقدرة الله عز وجل وتاثيره وكونه طاعة
على الاول ومعصية على الثاني بقدرة العبد وتاثيره فيكون
اسناد الرمي والقتل الى الله عز وجل حقيقة لانه خالقهما وموجدهما

كسائر

كسائر افعال العبد فانه تعالى خالقها بلا واسطة كسائر الحوادث من ذواتنا
والواننا والسموات والارضين فان قلت اذا كان اسناد القتل والرمي
الى الله عز وجل حقيقة فيكون اسنادهما الى النبي صلى الله عليه وسلم مجازا
قلت لا بل هو ايضا حقيقة فكل من قدرة الله عز وجل وقدرة العبد
يتعلق بالفعل غاية الامر ان تعلق قدرة الله عز وجل به بالتاثير
والاحداث والايجاد واما تعلق القدرة الحادثة وهي قدرة العبد فهي
بالكسب ولا تاثير لقدرة العبد في شيء من افعاله ولا في ما تولد منها
فان قلت اي حقيقة هذه اهي الحقيقة العقلية ام اللغوية
قلت اسناد الرمي الى نبي الله صلى الله عليه وسلم وكذا القتل الى الصحابة
حقيقة عقلية لانه اسناد الشيء الى ما هو له واسناده الى الله عز وجل
حقيقة عقلية ايضا لان هذين الفعلين هما لله ايجادا وخلقا واختراعا
وبهذا المعنى نفاهما الله عز وجل عن نبيه صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة
حيث قال لنبيه صلى الله عليه وسلم وما رميت وللصحابة فلم تقتلوهم
واثبتهما لنفسه جل وعلا بقوله في الاول ولكن الله رمى وفي الثاني
ولكن الله قتلهم وبالمعنى الثاني اثبت الرمي للنبي صلى الله عليه وسلم
بقوله اذ رميت واثبت قتلهم للصحابة تقديرا اذ التقدير فلم تقتلوهم
اذ قتلتموهم فقول المصنف وهو خالق قتله ورميه رد على من قال
ان العبد خالق فعله وان افعاله واقعة بقدرته فقط وعلى من
قال انها واقعة بالقدرتين وعلى من قال من الحكماء انها واقعة بقدرة

يخلقها الله عز وجل في العبد اذا قارنت الشرائط وارتفعت الموانع ولانه
ليس في قدرة البشر توصيل تلك الرمية حيث وصلت حتى لم يبق منهم
من لم تملأ عينيه اشار به لك الى ان ما ذكر علة مستقلة في كون هذا
الرمي مسندا الى الله عز وجل سواء قيل بان الله خالق افعال العبد ام قلنا
بمقالة المعتزلة ان العبد خالق لافعاله لكن هذا الرمي الذي صدر من النبي
صلى الله عليه وسلم يوم بدر ويوم حنين فعل الله عز وجل وحده اتفاقا بيننا
وبين المعتزلة القائلين بتاثير القدرة الحادثة في افعال العباد قال
الزمخشري وانت تعلم انه راس في الاعتزال داعية اليه في كشافه
في تفسير هذه الاية يعني ان الرمية التي رميتها لم ترمها انت على الحقيقة
لانك لو رميتها لم يبلغ اثرها الا الى ما يبلغه اثر رمي البشر ولكنها كانت
رمية الله عز وجل حيث اثرت ذلك الاثر العظيم فاثبت الرمية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم لان صورتها وجدت منه ونفى عنه اثرها
الذي لا يطيقه البشر وهو فعل الله عز وعلا فكان الله عز وجل فاعل
الرمية على الحقيقة وكانها لم توجد من الرسول صلى الله عليه وسلم اصلا انتهى
ونقل السهيلي في الروض الانف عن هبة الله بن سلامة قال الرمي
اخذ وارسال وتبليغ واصابة فالذي اثبت الله عز وجل من ذلك الاخذ
والارسال والذي نفى عنه هو التبليغ والاصابة فاثبتها لنفسه عز وجل
وقد وقع لبعض الشارحين انه قال في تقرير التعليل الاول وحاصل
التعليل الاول ان له صلى الله عليه وسلم قدرة على مثل ذلك الرمي الا انه

فلا

تعالى خالق ذلك الرمي المكسوب له صلى الله عليه وسلم بل خالق قدرته عليه
وارادته صلى الله عليه وسلم له فيكون تعالى هو الرامي بالحقيقة وان كان
لقدرة العبد دخل في التاثير عند بعض اهل السنة كمن يقول بان المؤثر
في فعل العبد مجموع القدرتين على ان يؤثر في اصله وهو مذهب الاستاذ
ابي اسحق الاسفرايني فانه جوز اجتماع مؤثرين على اثر واحد او على ان
تؤثر قدرة الله عز وجل في اصله وقدرة العبد في وصفه بان تجعله
موصوفا بمثل طاعة او معصية كما في لطم اليتيم تاديبا او ايذاء وهو مذهب
القاضي ابي بكر الباقلاني واليه يميل كلام ابن الهمام من علمائنا في المسايرة
انتهى واقول ليس في كلام المصنف في التعليل الاول ما يقتضي ان للنبي صلى
الله عليه وسلم قدرة على مثل ذلك الرمي ثم خلق الله عز وجل له قدرة على
الرمي في الجملة الا على هذا الرمي الذي صار له ذلك النبا العظيم لانه فعل الله
ليس الا وليس للنبي صلى الله عليه وسلم ولا البشر قدرة عليه ولهذا عد
من معجزاته صلى الله عليه وسلم واما ما عزاه هذا الشارح الى الاستاذ
ابي اسحق الاسفرايني من ان المؤثر في فعل العبد هو مجموع القدرتين
على ان يؤثر في اصله وانه جوز اجتماع مؤثرين على اثر واحد وكذا ما
عزاه الى القاضي ابي بكر الباقلاني من ان المؤثر في فعل العبد قدرة الله
عز وجل في اصله وقدرة العبد في وصفه بمثل طاعة او معصية كما في
لطم اليتيم تاديبا او ايذاء فهو قول فاسد وذلك ان العبد قد نسب اليه
الكسب كما نطق به القران في قوله عز وجل لها ما كسبت وعليها ما

فيه رد على ابن الكمال في ما قاله

الكسب فاهل السنة فسروا الكسب بانه عبارة عن تعلق القدرة
الحادثة بالفعل في محلها من غير تاثير فقولنا من غير تاثير رد على المعتزلة
القائلين بتاثير القدرة الحادثة في الافعال الموجودة معها اما مباشرة
واما تولدا والمعتزلة فسروا بهذا التاثير ومن قال ان للقدرة
الحادثة تاثيرا في فعل فقد خرج عما عليه اهل السنة لان ذلك مفرع
على اصول القدرية الذين هم مجوس هذه الامة وعزوه الى القاضي
والاستاذ قد قلد فيه هذا الشارح صاحب المواقف وقد قال
الشريف شارح الاشارة العقلية وهو غير السيد الشريف الجرجاني
شارح المواقف ما نسب الى القاضي والاستاذ في هذه المسئلة
انما صدر منهما على وجه المناظرة والبحث والزام الخصوم لا على انه
مذهب لهما ومعتقد وحاشى القاضي والاستاذ ان يعتقدا
تاثيرا في الوجود لغير القدرة القديمة كيف وقد نقل القاضي الاجماع
في مواضع من كتبه على كفر من نسب الاختراع الى غير الله عز وجل ونقل
ايضا الاجماع على كفر من لم يقل بعموم صفات الباري تعالى وتقدس
وعزا بعضهم الى امام الحرمين انه يقول بتاثير القدرة الحادثة لكن بمشيئة
الله عز وجل لا على الاستقلال وان امام الحرمين قال به في اخر امره فهو
ايضا لا يجري على قول اهل الحق وانما يجري على قول الفلاسفة والظن
بالامام انه لا يعتقد هذه المقالة وانما هي مكذوبة عليه وقد اشار
التفتازاني الى انكار نسبة هذا القول الى الامام وان لم يوجد شيء مما

ظهر

ظهر من كتبه وانما الموجود فيها ضد ذلك وكيف يصح عنه هذا القول وهو
يحكي في ارشاده اجماع السلف على نسبة جميع الكائنات الى الله عز وجل
جملة وتفصيلا بلا واسطة ولا تاثير لكل ما سواه في اثر ما عموما وقد
اكثر فيه من الادلة لتصحيح المذهب الحق وهو مذهب الشيخ الاشعري
وبالغ في التكفير والتضليل لمن يعتقد ان للقدرة الحادثة تاثيرا ما
وكذلك قتل الملائكة لهم اي للكفار **حقيقة** وهم الملائكة الذين امد الله
عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بهم يوم بدر فان الله عز وجل امدهم بنصر
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين فاسروهم وقتلوهم فنزل جبريل في
الف من الملائكة ثم ميكائيل في الف اخرى ثم اسرافيل في الف اخرى وقيل
كان جبريل عليه السلام في خمسمائة من الملائكة وميكائيل في خمسمائة
وكانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض قد ارسلوها في ظهورهم ويوم
حنين عمائم حمر وقد قتلت الملائكة قتلا حقيقيا قال سهل بن حنيف
لقد رايتنا يوم بدر وان احدنا ليشير بسيفه الى راس المشرك فيقع
راسه عن جسده قبل ان يصل اليه السيف وعن ابي واقد الليثي قال
اني لاتبع يوم بدر رجلا من المشركين لاضربه فوقع راسه قبل ان
يصل اليه سيفي فعرفت ان غيري قد قتله وعن الربيع بن انس
قال كان يوم بدر يعرفون قتلى الملائكة ممن قتلوهم بضرب فوق الاعناق
وعلى البنان مثل سمة النار قد احترق به وقال ابو بردة بن نيار
جئت يوم بدر بثلاثة رؤس فوضعتهن بين يدي رسول الله صلى الله

عليه وسلم فقلت يا رسول الله اما راسان فقتلتهما واما الثالث فاني رايت
رجلا ابيض طويلا ضربه فاخذت راسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذلك فلان من الملائكة وكان السائب بن ابي حبيش يحدث في زمن
عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لما انهزمت قريش انهزمت معهم
فادركني رجل ابيض طويل على فرس ابيض بين السما والارض فاوثقني
رباطا وجا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فوجدني مربوطا فكان ينادي
في العسكر من اسر هذا فليس يزعم احد انه اسرني حتى انتهى بي الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من اسرك قلت لا اعرفه فقال اسرك
ملك من الملائكة وفي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال وبينما
رجل من المسلمين يشتد في اثر رجل من المشركين امامه اذ سمع
ضربة بالسوط فوقه وصوت فارس اقدم حيزوم اذ نظر الى المشرك
امامه خر مستلقيا فنظر اليه فاذا هو قد خطم انفه وشق وجهه
بضربة السوط فاخضر ذلك اجمع فجا الانصاري فحدث بذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت ذلك من مدد السما الثالثة فقتلوا
يومئذ سبعين واسروا سبعين وعن سهيل بن عمرو لقد رايت يوم بدر
رجالا بيضا على خيل بلق بين السما والارض معلمين يقتلون وياسرون
وروى ابن ابي حاتم عن الزبير ان الملائكة نزلت وعليهم عمائم صوف
قال ولم تقاتل الملائكة سوى يوم بدر من الايام وكانوا يكونون
فيما سواه عددا ومددا وبذلك صرح العماد بن كثير في تفسيره فقال

المعروف

المعروف من قتال الملائكة انما كان يوم بدر ثم روى عن ابن عباس رضي الله
عنهما فقال لم تقاتل الملائكة الا يوم بدر قال ابن مرزوق ولم تكن تقاتل
في غيرها بل يحضرون خاصة على المختار من الاقوال عند بعضهم وفي نهاية
البيان من تفسير القران عند تفسير قوله عز وجل ويوم حنين وهل
قاتلت الملائكة يومئذ اي يوم حنين ام لا فيه قولان احدهما وهو قول
الجمهور انها لم تقاتل انتهى وهذا يرده حديث مسلم في صحيحه عن سعد
ابن ابي وقاص انه راى عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن
شماله يوم احد رجلين عليهما ثياب بيض ما رايتهما قبل ولا بعد يعني
جبريل وميكائيل يقاتلان كاشد ما يكون القتال قال النووي فيه بيان
اكرامه صلى الله عليه وسلم بانزال الملائكة تقاتل معه وبيان ان قتالهم لم
يختص بيوم بدر قال وهذا هو الصواب خلافا لمن زعم اختصاصه
فهذا صريح في الرد عليه وفيه ان رؤية الملائكة لا تختص بالانبياء
عليهم السلام بل يراهم الصحابة والاوليا رضي الله عنهم انتهى قال
ابن الانباري وكانت الملائكة لا تعلم كيف يقتل الادميون فعلمهم الله عز
وجل بقوله فاضربوا فوق الاعناق اي الرؤوس واضربوا منهم كل بنان
قال ابن عطية كل مفصل قال السهيلي جا في التفسير انه ما وقعت
ضربة يوم بدر الا في راس او مفصل وكانوا يعرفون قتلى الملائكة
من قتلاهم باثار سود في الاعناق والبنان وقال الشيخ تقي الدين السبكي
سئلت عن الحكمة في قتال الملائكة مع النبي صلى الله عليه وسلم مع ان جبريل

عليه السلام قادر على ان يدفع الكفار بريشة من جناحه فعلت ذلك
لارادة ان يكون الفضل للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وتكون الملائكة مددا
على عادة مدد الجيوش رعاية لصورة الاسباب التي اجراها الله عز
وجل في عباده والله سبحانه فاعل الجميع انتهى وفي الكشاف في قوله عز وجل
وما انزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين فان قلت
فلم انزل الجنود يوم بدر والخندق قال تعالى فارسلنا عليهم ريحا وجنودا
لم تروها بالف من الملائكة مردفين بثلاثة الاف من الملائكة منزلين
بخمسة الاف من الملائكة مسومين قلت انما كان يكفي ملك واحد
فقد اهلكت مدائن لوط بريشة من جناح جبريل عليه السلام وبلاد
ثمود قوم صالح بصيحة ولكن الله عز وجل فضل محمدا صلى الله عليه وسلم
بكل شيء على كبار الانبياء عليه وعليهم الصلوة والسلام واولي العزم
من الرسل فضلا عن حبيب النجار واولاه من اسباب الكرامة
والاعزاز ما لم يوله احدا فمن ذلك انه انزل له جنودا من السماء وكانه
اشار بقوله وما انزلنا وما كنا منزلين الى ان انزال الجنود من عظائم
الامور التي لا يؤهل لها الا مثلك وما كنا نفعله بغيرك فان قلت
قول المصنف وكذلك قتل الملائكة لهم حقيقة ينافي ما في الاية من ان
الله عز وجل هو الذي قتلهم قلت جرت عادة الله عز وجل في كتابه
العزيز انه يسند فعل الملائكة الى نفسه كما وقع في قوله عز وجل الله
يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها وقوله عز وجل قل

يتوفاكم

يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم وقوله عز وجل ونفخنا فيه من روحنا
مع ان النافخ جبريل عليه السلام وانما كان فعل الملائكة يسند الى الله عز وجل
لانهم فعلوه بامره وليس لهم في فعله استقلال ومن هذا القبيل افعال
الانبياء عليهم السلام فانها تسند الى الله عز وجل لانها بمحض امره
ومن هذا القبيل قوله عز وجل اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا
بثالث مع ان المرسل والمعزز انما هو عيسى عليه السلام لانه خليفة
الله عز وجل ورسوله وقول المصنف وكذلك قتل الملائكة لهم حقيقة
اي يطلق عليه لفظ القتل حقيقة لا مجازا فاطلاق الحقيقة في هذا
الموضع على لفظ القتل والاظهر ان المراد ان اسناد القتل الى الملائكة
حقيقة فاضافة قتل الى الملائكة معناه اسناد القتل اليهم ليس
اسنادا مجازيا وليس مجازا في الاسناد ليكون عقليا وانما هو
اسناد حقيقي فيكون حقيقة عقلية فليس من قبيل تسمية
المدلول باسم الدال كما توهم فان قلت لم لم يقل المصنف قتل الله عز وجل
لهم حقيقة اي اسناد قتلهم الى الله عز وجل حقيقة لا مجاز فان هذا
هو الواقع في الاية في قوله ولكن الله قتلهم ولم يقل ولكن الملائكة قتلوهم
قلت بين المصنف بذلك ان هذا القتل الذي اسنده الله عز وجل
اليه هو قتل الملائكة لهم وبينا كيفية قتل الملائكة عليهم السلام لهم
يوم بدر ومن هذا القبيل قوله عز وجل في شان المؤتفكة مدائن لوط
عليه السلام فجعلنا عاليها سافلها مع ان الذي جعلها كذلك جبريل عليه السلام

اعتراض على ابن الحنبلي

وبالجملة ففاعل الجميع هو الله عز وجل الا ان افعال الملائكة عليهم السلام
لما لم تشب بنوع استقلال بل كانت بمحض خلق الله عز وعلا جرت
عادة الله عز وجل ان يسندها الى نفسه لانه هو الفاعل بالحقيقة
قال شيخنا الرضي بن التاذفي المعروف بابن الحنبلي في شرحه بقي شي
وهو ان يقال لو كان الفاعل بالحقيقة هو الخالق عز وجل لا الكاسب
لصح ان يقال انه تعالى قائم وقاعد وزان وسارق الى غير ذلك فلا يكون
القاتل والرامي هو الله عز وجل كما ذهب اليه المصنف قال وجوابه
انه لا يلزم من كون الفاعل بالحقيقة هو الخالق لاستغنائه عن غيره
وافتقار الكاسب اليه في خلق القدرة له ان يجوز اسناد القيام والزنى
وشبههما اليه تعالى اسنادا يكون حقيقة عقلية على معنى انه
خالقهما وان صح هذا المعنى لجواز ان لا يصح شرعا بهذه الالفاظ لما فيها من
البشاعة بواسطة ايهامها نسبة ما لا يليق به تعالى اليه سبحانه كما لم يصح
شرعا استعمال مثل خالق القردة والخنازير في حقه تعالى بل اولى للتصريح
فيه بلفظ الخلق دون ما نحن فيه واما نحو ولكن الله رمى ولكن الله
قتلهم مما وقع في كلام الشارع فلا يقاس عليه لان اطلاقاته لا يقاس عليها
ولئن جا على الاصل لنكتة فانه لا يلزم ان يقع مثله في غير كلامه ولو على
الاصل لجواز وجود مانع شرعي مثل ما ذكرنا على ان كون الفاعل بالحقيقة
هو الخالق للوجه الذي ذكر لا ينافي ان يكون اسناد مثل القيام والزنى
وغيرهما الى الكاسب هو الحقيقة العقلية والى الخالق لو اسند هو المجاز

العقلي

العقلي بناء على ان من حقهما ان تسند الى الكاسب لتلبسه بهما
وقيامهما به وان لم يكن خالقا لهما نظرا الى ثبوتها له في الظاهر وان
الظاهر معتبر في باب الحقيقة العقلية ولذا قيل انها اسناد الفعل
او معناه الى ما هو له عند المتكلم في الظاهر ميلا الى اعتبارهم اياه في
المخاطبات والمحاورات وجزم التفتازاني ان المتصف بالشي
حقيقة من قام به ذلك الشي لا من اوجده ردا بذلك على المعتزلة
القائلين بانه سبحانه لو كان خالقا لافعال العباد الاختيارية لكان
هو القائم والزاني الى غير ذلك قال اولا يرون ان الله عز وجل هو
الخالق للسواد والبياض وسائر الاجسام ولا يتصف بذلك انتهى
ثم قال شيخنا لا يقال كيف صح نفي الرمي عنه صلى الله عليه وسلم وان اسناده
اليه حقيقة لانا نقول المنفي انما هو كونه سببا حقيقيا للرمي
الكسبي وبالجملة في قوله ولكن الله رمى تجوز عقلي ومثله انا
شققنا الارض شقا فقد نقل عن الزمخشري ان فيه تجوزا عقليا
وجزم به بعض المحققين كالبيضاوي حيث قال اسند الشق
الى نفسه سبحانه اسناد الفعل الى السبب فما نحن فيه مثل لو
قلت ما بنى المعمار المدينة اذ بناها ولكن الامير بنى وانت تريد
انه لم يكن السبب الآمر في بنائها ولكن الامير كان اياه انتهى
واقول هذا الكلام لم يوضح المسئلة ولم تحم حول ايضاحها وان اردت
توضيح ذلك فاستمع لمقالنا فنقول نقرر الشبهة على وجه اوسع

مماقال وهو ان يقال لوكان الله عز وجل هو الفاعل حقيقة لافعال
العبد لبطل كونه مكلفا لان التكليف متوجه على العبد بافعل لاتفعل فلم يخل
الحال من احد امرين اما ان لايتحقق من العبد فعل اصلا فيكون التكليف
سفها من المكلف ومع كونه سفها يكون متناقضا فان تقديره حينئذ
افعل يامن لايفعل وايضا فان التكليف طلب والطلب يستدعي مطلوبا
ممكنا من المطلوب منه واذا لم يتصور منه فعل بطل الطلب وايضا فان
الوعد والوعيد مقرون بالتكليف والجزا معقود على الفعل والترك فلو
لم يحصل من العبد فعل ولم يتصور ذلك بطل الوعد والوعيد وتعطل
الثواب والعقاب فيكون التقدير افعل وانت لاتفعل ثم ان
فعلت ولم تفعل فيكون لك الثواب او العقاب على ما لم تفعل
وهذا خروج عن قضايا الحس فضلا عن قضايا العقول حتى لايبقى
فرق بين خطاب الانسان العاقل وبين خطاب الجماد وايضا لوكان
الله عز وجل هو خالق افعال العبد لنسبت الافعال شرها وخيرها
بالطريق الذي ينسب الى العبد فيقال ان الله هو الذي صلى وهو
الذي فعل وضل وهذا محال والجواب الحاسم للشبهة على طريقة
ابي الحسن الاشعري الذي لم يثبت للقدرة الحادثة اثرا ان الاشعري
اثبت للعبد تمكنا وتاتيا يحسه الانسان من نفسه وذلك يرجع
الى سلامة البنية واعتقاد التيسير بحكم جريان العادة ان العبد
مهما هم ان يفعل وازمع على امر خلق الله عز وجل له قدرة واستطاعة

مقرونة

مقرونة بذلك الفعل الذي يحدثه فيه فيتصف به العبد ويخاطب
وذلك هو مورد التكليف واحساسه به كاحساسه بالصفات
التابعة للحدوث عندكم وان لم تكن هي من اثر القدرة الحادثة فالصلوة
والعبادة والزنى فعل العبد الذي هو كسبه فان الذي خلق الله
وجود الفعل والمكلف به جهة لهذا الوجود يستحق بها المدح والذم
وهي كسب العبد المكلف وبهذا الكسب يسمى العبد عابدا مطيعا
مصليا عاصيا صائما مزكيا حاجا غازيا والفعل من هذا الوجه لا
ينسب الى البارى عز وجل فلا يكون مريدا له ولا فاعلا من هذا الوجه بل
ينسب اليه من حيث التجدد والتخصص وما لم يكن الفعل فعلا
للمريد لا يكون مرادا له فما كان من جهة العبد من الذي سميناه
كسبا ووقع على وفق العلم والامر كان مرادا ومرضيا اعني كان مرادا
بالتجدد والتخصص مرضيا بالثنا والجزا والثواب وما وقع على
وفق العلم وخلاف الامر كان مرادا غير مرضي اعني مرادا بالتجدد
غير مرضي بالذم والعقاب وهذا هو سر هذه المسئلة ومن اطلع عليه
استهان بتهويلات القدرية وتمويهات الجبرية فعلى هذه القاعدة
لم يكن البارى عز وجل فاعلا للشرور والمعاصي من حيث انها
شرور ومعاص وقبائح ولا هو مريد للخيرات والطاعات والمحاسن
من حيث انها كذلك بل هو مريد لكل ما تجدد وحدث في العالم من حيث انها
متخصصة بالوجود دون العدم ومتقدرة باقدار دون اقدار في

اوقات دون اوقات ثم ذلك الموجود قد يقع منتسبا الى استطاعة
العبد كسبا على وفق الامر فيسمى طاعة مرضية اي مقبولة بالثنا
ناجزا والثواب اجلا وقد يقع على خلاف الامر فيسمى معصية غير مرضية
اي مردودة باللوم ناجزا والعقاب آجلا ولولا كسب العبد في البين
لكان الفعل فعلا متجردا متخصصا بما خصصته الارادة من غير ان
يقال هو خير او شر ايمان او كفر ولا يجوز ان يقال انه لا يجوز نسبة القيام
والزنى اليه تعالى لما في ذلك من البشاعة وان هذا من قبيل انه خالق
القردة والخنازير لان ذلك منع منه بشاعة هذا الكلام مع انه مطابق
للواقع واما هذا فلا يقال لانه غير مطابق للواقع فان الله عز وجل خلق
الفعل والزنى انما هو عزم المكلف مع هواجسه وتجشمه على هذا
الفعل وانما سمي بهذا الاسم لعدم مطابقته امر الله عز وجل وكذلك الصلوة
ونحوها فان قلت اذا كان كسب العبد هو الذي احدث للافعال هذه
الاسما اعني الصلوة والقيام والقعود فلم سمى الله عز وجل فعله مع
المشركين قتلا ونفاه عن المومنين بقوله فلم تقتلوهم ولكن الله
قتلهم ولم سمى الله عز وجل فعله وهو ايصال التراب والحصبا من
كف النبي صلى الله عليه وسلم الى المشركين رميا ونفاه عن نبيه صلى الله عليه
وسلم بقوله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى قلت لا يخفى ان العبد
اذا فعل فعلا وجد منه عزم وتصميم ثم جراة على الفعل فسمي استطاعة
فذلك هو كسب العبد ثم ان الله عز وجل يخلق بطريق جري العادة عقب

ذلك

ذلك الفعل فالصحابة عزموا على قتل المشركين وصمموا لكن لم يخلق الله
عز وجل الفعل الذي عزموا عليه بدليل ان راس الكافر كان يقع عن عنقه
قبل وصول سيف المومن اليه وبدليل انهم كانوا يجدونهم مضروبين
في البنان بل خلق الله عز وجل قتلهم ابتداء من غير مدخل للكسب في ذلك
واما رمي النبي صلى الله عليه وسلم فيمكن ان يكون الله عز وجل اوحى اليه انك
اوجد الرمي من كفك وانا احدث رميا مخالفا للعادة خارقا لها لا يترتب
على فعلك ترتب المسببات العادية على اسبابها فعل فحدث رمي لم
تجر العادة باستطاعة البشر له فكان معجزة له صلى الله عليه وسلم
خارقا للعادة واما اسناده الى النبي صلى الله عليه وسلم من حيث
الصورة الظاهرة فقال اذ رميت فان قلت هل اسناد الصلوة
والعبادة الى العبد حقيقة عقلية او مجاز عقلي واسنادها الى الله
عز وجل من اي القسمين هو قلت لا يخفى عليك ان الله عز وجل ~~هو~~
هو الخالق لافعال الصلوة والعبادة ونحو ذلك لكن لا يقال له انه
مصل ولا عابد حقيقة ولا مجازا اما الحقيقة فلان المتصف بالشي
حقيقة من قام به ذلك الشي لا من اوجده وخلقه الا ترى ان الله
عز وجل هو الخالق للسواد والبياض وساير الاعراض ولا يتصف
بشي من ذلك فالعابد والمصلي والزاني والقايم والقاعد من
قام به الشي لا من اوجده واحدثه واما المجاز فلايهامه النقص
نعم ان اطلق الله عز وجل على نفسه الكريمة فعلا اطلقناه عليه مثل

ما اراده ويكون مجازا عقليا كما في قوله عز وجل انا شققنا الارض شقا
فان الشق قام بالحراث الذي يحرث الارض ويشقها ولكن الله عز
وجل اسند الشق الى نفسه الكريمة اسناد الفعل الى السبب
فان قلت فيكون اسناد الرمي الى نفسه مجازا قلت بل هو
حقيقة لما تقدم ان هذا الرمي فعل الله ليس الا وليس للنبي صلى الله عليه
وسلم فيه الا مجرد الظهور من يده الشريفة وكذلك اسناده الى النبي
صلى الله عليه وسلم حقيقة ولهذا يجعله فعل الله عز وجل من لا يقول بان
افعال العباد مخلوقة لله عز وجل كالمعتزلة وقد قيل في هذه الاية الاخرى
وهي قوله عز وجل فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت
الاية وانما كانت اخرى بالنظر الى اية ان الذين يبايعونك الاية انها
على المجاز العرفي وجد في نسخة على المجاز العرفي نسبة الى العرف قيل
المراد به هنا ما يقابل العقلي على ان المراد بالعرف ما يعم عرف اللغة
والشرع وغيرهما من عرف خاص او عام والا فالمجاز العرفي عندهم
قسم من اللغوي المقابل للعقلي واقول ليس المراد هنا بالعرفي
ما يقابل المجاز العقلي بل المراد به ما يقابل الشرعي واللغوي وهو
المشاكلة لان المتكلم بالمشاكلة لا يريد باللفظ الذي يطلقه على ذلك
المعنى ان اطلاقه مجاز لعلاقة فان قوله عز وجل مثلا تعلم ما في نفسي
ولا اعلم ما في نفسك فالنفس المضافة الى الله عز وجل اريد به
الغيب ولا علاقة بين معنى النفس الذي وضع لفظ النفس

له

مناقشة مع ابن الحنبلي

له وبين الغيب بشي من العلاقات المعتبرة لان مجرد ذكر الشي في
مصاحبة الشي لا يعد علاقة لان الاصح ان العلاقة موضوعة بالنوع
وهذه العلاقة لم توضع لكن اهل العرف اعتبروها فجوزوا ان يذكر
اللفظ مطلقا على شي لمجرد وقوعه في صحبة لفظ اريد به معناه فان
المشاكلة هي ان تذكر الشي بلفظ غيره لوقوعه في صحبته لفظا او تقديرا
فاللفظ كقوله قالوا اقترح شيا نجد لك طبخه قلت اطبخوا لي جبة وقميصا
فقوله اطبخوا لي اي خيطوا الي عبر به عنه لوقوعه في صحبته تحقيقا
ومنه قوله وجزاء سيئة سيئة مثلها لان الجزاء حق ولا يوصف بانه
سيئة وقوله عز وجل تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك وقوله
تعالى ومكروا ومكر الله فان اطلاق النفس والمكر في جانب
الباري عز وجل انما هو للمشاكلة ما معه وقوله عز وجل فمن اعتدى
عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وقوله عز وجل فاليوم ننساكم
كما نسيتم وقوله ويسخرون منهم سخر الله منهم وقوله عز وجل انما نحن
مستهزءون الله يستهزئ بهم ومثال التقديري قوله عز وجل صبغة
الله ومن احسن من الله صبغة اي تطهير الله عز وجل على انه
مصدر موكد لقوله عز وجل قولوا امنا بالله فقد وقع في صحبة
الصبغ تقديرا وذلك ان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء
اصفر يسمونه المعمودية ويجعلون ذلك تطهيرا لهم واذا فعل احدهم
بولده ذلك قال الان صار نصرانيا حقا فقيل للمسلمين قولوا صبغنا

قوله: بحث
يظهر بحثه معنى المشاكلة
اتم ظهور

الله عز وجل بالايمان صبغة وطهرنا تطهير الامثل صبغتكم وتطهيركم
ايها النصارى والحاصل ان هذه الالفاظ المذكورة في صحبة مثلها اطلقت
على معان لم توضع لها فكان اطلاقها عليها ليس حقيقة ولا علاقة بين ما
ما اريد منها وبين ما وضعت له فليس مجازا فان قلت العلاقة المصاحبة
قلت العلاقة موضوعة بالنوع وليس من انواع العلاقة الوقوع
في الصحبة بتسمية مثل هذا مجازا انما هو بحسب عرف البديعيين
ولهذا جعلها بعضهم من الوسائط بين المجاز والحقيقة نعم وجد في
بعض انواع المشاكلة علاقة مصححة للاطلاق فيكون ذلك
موجبا لمزيد الحسن كما بين السيئة وجزائها فان اطلاق السيئة
على جزائها مجاز مرسل من قبيل اطلاق اسم السبب على المسبب
لان السيئة سبب لجزائها ويمكن ان يقال ان جزاء السيئة سيئة
لغة لانها مما يسوءه وان لم تكن سيئة شرعا فاطلاق لفظ
السيئة على جزائها حقيقة لغوية نعم اشكال المشاكلة انما يرد اذا لم
يكن بين المعنى الحقيقي للفظ وبين ما اريد منه علاقة كما بين الطبخ
والخياطة وحينئذ اما ان يجعل الوقوع في الصحبة علاقة مصححة
للمجاز في الجملة واما ان يجعل ذلك من قسم الواسطة والافلا وجه
للتعبير به عنه نعم يمكن ان يقال انهم اصطلحوا على تسمية مثل ذلك مجازا
وان لم يصدق حد المجاز عليه كما اصطلحوا على ان يسموا المستثنى المنقطع
مستثنى وان لم يصدق حد المستثنى عليه فيسمى ذلك مجازا عرفيا ووجد

في بعض النسخ المجاز العربي واراد به المجاز اللغوي الذي هو استعمال
اللفظ في غير ما وضع له في لغة العرب وليس مجازا عقليا وافعاني الاسناد
لان ذلك لا يختص بلغة العرب لصدق تعريفه على التراكيب التي ليست
عربية فانه اسناد الفعل او معناه الى غير ما هو له لملابسة بينهما
ومقابلة اللفظ اي من قبيل انه قابل اللفظ الذي استعمل في معناه الحقيقي
بلفظ مثله لمجرد مشاكلة اللفظ **ومناسبته** اي ما قلتوهم يعني ان
الصحابة افتخروا بقتل المشركين يوم بدر وبقي احدهم يقول قتلت فلانا
وفلانا ويعد من هو مقتول له بحسب الظاهر فالله عز وجل نفى القتل
عنهم واثبته لنفسه مع ان معنى القتل الذي وضع له لفظ القتل
وجد منهم لكن لم يصل الى المشركين من فعل المومنين ما يزهق ارواحهم
بل لم يوصل المزهق الى ارواحهم الا الله عز وجل على يد ملائكته ومثل
هذا لا يعد قتلا بحسب الوضع اللغوي بل اطلق عليه لفظ القتل
لمشاكلة دعوى المسلمين انهم قتلوا فذكر لفظ القتل لمشاكلة لفظ ذكر
تقديرا فهو على حد قوله عز وجل صبغة الله فالقتل المنفي هو ثمرة القتل
وهي ازهاق الروح وازهاق الروح لم يفعله الا الله عز وجل وهو لازم
للقتل الذي هو التوصل الى ازهاق الروح بالة محددة او مثقلة او غيرهما
فاطلق عليه لفظ القتل من قبيل اطلاق اسم السبب على المسبب او اسم
الملزوم على اللازم فوجد مع المشاكلة العلاقة المعتبرة في المجاز وليس
القتل المنفي هو قتلهم بالجزع كما توهم لما لا يخفى على المتامل **وما رميتهم**

انت اذ رميت وجوههم بالحصبا والتراب ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع
لا يخفى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما اخذ كفا من التراب او الحصبا والقاه
في وجوه المشركين لا يخلو امره من احوال اما انه علم وتحقق ان هذا
التراب قليل لا يصل الى اعين المشركين كلهم ولا اكثرهم بل ربما انه لا يصل الى
احد منهم لانهم بعيدون عنه بعدا لا يمكن بحسب العادة ان يصل
التراب او الحصبا اليهم لا سيما والتراب سريع التبدد خفيف الجسم
لا يطول مدى رميته ولكنه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك تفاولا بذلتهم لان
الذليل يحثى في وجهه التراب واما ان يكون تفاولا بدفعهم على الوصول
الى اضراره كما يدفع هذا التراب واما ان يكون تفاولا بتفرقهم مغلوبين
كما يتفرق التراب وهذا كما كان صلى الله عليه وسلم يتفاءل في الامور المعنوية
بالامور الحسية كما تفال بقلب ردائه في الاستسقا وتحويله على قلب
الحال وتحوله من الجدب الى الخصب واما ان يكون الله عز وجل اخبره
بانك ان رميتهم بالتراب اوصلت التراب الى اعينهم فاشتغلوا بما
يقع في اعينهم وحينئذ بادر انت واصحابك الى ضرب اعناقهم وعلى
كل حال فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يصدر منه الا رمية بشرية لم تنفع في
ذلك والمقصود منه فعل الله عز وجل وهو الذي نفاه الله وهي
وصول التراب الى اعينهم وعلى هذا الوجه الذي ذكره المصنف هنا منفعة
الرمي الجزع في قلوبهم فقوله وما رميت اي لم توصل الجزع الى قلوبهم اذ
رميت الرمي الحقيقي ولكن الله عز وجل هو الذي اوصل الجزع الى قلوبهم

والمقصود من الرمي فعله الله عز وجل وحده لا شريك له فنفعه الرمي ٥

وملا قلوبهم منه عقب الرمي عليه للمشاكلة اللفظية وقوله بالحصباء
والتراب يشير الى ان الذي رماه رسول الله صلى الله عليه وسلم جا في رواية
انه حصبا اي حصى صغار وجا في رواية اخرى انه تراب اعلم ان هذا الرمي
وقع من النبي صلى الله عليه وسلم مرتين الاولى يوم بدر وفي السيرة اليعمرية قال
ابن اسحق ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ حفنة من الحصباء
فاستقبل بها قريشا ثم قال شاهت الوجوه ثم نفحهم بها وامر اصحابه
فقال شدوا فكانت الهزيمة فقتل الله عز وجل من قتل من صناديد قريش
واسر من اسر من اشرافهم وقال ابن عقبة وابن عائذ فكانت تلك الحصباء
عظيما شانها لم تترك من المشركين رجلا الا ملات عينيه وجعل المسلمون
يقتلونهم ويأسرونهم وبادر النفر كل رجل منهم منكبا على وجهه لا يدري اين
يتوجه يعالج التراب ينزعه من عينيه فمقتضى هذه الرواية ان المتناول
كان حصبا وبينها تراب وربما كان الواصل الى اعينهم شيا من الحصباء
وشيا من التراب لان الحصبا الحصى الصغار وقد تدخل في الاعين والثانية
يوم حنين ففي كتاب زيادة المغازي ليونس بن بكير في غزوة حنين كان
العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه وتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم
حصيات من الارض ثم قال شاهت الوجوه اي قبحت ورمى بها في
وجوه المشركين فما خلق الله عز وجل منهم انسانا الا ملا عينيه من تلك
القبضة وفي رواية لمسلم قبضة من تراب من الارض فيحتمل انه رمى
بذا مرة وبالاخر اخرى ويحتمل ان يكون صلى الله عليه وسلم اخذ قبضة واحدة

مخلوطة من حصى وتراب ولاحمد وابي داود والدارمي من حديث
ابي عبد الرحمن الفهري في قصة حنين قال فولى المسلمون مدبرين كما قال
الله عز وجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا عبد الله انا عبد الله
ورسوله ثم اقتحم عن فرسه فاخذ كفا من تراب قال فاخبرني الذي كان
ادنى مني انه ضرب وجوههم وقال شاهت الوجوه فهزمهم الله عز
وجل قال يعلى بن عطا رواية عن ابي همام عن ابي عبد الرحمن الفهري
فحدثني ابناوهم عن ابائهم انهم قالوا لم يبق منا احد الا امتلات عيناه
وفمه ترابا وسمعنا صلصلة من السما كامرار الحديد على الطست
الجديد بالجيم ولاحمد والحاكم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه فحادت
به صلى الله عليه وسلم بغلته فمال السرج فقلت ارتفع رفعك الله فقال
ناولني كفا من تراب فضرب وجوههم وامتلات ترابا وجا المهاجرون
والانصار سيوفهم بايمانهم كانها الشهب فولى المشركون الادبار وقوله
قذف في قلوبهم بالجزع يريد ان الرمي الذي اسند الى الله عز وجل ليس
هو رمي التراب فان ذلك صدر من النبي صلى الله عليه وسلم وانما هو رمي
قلوبهم بالجزع والخوف حتى ادى ذلك الى ان انهزموا وولوا مدبرين
والمراد ان الله عز وجل اوجد في قلوبهم الجزع وليس الجزع مما يتعلق به
الرمي الا انه يلزم من رمي شي الى شي وجود المرمي في ذلك الشي المرمي
اليه فعبر عن لازم الرمي بالرمي فوجد فيه مع المشاكلة اللفظية علاقة
تصحح المجاز ويمكن ان يقال ان الجزع لم يوجد الا عند رمي النبي صلى الله عليه

وسلم فكان الرمي سببه وهو مسبب فيكون من قبيل اطلاق اسم
السبب على المسبب ويجوز ان يكون الله عز وجل اوحى الى نبيه
صلى الله عليه وسلم انك ارمهم بكف من الحصبا يحصل لهم الجزع فاوجد
صلى الله عليه وسلم مجرد الرمي ولكن منفعة الرمي لم يوجدها الا الله
عز وجل وهي الجزع ولهذا قال المصنف اي ان منفعة الرمي كانت
من الله عز وجل فهو القاتل والرامي بالمعنى وانت بالاسم

الفصل العاشر في ما اظهره الله عز وجل في
كتابه العزيز من كرامته ومكانته عنده وما خصه به من ذلك
سوى ما انتظم فيما ذكرناه قبل من ذلك ما نصه الله عز وجل في
قصة الاسراء في سورة سبحان والنجم ان قلت كره بعض العلما
ان يقال سورة كذا مستدلا على ذلك بما روى الطبراني والبيهقي
عن انس مرفوعا لا تقولوا سورة البقرة ولا سورة ال عمران ولا سورة
النسا ولكن قولوا السورة التي يذكر فيها البقرة والتي يذكر فيها ال عمران
وكذا القران كله قلت هذا الحديث ضعيف الاسناد بل ادعى ابن الجوزي
انه موضوع وقال البيهقي انما يعرف موقوفا على ابن عمر رضي الله عنهما
ثم اخرجه عنه بسند صحيح وقد صح اطلاق سورة البقرة وغيرها عنه
صلى الله عليه وسلم وفي الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال هذا
مقام الذي انزلت عليه سورة البقرة ومن ثم لم يكرهه الجمهور فان قلت
هل تسمية السور بهذه الاسما امر توقيفي ام صنيع الناس قلت بل هو

الفصل العاشر

توقيفي فقد عرف بعض العلما السورة بانها الطائفة المترجمة توقيفا
اي المسماة باسم خاص بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم وقد ثبت جميع
اسما السور بالتوقيف من الاحاديث والاثار **وما انطوت** اي اشتملت
عليه القصة اي قصة الاسرا المروية في الاحاديث الصحيحة المفصلة
لما اجمل في الايات القرانية **من عظيم منزلته** اي منزلة النبي صلى الله عليه
وسلم فمما اشتملت عليه القصة من عظيم منزلته شرح صدره وشقه
تلك الليلة ثم غسله بما زمزم ثم جيء بطست ممتلئ ايمانا وحكمة
فافرغ في صدره وانه غسل قلبه بما زمزم واختياره للبن على الخمر والعسل
وقول جبريل عليه السلام له اخترت الفطرة وصلاته بجميع النبيين اماما
بتقديم جبريل له ثم صعوده من سما الى سما بجسده الشريف على الاصح
ورويته للانبيا عليهم السلام ووصوله الى سدرة المنتهى وانه
ادخل الجنة فاذا فيها جنابذ اللولو واذا ترابها المسك وان البراق
لما شمس وضع جبريل عليه السلام يده على معرفته ثم قال الا تستحيي
يا براق مما تصنع فوالله ما ركبك عبد لله عز وجل اكرم من محمد صلى الله
عليه وسلم فاستحيا حتى ارفض عرقا قال ثم قرحتى ركبته وانه راى
مالكا خازن النار وانه فاتحه بالسلام عليه وانه راى اناسا
يعذبون في قبورهم كاكلة الربا واكلة اموال اليتامى وانه اتى على
موسى عليه الصلوة والسلام فقال يدخل الجنة من امته اكثر مما يدخل
من امتي وانه دخل الجنة فراى فيها حوراء لعساء فقال لها لمن انت

قالت

الجنابذ جمع جنبذة
وهي القبة ٥
نهاية

قالت لزيد بن حارثة رضي الله عنه وانه ظهر لمستوى سمع فيه صريف
الاقلام اي تصويتها حال الكتابة وهو صوت ما تكتبه الملائكة من
اقضية الله عز وجل ووحيه وما ينسخونه من اللوح المحفوظ او ما شا
الله عز وجل من ذلك ان يكتب ويرفع لما اراده من امره وتدبيره ثم في
قصة الاسرا ان منزلة نبينا صلى الله عليه وسلم علت وارتفعت فوق منازل
سائر الانبيا في ملكوت السموات علوا حسيا وهو دليل على علو درجته
ورفعة مقامه وابانة فضله وانه علا حتى اتى الحجاب وانه راى تلك
الليلة جبريل عليه السلام له ستمائة جناح وانه راى رب العزة جل وعلا
وانه دنا منه فتدلى اي زاد في القرب وان جبريل عليه السلام فارقه
وانقطعت عنه الاصوات وسمع كلام رب العزة جل وعز وسياتي
الكلام مفصلا على رويته لربه عز وجل ان شا الله **ومشاهدته ما
شاهد من العجائب** هذه عبارة مبينة لقوله عز وجل لقد راى من ايات
ربه الكبرى واشار بتعبيره بالعجائب الى ان الايات في قوله لقد راى
من ايات ربه بمعنى العجائب ومن ذلك قوله عز وجل وجعلنا ابن مريم
وامه اية اي عجيبة من عجائب قدرتنا والمعنى انه شاهد ما لا
يدخل تحت نطاق العبارة ويجوز ان يكون ما شاهد تفسيرا للكبرى
بنا على ان الكبرى في الاية مفعول لراى اي راى من ايات ربه اي من
عجائبه العجيبة الكبرى ويجوز ان يكون الكبرى صفة للايات ومفعول
راى محذوفا والتقدير راى شيا من ايات ربه الكبرى والتنكير في

المفعول للتعظيم اي راى شيا عظيما منه ومن ذلك اي مما اظهره الله عز وجل
من كرامته عصمته اي عصمة الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم فهو من
اضافة المصدر الى مفعوله من الناس اي من جنس الناس فلا يصل
احد من الناس الى روحه وان وصل الى الاذى بشجة او جرح فذلك لا
ينافي هذه العصمة والعصمة هي المنعة ومنه يقال للدرهم عصمة
وقوله عز وجل لا عاصم اي لا مانع فالله عز وجل امره بان يبلغ جميع ما
انزل من ربه بدليل تعبيره بما التي هي من صيغ العموم ففي الحديث عن النبي
صلى الله عليه وسلم بعثني الله عز وجل برسالاته فضقت بها ذرعا فاوحى
الله الي ان لم تبلغ رسالتي عذبتك فضمن لي العصمة فقويت عز وجل
بقوله والله يعصمك من الناس سبب نزولها انه صلى الله عليه وسلم كان نازلا
تحت شجرة فجاء اعرابي فاخترط سيفه وقال للنبي صلى الله عليه وسلم من
يمنعك مني قال الله عز وجل فدعرت يد الاعرابي وسقط السيف
من يده وضرب براسه الشجرة حتى انتثر دماغه وسياتي ان صاحبها
غورث بن الحارث وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي صلى الله
عليه وسلم لما بعثني الله عز وجل برسالته ضقت بها ذرعا وعرفت ان
من الناس من يكذبني فانزل الله عز وجل هذه الاية وكان يرسل
ابو طالب كل يوم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجالا من بني هاشم
يحرسونه حتى نزل والله يعصمك من الناس فقال النبي صلى الله عليه
وسلم يا عماه ان الله عز وجل قد عصمني من الجن والانس فلا احتاج

ال

الى من يحرسني وهذا يقتضي ان ذلك كان بمكة وان الاية مكية وليس
كذلك ومن المعلوم ان سورة المائدة مدنية باجماع ومما يدل على ان
هذه الاية مدنية ما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها
قالت سهر رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمه المدينة ليلة فقال ليت
رجلا صالحا يحرسني الليلة قال فبينا نحن كذلك سمعنا خشخشة
سلاح فقال من هذا قال سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء بك فقال وقع في نفسي خوف على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت احرسه فدعا له رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم نام هذا في صحيح مسلم وفي غيره قال فبينما نحن كذلك
سمعت صوت السلاح فقال من هذا قالوا سعد وحذيفة
جئنا نحرسك فنام صلى الله عليه وسلم حتى سمعت غطيطه ونزلت
هذه الاية فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه من قبة ادم
وقال انصرفوا ايها الناس فقد عصمني الله عز وجل وقوله عز وجل
واذ يمكر بك الذين كفروا الاية فان الله عز وجل اظهر في هذه الاية من
كرامة النبي صلى الله عليه وسلم على ربه وعلو مقامه ما لا يخفى وذلك ان
الله عز وجل ذكره لما مكر قريش به حين كان بمكة وما انعم الله عليه به
في ذلك المكر حتى يشكر نعمة الله عز وجل حيث خلصه من مكرهم وبعد ذلك
قدر عليهم واستولى والمعنى واذكر اذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك
بالوثاق او الحبس او الاثخان بالجرح من قولهم ضربه حتى اثبته لا حراك به

ولا ابراح ويقال رماه فاثبته اذا حبسه مكانه ويقال اصبح المريض
مثبتا اي لا حراك به او يقتلوك بسيوفهم او يخرجوك من مكة ويمكرون
ويمكر الله اي يرد مكرهم عليهم او يجازيهم على مكرهم او يقابلهم الماكرين
منهم بما يشبه المكر وهو اخراجهم الى بدر ثم انه قلل المسلمين في
اعينهم حتى حملوا عليهم فقتلوا قال الازهري في تهذيبه المكر من الخلائق
خب وخداع ومن الله عز وجل مجازاة للماكر ويجوز ان يكون استدراجه
اياهم من حيث لا يعلمون والعياذ بالله عز وجل وانما كان خير الماكرين
لان مكر غيره لا يؤبه به دون مكره واسند الى الله عز وجل للمشاكلة
ولا يجوز ان يسند اليه المكر ابتداء لما فيه من ايهام الذم تعالى وتقدس
عنه وقيل سمى الله عز وجل ما يعاقبهم به مكرا لان العرب تسمي الجزاء
على الفعل باسمه كما قال تعالى في اية اخرى وجزاء سيئة سيئة
مثلها وفي اية اخرى نسوا الله فنسيهم ووصف نفسه بانه خير
الماكرين اي اقدرهم واعزهم جانبا لانه تعالى ثبت للكفار مكرا فلذلك
صح فيه التفضيل كذا قيل ومقتضاه ان اصل المكر ثابت له كما
انه ثابت لهم الا انه خير الماكرين مع ان الثابت له انما هو المجازاة
على المكر المعبر عنها بالمكر مجازا لتحصيل صيغة المشاكلة ولئن ثبت
لهم المكر الحقيقي وهو ايصال المكروه في خفية وله المكر المجازي
وهو المجازاة عليه فكان كل ماكرا فانه لا يستقيم ان يراد بالماكرين
هنا مجموع الماكرين والمجازين على المكر لمنع مثله عند محققي النحو كمنع

التثنية

التثنية في مثل قوله

من الخفيف

جاد بالعين حين اعمى هواه ... عينه فانثنى بلا عينين

فالحق ان المراد خير المجازين على المكر كما هو مقتضى صاحب لباب التفاسير
نحو فتبارك الله احسن الخالقين اي المقدرين والا فهل من خالق غير الله
واقول اللفظ الذي يليق اطلاقه على غير الله عز وجل هو الماكر فيقال
زيد ماكر وعمرو ماكر واما اللفظ الذي يطلق على الله عز وجل فهو المجازي
على المكر لا الماكر ويطلق عليه الماكر مجازا فقد اتفقا لفظا واختلفا
معنى فاكثر المتاخرين على منع تثنية هذا النوع وجمعه لكن قال
ابن مالك والاصح الجواز ومنه قوله تعالى واله ابائك ابرهيم واسمعيل
واسحق مع ان اسحق اب ليعقوب حقيقة واسمعيل عم له وابرهيم
جد له وقولهم القلم احد اللسانين والخال احد الابوين ويجوز ان
يكون من قبيل جمع ما اختلف لفظا ومعنى بان يكون جمع المجازين
والماكرين بصيغة الماكرين فهو على اسلوب تثنية الشمس والقمر
بالقمرين وابي بكر وعمر بالعمرين قال ابن عباس رضي الله عنهما
معنى يمكرون يخفون المكائد لمحمد صلى الله عليه وسلم ويمكر الله عز وجل
فيخفي ما اعد لهم حتى ياتيهم بغتة والله خير الماكرين اي مكره انفذ
من مكر غيره وابلغ تاثيرا وسئل سمنون بن حمزة عن هذه الاية
واشباهها هل يجوز ان ينسب المكر الى الحق عز وجل فانشا يقول

من الوافر

ويقبح من سواك الفعل عندي ... فتفعله فيحسن منك ذاكا

فقال له السائل اسالك عن تفسير اية فتجيبني ببيت من الشعر
فقال له من اي البلاد انت فقال من الجبل فقال انت من الذين هم في
الناس كالكراث في البقل باجاني ان الله عز وجل آلى على نفسه ان لا
يودع الحكمة اعجمي القلب لم اجبك بشعر عجزا عن البيان لكن احببت
ان اعلمك ان في اقل الاشيا ادل الدلائل عليه تخليتهم مع المكر مكر
منه بهم اذ لو شا منع وقصة مكرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم
ان قريشا لما رات ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كانت له شيعة
واصحاب من غيرهم بغير بلادهم وهم الانصار الذين بايعوه في العقبات
الثلاث وراوا خروج اصحابه من المهاجرين اليهم عرفوا انهم قد نزلوا دارا
واصابوا منهم منعة فحذروا خروج النبي صلى الله عليه وسلم اليهم وعرفوا انه
قد اجمع لحربهم فاجتمعوا له في دار الندوة وهي دار قصي بن كلاب التي
كانت قريش لا تقضي امرا الا فيها يتشاورون فيها ما يصنعون
في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خافوه قال ابن عباس رضي
الله عنهما لما اجتمعوا لذلك واتعدوا ان يدخلوا دار الندوة ليتشاوروا
فيها في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم غدوا في اليوم الذي اتعدوا فيه
فاعترضهم ابليس في هيئة شيخ جليل عليه بت له وهو الكساء
فوقف على باب الدار فلما راوه واقفا على بابها قالوا من الشيخ قال
شيخ من اهل نجد سمع بالذي اتعدتم له فحضركم ليسمع ما تقولون
وعسى ان لا يعدمكم منه رايا ونصحا قالوا اجل فادخل فدخل معهم وقد اجتمع

فيها

فيها اشراف قريش عتبة وشيبة وابو سفيان وطعمة وجبير والحرث
والنضر وابو البختري وزمعة ومن كان منهم ومن غيرهم ممن لا يعد من
قريش فقال بعضهم لبعض ان هذا الرجل قد كان من امره ما قد
رايتم وانا والله ما نامنه على الوثوب علينا بمن قد اتبعه من غيرنا
فاجمعوا فيه رايا قال فتشاوروا ثم قال قائل احبسوه في الحديد
واغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما اصاب اشباهه من الشعراء
الذين كانوا قبله من هذا الموت حتى يصيبه ما اصابهم فقال الشيخ
النجدي لا والله ما هذا لكم براي والله لو حبستموه كما تقولون لخرج امره
من وراء الباب الذي اغلقتم دونه الى اصحابه فلاوشكوا ان يثبوا
عليه فينتزعوه من ايديكم ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على امركم
ما لكم هذا براي فانظروا في غيره فتشاوروا ثم قال قائل منهم نخرجه
من بين اظهرنا فننفيه من بلادنا فاذا خرج عنا فوالله ما نبالي اين
ذهب ولا حيث وقع اذا غاب عنا وفرغنا منه فاصلحنا امرنا
والفتنا كما كانت قال الشيخ النجدي لا والله ما هذا لكم براي الم تروا
حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما ياتي به
والله لو فعلتم ذلك ما امنت ان يحل على حي من احياء العرب فيغلب
عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ثم يسير عليكم حتى يطاكم
بهم فياخذ امركم من ايديكم ثم يفعل بكم ما اراد دبروا فيه رايا غير
هذا قال فقال ابو جهل بن هشام ان لي فيه لرايا ما اراكم وقعتم

عليه بعد قالوا وما هو يا ابا الحكم قال ارى ان ناخذ من كل قبيلة فتى شابا
جليدا نسيبا وسيطا فينا ثم نعطي كل فتى منهم سيفا صارما ثم يعمدوا
اليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه فانهم اذا
فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعا فلم يقدر بنوا عبد مناف على
حرب قومهم جميعا فرضوا منا بالعقل فعقلناه لهم فقال يقول الشيخ
النجدي القول ما قال الرجل هذا هو الراي لا راي غيره فتفرق القوم على ذلك
وهم مجمعون له فاتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره وقال لا تبت
على فراشك هذه الليلة الذي كنت تبيت عليه فلما كانت عتمة من الليل
اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه فلما راى رسول الله
صلى الله عليه وسلم مكانهم قال لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه نم على فراشي
وتسبح ببردي هذا الحضرمي الاخضر فنم فيه فانه لن يخلص اليك شي
تكرهه منهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام في برده ذلك اذا نام
قال محمد بن كعب القرظي لما اجتمعوا له وفيهم ابو جهل بن هشام فقال
وهم على بابه ان محمدا صلى الله عليه وسلم يزعم انكم ان تابعتموه على امره كنتم
ملوك العرب والعجم ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان
الاردن وان لم تفعلوا كان له فيكم ذبح ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت
لكم نار تحرقون فيها قال وخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ
حفنة من تراب في يده ثم قال نعم انا اقول ذلك انت احدهم واخذ
الله عز وجل على ابصارهم عنه فلا يرونه فجعل ينثر ذلك التراب على رؤسهم

وهو

وهو يتلو هذه الايات من يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين الى قوله
عز وجل فهم لا يبصرون حتى فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من هولاء الايات
ولم يبق منهم رجل الا وقد وضع على راسه ترابا ثم انصرف الى حيث
اراد ان يذهب فاتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال ما تنتظرون
ههنا قالوا محمدا قال قد خيبكم الله عز وجل قد والله خرج عليكم محمد ثم
ما ترك منكم احدا الا وقد وضع على راسه ترابا وانطلق لحاجته
افما ترون ما بكم قال فوضع كل رجل منهم يده على راسه فاذا عليه
تراب ثم جعلوا يطلعون فيرون عليا على الفراش متسجيا ببرد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون والله ان هذا لمحمد نائم عليه
برده فلم يبرحوا كذلك حتى اصبحوا فقام علي عن الفراش فنزلت هذه
فان قلت لم تمثل ابليس لعنه الله عز وجل بصورة شيخ نجدي قلت
انما تصوره بصورة شيخ فليقبل رايه فان راي الشيوخ مقبول اكثر
من راي الشبان وانما جعل نفسه من اهل نجد لان قريشا قالوا لا
يدخلن معكم في المشاورة احد من اهل تهامة لان هواهم مع محمد
صلى الله عليه وسلم وقد وقع في خبر بنيان الكعبة ان اللعين تصور
بصورة شيخ نجدي ايضا حين حكموا رسول الله صلى الله عليه وسلم في امر
الركن من يرفعه فصاح الشيخ النجدي يا معشر قريش اقد رضيتم
ان يليه هذا الغلام دون اشرافكم وذوي اسنانكم قال السهيلي في
الروض الانف فان صح هذا الخبر فلمعنى اخر تمثل نجديا وذلك ان نجدا

انظر
هذا المبحث
وما فيه من الفوائد

منها يطلع قرن الشيطان كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قيل له
وفي نجدنا يا رسول الله قال هنالك الزلازل والفتن ومنها يطلع
قرن الشيطان فلم يبرك عليها كما برك على اليمن والشام وغيرها
وحديث الاخر انه نظر الى المشرق فقال ان الفتنة ههنا من حيث
يطلع قرن الشيطان وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما انه حين قال
هذا الكلام وقف عند باب عائشة رضي الله عنها ونظر الى المشرق
فقال اي قال ان الفتنة ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان وفي
وقوفه عند بيت عائشة رضي الله عنها ناظرا الى المشرق يحذر من الفتنة
عبرة وفكرة في خروجها الى المشرق عند وقوع الفتنة لمن فهم الاشارة
والنمم واضم الى هذا قوله عليه الصلوة والسلام حين ذكر نزول
الفتن ايقظوا صواحب الحجر فان قلت ما المانع لهم من التقحم عليه
في الدار مع قصر الجدار وانهم انما جاوا لقتله قلت قال السهيلي ذكر
في الخبر انهم هموا بالولوج عليه فصاحت امراة من الدار فقال
بعضهم لبعض والله انها للسبة في العرب ان يتحدث عنا انا تسورنا
الحيطان على بنات العم وهتكنا ستر حرمتنا فهذا الذي اقامهم
بالباب حتى اصبحوا ينتظرون خروجه ثم طمست ابصارهم حين خرج
وقوله الا تنصروه فقد نصره الله هذا عتاب من الله عز وجل وتهديد
للمتخلفين عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فقوله الا تنصروه
اي تعينوه بالنفر معه في غزوة تبوك فعاتبهم بعد انصراف النبي صلى

الله

الله عليه وسلم من تبوك اي ان تركتم يا معشر المتخلفين عن نصره فالله
عز وجل متكفل بنصره اذ قد نصره في مواطن القلة واظهره على عدوه
بالغلبة والعزة وقيل فقد نصره بصاحبه في الغار بتانيسه له
وحمله على عنقه وبوفائه ووقايته له بنفسه ومواساته له بماله قال
الليث ما صحب النبيين احد مثل ابي بكر الصديق رضي الله عنه فان قلت
قوله جل ذكره فقد نصره الله ماضي اللفظ والمعنى وهو جواب الشرط
وقد علقه على امر مستقبل لفظا ومعنى وهو عدم نصرهم اياه وان
الشرطية من شانها انها تقلب الماضي مستقبلا في المعنى سواء
كان الفعل جزاء ام شرطا ونصر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم
ثاني اثنين اذ هما في الغار كان قبل الهجرة وقبل دخوله الى المدينة
والاية نزلت في غزوة تبوك وهي كانت في اخر عمر النبي صلى الله
عليه وسلم قلت الصحيح ان قوله عز وجل فقد نصره الله ليس جواب
الشرط بل جوابه محذوف دل هذا المذكور عليه والتقدير الا تنصروه
فسينصره الله الذي قد نصره ثاني اثنين اذ هما في الغار وليس
المذكور هو الجواب وان كان اهل الصناعة يسمونه جوابا حتى
يحكموا بان جملة فقد نصره الله محلها الجزم لانها وقعت جوابا للشرط
جازم واقترنت بالفا فان قلت كيف جا الاخراج ظرفا للنصر ونصر
الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم على الكفار كان بعد ذلك والظرفية لا
تصح الا اذا كان نصر الله عز وجل له وقت اخراج الذين كفروا له

قلت اعماء ابصار الكفار عنه وهو في بيته وخروجه عليهم وذر التراب
فوق روسهم ثم تثبيط الله عز وجل اياهم عن تتبعه حين خرج ثم ما
جرى له في الغار نص وای نصر كما قال

وقاية الله اغنت عن مضاعفة ۰ من الدروع وعن عال من الاطم ۞

وما دفع الله عز وجل اي ومن ذلك بيان امر دفع الله عز وجل به اي بذلك
الامر عنه اي عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه القصة التي ابتدأ اهل
مكرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم قاصدين قتله مصممين على ذلك واخرها
هجرته الى المدينة ومكثه بها من اذاهم بيان لفعول دفع اي بيان
امر دفع بسببه شيء وذلك الشيء هو اذاهم اي اذى الكفار للنبي صلى
الله عليه وسلم ولو قلنا ان ما معطوف على الناس لصار التقدير ومن ذلك
عصمته من ما دفع الله به من اذاهم فيلغو ذكر به وكان يكفي ان يقول مما
ما دفعه الله عز وجل من اذاهم ويلزم ان يكون المبين في هذا المقام
اذاهم المدفوع مع ان المبين انما هو الذي بسببه دفع عن نبينا صلى
الله عليه وسلم اذاهم فتامل ويمكن ان يكون ما معطوفا على قوله بقوله
فالتقدير حينئذ ومن ذلك عصمته من الناس ببيان ما دفع الله
بسببه شيء هو اذاهم بعد تحزبهم بفتح التاء والحاء وضم الزاي ثم باء
موحدة اي تجمعهم وصيرورتهم احزابا وفي الصحاح الاحزاب الطوائف
التي تجتمع على محاربة الانبياء عليهم السلام وفي نسخة تحريهم بتاء ثم حاء
مهملة ثم راء مكسورة مشددة ثم ياء مثناة من تحت اي قصدهم واجتهادهم

فان

فان التحري هو بذل المجهود في طلب المقصود لهلكه بضم الهاء وسكون
اللام مصدر بمعنى الهلاك وفي الحديث في صفة الدجال ولكن الهلك
كل الهلك ان الله عز وجل ليس باعور لانه وان ادعى الربوبية ولبس
على الناس بما لا يقدر عليه البشر فانه لا يقدر على ازالة عيبه وهو العور
والله سبحانه منزه عن النقائص والعيوب جل جلاله وخلوصهم اي قريش
الكفار الذين راموا اضرار النبي صلى الله عليه وسلم اي تميزهم وانفرادهم عن
الناس بحيث صاروا في خلوة وعزلة فخلوص مصدر اضيف الى
فاعله ونجيا حال من فاعل خلوص والنجي يستعمل بمعنيين يكون
بمعنى المناجي كالعشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر ومنه قوله
عز وجل وقربناه نجيا اي قربنا موسى عليه الصلوة والسلام مناجيا
ويكون بمعنى المصدر الذي هو التناجي فهو كالصهيل والنهيق وهو
بهذا المعنى يقع على الواحد والجمع قال جرير

من الكامل
يعلو النجي اذا النجي اضجهم ... امر يضيق له الصدور جليل ۞

فهو كالنجوى ومنه قوم نجي كما في قوله عز وجل واذهم نجوى تنزيلا للمصدر
منزلة الاوصاف في اطلاقه على الذوات فان قلت اذا كان نجي
بمعنى المناجي وهو المعنى الاول فكيف يحمل على الجمع وهو مفرد قلت
جاز ذلك كما جاز ان يقال هم صديق وذلك لان المصدر جنس يقع على
القليل والكثير ونجي وان اريد به الوصف لكن لما كان على زنة المصادر
عومل معاملتها واعطي حكمها وقد استعمل جمعا من قال

من الرجز

اني اذا ما القوم كانوا انجيه • واضطرب القوم اضطراب الارشيه
ومعنى خلوصهم نجيا في امره اعتزالهم وانفرادهم عن الناس خالصين
لا يخالطهم سواهم ونجيا اي ذوي نجوى او فوجا نجيا نجيا اي مناجيا لمناجاة
بعضهم بعضا واحسن منه انهم تمحضوا تناجيا لاستجماعهم لذلك
وافاضتهم فيه بجد واهتمام كانهم في انفسهم صورة التناجي وحقيقته
وكان تناجيهم في تدبير امرهم على اي شي يفعلون مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وماذا يصنعون حتى يطفئوا نور الله ويابى الله الا ان
يتم نوره ولو كره الكافرون والاخذ على ابصارهم في النهاية الاثيرية يقال
اخذ فلان بذنبه اي حبس وجوزي عليه وعوقب به ومنه الحديث
وان اخذوا على ايديهم نجوا يقال اخذت على يد فلان اذا منعته عما يريد
ان يفعله كانك امسكت بيده انتهى وحاصله ان اخذ معناه عوقب
وجوزي على جنايته بصره ومنه الاخذ على يد الظالم اي عقابه على جناية
يده وعقابه عليها حبسها ومنعها عن ان تصل الى ظلم وهكذا يقال في
الاخذ على بصره معناه عقاب بصره لحبسه ومنعه من الابصار عند
خروجه عليهم من داره التي كان ياوي اليها وذهولهم عن طلبه في الغار
الجار لغو لتعلقه بطلبه لانهم ذهلوا عن ان يستقصوا خبره في الغار
وصدهم عن ذلك العنكبوت والحمامتان اللتان باضتا على فم الغار
وليس حالا من الضمير المنصوب لانهم طلبوه اذ كان في الغار لكن طلبوه من
غير الغار ولما وصلوا الى الغار اذهلهم عنهم ما سياتي من امور ضعيفة

حقيرة

حقيرة اغنت عن دروع وسيوف وجيوش فسبحان القادر على كل شي
والغار الكهف في الجبل ما دام ضيقا فاذا اتسع فهو كهف فعلى هذا كل
غار كهف وليس كل كهف غارا قيل الغار المذكور هو الذي كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يتعبد فيه بحرا والذي اوى اليه مع ابي بكر رضي الله
عنه وهو المراد ههنا بثور واقول غار ثور الذي اوى اليه النبي صلى الله
عليه وسلم في الهجرة غار في جبل يقال له ثور وهو جبل في يمنى مكة على
مسيرة ساعة واما الغار الذي كان يتعبد فيه النبي صلى الله عليه وسلم
فهو غار بجبل حرا وهو جبل على ثلاثة اميال من مكة على يسار الذاهب
الى منى فجبل حرا وجبل ثور جبلان متغايران معروفان فاين هذا من
هذا حتى قيل ان الله عز وجل لما تجلى للجبل حين كلم موسى عليه الصلوة
والسلام جاءت شظايا من جبل الطور الى مكة والمدينة فصار منها بمكة
حرا وثور وثبير وبالمدينة عير وورقان واحد وما ظهر في ذلك من
الايات كنسج العنكبوت ونبات الراءة وتعشيش الحمامتين الوحشيتين
وسياتي في سوقنا الحديث المعجزة من ذلك شي كثير ونزول السكينة
عليه اي الوقار وقوة الجاش بعد الاضطراب من الخوف وفي الحديث
ما كنا نبعد ان السكينة تكلم على لسان عمر قيل هو الوقار والسكون
وقيل الرحمة وصريح كلام المصنف ان ضمير عليه عائد على النبي صلى الله
عليه وسلم فان قلت النبي صلى الله عليه وسلم حين كان في الغار كان ثابت
الجنان لم ينزعج من خوف وانما كان المنزعج ابا بكر رضي الله عنه بدليل قوله

صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا وقلق ابي بكر رضي الله عنه ظهر
من قوله للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله لو ان احدهم نظر الى قدميه لابصرنا
فاجابه ثابت الجنان صلى الله عليه وسلم بقوله يا ابا بكر ما ظنك باثنين الله
ثالثهما اي بالصحبة والنصر والمعونة قلت يجوز ان تنزل عليه صلى الله
عليه وسلم السكينة وتزيده ثباتا وقوة جاش وترقيه في هذه المرتبة
ويؤيد عوده الى النبي صلى الله عليه وسلم عود الضمير المذكور بعد ذلك اليه صلى الله
عليه وسلم بلا خلاف وهو قوله عز وجل وايده بجنود لم تروها فان المؤيد
بهذه الجنود هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الا هذا وان اكثر العلماء
على عود الضمير في عليه الى ابي بكر رضي الله عنه المعبر عنه بصاحبه لانه هو
الذي خاف على النبي صلى الله عليه وسلم فافتقر الى نزول السكينة ومع ذلك
فضمير ايده راجع الى النبي صلى الله عليه وسلم ولا يضر تفريق الضمائر اذا علم
بالقرائن مرجع كل منها كما وقع في قوله عز وجل لتؤمنوا بالله ورسوله
وتعزروه وتوقروه وتسبحوه فان ضمير تسبحوه عائد الى الله عز وجل مع
عود ضميري تعزروه وتوقروه الى النبي صلى الله عليه وسلم فان قلت قيل لك ابن
قصة حنين صرح فيها بنزول السكينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فذلك مما يؤيد عود الضمير الى النبي صلى الله عليه وسلم قلت نزول السكينة على
النبي صلى الله عليه وسلم لا ضير فيه ولا يمنع منه مانع ومن قال بعود الضمير الى
ابي بكر رضي الله عنه لم يقله لان نزول السكينة على النبي صلى الله عليه وسلم غير لائق
وانما حمله على تخصيص ابي بكر رضي الله عنه بعود الضمير اليه ان الضمير مفرد

فعوده

فعوده الى النبي صلى الله عليه وسلم تخصيص مع ظهور قوة جاشه في ذلك
المقام واستغنائه عن نزول السكينة عليه كما يظهر من مسامرته لابي بكر
ومشاهدته لجنود الله المؤيدين له وكون ابي بكر رضي الله عنه مفتقرا الى
نزول السكينة عليه غير لائق والا فالنبي صلى الله عليه وسلم كانت تنزل عليه
السكينة بل كان يدعو الله عز وجل ان ينزل عليه السكينة الا ترى
الى قوله وهو يحفر الخندق فانزلن سكينة علينا وثبت الاقدام ان لاقينا

من الرجز

فان قلت كيف تصنع في ما جاء في مصحف حفصة رضي الله عنها
فانزل الله سكينته عليهما قلت يكون في هذه زيادة فائدة فان قلت
نزول السكينة انما يحتاج اليه المنزعج ورسول الله صلى الله عليه وسلم
كان ثابت الجنان غير منزعج فما الحاجة الى ان نقول ان السكينة نزلت
عليه قلت نزول السكينة على كل من النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر رضي الله
عنه على قدر مقامه وعلى ما يليق به فهي على النبي صلى الله عليه وسلم زيادة في
قوة جاشه وطمانينة نفسه وعلى ابي بكر رضي الله عنه دفع الخوف وزيادة
في يقينه وقصة سراقة بن مالك هو سراقة بن مالك بن جعشم بضم
الجيم ابن مالك بن عمرو بن مالك المدلجي الكناني يكنى ابا سفيان حديثه
قال للنبي صلى الله عليه وسلم ارايت الضالة ترد على حوض ابلي الي اجر
ان سقيتها فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان في الكبد الحرا اجرا وهو الذي
قال له النبي صلى الله عليه وسلم كيف بك اذا لبست سواري كسرى وقد
البسه عمر رضي الله عنه في خلافته بعد ان وعده النبي صلى الله عليه وسلم

بذلك اياها وتاجه وقال الحمد لله الذي سلبهما كسرى والبسهما سراقة
روى عنه ابن عباس وجابر وابنه محمد مات سنة اربع وعشرين في
خلافة عثمن رضي الله عنه وقيل بعد عثمن وكان شاعرا مجيدا اسلم يوم
الطائف وستذكر قصته في خلال سردنا لحديث الهجرة حسبما ذكره اهل الحديث
والسير في قصة الغار وحديث الهجرة التي هاجرها رسول الله صلى الله
عليه وسلم من مكة الى المدينة باذن من الله عز وجل قال ابن عباس رضي الله
عنهما اذن له صلى الله عليه وسلم بالهجرة بقوله تعالى وقل رب ادخلني مدخل
صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا اخرجه
الترمذي وصححه والحاكم وذكر الحاكم ان خروجه من مكة كان بعد بيعة العقبة
بثلاثة اشهر او قريبا منها وجزم ابن اسحق بانه خرج من مكة اول يوم من
ربيع الاول فعلى هذا يكون بعد البيعة بشهرين ونصف وقدم المدينة
لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الاول وتوجه معه من اصحابه ابو بكر الصديق
رضي الله وعامر بن فهيرة وتوجه قبل ذلك بين العقبتين جماعة منهم ابن
ام مكتوم ويقال ان اول من هاجر الى المدينة ابو سلمة بن عبد الاسد
المخزومي زوج ام سلمة وحديث الهجرة مروي في الكتب الستة وفي غيرها
وفي البخاري بسنده الى عروة بن الزبير ان عائشة رضي الله عنها قالت
لم اعقل ابوي قط الا وهما يدينان الدين ولم يمر علينا يوم الا ياتينا
فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفي النهار بكرة وعشية فلما ابتلى
المسلمون خرج ابو بكر رضي الله عنه مهاجرا قبل الحبشة حتى اذا بلغ برك الغماد

لقيه

لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة فقال اين تريد يا ابا بكر فقال ابو بكر اخرجني
قومي وانا اريد ان اسيح في الارض واعبد ربي عز وجل قال ابن الدغنة
ان مثلك لا يخرج ولا يخرج فانك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل
وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق وانا لك جار فارجع فاعبد
ربك ببلادك فارتحل ابن الدغنة فرجع مع ابي بكر فطاف في اشراف
قريش فقال لهم ان ابا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج اتخرجون رجلا يكسب
المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على نوائب
الحق فانفذت قريش جوار ابن الدغنة وامنوا ابا بكر رضي الله عنه وقالوا
لابن الدغنة مر ابا بكر فليعبد ربه عز وجل في داره فليصل وليقرا ما
شاء ولا يؤذنا بذلك ولا يستعلن به فانا قد خشينا ان يفتن ابناءنا
ونساءنا فقال ذلك ابن الدغنة لابي بكر رضي الله عنه فطفق ابو بكر
يعبد ربه في داره ولا يستعلن بالصلوة ولا القراءة في غير داره ثم بدا
لابي بكر فابتنى مسجدا بفناء داره وبرز فكان يصلي فيه ويقرا القران
فيتقصف عليه نساء المشركين وابناؤهم وهم يعجبون وينظرون اليه
وكان ابو بكر رضي الله عنه رجلا بكاء لا يملك دمعه حين يقرا القران
فافزع ذلك اشراف قريش من المشركين فارسلوا الى ابن الدغنة فقدم
عليهم فقالوا انا كنا اجرنا ابا بكر رضي الله عنه على ان يعبد ربه عز وجل وانه
جاوز ذلك فابتنى مسجدا بفناء داره واعلن الصلوة والقراءة وقد
خشينا ان تفتن نساؤنا وابناؤنا فان احب ان يقتصر على ان يعبد ربه

في داره فعل وان ابى الا ان يعلن ذلك فسله ان يرد اليك ذمتك
فانا كرهنا ان نخفرك ولسنا مقرين الاستعلان قالت عائشة فاتى
ابن الدغنة ابا بكر فقال قد علمت الذي عاقدت لك عليه فاما ان تقتصر على
ذلك واما ان ترد الي ذمتي فاني لا احب ان تسمع العرب اني اخفرت في رجل
عقدت له فقال ابو بكر رضي الله عنه اني ارد اليك جوارك وارضى بجوار الله
عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقد أريت دار هجرتكم رايت سبخة ذات نخل بين لابتين وهما
الحرتان وهاجر من هاجر قبل المدينة حين ذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم ورجع الى المدينة بعض من كان هاجر الى ارض الحبشة وتجهز ابو بكر
رضي الله عنه مهاجرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم على رسلك فاني ارجو
ان يوذن لي قال ابو بكر رضي الله عنه هل ترجو ذلك يا رسول الله بابي انت
قال نعم فحبس ابو بكر رضي الله عنه نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليصحبه وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر اربعة اشهر وفي
الكشاف روي ان جبريل عليه الصلوة والسلام لما امر النبي صلى الله عليه وسلم
بالخروج قال من يخرج معي قال ابو بكر قال ابن اسحق واذن الله عز وجل
لرسوله صلى الله عليه وسلم عند ذلك بالهجرة يعني عند مكرهم ذلك قال وكان ابو بكر
رجلا ذا مال حين استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تعجل لعل الله عز وجل يجعل لك صاحبا وقد طمع بان رسول يجعل
الله صلى الله عليه وسلم انما يعني نفسه حين قال له ذلك فابتاع راحلتين

فحبسها

فحبسهما في داره يعلفهما اعدادا لذلك قالت عائشة رضي الله عنها كان لا
يخطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتي بيت ابي بكر طرفي النهار اما بكرة
واما عشية حتى اذا كان اليوم الذي اذن الله عز وجل فيه لرسوله صلى الله
عليه وسلم في الهجرة والخروج من مكة من بين ظهراني قومه اتانا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالهاجرة في ساعة كان لا ياتي فيها قالت فلما راه ابو بكر
رضي الله عنه قال ما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الوقت الا لامر
حدث قالت فلما دخل تاخر له ابو بكر رضي الله عنه عن سريره فجلس
رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس عند ابي بكر الا انا واختي اسما بنت
ابي بكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرج من عندك فقال يا
نبي الله انما هما ابنتاي وما ذاك فداك ابي وامي قال ان الله عز وجل قد
اذن لي في الخروج والهجرة قالت فقال ابو بكر الصحبة يا رسول الله قالت
فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم ان احدا يبكي من الفرح حتى رايت
ابا بكر يبكي يومئذ ثم قال يا نبي الله ان هاتين راحلتان قد كنت اعددتهما
لهذا فاستاجرا عبد الله بن اريقط رجلا من بني الديل بن بكر وكانت امه
امراة من بني سهم بن عمرو وكان مشركا يدلهما على الطريق ودفعا اليه
راحلتيهما فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما وقالت عائشة رضي الله عنها
استاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر رضي الله عنه رجلا من بني
الديل خريتا هاديا وهو على دين كفار قريش فدفعا اليه راحلتيهما
وواعداه غار ثور بعد ثلاث فاتاهما براحلتيهما صبح ثلاث خرجه البخاري

قال ابن اسحق ولم يعلم فيما بلغني بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين خرج احد الا علي بن ابي طالب رضي الله عنه وابو بكر وآل ابي بكر اما
علي فان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبره بخروجه وامره ان يتخلف بعده
بمكة حتى يودي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التي كانت عنده
للناس وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس احد بمكة عنده شي يخشى
عليه الا جعله عنده لما يعلم من صدقه وامانته فلما اجمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم اتى ابا بكر بن ابي قحافة فخرجا من خوخة لابي بكر في ظهر
بيته ثم عمدا الى غار بثور جبل باسفل مكة قال ابن اسحق فدخلاه
وامر ابو بكر ابنه عبد الله بن ابي بكر رضي الله عنهما ان يتسمع لهما ما
يقول الناس فيهما نهاره ثم يأتيهما اذا امسى بما يكون في ذلك اليوم من
الخبر وامر عامر بن فهيرة مولاه ان يرعى غنمه نهاره ثم يريحها عليهما
اذا امسى في الغار وكانت اسما بنت ابي بكر رضي الله عنهما تاتيهما من الطعام
اذا امست بما يصلحهما قال الحسن بن ابي الحسن انتهى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وابو بكر الى الغار ليلا فدخل ابو بكر قبل رسول الله صلى الله
وسلم فلمس الغار لينظر أفيه سبع أو حية يقي رسول الله صلى الله عليه
وسلم بنفسه فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار ومعه ابو بكر
وجعلت قريش فيه حين فقدوه مائة ناقة لمن رده عليهم وكان
عبد الله بن ابي بكر رضي الله عنهما يكون في قريش ومعهم يسمع ما يأتمرون به
وما يقولون في شان رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر رضي الله عنه ثم
يأتيهما

يأتيهما اذا امسى فيخبرهما الخبر ويبيت عندهما وكان عامر بن فهيرة مولى
ابي بكر رضي الله عنه يرعى في رعيان اهل مكة فاذا امسى اراح عليهما غنم
ابي بكر رضي الله عنه فاحتلبا وذبحا فاذا عبد الله بن ابي بكر غدا من عندهما
الى مكة تبع عامر بن فهيرة اثره بالغنم حتى يعفي عليه قال ائمة التفسير
في قوله تعالى ثاني اثنين اذ هما في الغار الاية ان المشركين طلعوا فوق
الغار فاشفق ابو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان تصب
اليوم ذهب دين الله عز وجل فقال صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله
ثالثهما وفي الصحيحين وذكره ابن عبد البر في الاستيعاب بسنده عن
انس ان ابا بكر الصديق حدثه قال قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ونحن في
الغار لو ان احدهم ينظر الى قدميه لابصرنا تحت قدميه فقال يا ابا بكر ما
ظنك باثنين الله ثالثهما قال وروينا ان رجلا من ابناء اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال في مجلس فيه القسم بن محمد بن ابي بكر الصديق
رضي الله عنه والله ما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من موطن الا وعلي
معه فيه فقال القسم يا اخي لا تحلف قال الله عز وجل ثاني اثنين اذ
هما في الغار وفي دلائل النبوة للبيهقي عن ابي لهيعة عن ابي الاسود
عن عروة بن الزبير ان المشركين ركبوا في كل وجه يطلبون النبي صلى الله
عليه وسلم وبعثوا الى اهل المياه يأمرونهم به ويجعلون لهم الجعل العظيم
فاتوا على ثور الجبل الذي فيه الغار الذي فيه النبي صلى الله عليه وسلم حتى
طلعوا فوقه وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر اصواتهم فاشفق

ابو بكر واقبل عليه الهم والخوف فعند ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تحزن ان الله معنا ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت عليه سكينة
من الله عز وجل وفي رواية عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه قال جاء
رجل من المشركين حتى استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعورته
يبول فقلت يا رسول الله اليس الرجل يرانا قال لو رانا ما استقبلنا
بعورته وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه في ابيات ذكرها ابن اسحق

قال النبي ولم يجزع يوقرني ... ونحن في سدفة من ظلمة الغار

لا تخش شيئا فان الله ثالثنا ... وقد توكل لي منه باظهار

وذكر الحافظ البيهقي في دلائل باسناده ان ابا مصعب المكي قال
ادركت انس بن مالك وزيد بن ارقم والمغيرة بن شعبة فسمعتهم يتحدثون
ان النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الغار امر الله عز وجل بشجرة فنبتت في وجه
النبي صلى الله عليه وسلم فسترته وامر الله عز وجل حمامتين فوقعتا بفم الغار
واقبل فتيان قريش من كل بطن رجل بعصيهم وهراواتهم وسيوفهم
حتى اذا كانوا من النبي صلى الله عليه وسلم بقدر اربعين ذراعا تعجل رجل منهم
لينظر في الغار فراى الحمامتين بفم الغار فرجع الى اصحابه فقالوا ما لك لم
تنظر في الغار فقال رايت حمامتين بفم الغار فعلمت انه ليس فيه احد
فسمع النبي صلى الله عليه وسلم ما قال فعرف ان الله عز وجل قد درا عنه بهما
فدعا لهما النبي صلى الله عليه وسلم وسمت عليهما اي برك عليهما اي دعا لهما
بالبركة وفرض جزاءهن وانحدرن في الحرم واخرج الحافظ ابو القسم في

تاريخه

تاريخه وغيره هذا الحديث بلفظ اخر وهو في مسند البزار قال ابو مصعب
المكي ادركت زيد بن ارقم والمغيرة بن شعبة وانس بن مالك يذكرون
ان النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الغار امر الله عز وجل شجرة فخرجت في وجه
النبي صلى الله عليه وسلم تستره وان الله عز وجل بعث العنكبوت فنسجت
ما بينهما فسترت وجه النبي صلى الله عليه وسلم وامر الله سبحانه وتعالى حمامتين
وحشيتين فاقبلتا تدفان حتى وقعتا بين العنكبوت وبين الشجرة
واقبل فتيان من قريش من كل بطن منهم رجل معهم عصيهم وقسيهم
وهراواتهم حتى اذا كانوا من النبي صلى الله عليه وسلم على قدر مائتي ذراع
قال الدليل سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي هذا الحجر ثم لا ادري اين
وضع رجله فقال الفتيان انك لم تخط منذ الليلة حتى اذا اصبحوا
قال انظروا في الغار فاستقدم القوم حتى اذا كانوا من النبي صلى
الله عليه وسلم قدر خمسين ذراعا فاذا الحمامتان فرجع فقال ما ردك قال
رايت حمامتين وحشيتين بفم الغار فعرفت انه ليس فيه احد وقال في
اخره فسمت عليهما واحدرها الله عز وجل الى الحرم فافرخا كل ما ترى
وروى عن ابن وهب ان حمام مكة اظلت النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتحها
فدعا لها بالبركة واخرج البيهقي من حديث سراقة بن مالك قال وطلبت
قريش رسول الله اشد الطلب حتى انتهت الى باب الغار فقال
صلى الله عليه وسلم صح
بعضهم ان عليه لعنكبوتا قبل ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم فانصرفوا ومن
حديث ابن عباس فاقتصوا اثره فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم فصعدوا

الجبل فمروا بالغار فراوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا لو دخل ههنا
لم يكن نسج العنكبوت على بابه وجاء عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
قال قال النبي صلى الله عليه وسلم دخلت انا وابو بكر الغار فاجتمعت
العنكبوت فنسجت بالباب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تقتلوهن رواه ابو بكر الخطيب في تاريخه في ترجمة عبد الله بن محمد
ابن حمويه ودفيف الطائر مَرَّة فويق الارض وقال ابن اسحق في
حديثه وارسل الله عز وجل حمامتين فباضتا في اسفل الغار والعنكبوت
فنسجت عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اعم ابصارهم فجعلوا
يترددون حول الغار ولا يفطنون قد اخذ الله عز وجل ابصارهم
قال ابن اسحق فلما مضت في الغار ثلاثة ايام وسكن الناس
اتاهما صاحبهما الذي استاجرا ببعيريهما وبعير له واتتهما اسماء
بنت ابي بكر رضي الله عنها بسفرتهما ونسيت ان تجعل لها عصاما
فلما ارتحلا ذهبت لتعلق السفرة فاذا ليس لها عصام فتحل
نطاقها فتجعله عصاما ثم علقتها به فكان يقال لها اسما ذات النطاق
لذلك قال ابن هشام وسمعت غير واحد من اهل العلم يقول ذات
النطاقين قال وتفسيره انها لما ارادت ان تعلق السفرة شقت
نطاقها باثنين فعلقت السفرة بالواحد وانتطقت بالاخر فلما
قرّب ابو بكر رضي الله عنه الراحلتين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قدم له افضلهما ثم قال اركب فداك ابي وامي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

اني لا

اني لا اركب بعيرا ليس لي قال هي لك يا رسول الله بابي انت وامي قال لا
ولكن بالثمن الذي ابتعتها به قال كذا وكذا قال قد اخذتها بذلك قال
هي لك يا رسول الله قال فركبا وانطلقا واردف ابو بكر عامر بن
فهيرة مولاه خلفه ليخدمهما في الطريق وذكر صاحب الوفا خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغار ليلة الخميس لغرة شهر ربيع
الاول وقال ابن سعد خرج منه ليلة الاثنين لاربع خلون من شهر
ربيع الاول واخذ بهم طريق الساحل اسفل من عسفان ثم عارض
الطريق وقال يوم الثلاثاء بقديد عند ام معبد قالت اسماء بنت
ابي بكر لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر اتانا نفر من قريش
فيهم ابو جهل فوقفوا على باب ابي بكر فخرجت اليهم فقالوا اين
ابوك يا بنت ابي بكر قلت لا ادري والله اين ابي قالت فرفع
ابو جهل يده وكان فاحشا خبيثا فلطم خدي لطمة طرح منها قرطي
قالت ثم انصرفوا قالت فمكثنا ثلاث ليال لا ندري اين وجه
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اقبل رجل من الجن من اسفل مكة
يتغنى بابيات شعر غناء العرب وان الناس ليتبعونه
يسمعون صوته وما يرونه من اعلى مكة وهو يقول

من الطويل

جزى الله رب الناس خير جزائه ∘ رفيقين حلا خيمتي ام معبد ∘
هما نزلا بالبر ثم تنزودا ∘ فافلح من امسى رفيق محمد ∘
فيا لقصي ما زوى الله عنكم ∘ به من فخار لا يجارى وسودد ∘

ليهن بني كعب مكان فتاتهم • ومقعدها للمومنين بمرصد •
قال سراقة بن مالك بن جعشم ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
من مكة مهاجرا الى المدينة جعلت فيه قريش مائة ناقة لمن رده
عليهم قال فبينا انا جالس في نادي قومي اقبل رجل منا حتى وقف
علينا فقال والله لقد رايت ركبة ثلاثة مروا علي آنفا اني لاراه محمدا
واصحابه قال فاومات اليه بعيني ان اسكت ثم قلت انما هم بنو فلان
يبتغون ضالة لهم قال لعله ثم سكت قال فمكثت قليلا ثم قمت
فدخلت بيتي ثم امرت بفرسي فقيد لي الى بطن الوادي وامرت
بسلاحي فاخرج من دبر حجرتي ثم اخذت قداحي التي استقسم بها
ثم انطلقت فلبست لامتي ثم اخرجت قداحي فاستقسمت بها
فخرج السهم الذي اكره لا تضره قال وكنت ارجو ان ارده على قريش
فاخذ المائة ناقة قال فركبت على اثره فبينا فرسي يشتد عثر بي
فسقطت عنه قال قلت ما هذا ثم اخرجت قداحي فاستقسمت
بها فخرج الذي اكره لا تضره قال فابيت الا ان اتبعه فركبت في اثره
فلما بدا لي القوم فرايتهم عثر بي فرسي وذهبت يداه في الارض
وسقطت عنه قال ثم انتزع يديه من الارض وتبعهما دخان كالاعصار
قال فعرفت حين رايت ذلك انه قد منع مني وانه ظاهر قال فناديت
القوم انا سراقة بن جعشم انظروني اكلمكم فوالله لا اريبكم ولا ياتيكم مني
شي تكرهونه قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر رضي الله عنه

قل له

قل له وما تبتغي منا قال فقال لي ذلك ابو بكر قال فقلت تكتب لي كتابا
يكون آية بيني وبينك قال اكتب له يا ابا بكر قال فكتب لي كتابا في عظم
او في رقعة او في خرقة ثم القاه الي فاخذته فجعلته في كنانتي ثم رجعت
فسكت فلم اذكر شيا مما كان حتى اذا كان فتح مكة على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وفرغ من حنين والطائف خرجت ومعي الكتاب
لالقاه فلقيته بالجعرانة فدخلت في كتيبة من خيل الانصار فجعلوا
يقرعونني بالرماح ويقولون اليك اليك ماذا تريد قال فدنوت من
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته والله لكاني انظر الى
ساقه في غرزه كانها جمارة قال فرفعت يدي بالكتاب ثم
قلت يا رسول الله هذا كتابك لي انا سراقة بن جعشم قال فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم وفاء وبر ادنه فدنوت فاسلمت
ثم تذكرت شيا اسال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فما اذكره الا اني
قلت يا رسول الله الضالة من الابل تغشى حياضي وقد ملاتها لابلي
هل لي من اجر في ان اسقيها قال نعم في كل ذات كبد حرى اجر قال ثم
رجعت الى قومي فسقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقتي وفي
مختصر عبد الغني للسيرة الهاشمية وتبع سراقة بن مالك بن جعشم
يريد قتله او اسره فلما قرب منه دعا عليه فساخت يدا فرسه في
الارض فناداه بالامان وساله ان يدعو له فدعا له فنجاه الله عز وجل
وروى الامام احمد بن حنبل عن البراء بن عازب قال اشترى ابو بكر رضي الله عنه

من عازب سرجا فقال لعازب مر البرا فليحمله الى منزلي قال لا حتى
تحدثنا كيف صنعت حين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وانت
معه فقال ابو بكر رضي الله عنه خرجنا فادلجنا فاحثثنا يومنا وليلتنا
حتى اظهرنا وقام قائم الظهيرة فضربت ببصري هل ارى ظلا اوي
اليه فاذا انا بصخرة فاهويت اليها فاذا بقية ظلها فسويته لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وفرشت له فروة وقلت اضطجع يا رسول
الله فاضطجع ثم خرجت هل ارى احدا من الطلب فاذا انا براعي غنم
فقلت لمن انت يا غلام فقال لرجل من قريش فسماه فعرفته فقلت
هل في غنمك من لبن قال نعم قلت هل انت حالب لي قال نعم فامرته
فاعتقل شاة منها ثم امرته فنفض ضرعها من الغبار ومعي اداوة
على فمها خرقة فحلب لي كثبة من لبن فصببت في القدح حتى برد
اسفله ثم اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اشرب يا رسول
الله فشرب حتى رضيت ثم قلت ثم ثم ارتحلنا والقوم يطلبوننا
فلم يدركنا احد منهم الا سراقة بن مالك بن جعشم على فرس له فقلت يا
رسول الله هذا الطلب قد لحقنا فقال لا تحزن ان الله معنا حتى اذا
دنا فكان بيننا وبينه قدر رمح او رمحين وقال قدر رمحين او ثلاثة
قلت يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اللهم اكفناه بما شئت قال فساخت قوائم فرسه الى بطنها في ارض
صلد فوثب عنها وقال يا محمد قد علمت ان هذا عملك فادع الله عز
وجل

عز وجل ان ينجيني مما انا فيه فوالله لاعمين على من ورائي من الطلب
وهذه كنانتي فخذ منها سهما فانك ستمر بابلي وغنمي في موضع كذا وكذا
فخذ منها حاجتك فقال لا حاجة لي فيها فدعا له فانطلق ورجع الى
اصحابه ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا معه حتى قدم المدينة
ليلا وفي رواية فارتحلنا بعد ما زالت الشمس واتبعنا سراقة
ابن مالك قال ونحن في صلد من الارض فقلت يا رسول الله اتينا
فقال لا تحزن ان الله معنا فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فارتطمت فرسه الى بطنها فذكر نحوه وقال فرجع لا يلقى احدا الا
قال لهم قد كفيتم ما ههنا فلا يلقى احدا الا رده قال ووفى لنا وفي رواية
فارتحلنا حتى اذا كنا بارض شديدة اذا بوقع من خلفي فالتفت فاذا
سراقة بن مالك فقلت اتينا يا رسول الله فقال كلا ثم دعا دعوات
فارتطم فرسه الى بطنه فقال اعلم انكما دعوتما علي فادعوا لي فلكما
علي ان اردعنكما الناس ولا اضركما فدعوا له فخرجت يد الفرس
فرجع وفي رواية فلما راحوا منه قد بدء عرض لهم سراقة فذكر الحديث
في رجوعه وقال فوجد الناس يلتمسون رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ارجعوا فقد استبرات لكم ما ههنا وقد عرفتم بصري بالاثر
فرجعوا عنه وفي اخرى فقد كفيتم هذه الناحية فلا تطلبوها فرجعوا
عنها ولما بلغ ابا جهل ما فعل سراقة لامه على ذلك فانشده

من الطويل

اباحكم واللات لو كنت شاهدا • لامر جوادي اذ تسوخ قوائمه •

علمت ولم تشكك بان محمدا • رسول بيرهان فمن ذا يقاومه •
عليك بكف القوم عنه فانني • ارى امره يوما ستبدو معالمه •
بامر يود النضر فيه باسرها • بان جميع الناس طرا تسالمه •

وقوله يود النضر اي بنوا النضر بن كنانة وهم قريش ومنه اي ومما اظهره الله عز وجل في كتابه العزيز مما ذكر قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر قرى انا انطيناك وعزيت الى النبي صلى الله عليه وسلم وفي الحديث انطوا الثبجة وقرا بهذه القراة ابن محيصن قيل ان هذه لغة العرب العاربة من اول قريش قال ابو الفضل الرازي ابدل من العين نونا واعترض عليه بان ان اراد بالبدل ان النون في هذه اللغة مكان العين فصحيح وان اراد البدل الصناعي فلا لان كلا من اللغتين اصل بنفسه لتمام التصريف في كل منهما وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اليد العالية المنطية والسفلى المنطاة والفاء في قوله فصل لربك لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان اعطاءه تعالى اياه صلى الله عليه وسلم ما ذكر من العطية التي لم يعطها ولن يعطيها احدا من العالمين مستوجب لهذين الامرين المامور بهما اي استيجاب اي اقدم على الصلوة لربك الذي انعم عليك بهذه النعمة الجليلة التي لا يضاهيها نعمة واللام في لربك لام الاختصاص اي صل مخلصا له لا لاتراء في صلاتك والتعبير بالفاء عقب ذكر النعمة اشارة الى انك اقدم عليها وعجل بها وبادر اليها ولا تكن كالساهين عنها الذين ذمهم الله عز

وجل

الكلام على انا اعطيناك الكوثر

السورة التي قبلها ولا من المرائين الذين لم يخلصوا لله عز وجل واقدم على نحر البدن التي هي خيار اموال العرب وتصدق بلحمها على المحاويج من اليتامى والمساكين ونحوهم ولا تكن كالذين يدعونهم ويمنعون منهم الماعون وليكن ذلك ايضا خالصا لوجه ربك عز وجل والمراد بالصلوة الصلوة المفروضة عليه صلى الله عليه وسلم وقيل جنس الصلوة وقيل صلوة العيد يوم النحر اي صل لربك صلوة العيد وانحر نسكك وقيل صل لربك صلوة الصبح بجمع وانحر البدن بمنى وقيل نزلت في الحديبية حين حصر النبي صلى الله عليه وسلم عن البيت فامره الله عز وجل ان يصلي وينحر البدن وينصرف ففعل ذلك وقيل المعنى ضع اليمين على اليسار حذا النحر في الصلوة وروي عن ابن عباس ان النحر رفع يديه في التكبير الى نحره وعن علي رضي الله عنه قال لما نزلت فصل لربك وانحر قال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام ما هذه النحيرة التي امرني بها ربي عز وجل قال ليست بنحيرة ولكنه يامرك اذا احرمت بالصلوة ان ترفع يديك اذا كبرت واذا رفعت راسك من الركوع واذا سجدت فانه صلاتنا وصلوة الملائكة الذين في السموات وان لكل شي زينة وان زينة الصلوة رفع اليدين عند كل تكبيرة وفي ذلك دليل للشافعي واحمد وجمهور العلما من الصحابة ومن بعدهم على استحباب رفع اليدين حذو المنكبين مع تكبيرة الاحرام والركوع وفي الرفع من الركوع وفي الصحيحين من حديث

ابن عمر رضي الله عنهما قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا افتتح
الصلوة رفع يديه حتى يحاذي منكبيه وقبل ان يركع واذا رفع من الركوع
ولا يرفعهما بين السجدتين وفي رواية ولا يفعل حين يرفع راسه من
السجود والاصح من مذهب الشافعي رضي الله عنه انه يرفعهما ايضا اذا قام
من التشهد الاول وقال ابو حنيفة واصحابه وجماعة من اهل الكوفة
لا يستحب في غير تكبيرة الاحرام وهو اشهر الروايات عن مالك وفي ذلك
اشارة الى الرد على عبدة الاصنام الذين كانوا يصلون لغير الله عز وجل
وان كانت عبادتهم لالهتهم الباطلة لتقربهم الى الله عز وجل زلفى على
زعمهم وينحرون الذبائح لنصبهم فان قلت ما المناسبة بين الصلوة
والنحر حتى جمع بينهما في هذه الاية قلت لان في الذبح تعظيما للمعبود عز وجل
ولهذا اكثر من الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم قرن الصلوة بالنحر
المعبر عنه بالنسك كقوله عز وجل قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي
لله رب العالمين والتمثيل بهذه الاية مبني على ان المراد بالنسك فيه
الذبح يقال نسك اذا ذبح لكن الاصح ان المراد بالنسك كل ما يتقرب
به الى الله عز وجل يقال فلان ناسك اي عابد وقد قرن بينهما في قوله
صلى الله عليه وسلم من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا واكل ذبيحتنا
فذلك المسلم الذي له ذمة الله عز وجل وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم
اعلمه الله عز وجل بما اعطاه قيل ان المصنف راعى نظم الاية في ذكر
صيغة الماضي وهي فيها اما بمعنى المستقبل نحو ونفخ في الصور او على بابه

تعظيما للمذبوح له فاذا
ذبحت البدن لشيء فقد
جرت لتعظيم ذلك الشيء
كما كان في الصلوة صح

على

على ان المراد بالاعطا تقديره من الازل فيكون مجازا فيه لكونه موجبا له
واقول لا شك ان الاعطا معناه التمليك والهبة فكان الله عز وجل
يقول له اني وهبتك الكوثر وحينئذ لا يحتاج الى صرفه عن معناه ولا الى
جعل الماضي بمعنى المستقبل لان الاعطا قد وقع وصار وجرى
والمتاخر انما هو دخوله اليه ونزوله عنه ولو ان ملكا اعطى انسانا
غايبا عن محل الاعطا في بلد اخر فقال اعطيت فلانا ببستان كذا
صدق ان الاعطا وقع وجرى وتم امره غاية الامر ان تصرف المعطى
فيه متاخر ولا يلزم من تاخر التصرف تاخر الاعطا والكوثر حوضه
الكوثر فوعل من الكثرة مثل النوفل من النفل والجوهر من الجهر
والعرب تسمي كل شي كثير في العدد والقدر والخطر كوثرا قال سفين
قيل لعجوز رجع ابنها من السفر بم اب ابنك قالت بكوثر اي بمال كثير
وكون المراد بالكوثر في السورة حوضه صلى الله عليه وسلم قاله عطا ويؤيده
ما في صحيح مسلم عن انس رضي الله عنه قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذ اغفى اغفاءة ثم رفع راسه متبسما فقلنا ما اضحكك يا
رسول الله قال نزلت علي انفا سورة فقرا بسم الله الرحمن الرحيم
انا اعطيناك الكوثر الى اخرها ثم قال اتدرون ما الكوثر قلنا الله عز وجل
ورسوله صلى الله عليه وسلم اعلم قال فانه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه
خير كثير هو حوض يرد عليه امتي يوم القيمة انيته عدد نجوم السماء
فيختلج العبد منهم فاقول انه من امتي فيقال انك لا تدري ما احدثوا

بعد ذلك الحديث فان قلت الحوض غير الكوثر لان الكوثر نهر في الجنة والحوض
في ارض الموقف قلت يطلق على الحوض انه كوثر لكونه يمد منه فانه جاء
في الحديث الصحيح انه يشخب من الكوثر ميزابان الى الحوض فالحوض
بجانب الجنة وماؤه يخرج من داخل الجنة وللنبي صلى الله عليه وسلم حوض
اخر في ارض الموقف فللنبي صلى الله عليه وسلم حوضان احدهما قبل الصراط
والاخر بعده وسياتي الكلام على احوال الحوض في الباب الثاني ان شاء الله تعالى
وقيل الكوثر الذي اعطاه الله عز وجل اياه نهر في الجنة يؤيده ما في صحيح
مسلم وقد تقدم نقله آنفا ورواه ايضا ابو داود والنسائي وفيه
كما تقدم اطلاق الكوثر على الحوض باعتبار التجوز السابق وفي صحيح
البخاري من حديث قتادة عن انس رضي الله عنه قال لما عرج بالنبي
صلى الله عليه وسلم الى السماء قال اتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ
المجوف فقلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر وعن انس رضي الله عنه
ايضا قال لما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم مضى به جبريل فاذا هو
بنهر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فذهب يعلم ترابه فاذا هو مسك
قال يا جبريل ما هذا النهر قال هو الكوثر الذي خبا لك ربك عز وجل
ورواه احمد عن انس رضي الله عنه ان رجلا قال يا رسول الله ما الكوثر
قال نهر في الجنة اعطانيه ربي عز وعلا لهو اشد بياضا من اللبن
واحلى من العسل وعن ابي عبيدة عن عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها
قال سالتها عن قوله عز وجل انا اعطيناك الكوثر قالت نهر اعطيه نبيكم
صلى

صلى الله عليه وسلم شاطئاه عليه در مجوف آنيته كعدد نجوم السماء رواه
البخاري ورواه النسائي بلفظ قالت نهر في بطنان الجنة قلت وما
بطنان الجنة قالت وسطها حافتاه قصور اللؤلؤ والياقوت ترابه المسك
وحصباؤه اللؤلؤ والياقوت وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب والماء
يجري على اللؤلؤ وماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل
رواه احمد وابن ماجه قال الترمذي حسن صحيح وروى ابن عباس في قوله
انا اعطيناك الكوثر قال هو نهر في الجنة عمقه سبعون الف فرسخ ماؤه
اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل شاطئاه اللؤلؤ والزبرجد
والياقوت خص الله عز وجل به نبيه صلى الله عليه وسلم قبل الانبياء عليهم
السلام رواه ابن ابي الدنيا موقوفا واكثر العلماء على ان الكوثر نهر في الجنة
وقيل الخير الكثير اخذا له من مادة اللفظ فانها تدل على ان المعنى المفرط
في الكثرة قال الشاعر

من الطويل

وانت كثير يا ابن مروان طيب ۰ وكان ابوك ابن العقائل كوثرا

قال هذا القول ابن عباس فقد روي عنه انه فسر الكوثر بالخير الكثير فقال له
سعيد بن جبير فان ناسا يقولون هو نهر في الجنة فقال هو من الخير الكثير
فالمعنى اعطيناك ما لا غاية لكثرته من خير الدارين الذي لم يعط احد غيرك
وقيل الشفاعة اي بانواعها الاتية في بابها وقيل المعجزات الكثيرة وقيل
النبوة وقيل المعرفة وحاصل ما ذكره المصنف في تفسير الكوثر سبعة اقوال

وفيه اقوال اخر سوى ما ذكره الاول قال الحسن انه القران الثاني حكى
المغيرة انه الاسلام الثالث قال الحسين بن الفضل انه تيسير القران
وتخفيف الشرائع الرابع قال ابو بكر بن عياش واليمان بن رباب
هو كثرة الاصحاب والامة والاتباع الخامس قال ابن كيسان انه الايثار
السادس حكى الماوردي انه رفعة الذكر السابع انه نور في قلبك يا محمد
دلك علي وقطعك عن سواي الثامن انه هدى اهل الدعوة لاجابتك
يا محمد فان قلت اللام في الكوثر لماذا قلت ان اريد به الخير الكثير فالكوثر
صفة موصوف محذوف والتقدير اتيناك الخير الكوثر واللام فيه للعهد
الذهني الذي يراد به الاشارة الى الماهية في ضمن فرد لا على التعيين
اذ يراد حينئذ كوثرما وان اريد به نهر في الجنة فهي للعهد الخارجي
الذي يراد به الاشارة الى حصة معينة الا ان الكوثر هنا صار علما بالغلبة
على النهر المخصوص الذي جعله الله عز وجل خاصا بنبينا صلى الله عليه وسلم
واما ان اريد به ما عدا ذلك فاللام فيه للعهد الخارجي وكون كل من ذلك
معهودا بين المتكلم والمخاطب باعتبار دليل خارجي اقتضى ذلك ثم اجاب
عنه عدوه ورد عليه قوله وذلك ان عدوه قال قولا في شان النبي صلى الله عليه
وسلم قيل ان العاصي بن وائل وقف مع النبي صلى الله عليه وسلم يكلمه
فقال جمع من صناديد قريش مع من كنت واقفا فقال مع ذلك
الابتر وكان قد توفي قبل ذلك عبد الله بن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من خديجة رضي الله عنها فنزلت وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال

قال كان اهل الجاهلية اذا مات ابن الرجل قالوا ابتر فلما مات ابرهيم
ابن النبي صلى الله عليه وسلم خرج ابو جهل الى اصحابه فقال بتر محمد صلى الله
عليه وسلم فنزلت يعني بذلك ابا جهل وقال شمر بن عطية هو عقبة
ابن ابي معيط وقيل لما مات القاسم بن النبي صلى الله عليه وسلم قال
كفار قريش بتر محمد صلى الله عليه وسلم فنزلت فقال ان شانئك اي
عدوك ومبغضك الشانئ المبغض والشنان البغض يقال
شنئته شنا وشنانا وشنانة ايضا ورجل مشنوا اي مبغوض
وانما ضم اليه العدو لان العداوة لازمة للبغضاء وبالعكس اذ معنى
العداوة تباعد القلوب وتنافر الضمائر والنيات وذلك يلزم البغض
وبالعكس والابتر الحقير الذليل او المفرد الوحيد او الذي لا خير فيه
بهذه التفاسير للابتر يندفع ما عسى ان يستشكل في هذا المقام
وتقرير الاشكال ان يقال ان الشانئ الذي وقع الرد عليه اما العاصي
واما ابو جهل واما عقبة وهؤلاء ليس فيهم ابتر لان الابتر فسروه بانه
الذي ليس له ولد والعاصي المذكور كان له ولد وعقب وعمرو
وهشام ابناه مانا مسلمين اما هشام فقد كان قديم الاسلام هاجر
الى الحبشة وسئل اخوه عمرو ايما افضل انت ام اخوك فقال اخي كان
احب الى ابيه مني وتعرفون فراسة الوالد واستبقنا الى الله عز وجل
فسبقني ثم عرضنا انفسنا على الله عز وجل فقبله وتركني وقتل يوم
اجنادين سقط قتيلا بين الصفين فلم يقدروا على اخذه فجمع اخوه بعده

المعركة في نطع وقد قطعة الحوافر ودفنه وقيل قتل يوم اليرموك واما
عمرو فقدم على النبي صلى الله عليه وسلم هو وخالد بن الوليد وعثمن بن طلحة
مسلمين وذلك بين الحديبية وخيبر وقيل قدم من الحبشة بالاسلام
وقيل كان قدومهم بالاسلام سنة ثمان في صفر وقيل اسلم قبل الفتح بستة
اشهر واما ابو جهل فابنه عكرمة وهو صحابي مكرم وكان لعقبه نسل وبنون
والجواب ما اشار اليه المصنف ان الابتر لفظ مشترك بين عدة معان
وهم وصفوا النبي صلى الله عليه وسلم بالابتر باعتبار انه لا ولد له والله عز
وجل قد رد عليهم بان هذا البتر لا يضره ولا يشينه على ان هذا البتر منتف
عنه ايضا لان نسله صلى الله عليه وسلم باق الى يوم القيمة كان الله عز وجل
يقول له يا محمد كل من يولد الى يوم القيمة من المومنين فهم اولادك واعقابك
وذكرك على المنابر والمنار على لسان كل عالم وذاكر الى اخر الدهر يبدا بذكر
الله عز وجل ويثنى بذكرك ولك في الاخرة ما لا يدخل تحت الوصف فمثلك
لا يقال له ابتر وانما الابتر هو شانئك المنسي في الدنيا والاخرة وان ذكر
ذكر باللعن فان اريد مقابلة هذا القائل فهو قد زعم ان النبي صلى الله عليه وسلم
لا نسل له وكذبه الله عز وجل بانه هو الذي لا نسل له لان ابناءهم ان اسلموا
فقد انقطعت الموالاة بينه وبينهم لان المسلم لا اهلية بينه وبين
الكافر قال تعالى في شان ابن نوح عليه السلام انه ليس من اهلك وصاروا
ابناء للنبي صلى الله عليه وسلم لان النبي صلى الله عليه وسلم اب لكل مومن بدليل قراءة
من قرا وازواجه امهاتهم وهو اب لهم وقد قال قوم لا يجوز ان يسمى النبي

صلى

صلى الله عليه وسلم ابا لقوله عز وجل ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن يقال
مثل الاب للمومنين وفي الحديث انما انا لكم بمنزلة الوالد اعلمكم الحديث
خرجه ابو داود والصحيح انه يجوز ان يقال انه ابو المومن اي في الحرمة
واما قوله عز وجل ما كان محمد ابا احد من رجالكم اي في النسب المقتضي لتحريم
ان ينكح زوجة من هو ابوه كما توهم الكفرة في زيد انه ابن النبي صلى الله عليه وسلم
لانه تبناه ومن خصائصه ان اولاد بناته ينسبون اليه بدليل انه قال في
شان الحسن ابني هذا سيد فسماه ابنا له ويمكن ان يقال ان ذلك الشانئ
سمى النبي صلى الله عليه وسلم ابتر المفسر بالذي ليس له ولد لكن اراد لازمه
عادة من انقطاع الذكر وذهاب الاسم فالله عز وجل رد عليه بانه هو
الذي ينقطع ذكره من الخير وان ذكر لا يذكر الا باللعنة والسوء واما
انت فذكرك بالخير بل باعلى صفات الخير باق الى يوم القيمة كما ذكرنا
هذا وقد قيل ان الابتر اذا فسر بانه الذي لا خير فيه حسنت المقابلة بين
صدر السورة وعجزها في حقه صلى الله عليه وسلم وحق عدوه اذا كان
الكوثر بمعنى الخير الكثير فكانه قال انا اعطيناك الخير الكثير وشانئك لا
خير فيه واقول اي مقابلة هنا بل لا تحصل المقابلة الا اذا قيل انت
ذو خير كثير وشانئك لا خير فيه او انت اعطيت خيرا كثيرا وشانئك لم
يعط خيرا وقال اي الله عز وجل ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران
العظيم قد استشكل عطف القران العظيم على السبع المثاني فان عطفه
عليها كعطف الشي على نفسه واجيب بان السبع المثاني ان عني بها الفاتحة

مطلب
في ان المومنين اولاد
الرسول صلى الله عليه وسلم

مناقشة
فعض عليها

والطوال فما وراءهن فينطلق عليه اسم القران لانه اسم يقع على البعض كما
يقع على الكل الا ترى الى قوله عز وجل بما اوحينا اليك هذا القران يعني سورة
يوسف عليه السلام وان عني بها الاسباع فالمعنى ولقد اتيناك ما يقال
له السبع المثاني والقران العظيم اي الجامع لهذين النعتين اي الثنا
والتثنية والعظم فهو على حد قوله

• الى الملك القرم وابن الهمام • وليث الكتيبة في المزدحم • من المتقارب

قيل السبع المثاني السور الطوال الأول قيل هي البقرة وآل عمران
والنساء والمائدة والانعام والاعراف والسابعة سورة الانفال وبراة معا
وقيل السابعة هي الانفال فقط وان لم يكن فيها طول ودخولها فيما وصف
بالطول بطريق التغليب واما براة فهي من المبين والذي حمل القائل الاول
على انها معا سورة واحدة ترك البسملة بينهما وفي النساي بسنده الى
يزيد الرواسي قال قال لنا ابن عباس رضي الله عنهما قلت لعثمن رضي الله
عنه ما حملكم على ان عمدتم الى الانفال وهي من المثاني والى براة وهي من
المبين فقرنتم بينهما ولم تكتب سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها
في السبع الطوال فما حملكم على ذلك قال عثمن ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان اذا انزل عليه الشي يدعو بعض من يكتب عنده فيقول ضعوا
هذه الايات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وكانت الانفال من
اوايل ما انزل وبراة من اخر القران وكانت قصتها شبيهة بقصتها
وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا انها منها فظننت انها منها

ثمن

فمن ثم قرنت بينهما ولم اكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم
واخرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن وقد وقع خلاف بين الصحابة
رضي الله عنهم في ان الانفال وبراة سورتان ام سورة واحدة وقيل
السبع الطوال هي الست الماضية مع سورة يونس وقيل مع سورة
يوسف ويبعد هذا القول وجود الفاصل فان بلاغة القران تدعو
الى ملاحظة المناسبة فان قلت كيف تكون المثاني هذه السور وهذه
الاية نزلت ولم يكن نزل شي من هذه السور قلت من البين ان القران
نزل جملة واحدة الى السما الدنيا فقد اتاه الله عز وجل اياها وان لم يكن
انزلها لان ما اعطا الله عز وجل عبده شيا لا يتوقف على ان يظهر في
عالم الشهادة فان الله عز وجل اعطى محمدا صلى الله عليه وسلم الكوثر والشفاعة
والحوض ولم يظهر من ذلك شي في هذا العالم بل وقع الاعطا من الله
عز وجل ولكن ظهوره انما يكون في ابانه ووقته ومن في قوله من
المثاني تبعيضية بنا على ان المثاني هو القران لان الله عز وجل سماه
مثاني فقال عز من قائل كتابا متشابها مثاني وسمي القران مثاني
لان فيه بيان قصص الامم الماضية فهو ثان لما تقدمه وقيل لتكرار
القصص فيه والمواعظ وقيل لانه نزل مرة بالمعنى ومرة باللفظ
والمعنى كقوله ان هذا لفي الصحف الاولى حكاه الكرماني في عجايبه ويراد
بالسبع حينئذ اما الفاتحة واما الطوال لانها بعض من القران
ويجوز ان تكون من بيانية ويراد بالسبع اما الفاتحة واما الطوال

بيان اقسام القرآن الاربعة او الخمسة

فالفاتحة تسمى ايضا السبع المثاني وكذلك الطوال تسمى بذلك واعلم
ان القران مقسم الى اربعة اجزا وهي الطوال والمبين والمثاني
والمفصل ومنهم من جعلها الطوال والمبين والمثاني والمفصل
والوتر وقد جا مصحف ابن مسعود مرتبا على هذا الترتيب فذكر اولا
الطوال البقرة والنسا وآل عمران والاعراف والانعام والمائدة
ويونس ثم المبين براة والنحل وهود ويوسف والكهف وبنى اسرايل
والانبيا وطه والمومنون والشعرا والصافات والمثاني الاحزاب
والحج والقصص وطس النمل والنور والانفال ومريم والعنكبوت
والروم ويس والفرقان والحجر والرعد وسبا والملايكة وابرهيم
وص والذين كفروا ولقمن والزمر والحواميم والممتحنة وانا فتحنا لك
والحشر وتنزيل السجدة والطلاق ون والقلم والحجرات وتبارك والتغابن
والمنافقون والجمعة والصف وقل اوحي وانا ارسلنا والمجادلة
ويا ايها النبي لم تحرم والمفصل الرحمن والنجم والطور والذاريات
واقتربت الساعة والواقعة والنازعات وسال سايل والمدثر
والمزمل والمطففين وعبس وهل اتى والمرسلات والقيمة
وعم يتسالون واذا الشمس كورت واذا السما انفطرت والغاشية
وسبح والليل والفجر والبروج واذا السما انشقت واقرا باسم ربك
والبلد والضحى والطارق والعاديات وارايت والقارعة ولم يكن
والشمس وضحاها والتين وويل لكل همزة والوتر لايلاف قريش

والهاكم

بحر المتن

والهاكم وانا انزلناه واذا زلزلت والعصر واذا جا نصر الله والكوثر
وقل يا ايها الكافرون وتبت وقل هو الله احد والم نشرح وليس
فيه الحمد لله والمعوذتان لان كل احد يعلمها ويعلم انها من القران
فلا حاجة الى ذكرها لشهرة امرها والقران العظيم هو ام القران وهو من
جملة اعلام ام القران واسمايها المنصوص عليها في الاحاديث فقد روى
احمد بسنده الى ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ام القران
هي السبع المثاني وهي القران العظيم وسميت بذلك لاشتمالها على المعاني
التي في القران وقيل السبع المثاني ام القران اما تسميتها بالسبع
فلانها سبع ايات بالاتفاق الا ان منهم من عد التسمية دون انعمت
عليهم ومنهم من عكس وروى ابو هريرة رضي الله عنه انه قال النبي صلى الله
عليه وسلم فاتحة الكتاب سبع ايات اولهن بسم الله الرحمن الرحيم
وقالت ام سلمة رضي الله عنها قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاتحة
وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين اية وقيل سميت
سبعا لان فيها سبعة اداب في كل اية ادب وفيه بعد وقيل لانها خلت
من سبعة احرف الثا والجيم والخا والزاي والشين والظا والفا قال
المرسي وهذا اضعف مما قبله لان الشي انما يسمى بشي وجد فيه لا بشي
فقد منه واما المثاني فيحتمل ان يكون مشتقا من الثنا لما فيها
من الثنا على الله عز وجل ويحتمل ان يكون من الثنيا لان الله عز وجل
استثناها لهذه الامة ويحتمل ان يكون من التثنية لانها تثنى كل ركعة

ويقويه ما اخرجه ابن جرير بسند حسن عن عمر رضي الله عنه قال السبع المثاني
فاتحة الكتاب تثنى في كل ركعة وقيل تثنى بسورة اخرى وقيل لانها
نزلت مرتين الاولى في مكة حين فرضت الصلوة والثانية في المدينة
حين حولت القبلة وقيل لانها على قسمين ثناء ودعاء وقيل لانها كلما قرا
العبد منها اية ثناه الله عز وجل بالاخبار عن فعله كما في الحديث وقيل
لانها اجتمع فيها فصاحة المباني وبلاغة المعاني وقيل غير ذلك **والقران
العظيم سائره** اي اذا اريد بالسبع المثاني فاتحة الكتاب كان المراد
بالقران العظيم سائر القران في النهاية الاثيرية السائر مهموز الباقي
والناس يستعملونه في معنى الجميع وليس بصحيح وفي الحديث فضل
عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام اي باقيه وفي القاموس
والسائر الباقي لا الجميع كما توهم جماعات وقد يستعمل له ومنه قول الاحوص
فجلتها لنا لبابة لما ٭ وقذ النوم سائر الحراس ٭ من الخفيف
وضاف اعرابي فامر والجارية بتطييبه فقال بطني عطري وسائري
ذري واغير على قوم فاستصرخوا بني عمهم فابطاوا عنهم حتى اسروا وذهب
بهم ثم جاوا يسالون عنهم فقال لهم المسئول اسائر اليوم وقد زال
الظهر انتهى ثم ان سائر في عبارة المصنف ان اريد بها الباقي فهو من
عطف المغاير على المغاير فان قلت اطلاق القران على ذلك الباقي
بخصوصه حقيقة ام مجاز قلت بل هو حقيقة لان لفظ القران
يطلق على جميع هذا اللفظ المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى بعضه
بطريق

بطريق الاشتراك المعنوي فالقران كلي وافراده كل القران وبعضه
بل كل بعض منه وعلى انه من عطف المغاير على المغاير مشى الزمخشري
في كشافه فقيه اذا عني بالسبع الفاتحة او الطوال فما وراهن
ينطلق عليه اسم القران لانه يقع على البعض كما يقع على الكل الا ترى
الى قوله عز وجل بما اوحينا اليك هذا القران يعني سورة يوسف عليه
السلام ويجوز ان يراد بالسائر الجميع ويكون من عطف الكل على الجزء
بناء على ان المراد بالقران المجموع ويجوز ان يكون من عطف الكلي على
جزئيه بناء على ان المراد بالقران كل فرد فرد من افراده من الايات
والسور وبعض كل منها والمجموع وان يكون من عطف العام على
الخاص **وقيل السبع المثاني ما في القران من امر ونهي وبشرى
وانذار وضرب مثل واعداد نعم** بكسر الهمزة اي تعديدها اي ذكرها
هي الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم من النعم التي ينعم بها عليه في
الدارين وعلى امته ويجوز ان يكون بفتح الهمزة اي ذكر اعدادها
والمراد بذكر اعدادها تعديدها والمراد تعديد اصولها وامهاتها والا
فافراد النعم لا سيما التي انعم الله عز وجل بها على محمد صلى الله عليه وسلم
لا حصر لها فالاول من السبعة وهو الامر عبارة عن طلب فعل غير كف
وليس المراد هنا صيغة الامر نحو افعل وليفعل فانها ترد لمعان
غير الطلب المذكور منها الندب نحو قوله عز وجل واذا قرئ القران
فاستمعوا له والاباحة ونحو ذلك مما هو مذكور في الكتب الاصولية

والثاني وهو النهي عبارة عن طلب الكف عن الفعل وليس المراد صيغته
فانها قد ترد لغيره مجازا والثالث البشرى وهو اسم من البشارة ماضيه
بشر يقال بشرته وبشرته مخفف ومشدد قال الشاعر
من الطويل بشرت عيالي اذ رايت صحيفة   اتتك من الحجاج يتلى كتابها ه
ويقال بشرته بشارة بكسر الباء فابشر واستبشر وبشر يبشر كعلم يعلم
اذا فرح قال ابن عرفة سميت البشارة بشارة لانها تبين في بشرة من
بشر بها والرابع الانذار قال ابن عرفة وهو الاعلام بالشي الذي يحذر
منه وكل منذر معلم وليس كل معلم منذرا ومنه قوله عز وجل وانذرهم
يوم الحسرة اي حذرهم الخامس ضرب المثل وهو عبارة عن استعمال
المثل في مضربه وتطبيقه به لا صنعه وانشاؤه في نفسه والا لكان
انشا الامثال السائرة في مواردها ضربا لها دون استعمالها بعد ذلك
في مضاربها لعقران الانشا هناك والامثال ليست بهذا الاعتبار
واردة في التنزيل وان كان استعمالها في مضاربها عين انشائها في
انفسها لكن التعبير عنه ليس بهذا الاعتبار بل باعتبار الوارد الاول
وهو ماخوذ اما من ضرب الخاتم بجامع التطبيق فكان ضربه
تطبيقه بقالبه كذلك استعمال الامثال في مضاربها تطبيق لها كان
المضارب قوالب تضرب الامثال عليها لكن بمعنى انها تنشا
بحسبها بعد ان لم تكن كذلك بل بمعنى انها تورد كذلك منطبقة عليها
سوا كان انشاؤها حينئذ كما في الامثال التنزيلية او قبل ذلك
كسائر

كسائر الامثال السائرة فانها وان كانت مصنوعة من قبل الان تطبيقها
على مضاربها انما يحصل عند الضرب واما ان يكون ماخوذا من ضرب الطين
على الجدار ليلصق به بجامع الالزاق كان من يستعملها يلصقها
بمضاربها ويجعلها ضربة لازب لا تنفك عنها لشدة تعلقها به السادس
ذكر ما اعد الله عز وجل لعباده المومنين عموما ولانبيائه خصوصا
ولنبينا صلى الله عليه وسلم اخص من النعم الدنيوية والاخروية كقوله
عز وجل ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين وكقوله عز وجل
يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وكقوله عز وجل ويوم حنين
اذ اعجبتكم كثرتكم الاية ونحو ذلك مما لا يحصر له وقد اغفل المصنف السابع
وهو نبا القرون الماضية واخبار الامم السالفة كما نقله ابن ابي حاتم
في تفسيره قيل اسقط سهوا او نسيانا كما نسي الكاتب كتابة البسملة
في اول براءة على ما حكاه ابو الليث السمرقندي في تفسيره عن عائشة
رضي الله عنها بل اولى وان لم اعلمها واقول القول بان البسملة
سقطت من اول براءة سهوا لم يقل به احد وهب انه سهو الم تكن
الصحابة كثيرين فكيف يقرون هذا السهو وهو كلام رب العالمين
اذا وقف المومن على حرف سقط منه يجب عليه رقمه وكتابته
ودفع الغلط واين هذا من هذا السهو الذي وقع من المصنف
فان هذا السهو على تقدير ان الناس من بعده اطلعوا عليه لا يجب
عليهم صلاحه فلعمري ان هذا قياس مع الفارق وتشبيه سمج

بارد غير لائق وقول المصنف **وآتيناك نبأ القرآن العظيم** اي اخباره
الكائنة فيه فان الله عز وجل اطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على اخبار كثيرة
وقعت في هذا القرآن لم يقف على مجموعها نبي قبله فاضافة نبأ الى القرآن
على بابها ويجوز ان يراد بالنبأ القرآن نفسه واضافة النبأ اليه بيانية
اي آتيناك نبأ هو القرآن وقد قيل في قوله عز وجل عم يتساءلون عن النبأ
العظيم اي عن القرآن **وقيل انما سميت ام القرآن مثاني لانها تثنى في
كل ركعة** هو بفتح المثلثة وتشديد النون ويجوز تسكين المثلثة
وفتح النون نقل شيخنا الرضي ابن التاذفي المعروف بابن الحنبلي عن
التجاني قال ومنهم من يقول في كل صلوة والمعنى عنده في كل مختلف
فمن يقول في كل ركعة يعني ان السورة التي تاتي بعدها تجتمع معها
فتصير اثنتين تقول ثنيت الرجل اذا صرت ثانيا له كما تقول
ثلثت الرجلين اذا صيرتهما بنفسك ثلاثة وربعت القوم اذا صيرتهم
اربعة ومن يقول في كل صلوة يحتمل ان يريد هذا المعنى وان يريد
بقوله تثنى تكرر قال شيخنا هذا كلامه اي كلام التجاني ثم قال ويحتمل
ان يكون مراده من ذكر الركعة الصلوة تسمية للشيء باسم جزئه نحو
واركعوا مع الراكعين في من قال صلوا مع المصلين قال وبذلك
قطع الشمني نظرا الى انها لا تثنى ولا تكرر في كل ركعة وانما تكرر في كل
صلوة والركعة الواحدة ليست بصلوة لا يقال الركعة الواحدة
صلوة ولذا لو حلف لا يصلي فانه يحنث بركعة واحدة وذلك عند

ما

ما يأتي بالسجدة لانا نقول لا نسلم ذلك واما الحنث فلانه صلى ولذا
يقال صلى فلان ركعة لا لانه صلى صلوة ولذا قيل لو حلف لا يصلي
صلوة فانه لا يحنث الا بالشفع فما فوقه صرح بذلك فقهاؤنا واما
الركعة الواحدة المختومة بالسلام فغير صلوة ايضا بل هي غير مشروعة
عندنا لما ورد من النهي عنها وما قيل من ان الكل ههنا مجموعي دفعا
للاشكال انها لا تكرر في كل ركعة بل في الركعات فمدفوع بان مدخولها
كل ههنا نكرة فيكون افراديا مع انه لو عرف باقيا على افراده
لا يستفيد انها تكرر في مجموع الركعة الواحدة فيبقى الاشكال على حاله
واقول اما التعبير بان سبب تسميتها مثاني انها تثنى كل ركعة
فهو مروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد اخرج ابن جرير بسند
حسن عن عمر رضي الله عنه قال السبع المثاني فاتحة الكتاب تثنى في
كل ركعة ثم ان تثنى الواقع في الاثر المروي عن عمر وفي عبارة المصنف
ان قرئ بفتح التاء فاصله تتثنى على زنة تتفعل فحذفت احدى التائين
لان حذف احدى تاءي تتفعل جائز نحو نارا تلظى واصله تتلظى
والمعنى حينئذ ان الفاتحة في كل ركعة تقرأ لكن لها ما يصيرها اثنتين
وهو قراءتها في ركعة تليها او تتقدمها يقال ثنيت الشيء اي صيرته
اثنين وتثنى الشيء اي صار اثنين فصيغة التفعل فيه للصيرورة
كما تقول تثلث الاثنان اي صارا ثلاثة وثلثت الاثنين اي
صيرتهما ثلاثة وربعت الثلاثة اي صيرتها اربعة وتربعت الثلاثة

اي صارت اربعا وليس المراد انها في كل ركعة تكون ثنتين ليستشكل
ذلك بان ذلك غير صحيح حتى يحتاج الى ان يصرف عن ظاهره وانه ذكر الركعة
واراد الصلوة ليكون تسمية للشي باسم جزئه وانه من قبيل قوله عز وجل
واركعوا مع الراكعين في من قال معناه صلوا مع المصلين فان ذكر الجزء
وارادة الكل في الاية له وجه ولا يوهم خلاف المقصود واما هنا فلو
ذكر الركعة واراد الصلوة لتوهم انها تكرر في كل ركعة وفي الاية انما ذكر
الركوع احترازا من صلوة اليهود وقيل المراد بالركوع في الاية
الخضوع والانقياد الى اوامر الله عز وجل والحكم ما الزم به الشارع كما قال
الاضبط السعدي لا تهين الفقير علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه

هو من ابيات من المنسرح لا من الخفيف كما توهم ابن العيني في شرح الشواهد
الكاتبه

واما كون الركعة الواحدة لا تسمى صلوة فهو قول انفرد به ابو حنيفة رضي الله عنه
وجمهور الامة على خلافه وانها تسمى صلوة ويجوز التنفل بركعة واحدة
وكان النبي صلى الله عليه وسلم يوتر بركعة واحدة كما رواه الشيخان وغيرهما
واللفظ لمسلم بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رجلا سال رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن صلوة الليل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
صلوة الليل مثنى مثنى فاذا خشي احدكم الصبح صلى ركعة واحدة
توتر له ما قد صلى وفي صحيح مسلم بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوتر ركعة من اخر الليل وفيه عن
ابن عباس رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الوتر ركعة من اخر الليل وهذه الاحاديث الصحيحة تؤيد مذهب

الجمهور

الجمهور وليس للحنفية تمسك الا بحديث النهي عن البتيرا مع ان
حديث النهي عنها لم يقبله المحدثون على ان جمهور العلما فسروها
بالايتار بركعة واحدة فقط ليس قبلها شفع وقد وقع من ابن مسعود
رضي الله عنه ان سعدا اوتر بركعة واحدة فانكر عليه ابن مسعود وقال
ما هذه البتيرا فان قلت الشافعي على ما ذا احمل هذا النهي مع انه قائل
بجواز الايتار بركعة واحدة وان لم يسبق لها نفل بعد العشا على
الراجح من مذهبه بل يقول ايضا بجواز ان يتنفل الانسان نافلة مطلقة
بركعة واحدة يسلم فيها قلت يحمل هذا النهي على تقدير صحة الحديث
على ما اذا تشهد في كل ركعة من غير سلام فانه احداث صورة للصلوة غير
معهودة واما صلوة ركعة واحدة مع السلام بعدها فقد فعله رسول الله
صلى الله عليه وسلم بل كان يفعله دائما كما ثبت في الصحيحين فان قلت
كيف يجوز الشافعيون التنفل بركعة واحدة بعدها سلام مع قول
الروياني من اجلا اصحابهم انه لو حلف ان يصلي لا يحنث الا بصلوة
ركعتين قلت مقالة الروياني ضعيفة والاصح من مذهب الشافعي
رضي الله عنه انه يحنث بصلوة ركعة واحدة كما صرح به الشيخان في الشرح
والروضة فالركعة الواحدة تسمى صلوة فعلى تقدير قول من قال تثنى
كل صلوة يكون محمولا على ان المراد بالصلوة الركعة الواحدة ومعناها
كما قلنا ان كل ركعة منها تصير لها ثانية وقيل بل هذا اضراب من كلم محذوف
تقديره وقيل لم تسم ام القرآن بالسبع المثاني لما ذكرنا بل الله استثناها

لمحمد صلى الله عليه وسلم فيكون تسميتها مثاني اخذا لها من الاستثناء
او من الثنيا وهي الاستثنا وفي الحديث نهى النبي صلى الله عليه وسلم
عن الثنيا الا ان تعلم وهي ان يستثنى في عقد البيع شي مجهول
فيفسد وفي الحديث ايضا من اعتق او طلق ثم استثنى فله ثنياه
ومعنى استثنا الله عز وجل اياها انه انزل على الانبياء كلاما الا هذه
السورة فانه تعالى لم ينزلها على نبي الا على افضل انبيائه محمد صلى الله
عليه وسلم وذخرها وفي نسخة ادخرها بالمهملة المشددة والاصل اذتخرها
فوقعت فا افتعل ذالا معجمة فقلبت تا افتعل دالا فبقي اذدخرها
وادغمت الذال المعجمة في الدال المهملة من الذخر وهو ما ادخرته
من مال وغيره وفي القاموس ذخره كمنعه ذخرا بالضم وادخره
اختاره واتخذه له اي لمحمد صلى الله عليه وسلم فانزلها عليه فقط
دون الانبيا فان الكتب السالفة شاركت كتابنا الذي انزل على
نبينا صلى الله عليه وسلم في بعض السور واما هذه السورة فلم تنزل الا
على هذا النبي صلى الله عليه وسلم وفي الصحيحين بسندهما عن ابي سعيد
المعلى الانصاري الزرقي قال كنت اصلي فدعاني النبي صلى الله عليه وسلم
فلم اجبه حتى صليت ثم اتيت فقال ما منعك ان تاتي فقلت كنت اصلي
فقال الم يقل الله عز وجل استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم ثم قال
الا اعلمك اعظم سورة في القران قبل ان اخرج من المسجد فاخذ بيدي
فلما اردنا ان نخرج قلت يا رسول الله انك قلت الا اعلمك اعظم سورة في

القران

القران قال الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقران العظيم
الذي اوتيته هكذا رواه الشيخان في صحيحيهما واخرج الترمذي والنسائي
والحاكم من حديث ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما انزل الله
عز وجل في التوراة ولا في الانجيل مثل ام القران وهي السبع المثاني
واخرج ابن حبان في حديث ابي بن كعب ما انزل الله عز وجل في
التوراة ولا في الانجيل مثلها يعطى لقاري ام القران والله بفضله
فضل هذه الامة على غيرها من الامم واعطاها من الفضل على قراة
كلامه اكثر مما اعطى غيرها من الفضل على قراة كلامه وهذا الحديث
الذي اخرجه الشيخان وغيره من الاحاديث مشعرة بان بعض القران
افضل من بعض واليه ذهب اسحق بن راهويه وابو بكر بن العربي
وحجة الاسلام الغزالي قال الغزالي في جواهر القران لعلك ان تقول
قد اشرت الى تفضيل بعض ايات القران على بعض والكل كلام الله
سبحانه فكيف تفارق بعضها بعضا وكيف يكون بعضها اشرف
من بعض فاعلم ان نور البصيرة ان كان لا يرشدك الى الفرق بين
اية الكرسي واية المداينات وبين سورة الاخلاص وسورة تبت
وترتاع على اعتقاد الفرق نفسك الخوارة المستغرقة بالتقليد
فقلد صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم فهو الذي انزل عليه القران
وقال يس قلب القران وفاتحة الكتاب افضل سور القران
واية الكرسي سيدة اي القران والاخبار الواردة في فضائل

مثل ام القران وهي السبع المثاني
من العطى [يعطي] لقاري التوراة
ان الله
والانجيل من الثواب

القران وتخصيص بعض السور والايات بالفضل وكثرة الثواب في
تلاوتها لا تحصى بل قال ابن الحصار العجب ممن يذكر الاختلاف في ذلك
مع النصوص الواردة بالتفضيل وانما كانت الفاتحة افضل سورة في
القران قيل لان ثواب قراءتها اكثر من ثواب قراءة غيرها وقيل لانها
جمعت جميع مقاصد القران قال الحسن البصري ان الله عز وجل اودع علوم
الكتب السالفة في القران ثم اودع علوم القران في الفاتحة فمن علم
تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزلة فهي مشتملة على اربعة
انواع من العلوم التي هي مناط الدين احدها علم الاصول ومعاقده معرفة
الله عز وجل وصفاته واليها الاشارة بقوله رب العالمين الرحمن
الرحيم ومعرفة النبوات وهي المرادة بقوله انعمت عليهم ومعرفة
المعاد وهو المومى اليه بقوله مالك يوم الدين وثانيها علم الفروع
واسه العبادات وهو المراد من قوله اياك نعبد وثالثها علم ما يحصل به
الكمال وهو علم الاخلاق واجله الوصول الى الحضرة الصمدانية والالتجاء
الى جناب الفردانية والسلوك الى طريقه والاستقامة فيها واليه
الاشارة بقوله عز وجل واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم
ورابعها علم القصص والاخبار عن الامم الماضية والقرون الخالية
السعداء منهم والاشقياء وما يتصل بها من وعد محسنهم ووعيد مسيئهم
وهو المراد من قوله عز وجل انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين
قيل في هذا الحديث دلالة على خروج البسملة من الفاتحة وكون السبع

المثاني

المثاني ما عداها كما هو مذهب ابي حنيفة رضي الله عنه واقول هذه
مقالة فهمها قبل هذا القائل ابن الاثير لكن الشافعي رضي الله عنه
اجاب عن ذلك بانه اراد بقوله الحمد لله رب العالمين السورة وقد ايد
ذلك بانه لو اراد بقوله الحمد لله رب العالمين الاية لم يقل هي السبع
المثاني لان الاية الواحدة لا يقال لها سبع فدل على انه اراد السورة
وان الحمد لله رب العالمين اسم من اسماء الفاتحة وهذا يقوي تاويل
الشافعي رضي الله عنه في حديث انس رضي الله عنه حيث قال صليت
خلف النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر فكانوا يفتتحون الصلوة
بالحمد لله رب العالمين قال الشافعي رضي الله عنه اراد انس رضي الله عنه
السورة وقد اعترض على هذا التاويل بان هذه السورة تسمى سورة
الحمد ولا تسمى الحمد لله رب العالمين وقد رد هذا الاعتراض بان
الحديث مناد بانه اراد السورة ولم يرد الاية وكثيرا ما تسمى السورة
باوائلها الا ترى انه يقال قرات الم ذلك الكتاب وحم عسق والم
تنزيل الكتاب ونحو ذلك وهذا جلي لمن تتبع وقد استنبط من تفسير
السبع المثاني بالفاتحة ان الفاتحة مكية وهو قول الجمهور خلافا
لمجاهد ووجه الدلالة انه سبحانه امتن على رسوله صلى الله عليه وسلم
بها وسورة الحجر مكية اتفاقا فيدل على تقدم نزول الفاتحة عليها قال
الحسين بن الفضل هذه هفوة من مجاهد لان العلماء على خلاف قوله
وحكى القرطبي ان بعضهم زعم انها نزلت مرتين وسمي القران مثاني

دفع المصنف بهذه المقالة ما عسى ان يتوهم من ان تسمية الفاتحة بالمثاني
لها هذان الوجهان وربما توهم انهما يجريان في تسمية القران بالمثاني فانه
تعالى سماه به في هذه الاية بناء على ان من في قوله من المثاني تبعيضية
وفي غير هذه الاية في قوله عز وجل الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها
مثاني فان مثاني في هذه نعت للقران قطعا لان القصص بفتح القاف
اي البيان يثنى فيه اي يذكر فيه مرة بعد اخرى وقد فسر القصص
بالبيان في قوله عز وجل نحن نقص عليك احسن القصص اي نبين
لك احسن البيان وقيل السبع المثاني اكرمناك اي قيل معنى السبع
المثاني في قوله عز وجل اتيناك سبعا من المثاني اكرمناك بسبع كرامات
الهدى والنبوة والرحمة والشفاعة والولاية والتعظيم والسكينة المراد
من الهدى ايصاله الى الملة الحنيفية والصراط المستقيم وهداية الناس
به الى ذلك قال تعالى قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة
ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين واما النبوة فانه نال اعلى درجاتها
ولهذا جعل الله عز وجل ادم فمن بعده من اولاده النبيين تحت لوائه
يوم القيمة واما الرحمة فالمراد ان الله عز وجل ارسله رحمة للعالمين اي للجن
والانس وقيل لجميع الخلق رحمة للمومنين بالهداية ورحمة للمنافقين
بالامان من القتل ونقل عن ابن عباس رضي الله عنهما رحمة للبر والفاجر
لان كل نبي اذا كذب اهلك الله عز وجل من كذبه ومحمد صلى الله عليه وسلم
أخر من كذبه الى الموت او الى القيمة وفيه نظر فان الله عز وجل اهلك مكذبيه

الذين

الذين غرس تكذيبه في افئدتهم على يده بمعونة ثلاثة الاف من الملائكة
في يوم بدر وحنين والخندق واهلك من كذبه من اليهود على يده بمعونة
جنود الله في كاينة بني قريظة واهلك راس مكذبيه منهم وهو كعب
ابن الاشرف وعلم كل احد ان الداعي الى هلاكهم ليس الا تكذيبهم اياه
غير ان الرحمة في ذلك ان الله عز وجل لم يجعل الهلاك عاما فقد سلم من مكذبيه
من يرجى اسلامه كابي سفين بن حرب فانه نجا يوم بدر واما الشفاعة
فهي الشفاعة العظمى في فصل القضا بين اهل الموقف حين يفرغون من
الحساب بعد الانبيا والشفاعة في ادخال قوم من امته الجنة بغير
حساب وفي رفع درجات قوم في الجنة وسياتي الكلام في بحث الشفاعة
~~في ادخال قوم منهم~~ واما الولاية التي اعطيها نبينا صلى الله عليه وسلم
بل سائر الانبيا وبعض عباد الله عز وجل المومنين فهي الولاية
الخاصة لان القوم قسموا الولاية قسمين عامة وخاصة فالعامة
بينا انها كل من امن بالله عز وجل وعمل صالحا على حسب مراتبهم قال تعالى
الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والثانية تخص
الواصلين الى الله عز وجل وهي عبارة عن فناء العبد في ربه عز وجل
فالولي هو الفاني في الله عز وجل والباقي به تعالى وليس المراد بالفنا
هنا انعدام عين العبد مطلقا بل المراد منه فنا جهة البشرية في الجهة
الربانية اذ لكل عبد جهة من الحضرة الالهية وذلك لا يحصل الا بالتوجه
التام الى جناب الحق المطلق سبحانه اذ به تقوى جهة حقيته فتغلب

مب
تعريف
حسن للولي

جهة خلقيته الى ان تعمرها وتعينها بالاصالة كالقطعة من الفحم المجاورة
للنار فانها بسبب المجاورة والاستعداد لقبول النارية والقابلية
المختفية فيها تشتعل قليلا قليلا الى ان تصير نارا فيحصل منها ما
يحصل من النار من الاحراق والانضاج والاضاءة وغيرها وقبل
الاشتعال كانت مظلمة كدرة باردة وذلك التوجه لا يمكن الا بالمحبة
الذاتية الكامنة في العبد فظهورها لا يكون الا بالاجتناب عما يضادها
ويناقضها وهو التقوى عما عداها فالمحبة هي المركب والزاد التقوى
وهذا الفناء موجب لان يتعين العبد بتعينات حقانية وصفات
ربانية مرة اخرى وهو البقاء بالحق فلا بد تقع اليقين منه مطلقا كذا في
شرح الفصوص للقيصري واما التعظيم من النبي ان الله عز وجل بجله
في كتابه العزيز بما لم يبجل به نبيا من الانبياء واما السكينة فان الله عز
وجل قد جعلها في صدور امته وفي الحديث ما كنا نبعد ان السكينة
تنطق على لسان عمر رضي الله عنه والمراد بها الوقار والسكون وقيل
الرحمة والسكينة التي خص الله بها محمدا صلى الله عليه وسلم حيوان له وجه
كوجه الانسان مجتمع وسائرها خلق رقيق كالريح والهوا وقيل هي
صورة كالهرة كانت مع بني اسرائيل في جيوشهم فاذا ظهرت انهزم
اعداوهم وقيل السكينة ريح حجوح اي سريعة الممر والحاصل ان
هذه السبع قد اعطى الله محمدا صلى الله عليه وسلم بمجموعها وقد اجتمعت فيه
وان وجد في غيره بعضها لكن مجموعها اختص به نبينا صلى الله عليه وسلم

وقال

وقال تعالى وانزلنا اليك الذكر الاية فان هذه الاية تتضمن امرا
اختص به صلى الله عليه وسلم لم يدخل فيه نبي ولا نال هذه المرتبة نبي غيره
صلى الله عليه وسلم وهو عموم دعوته وشمول رسالته وذلك ان كفار قريش
استبعدوا ان الله عز وجل يرسل من البشر احدا يدعو الى الله عز وجل
وان الله عز وجل يوحي الى عبد من عباده من البشر وحيا فالله عز وجل
رد عليهم بقوله وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسالوا اهل الذكر
اي اهل الكتب الاولى كاحبار اليهود ثم قال تعالى وانزلنا اليك الذكر
اصل الذكر في اللغة القوة ومنه تسمية الذكر خلاف الانثى لانه اقوى
من الانثى وحديد ذكر لفضل قوته على الانيث والذكر بالقلب
يرجع الى هذا لان الشيء يثبت في القلب مع الذكر فكان له قوة والذكر
باللسان قريب من هذا والمراد بالذكر هنا الوحي والقران والمراد بالذكر
في قوله عز وجل فاسالوا اهل الذكر التوراة كعبد الله بن سلام واصحابه
الذين يصدقون عن الذكر اي التوراة دون من يكتم ويحرص لان القبول
انما يكون من الثقة وقوله ان كنتم لا تعلمون ان الرسل الماضين بشروا
بمحمد صلى الله عليه وسلم واما الذكر في قوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد
الذكر فهو اللوح المحفوظ وقد صرح في الاية بانه صلى الله عليه وسلم مامور
بان يبين للناس ما نزل اليهم واللام في الناس للاستغراق اي لكل فرد
فرد من افراد الناس لا يختص بتبليغ قوم دون قوم وذلك لان اللام
المحلى بها الجمع للاستغراق حيث لم يتحقق عهد لانه هو المتبادر منه

وقد استدل عمر بن الخطاب على ابي بكر رضي الله عنهما حين اراد الصديق
قتال مانعي الزكوة وعمر لم يرد ذلك فقال له كيف تقاتلهم وقد قال
النبي صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فكان
من جملة من دخل في عموم الناس مانعوا الزكوة فقال له ابو بكر رضي الله عنه
الا بحقه والزكوة من حقه وقد احتج ابو بكر رضي الله عنه يوم بيعة السقيفة
على الامامة بقوله صلى الله عليه وسلم الائمة من قريش وقوله عز وجل لتبين
للناس ما نزل اليهم قال بعض الفضلا قد اتفق في هذه الاية استعمال
الانزال والتنزيل معا في تدريجي الوجود كيف وان اكثر استعمال
التنزيل فيه وان الانزال شامل لدفعي الوجود وغيره كما صرح بذلك
القطب الرازي في حواشي الكشاف ففي الاية وضع الظاهر في موضع
المضمر وكان مقتضى الظاهر ان يقول لتبينه للناس فقال ما قال
للاشعار بانه كما نزل اليه صلى الله عليه وسلم بواسطة امين الوحي نزل اليهم
بواسطتها او بانه لما كان منزلا بحسب مصالحهم صار كانه نزل اليهم
بغير واسطة قال ولا يبعد عندي ان يكون في ذلك اشعار ايضا بان
المبين للناس مغاير للمنزل اليه صلى الله عليه وسلم اذ المنزل اليه نفس
الذكر والمبين لهم معانيه على ما مر في ثاني التوليف ولو قيل لتبينه
للناس لكان المفهوم ظاهرا اتحادهما لتعلق الانزال والتبيين في الظاهر
بامر واحد وان كان المراد تبيين معاني ما نزل اليهم فلما قيل ما قيل فهم
ظاهرا تغايرهما لتغاير متعلقي الانزال والتبيين بحسب الظاهر كما

هو

هو بحسب الحقيقة فكان تغايرهما الظاهري مشعرا بتغايرهما
الحقيقي وان لم يرد بما نزل اليهم نفس معانيه بل هو نفسه ولكن بتقدير
مضاف اي معاني ما نزل اليهم فافهم انتهى واقول في هذا الكلام
ابحاث الاول انا لا نسلم ان الانزال هنا استعمل في تدريجي الوجود
بل هو هنا ايضا مستعمل في ما هو دفعي الوجود والتنزيل في تدريجيه
وذلك لان الذكر مشترك بين مجموع القران وبين بعضه فما نزل عليه
صلى الله عليه وسلم من القران يقال له ذكر ولو اية واحدة وصدق على
تلك الاية انها وجدت دفعة واحدة وهب ان ما نزل عليه منه نزل
عليه بالتدريج فبعد نزوله وصيرورته في صدره يقال انه انزل وصار
كانه دفعي الوجود ثم ان المراد بمتعلق يبين ليس الذكر الذي انزل
عليه بل ما وجد في ذلك الذكر من الاحكام والشرائع وغير ذلك فانها ايضا
نزلت من الله عز وجل فكان النبي صلى الله عليه وسلم يبينها تبيينا
تفصيليا كما ينبئ عن ذلك صيغة التفعيل فاذا بين النبي صلى الله
عليه وسلم منها شيا كان الله عز وجل انزله في ذلك الوقت ورب اية واحدة
بل كل اية يمكن ان يستخرج منها المجتهد احكاما شرعية كثيرة فكيف بالنبي
صلى الله عليه وسلم الثاني ان الانزال ليس شاملا لما كان دفعي الوجود
وغيره مطلقا بل اذا ذكر بمفرده واما اذا قوبل الانزال بالتنزيل فيتعين
الانزال لدفعي الوجود والتنزيل لتدريجيه كما وقع ذلك في عبارة
الكشاف حيث قال الحمد لله الذي انزل القران كلاما مؤلفا منظما

ونزله بحسب المصالح منجما فان شارحي كلامه اجمعوا على ذلك كما لا
تخفى فشمل المنزل الوارد بصيغة التفعيل الذي هو مفعول التبيين
كل ما استنبطه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقوة النبوية والفهم
الرباني والنفث الروعي من حكم شرعي وسنة نبوية سواء كان ذلك
معنى للقران او بدلالة الاقتضا او بفحوى الكلام او بلحنه او بالقياس او
بمفهوم المخالفة وليس المراد مجرد المعنى كما توهم فان المعنى هو المنطوق
والمبين اعم من ذلك الثالث ان المبين الذي بينه رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليس هو مجرد ما نزل عليه من القران بل هو اعم من ذلك فشمل
السنة النبوية والاحكام الشرعية التي ارشدنا اليها سنته صلى الله عليه وسلم
وكل من القران والسنة منزلان على النبي صلى الله عليه وسلم انزلا للناس
قال ابو محمد الجويني من اصحابنا كلام الله عز وجل المنزل قسمان
قسم قال الله عز وجل لجبريل عليه السلام قل للنبي الذي انت مرسل اليه
ان الله عز وعلا يقول لك افعل كذا وكذا وامر بكذا وكذا ففهم جبريل
عليه السلام ما قاله ربه عز وعلا ثم نزل على ذلك النبي وقال له ما قال له
ربه عز وعلا ولم تكن العبارة تلك العبارة كما يقول الملك لمن يثق به قل
لفلان يقول لك الملك اجتهد في الخدمة واجمع جندك للقتال فان عبر
الرسول اللفظ وقال يقول لك الملك لا تتهاون في خدمتي ولا تترك الجند
تتفرق وحثهم على المقاتلة لا ينسب الى كذب ولا تقصير في اداء الرسالة
وقسم اخر قال الله عز وجل لجبريل عليه السلام اقرا على النبي هذا الكتاب
فنزل

فنزل جبريل عليه السلام بكلمة الله عز وجل من غير تغيير كما يكتب الملك كتابا
ويسلمه الى امين ويقول اقراه على فلان هو لا يغير منه كلمة ولا حرفا
فالقران هو القسم الثاني والقسم الاول هو السنة ثم ان السنة قسمان
قسم نزل بهذا الاسلوب وقسم استنبطه النبي صلى الله عليه وسلم
من القران والجميع صدق عليه انه نزل من الله عز وجل الى الناس وعلى النبي
صلى الله عليه وسلم بيانه للناس فان قلت كيف يصلح ان يكون قوله
لتبين للناس ما نزل اليهم علة لانزال القران قلت ان كان ما
بينه للناس مستخرجا من القران فالتعليل ظاهر وان كان ما بينه
للناس بوحي من غير القران كالسنة التي اوحاها الله عز وجل اليه
فيكون انزال القران علة له بواسطة لانه يكون معجزة مصدقة له
في دعواه الرسالة فهي علة لتصديقه وتصديقه علة لوجوب بيان ما
شرعه ربه عز وعلا لامته فصح ان يكون انزال الذكر علة له بهذا
الاعتبار وقال تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا
معنى كافة في اللغة الاحاطة ماخوذ من كفة الشيء وهو حرفه واذا انتهى
الشيء الى ذلك كف عن الزيادة ولا تثنى كافة ولا تجمع وكفة القميص
حاشيته وكل مستطيل كفة مثل كفة الرمل وكل مستدير كفة بكسر
الكاف مثل كفة الميزان وكفة الحابل واصل الكف المنع ومنه قيل
لطرف اليد كف لانه يكف بها عن سائر البدن وقوله ادخلوا في السلم
كافة اراد بالكافة الاحاطة لجميع الحدود الاسلامية ثم ان كافة قيل

انه منصوب على انه حال من الكاف في ارسلناك والتا فيه للمبالغة كعلامة
والمعنى الا جامعا للناس وهو على هذا اسم فاعل من كف وقيل كافة
مصدر كالعاقبة فيكون على حذف مضاف اي الا ذا كافة ورد ذلك
بان كف لا يحفظ في معناه جمع وبان جعل كافة حالا من مفرد ولا يعرف
ذلك في غير محل النزاع وبان جعل التا للمبالغة مقصور على السماع وبانها
انما تكون للمبالغة غالبا فيما كان على احد اوزان المبالغة كفروقة ومهذارة
وكافة فاعلة وليس من اوزان امثلة المبالغة وذلك ان لهم كلمات
دخلت عليها التا وهي من صفات المذكر للمبالغة في الوصف لا للفرق
بين المذكر والمونث وذلك قولهم رجل علامة ونسابة وسالة وراوية
ولا يجوز لهذه التا ان تدخل في وصف من اوصاف الله عز وجل وان
كان المراد بها المبالغة قال ابو علي الفارسي ان التا تاتي علما
للكثرة والمبالغة الا ترى ان راوية صفة للمذكر في قولك رجل راوية
ومجي التا علما للتكثير بمنزلة تانيثهم الجموع وكذا فروقة وحمولة لانه
يجري صفة على المذكر نحو قولك رجل فروقة فاما اذا اجري على المونث
كان تقول امراة فروقة فان هذه التا ايضا للمبالغة وليست للتانيث
كما هي في ضاربة لما علم وتحقق ان فعولا لا يونث وبالجملة فكون التا في
كافة للمبالغة غير مسلم بل قال الرضي انه تعسف وقيل ان كافة صفة
مصدر محذوف اي ارسالة عامة فالتا للتانيث وقد رد ذلك بان
كافة لا يحفظ استعماله صفة بل لا يستعمل الا حالا وقيل هو حال من الناس

بحث حسن في تاء المبالغة

المجرور

المجرور باللام وكافة بمعنى جميعا اي ارسلناك للناس جميعا وقد
رد هذا الوجه الزمخشري بان الحال لا يجوز ان تتقدم على صاحبها المجرور
بحرف الجر كما لا يجوز اذا كان مجرورا بالاضافة قال في كشافه ومن جعله
حالا من المجرور متقدما عليه فقد اخطا لان تقدم حال المجرور عليه في
الاحالة بمنزلة تقدم المجرور على الجار وكم ترى ممن يرتكب هذا الخطا
ثم لا يقنع به حتى يضم اليه ان يجعل اللام بمعنى الى لانه لا يستوي له الخطا
الاول الا بالخطا الثاني فلا بد له من ارتكاب الخطايين واجيب
بجواز تقدم حال المجرور عليه وهو مذهب ابي علي وابن كيسان
وابن برهان وابن مالك وهو الصحيح وان كان الاكثر على خلافه
ويدل عليه قول الشاعر

من الطويل

اذا المرء اعيته السيادة ناشئا * فمطلبها كهلا عليه شديد

اي فمطلبها شديد عليه حال كونه كهلا وقوله

من الطويل

تسليت طرا عنكم بعد بينكم * بذكراكم حتى كانكم عندي

من الخفيف

وقوله غافلا تعرض المنية للمر * ء فيدعى ولات حين اباء

قال ابن عقيل في المساعد ليس لمن منع حجة فيها روح واما ما
ذكره صاحب الكشاف من تخطئة القائلين بذلك في جعلهم
اللام بمعنى الى فهذا الاحتجاج اليه من قال بذلك لان ارسل يتعدى
بالى وباللام كقوله عز وجل وارسلناك للناس رسولا وتاويل
اللام بالى ليس خطا لان ذلك قد جا كما جاكون الى بمعنى اللام فالاول نحو

هو السكاكي

بان ربك اوحى لها وقوله عز وجل كل يجري لاجل مسمى وقوله ولو ردوا
لعادوا لما نهوا عنه والثاني نحو قوله عز وجل والامر الكبائر والامر
لكن هذا وقد اعترض بعض معربي القران على جعل كافة حالا من الناس
فقال وفي جعل كافة حالا من الناس نظر لانه ان كان للناس متعلقا
بارسلناك لزم ان يعمل ما قبل الا فيما بعدها وليس مستثنى ولا مستثنى
منه ولا تابعا وذلك لا يجوز على مذهب الاكثر وان جعل للناس متعلقا
بفعل محذوف تقديره ارسلناك للناس كما قيل في قوله عز وجل وما
ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا
تعلمون بالبينات قالوا تقديره ارسلناهم بالبينات لزم ان
العامل في الحال وهو كافة ارسلناك الملفوظ به قبل الا والعامل
في صاحبها ارسلناه المقدر وهو غير العامل فيها وذلك لا يجوز انتهى
واقول ما ذكره من منع عمل ما قبل الا فيما بعدها الا في هذه الاحوال
الثلاث هو مذهب الاكثر لكن اجازه الكسائي فيما اذا كان المعمول
مجرورا فيجوز ما مر الا زيد بعمرو وعلى انا نقول الناس هنا مستثنى منه
والمستثنى كافة والتقدير وما ارسلناك للناس الا جميعا فهو
على سنن قول الشاعر

من الطويل

تزودت من ليلى بتكليم ساعة * فما زاد الا ضعف ما بي كلامها

وليس هذا من قبيل الاستثناء المفرغ وانما هو من قبيل ذكر المستثنى
والمستثنى منه غاية الامر ان المستثنى منه اخر في الكلام فان قلت

اذا قلتم ان تقدير الكلام وما ارسلناك للناس الا كافة اي جميعا فما
النكتة في ان الله عز وجل لم يقل وما ارسلناك للناس الا كافة وعدل
عما هو مقتضى الظاهر قلت لا يخفى ان هذا كلام سيق ردا على
فرقتين فرقة انكروا رسالته صلى الله عليه وسلم واخرى اقروا بها لكن
للعرب خاصة وهذه المقالة زائدة على الفرقتين والمقام مقام اهتمام
باثبات عموم الرسالة فيلزم منه اثبات اصل الرسالة ببينة
وطريق برهاني فبادر الى ذكر الحصر مقدما ما وقع الحصر فيه دون غيره
لانه محط الفائدة اذ عنده يحصل الرد على الفرقتين ويبطل مقال
القبيلتين فان قلت لو انه قال الا للناس كافة لحصل ما اشير
اليه من الرد على كلتا الفرقتين قلت نعم ولكن قصد ان لا يلي اداة
الحصر الا المهتم به الذي توجه اليه الحصر الذي به يحصل التصريح بالرد
عليها ولا يتاتى ذلك الا بتقديم كافة على الناس لان مضمونه هو
الذي يحصل به التصريح بالرد عليهم على ان جعل الناس مستثنى منه
وكافة مستثنى وان الحصر انما انصب الى قوله كافة فقط تنبيه
على امر هو مقصود الاية وهو ان ارساله للناس امر مطلق واذا قدم
كافة فقد اثبتنا له قيدا وهو كون رسالته عامة فان قلت فما القيد
السلبي الذي دل عليه الحصر قلت هو كونه ارسل الى قوم مخصوصين وحينئذ
يستفاد من تقديم كافة ما هو مقصود وهو اثبات قيد مخصوص لرسالته
وهو انها لعموم الناس واما الناس فانه وان اخر لفظا الا انه

ملحوظ بعنوان التقديم كيف وهو المستثنى منه وكافة هو المستثنى
مع انه يلزم من تقديم للناس على كافة خلاف ما هو مقصود الاية فان
المقصود منها حصر رسالته للناس في كونها لجميعهم فالمنفي كون رسالته
للناس ليست لقوم مخصوصين ولو قدم للناس لكان المعنى حصر
رسالته في كونها للناس جميعا فينتفي كونها لغير الناس وكونها لقوم
مخصوصين فيفسد المعنى لانه ارسل الى الجن والناس لا يشمل الجن
لذكرهم في مقابلتهم في قوله عز وجل من الجنة والناس لكن في القاموس
الناس يشمل الانس والجن فعلى هذا لا يفسد المعنى من هذه الجهة
لكن تفوتنا نكتة الاهتمام بتقديم ما هو المحصور فيه المفيد للتصريح
بالرد على الفريقين فحينئذ فان قلت ان قلنا بما قال صاحب
الكشاف من ان كافة صفة مصدر محذوف تقديره الا رسالة كافة
فهل يوافق في المعنى ما قلناه على تقدير جعله حالا من الناس وهل يكون
الناس مستثنى منه قلت يكون حينئذ الاستثناء مفرغا والتقدير
حينئذ وما ارسلناك ارسالة الا ارسالة عامة لجميع الناس وقوله
للناس متعلق بكافة اخذا من الكف فانها اذا عمتهم فقد كفتهم ان
يخرج منها احد منهم فيوافق المعنى المذكور سابقا واذا قلنا انه حال
من الكاف في ارسلناك والتاء للمبالغة على ما فيه كما سبق فالمعنى
حينئذ وما ارسلناك الا جامعا للناس في الابلاغ فالجار والمجرور
ايضا لغو وهو متعلق والاستثناء مفرغ على هذا التقدير ايضا وقال اي

الله

الله عز وجل قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا خطاب الله عز
وجل بقوله قل يا ايها الناس هل يشمل الرسول فيه مذاهب هي جارية في
نحو يا ايها الذين امنوا يا عبادي احدها وهو الصحيح وقول الجمهور
نعم لصدق ذلك عليه فلا يخرج الا بدليل ثانيها لا لقرينة المشافهة لان
المشافه غير المشافه والمبلغ بكسر اللام غير المبلغ بفتحها والامر
غير المامور والناهي غير المنهي فلا يكون داخلا ورد بان الخطاب في
الحقيقة هو من الله عز وجل للعباد وهو منهم وهو مع ذلك مبلغ للامة
فالله عز وجل هو الامر الناهي وجبريل عليه السلام هو المبلغ ولا تنافي
بين كون النبي صلى الله عليه وسلم مبلغا مبلغا مخاطبا مخاطبا باعتبارين
وثالثها وبه قال الصيرفي لا يدخل ان اقترن بقل والا فيدخل
ورابعها يدخل في خطاب القران ولا يدخل في خطاب السنة ومثل هذا
الخطاب يسمى عندهم الخطاب الوارد شفاها وقد اختلف في عموم الوارد
منه في الكتاب والسنة ولا خلاف في انه عام في الحكم الذي تضمنه لمن
لم يشافه به سواء كان موجودا غائبا وقت تبليغ النبي صلى الله عليه
وسلم ام معدوما بالكلية فاذا بلغ الغائب والمعدوم بعد وجوده تعلق
به الحكم وانما اختلف في جهة عمومه والحاصل ان العام المشافه فيه
بحكم لا خلاف في شموله لغة للمشافهين ولغيرهم حكما وانما الخلاف في
غير المشافهين هل الحكم شامل لهم باللغة ام بدليل اخر ذهب جمع من
الحنابلة والحنفية الى ان شموله لغير المشافهين من اللفظ وذهب

الاكثرون الى انه بدليل اخر وذلك ما علم من عموم دينه صلى الله عليه وسلم بالضرورة
الى يوم القيمة ويدل عليه قوله عز وجل لانذركم به ومن بلغ وقوله صلى الله
عليه وسلم بعثت الى الناس كافة والاية التي تقوم الكلام عليها واصرح من ذلك عامة مع
قوله عز وجل هو الذي بعث في الاميين رسولا الى قوله واخرين منهم لما
يلحقوا بهم وهذا معنى قول ابن الحاجب ان مثل يا ايها الناس ليس
خطابا لمن بعدهم اي من المواجهين وانما يثبت الحكم بدليل اخر من اجماع
او نص او قياس واستدلوا بانه لا يقال للمعدومين يا ايها الناس
واجابوا عما استدل به الخصم بانه لو لم يكن المعدومون مخاطبين بذلك لم
يكن صلى الله عليه وسلم مرسلا اليهم بانه لا يتعين الخطاب الشفاهي في
الارسال بل مطلق الخطاب كاف لكن قال في شرح العنوان الخلاف في
عموم خطاب المشافهة قليل الفائدة ولا ينبغي ان يكون فيه خلاف
عند التحقيق لان اللغة تقضي بانه لا يتناول غير المخاطب والقطع بان
الحكم شامل لغير المخاطب لما علم من عموم الشريعة وهذه الاية ذكرت بعد
ما حكى الله عز وجل ما في الكتابين التوراة والانجيل من نعوت النبي صلى
الله عليه وسلم وشرف من يتبعه من اهل التوراة والانجيل وان اتباعه
هم الفائزون بسعادة الدارين حيث قال فالذين امنوا به وعزروه
ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون ثم امر الله عز وجل
نبيه صلى الله عليه وسلم ان يبين ان تلك السعادة غير مختصة بهم بل شاملة
لكل من اتبعه كائنا من كان ببيان عموم رسالته للثقلين مع اختصاص

رسالة سائر الرسل عليهم السلام باقوامهم فان قلت موسى عليه السلام
كان مرسلا الى فرعون وليس من قومه انما قومه بنو اسرايل قلت ذلك
هو الغالب على الرسل وفرعون وان لم يكن من بني اسرايل الا ان بني اسرايل
كانوا تحت قهره داخلون في مملكته وقد جمعه واياهم بلد واحد وارض
واحدة قيل ان ارسال موسى عليه السلام الى فرعون وملائه بالايات
التسع انما كان لامرهم بعبادة رب العالمين عز وجل وترك العظمة
التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية وبارسال
بني اسرايل من الاسر والقسر واما العمل باحكام التوراة فمختص ببني اسرايل
واقول موسى عليه السلام رسالته عامة وليست خاصة ببني اسرايل
بل هي لهم ولقوم فرعون ولفرعون كما نطقت بذلك الايات القرانية
قال تعالى ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم ان ادوا
الى عباد الله فقوله عباد الله خطاب للقبط ولبني اسرايل واما
تخصيص دعوة فرعون الى ترك ما كان يدعيه فلانه هو الواجب على
الرسل فيجب عليهم ان يامروا بعبادة الله عز وجل وبغيرها من
اصول الدين لتوقف صحة فروع الشرع على تلك الاصول فكان فرعون
وملاه مكلفين بما دعاهم اليه موسى عليه السلام وبجميع فروع شريعته
واما احكام التوراة فانما كانت خاصة ببني اسرايل لان التوراة
نزلت بعد هلاك فرعون ولو فرض ان فرعون كان حيا لوجب عليه
اتباع ما في التوراة بمقتضى ان موسى عليه السلام مرسل اليه والى

قاله ابو السعود
مفتي السلطنة
رحمه الله عز وجل

قومه كما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مرسل الى ابي طالب مثلا ولو ان
ابا طالب ادرك زمن فرض صوم رمضان والزكوة والحج والجهاد لوجبت
عليه كلها ولخوطب بها جميعها ولكنه هلك قبل ذلك قال اي المصنف بعد
نقله لهذه النصوص المذكورة الواردة من الكتاب والسنة فهذه
المنقبة المستفادة من هذه النصوص من خصائصه التي لا يشاركه
فيها نبي وقد اعترض على ذلك بان ادم عليه السلام كان مبعوثا الى بنيه
وهم الموجودون في الارض فكان مبعوثا الى اهل الارض وكذلك
نوح عليه السلام كان مبعوثا الى من بقي بعد الطوفان وليس على وجه
الارض نسمة غيرهم واجيب بان عموم بعثتهما لم تكن في اصل
البعثة وانما اتفق ذلك بسبب الحادث الذي حدث لاهل الارض
من الغرق في شان نوح عليه السلام وان الله عز وجل قال لادم
عليه السلام ارسلتك الى من يوجد من اولادك واما نبينا صلى الله
عليه وسلم فعموم رسالته من اصل البعثة فثبت اختصاصه بذلك
واما قول اهل الموقف لنوح عليه السلام كما صح في حديث الشفاعة
انت اول الرسل الى اهل الارض فليس المراد عموم بعثته بل اثبات
اول ارساله على انه قد صرح الله عز وجل بخصوصه في عدة ايات
بانها لقومه خاصة ولم يذكر فيها انه ارسل الى غيرهم قال انا ارسلنا
نوحا الى قومه واستدل بعضهم لعموم بعثته بكونه دعا على جميع من
في الارض فاهلكوا بالغرق الا اهل السفينة ولو لم يكن مبعوثا اليهم

تقييد في عموم رسالته
صلى الله عليه وسلم
ه

لما

لما اهلكوا لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقد ثبت
انه اول الرسل واجيب بجواز ان يكون غيره ارسل اليهم في اثناء مدة
نوح عليه السلام وعلم نوح عليه السلام بانهم لم يؤمنوا فدعا على من لم
يؤمن من قومه وغيرهم وهذا جواب حسن لكن لم ينقل انه نبي في زمن
نوح عليه السلام غيره ويحتمل ان يكون معنى الخصوصية لنبينا صلى الله عليه
وسلم في ذلك بقاء شريعته الى يوم القيمة ونوح وغيره بصدد ان يبعث
نبي في زمانه او بعده فينسخ بعض شريعته ويحتمل ان يكون دعاؤه
قومه الى التوحيد بلغ بقية الناس فتمادوا على الشرك فاستحقوا
العقاب والى هذا نحا ابن عطية في تفسير سورة هود وقال وغير ممكن ان
نبوته لم تبلغ القريب والبعيد لطول مدته ووجهه ابن دقيق العيد بان
توحيد الله عز وجل يجوز ان يكون عاما في حق بعض الانبياء وان كان
التزام فروع الشريعة ليس عاما لان منهم من قاتل غير قومه على الشرك
ولو لم يكن التوحيد لازما لهم لم يقاتلهم كذا قيل وانا اقول الذي دلت
عليه النصوص وفهمناه من مقالات الكتاب والسنة عموم رسالته
لقوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس وقوله صلى الله عليه وسلم انا
سيد ولد ادم ولا فخر وقوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وادم بين الماء
والطين فالذي يقتضيه النصوص عموم رسالته للناس الاولين
والاخرين وان الانبياء عليهم السلام في العالم نوابه من ادم عليه
السلام الى اخر الرسل قال الشيخ محيي الدين بن عربي في الباب

التاسع من الفتوحات المكية وقد ابان صلى الله عليه وسلم عن هذا المقام بامور
منها قوله صلى الله عليه وسلم والله لو كان موسى عليه السلام حيا ما وسعه
الان يتبعني وقوله في نزول عيسى عليه السلام في اخر الزمان انه يؤمنا
منا اي يحكم فينا بسنة نبينا صلى الله عليه وسلم ويكسر الصليب ويقتل
الخنزير ولو كان محمد صلى الله عليه وسلم قد بعث في زمن ادم عليه السلام
لكانت الانبيا وجميع الناس تحت حكم شريعته الى يوم القيمة حسا ولهذا
لم يبعث عامة الا هو خاصة فهو الملك والسيد وكل رسول سواه بعث
الى قوم مخصوصين فلم تعم رسالة احد من الرسل سوى رسالته صلى الله
عليه وسلم فمن زمان ادم الى زمان بعث محمد صلى الله عليه وسلم ملكه واما
تقدمه في الاخرة على جميع الرسل وسيادته فمنصوص على ذلك في الصحيح
عنه فروحانيته صلى الله عليه وسلم موجودة وروحانية كل نبي ورسول
منه تمد فكان الامداد ياتي اليهم من تلك الروح الطاهرة بما يظهرون
به من الشرايع والعلوم في زمان وجودهم رسلا لكن لما لم يتقدم
في عالم الحس وجود عينه صلى الله عليه وسلم اولا نسب كل شرع الى
من بعث به وهو في الحقيقة شرع محمد صلى الله عليه وسلم وان كان
مفقود العين من حيث لا يعلم ذلك كما هو مفقود العين الان وفي زمان نزول
عيسى عليه السلام فالحكم شرعه ثم قال فخرج من هذا المجموع كله
انه ملك وسيد على جميع [illegible] بني ادم وان جميع من تقدمه كان
ملكا له وتبعا والحاكمون فيه نواب عنه فان قيل فقوله صلى الله عليه وسلم

لاتفضلوني

لاتفضلوني فالجواب نحن ما فضلناه بل الله عز وجل فضله فان ذلك
ليس لنا قال وان كان قد ورد اولئك الذين هدى الله فبهداهم
اقتده لما ذكر الانبيا عليهم السلام فهو صحيح فانه تعالى قال فبهداهم
اقتده وهداهم من الله عز وجل وهو شرعه صلى الله عليه وسلم اي الزم
شرعك الذي ظهر به نوابك من اقامة الدين ولا تتفرقوا فيه ولم يقل
فبهم اقتده وقوله عز وجل اتبع ملة ابرهيم حنيفا وهو الدين فهو
مامور باتباع الدين فان الدين انما هو من الله سبحانه لا من غيره وانظروا
في قوله صلى الله عليه وسلم لو كان موسى عليه السلام حيا ما وسعه الا ان
يتبعني فاضاف الاتباع اليه وامر هو صلى الله عليه وسلم باتباع الدين
وهدى الانبيا عليهم السلام لا بهم فان الامام الاعظم اذا حضر لا يبقى
لنايب من نوابه حكم الا له فاذا غاب حكم النواب بمراسمه فهو الحاكم
غيبا وشهادة قال وما اوردنا هذه الاخبار والتنبيهات الا تانيسا
لمن لا يعرف هذه المرتبة من كشفه ولا اطلع الله على ذلك من نفسه
فاما اهل الله عز وجل فهم على ما نحن عليه فيه فقد قامت لهم شواهد
التحقيق على ذلك من ربهم عز وجل في نفوسهم الى اخر ما قال ولعمري
ان هذا هو الحق الذي لا محيد عنه فتامل وقال تعالى وما ارسلنا من
رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فخصهم بقومهم استدلال المصنف
بهذه الاية على خصوص رسالة ما عدا نبينا من الانبيا مبني على
ان هذه الاية لا يدخل في مضمونها نبينا صلى الله عليه وسلم وكانه فهم انه

يلزم من كونه جاءهم بلسانهم فقط انه ارسل اليهم فقط وليس ذلك بلازم لجواز
ان يرسل بلسانهم اليهم والى غيرهم وغير اهل لسانه يعلمون ما جاء به بالترجمة
لا سيما وقد اتى برسول نكرة وقعت في سياق نفي فعمت كل رسول
حتى محمدا صلى الله عليه وسلم كيف وقد انضم الى النكرة ما صيرها نصا في
العموم وهو ادخال من الزائدة على المفعول وكانت شبهة المصنف
وغيره ممن فهم هذا الفهم امران الاول تعبيره بصيغة الماضي المقتضية
لان ذلك انما وقع في رسلنا الماضين وقد صرح بذلك السعودي في
تفسيره حيث قال وما ارسلنا اي في الامم الخالية من قبلك وهذه
ان كانت شبهة القائل بذلك فهي واهية لان النبي صلى الله عليه وسلم
ينتظم في مضمون هذا الفعل الماضي لان هذه الاية نزلت بعد ان
ارسله الله عز وجل والله عز وجل ارسله بلغة قومه اعني قريشا
فكان حاصل معنى الاية ان الله عز وجل لم يرسل رسولا الا بلغة
قومه سوا بعث اليهم فقط ام اليهم والى غيرهم ثم انه تعالى بين السبب
في تخصيص ارساله بكونه ملتبسا بلسان قومه قائلا ليبين لهم
اي ليفقهوا عنه ما يدعوهم اليه فلا يكون لهم حجة على الله عز وجل ولا
يقولوا لم نفهم ما خوطبنا به كما قال ولو جعلناه قرانا اعجميا لقالوا
لولا فصلت اياته قال في الكشاف فان قلت لم يبعث رسول الله الى
العرب وحدهم وانما بعث الى الناس جميعا قال تعالى قل يا ايها الناس
اني رسول الله اليكم جميعا بل الى الثقلين وهم على السنة مختلفة فان

لم

لم يكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة وان لم يكن لغيرهم حجة فلو نزل بالعجمية
لم يكن للعرب حجة ايضا قلت لا يخلو اما ان ينزل بجميع الالسنة
او بواحد منها فلا حاجة الى نزوله بجميع الالسنة لان الترجمة تنوب
عن ذلك وتكفي التطويل فبقي ان ينزل بلسان واحد فكان اولى
الالسنة لسان قوم الرسول صلى الله عليه وسلم لانهم اقرب اليه فاذا فهموا
عنه وتبينوه وتنوقل عنهم وانتشر قامت التراجم ببيانه
وتفهيمه كما ترى الحال وتشاهدها من نيابة التراجم في كل امة من
امم العجم مع ما في ذلك من اتفاق اهل البلاد المتباعدة والاقطار المتنازحة
والامم المختلفة والاجيال المتفاوتة على كتاب واحد واجتهادهم
في تعلم لفظه وتعلم معانيه وما يتشعب من ذلك من جلائل الفوائد
وما يتكاثر في اتعاب النفوس وكد القرائح فيه من القرب والطاعات
المفضية الى جزيل الثواب ولانه ابعد من التحريف والتبديل واسلم
من التنازع والاختلاف ولانه لو نزل بالسنة الثقلين كلها مع
اختلافها وكثرتها وكان مستقلا بصفة الاعجاز في كل واحد منها وكلم
الرسول العربي كل امة بلسانها كما كلم امته التي هو منها يتلوه عليهم معجزا
لكان ذلك امرا قريبا من الالجاء انتهى مقال الزمخشري فان قلت
ما معنى كونه لو نزل بالسنتهم كلهم وكان مستقلا بصفة الاعجاز
في كل منها الى اخره يكون قريبا من الالجاء قلت لانه يكون حينئذ
خارقا جليا لا يبقى للايمان بالغيب معه ثواب ويكون كانه اضطر

الناس الى الايمان والايمان المعتد به لابد ان يشوبه اختيار ولايصل
فيه المومن الى درجات اليقين الا بالتامل وتدقيق النظر ولهذا كان يعقب
الايمان الالجاي العذاب وغضب الله عز وجل على من اراده كاهل
المائدة قال الله عز وجل بعد ان انزلها عليهم عذابا لم يعذبه
احدا من العالمين فمسخوا قردة وخنازير هذا تقرير كلام الزمخشري
وفيه نظر لان المعجزة الجلية الظاهرة لايكون الايمان فيها الجائيا نعم
ظهور المعجزة للاذهان الثاقبة والبعيدة ينقص ثواب الايمان
لكن يعتد بذلك الايمان فلهذا لم يتعرض لذلك القاضي البيضاوى
بل قال ولو نزل على من بعث الى امم مختلفة ليبين لهم كتبا على السنتهم
استقل ذلك بنوع من الاعجاز ولكن ادى الى اختلاف الكلمة واضاعة
فضل الاجتهاد في تعلم الالفاظ ومعانيها والعلوم المتشعبة منها
وما في اتعاب القرائح وكد النفس من القرب المفضية لجزيل
الثواب الثاني ان المصنف ومن سار سيره في ذلك فهم من قوله
عز وجل ليبين لهم ان كل نبي انما يبين لقومه الذي بعث بلسانهم
فلا يبين لغير من بعث بلسانه وفيه نظر لانه لايلزم من كونه يبين
لمن بعث بلسانهم ان لايبين لغيرهم بالترجمة فان كونه يبين لقومه
لاينفي ان يبين لغيرهم لان مفهوم اللقب لايقول بحجته جمهور
العلما وان قال به الدقاق **وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى الخلق كافة**
قضيته انه بعث الى الملائكة وهو الذي رجحه السبكي من اصحابنا

قال

لى الامر الثانى

قال ولو قيل لمدعي اخراج الملائكة من عموم العالمين في قوله عز وجل للعالمين
نذيرا اقم الدليل على هذا الاخراج لعجز عن ذلك والانذار لايلزم ان يكون
بالاخراج من الكفر من المعاصي لجواز ان ينذر الملائكة بتعليمهم ما هو الاولى
والاحرى بهم ان يتادبوا به في الحضرات الالهية والمنازل السماوية
فان قلت قد حكى البرهان النسفي والفخر الرازي الاجماع على انه لم
يبعث الى الملائكة قلت قال كثير من العلما انه بعث اليهم وان كان
قول الجمهور على خلافه وحكاية هذين العالمين الاجماع على انه لم يرسل
اليهم غير مرضية لانهما ليسا من نقلة الاجماع ولا من رواته فنقلة الاجماع
مثل ابن عبد البر وابن المنذر والائمة الاربعة ومن داناهم في المرتبة
واما هذان العالمان فغايتهما فهم كلام الناس كما يعلم ذلك من تتبع رتب
العلما **كما قال صلى الله عليه وسلم بعثت الى الاحمر والاسود** هذا ماخوذ
من حديث رواه الشيخان وغيرهما الا ان الرواية التي فيها الاحمر
والاسود لم يروها البخاري وانما هي في صحيح مسلم ولفظ البخاري بسنده
الى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت
لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلوة فليصل
واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي واعطيت الشفاعة وكان النبي
يبعث الى قومه وبعثت الى الناس عامة وفي صحيح مسلم وبعثت
الى كل احمر واسود واخرج عبد بن حميد وابن ابي حاتم عن قتاده

في قوله عز وجل وما ارسلناك الا كافة للناس قال ارسل الله عز وجل محمدا
صلى الله عليه وسلم الى العرب والعجم فاكرمهم على الله عز وجل اطوعهم له واخرج
ابن المنذر بسنده عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن نبي قبلي بعثت الى الناس الى كل
ابيض واحمر واطعمت امتي المغنم لم تطعمه امة قبل امتي ونصرت
بالرعب يرعب مني عدوي على مسيرة شهر واطعمت المغنم وجعلت
لي الارض مسجدا وطهورا واعطيت الشفاعة فادخرتها لامتي الى
يوم القيمة وهي ان شاء الله عز وجل نائلة من لا يشرك بالله عز وجل
شيا ومعنى الاحمر والاسود العجم والعرب لان الغالب على الوان
العجم الحمرة والبياض وعلى الوان العرب الادمة والسمرة وقيل
اراد الجن والانس وقيل اراد بالاحمر الابيض مطلقا فان العرب
لا تقول امراة حمراء اي بيضاء وسئل ثعلب لم خص الاحمر دون
الابيض فقال لان العرب لا تقول رجل ابيض من بياض اللون
انما الابيض عندهم الطاهر النقي من العيوب فاذا ارادوا الابيض
من اللون قالوا الاحمر وفي هذا القول نظر فانهم قد استعملوا الابيض
في الوان الناس وغيرهم ومنه الحديث اعطيت الكنزين الاحمر والابيض
وهي ما افاء الله عز وجل على امته من كنوز الملوك فالاحمر الذهب
والابيض الفضة والذهب كنوز الروم لانه الغالب على نقودهم
والفضة كنوز الاكاسرة لانها الغالبة على نقودهم وقال تعالى النبي اولى
بالمومنين

بالمومنين من انفسهم فسرت هذه الاولوية بتفسيرين الاول ان المراد
بها الاحقية يعني انه صلى الله عليه وسلم احق بهم منها في كل شي من امور
الدين والدنيا ولهذا اطلق الاولوية ولم يقيدها فيجب عليهم ان يكون
صلى الله عليه وسلم احب اليهم منها وحكمه انفذ عليهم من حكمها وحقه آثر
لديهم من حقوقها وشفقتهم عليه اقدم من شفقتهم عليها وان يبذلوها
دونه ويجعلوها فداءه اذا اعضل خطب ووقاءه اذا التحت حرب
وان لا يتبعوا ما تدعوهم اليه نفوسهم ولا ما تصرفهم عنه ويتبعوا
كل ما دعاهم الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم اليه وصرفهم عنه لان
كل ما دعا اليه فهو ارشاد لهم الى سبيل النجاة والظفر بسعادة الدارين
وما صرفهم عنه فاخذ بحجزهم لئلا يتهافتوا فيما يرمي بهم الى الشقاوة
وعذاب النار وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم انما مثلي ومثل امتي كمثل رجل استوقد نارا
فجعلت الدواب والفراش يقعن فيه وانا اخذ بحجزكم وانتم
تقحمون فيه الثاني ان المراد بالاولوية الارحمية والارافية يعني انه
صلى الله عليه وسلم اراف على عباد الله وارحم بهم من انفسهم واعطف عليهم
منها وانفع لهم منها اخذا من قوله عز وجل لقد جاءكم رسول من انفسكم الاية
واخرج البخاري وابن ابي حاتم وابن مردويه عن ابي هريرة رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مومن الا وانا اولى الناس به في الدنيا والاخرة
اقرؤا ان شئتم النبي اولى بالمومنين من انفسهم فايما مومن ترك مالا

فليرثه عصبته من كانوا فان ترك دينا او ضياعا فليأتني فانا مولاه
والضياع بفتح الضاد المعجمة العيال واصله مصدر ضاع يضيع ضياعا
فسمي العيال بالمصدر كما تقول من مات وترك فقرا اي فقراء ويجوز كسر
الضاد المعجمة وهو حينئذ جمع ضائع كجائع وجياع واخرج الطبسي
وابن مردويه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال كان المومن اذا توفي في عهد
النبي صلى الله عليه وسلم سأل هل عليه دين فان قالوا نعم قال هل ترك وفاء
لدينه فان قالوا نعم صلى عليه وان قالوا لا قال صلوا على صاحبكم فلما فتح الله
عز وجل علينا الفتوح قال انا اولى بالمومنين من انفسهم فمن ترك دينا
فالي ومن ترك مالا فللوارث واخرج احمد وابو داود وابن مردويه عن
جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول انا اولى بكل مومن من نفسه
فايما رجل مات وترك دينا فالي ومن ترك مالا فهو لورثته فان قلت
هل يشمل المومنون الواقع في هذه الاية المومنات ليكون النبي صلى الله عليه وسلم
اولى بالمومنين والمومنات من انفسهم قلت المشهور من مذهب الشافعي
ان جمع المذكر السالم لا يشمل النساء ظاهرا وانما يشملهن بقرينة تغليبا
للذكور اخذا لذلك من حديث عائشة رضي الله عنها انها قالت يا رسول الله
على النساء جهاد قال عليهن جهاد لا قتال فيه الحج والعمرة اخرجه ابن ماجه
باسناد جيد فلو كن يدخلن في جمع المذكر وهو قوله عز وجل يا ايها النبي
حرض المومنين على القتال لعرفت عائشة ذلك ولم تسأل واختار
القاضي ابو بكر هذا المذهب وذهبت الحنفية ومنهم شمس الائمة

وصاحب

وصاحب اللباب الى انه يتناول الذكور والاناث وحكاه القاضي ابو الطيب
الطبري من اصحابنا عن ابي حنيفة رضي الله عنه ونسب ايضا للحنابلة
والظاهرية لكن ظاهر هذا القول انه ليس من حيث اللغة بل بالعرف
او بعموم الاحكام وقوله عز وجل من انفسهم قيل في معناه اي من بعضهم
ببعض في نفوذ حكم عليهم ووجوب طاعة عليهم كقوله تعالى فسلموا
على انفسكم اي بعضكم على بعض ذكره تاج القراء واقول الانفس في الاية
المشبه بها بمعنى الاخوان اي فسلموا على اخوانكم فيكون المعنى في
هذه الاية النبي اولى بالمومنين من اخوانهم فكانه يكون حينئذ فضل
النبي صلى الله عليه وسلم في نفاذ امره في المومنين على اخوانهم الذين تنفذ
اراؤهم فيهم وجعل النبي صلى الله عليه وسلم اولى بالمومنين من اخوانهم
واصدقائهم وهذا ليس مرادا في الاية بل مراد الاية ان يكون صلى الله
عليه وسلم اولى بالمومن في نفاذ امره ووجوب طاعته واتباع محابه
واجتناب مكارهه من انفسهم اي ذواتهم التي لا يحب الانسان ولا
يطيع ولا ينقاد لشيء اكثر منها وهو من قبيل قول النبي صلى الله عليه وسلم
لا يومن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه وماله وولده والناس
اجمعين وكذا يقال على المعنى الثاني الذي سبق الكلام عليه ان المراد
انه صلى الله عليه وسلم ارحم بالمومنين من انفسهم ولو اريد ما ذكره هذا
القائل لما بلغ غاية ما يراد من الاية فان المراد ان النبي صلى الله عليه وسلم
يكون اولى بك ايها المومن من نفسك لا من اخوانك واصدقائك واما

مناقشة مع ابن الحنبلي

قول المصنف قال اهل التفسير اولى بالمومنين من انفسهم اي ما انفذه فيهم من امر فهو ماض عليهم كما يمضي حكم السيد على عبده فهو ناظر الى المعنى الاول من المعنيين اللذين ذكرناهما الان غير واف به على ان في هذا التشبيه نظر لان اوامر النبي صلى الله عليه وسلم ونواهيه يجب امتثالها اقوى واكد من امتثال ما يامر به السيد عبده وينهاه كما لا يخفى فان الايمان الحقيقي لا يحصل الا لمن حكم الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم على نفسه قولا وفعلا اخذا وتركا حبا وبغضا ويشتمل ذلك على حكم التكليف وحكم التعريف والتسليم والانقياد فلا يحصل حقيقة الايمان الا بامتثال امره والاستسلام لقهره فان الله عز وجل نفى الايمان عمن لم يحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم او حكمه ووجد الحرج في نفسه في قوله عز وجل فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فاشترط الله عز وجل في الايمان فقدان الحرج وهو الضيق من نفوسهم في احكامه صلى الله عليه وسلم سوا كان الحكم بما يوافق اهواءهم او يخالفها وانما تضيق النفوس لفقدان الانوار ووجود الاغيار فعنه يكون الحرج وهو الضيق والمومنون ليسوا كذلك اذ نور الايمان ملا قلوبهم فاتسعت وانشرحت فكانت واسعة بنور الواسع العليم ممدودة بوجود فضله العظيم مهياة لواردات احكامه مفوضة له في نقضه وابرامه كذا قاله الشيخ تاج الدين بن عطا الله الشاذلي وقال سهل بن عبد الله التستري من لم ير ولاية الرسول

صلى

صلى الله عليه وسلم عليه في جميع الاحوال ويرى نفسه في ملكه لم يذق حلاوة سنته لانه صلى الله عليه وسلم قال لا يومن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه وقيل اتباع امره اولى من اتباع راي النفس القائل بهذا هو القائل بالاول كما نقلنا ذلك عن الكشاف وازواجه امهاتهم اي هن في الحرمة كالامهات يحتمل ان يريد بالحرمة المهابة ويحتمل ان يريد حرمة النكاح اي انهن يحرم نكاحهن كما يحرم نكاح الامهات وهذا معنى قوله حرم نكاحهن عليهم اي على المومنين بعده اي بعد النبي صلى الله عليه وسلم تكرمة له وخصوصية ولانهن له ازواج في الاخرة وقد قال تعالى وما كان لكم ان توذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا قيل نزلت هذه الاية في طلحة بن عبيد الله وهو غير طلحة الذي هو احد العشرة المبشرين بالجنة لان طلحة الذي هو احد العشرة طلحة بن عبيد الله بن عثمن بن كعب وهو تيمي من عنصر ابي بكر الصديق واما طلحة هذا فهو طلحة بن عبيد الله بن مسافع بن عياض وهو ايضا تيمي وكل منهما يسمى طلحة الخير الا ان ذاك سماه النبي صلى الله عليه وسلم بذلك واما هذا فسمي به محاكاة لذاك فاشكل على الناس ويختلفان في اسما الاجداد وفيه نزل قوله تعالى وما كان لكم ان توذوا رسول الله الاية لما قال ان مات النبي صلى الله عليه وسلم لاتزوجن عائشة وام سلمة ولان المراة لاخر ازواجها كما قاله ابن القشيري واخرج البيهقي عن حذيفة وغيره وعن ابي الدردا يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم ولما في احلال نسائه صلى الله عليه وسلم

لغيره من النقص لمنصبه وهذه خص بها صلى الله عليه وسلم دون الانبياء
ودون امته ولانه صلى الله عليه وسلم حي في قبره ولهذا حكى الماوردي من
اصحابنا الشافعيين وجها انه لا يجب عليهن عدة الوفاة وفي من
فارقها في الحيوة كالمستعيذة والتي وجد بكشحها بياضا ثلاثة اوجه
احدها الحرمة ايضا وهو المنصوص في احكام القران لشمول الاية
السابقة والبعدية في قوله عز وجل من بعده عند هذا القائل لا تختص
بما بعد الموت بل بما هو اعم منه فيكون من بعد نكاحه قال بعضهم وحرمت
لوجوب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان في العادة ان زوج المراة
يكره زوجها الاول قال في الروضة وهذا ارجح وقال التقي ابن الصلاح
من اصحابنا انه اشبه بظاهر القران وهو ظاهر نص الشافعي رضي الله
عنه وعبارة القضاعي تقتضي ان ذلك خاص بنبينا صلى الله عليه
وسلم دون غيره من الانبياء عليهم السلام وثانيها لا تحرم لاعراض النبي
صلى الله عليه وسلم عنهن وانقطاع الاعتناء بهن وثالثها وبه قال القاضي
ابو حامد وقال انه الصحيح وقال الرافعي في الشرح الصغير انه الاظهر
وصححه الماوردي والغزالي ايضا وقال امام الحرمين انه الاعدل وجزم
به الغزالي وبني صاحب الحاوي الصغير انه تحرم المدخول بها فقط لما روي
ان الاشعث بن قيس نكح المستعيذة في زمن عمر بن الخطاب فهم عمر رضي
الله عنه برجمها فاخبر انها لم تكن مدخولا بها فكف عنها كذا اورده الامام
والغزالي والقاضي حسين كلهم بجلد الاشعث بدل رجمه والماوردي
ذكره

ذكره كالاول وذكر انه روي انه عليه الصلوة والسلام تزوج في ربيع الاول
من سنة عشر التي مات فيها قتيلة اخت الاشعث بن قيس الكندي
ولم يدخل بها فاوصى في مرض موته ان تخير ان شاءت ان يضرب عليها
الحجاب وتحرم على المؤمنين وتجري عليها ما يجري على امهات المؤمنين
وان شاءت ان تنكح من شاءت فاختارت النكاح فتزوجها عكرمة بن
ابي جهل رضي الله عنه بحضرموت فبلغ ابا بكر الصديق رضي الله عنه فقال
لقد هممت ان احرق عليهما فقال عمر رضي الله عنه ما هي من امهات المؤمنين
ما دخل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ضرب عليها حجابا فكف عنها ابو بكر
رضي الله عنه قال الماوردي فصار ذلك كالاجماع فان حرمنا في امة
يفارقها بالموت او غيره بعد وطئها وجهان في الرافعي وهما في التهذيب
احدهما لا تحل كالمنكوحة التي فارقها والثاني ليست كذلك لان مارية
رضي الله عنها غير معدودة في امهات المؤمنين وقال الماوردي ان مات
عنها كمارية رضي الله عنها ام ولده ابرهيم عليه السلام حرم نكاحها وان لم
تصر اما للمؤمنين كالزوجات لنقصها بالرق وان باعها ففي تحريمها
على مشتريها وعلى ساير المسلمين وجهان كالمطلقة وجزم في باب
استبراء ام الولد بالتحريم ثم الاوجه السابقة في غير المخيرات اما
المخيرات فمن اختارت منهن الدنيا في حلها للازواج طريقان وقطع
الابيوردي من اصحابنا واخرون بالحل لتحصل فائدة التخيير
وهو التمكن من زينة الدنيا واختاره امام الحرمين ونقل الاتفاق

عليه وتبعه تلميذه الغزالي ثم ان قول المصنف تكرمة له وخصوصية
يقتضي ان هذا التحريم مقصور على زوجاته وامهات اولاده فلا يقال
لبناتهن انهن اخوات المومنين ولا يتجاوز الحرمة غير نسايه لانه
صلى الله عليه وسلم زوج بناته للمومنين ولا لاخوتهن واخواتهن
انهن اخوال المومنين وخالاتهم فلا يقال ان معاوية رضي الله عنه
خال المومنين وقد نكح الزبير اخت عايشة اسما بنت ابي بكر رضي الله
عنها وعبد الرحمن بن عوف تزوج حمنة بنت جحش اخت زينب
وكذا لا يقال اباوهن وامهاتهن اجداد المومنين واجداتهم بل
نقتصر على ما ورد من ثبوت حكم الامومة لهن في بعض الاحكام وقد
وحكى الرافعي وجها ان اسم الاخوة يطلق على بناتهن واسم الخوولة
ينطلق على اخواتهن واخوتهن لثبوت اسم الامومة لهن وان
لم يوجب ذلك تحريم النكاح كما ان المسلمات كلهن اخوات المسلمين
في الاسلام ولا يوجب ذلك تحريم النكاح قال وهذا ظاهر لفظ مختصر
المزني يشير الى قوله زوج بناته وهن اخوات المومنين لكن اكثر
الاصحاب كما قال الماوردي غلطوا المزني فيه لانه قال في احكام
القران وقد زوج بناته وهن غير اخوات المومنين وقيل ان الكاتب
حذف لفظة غير وقد حكى القاضي حسين من الشافعية خلافا في جواز
تسمية معاوية رضي الله عنه خال المومنين باعتبار ان اخته ام حبيبة
رضي الله عنها ام المومنين ثم ان البغوي قال اذا كن امهات ام المومنين

من

من الرجال فلسن امهات المومنات من النسا روي ذلك عن عايشة
رضي الله عنها ان امراة قالت لها يا امه فقالت لست لك بام انما
انا ام رجالكن وهذا جار على الصحيح من مذهب الشافعي رضي الله عنه
ان النسا لا يدخلن في جمع المذكر السالم او المكسر لكن حكى الماوردي
خلافا في كونهن امهات المومنات فمن قال به راى ذلك لتعظيم حقهن
ووجه مقابله ان فايدة امومتهن في حق الرجال مفقودة في حق
النسا قال اصحابنا فالامومة اذا ثلاثة اقسام واحكامها مختلفة
امومة الولادة وتثبت فيها جميع احكام الامومة وامومة ازواجه
صلى الله عليه وسلم ولا تثبت الا تحريم النكاح وامومة الرضاع متوسطة
بينهما قوله وقد قرى وهو اب لهم اخرج عبد الرزاق وسعيد بن
منصور واسحق بن راهويه وابن المنذر والبيهقي عن بجالة قال مر
عمر بن الخطاب رضي الله عنه بغلام وهو يقرا في المصحف النبي اولى
بالمومنين من انفسهم وازواجه امهاتهم وهو اب لهم فقال يا غلام
حكها فقال هذا مصحف ابي رضي الله عنه فذهب اليه فساله
فقال انه كان يلهيني القران ويلهيك الصفق بالاسواق واخرج
الفريابي والحاكم وابن مردويه والبيهقي في سننه عن ابن عباس
رضي الله عنهما انه كان يقرا هذه الاية النبي اولى بالمومنين من
انفسهم وهو اب لهم وازواجه امهاتهم واخرج ابن ابي شيبة
وابن المنذر وابن ابي حاتم عن مجاهد انه قرا النبي اولى بالمومنين من

انفسهم وهو اب لهم واخرج ابن ابي حاتم عن عكرمة قال كان في الحرف
الاول النبي اولى بالمومنين من انفسهم وهو ابوهم وقد قال البغوي
كان النبي صلى الله عليه وسلم ابا الرجال والنسا جميعا ونص الشافعي
رحمه الله على انه يجوز ان يقال هو ابو المومنين اي في الحرمة ونقل
صاحب المحكم عن الزجاج في معنى قوله عز وجل هولا بناتي هن اطهر
لكم كنى ببناته عن نسا امته ونسا امة كل نبي بمنزلة بناته وازواجه
بمنزلة امهاتهم وقد صرح النووي في الروضة بانه صلى الله عليه وسلم اب
للمومنين والمومنات وتبعه في ذلك مختصرها الشرف بن المقري
واقره على ذلك شارحه شيخ اشياخنا القاضي زكريا في شرحه على
الروض فان قلت قد قال تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم قلت
نفي الابوة الحقيقية التي كان يجعلها اهل الجاهلية للذي يتبناه الانسان
وكان النبي صلى الله عليه وسلم تبنى زيدا فنفى ان تكون لزيد بنوة تقتضي
ان يحرم على النبي صلى الله عليه وسلم نكاح موطوته اذا طلقها وانا اقول
ان اثبات ابوة النبي صلى الله عليه وسلم للمومنين تتضمن بشارة عظيمة
لهم وهي براتهم من الرجس الذي هو الذنوب الذي طهر الله عز وجل
منه اهل بيته صلى الله عليه وسلم حتى انهم يلحقون به في الاخرة ولهذا
المعنى الحق النبي صلى الله عليه وسلم سلمان الفارسي باهل البيت حيث
قال صلى الله عليه وسلم سلمان منا اهل البيت فكانه يقول انتم يا من
النبي صلى الله عليه وسلم اولى بهم من انفسهم النبي ابوكم لانكم لحقتم به باعتبار

ما بينكم وبينه من الطهارة من الرجس وقد ذكر الشيخ محيي الدين بن
عربي في الباب الثاني والعشرين من الفتوحات المكية ما يودي هذا
المعنى **ولا يقرا به الان لمخالفته المصحف** اي الذي نسب الى عثمن
ابن عفان رضي الله عنه وهي المصاحف التي كتبها وارسلها الى
الافاق والمشهور انها خمسة لكن اخرج ابن ابي داود من طريق
حمزة الزيات قال ارسل عثمن رضي الله عنه اربعة مصاحف
قال ابن ابي داود سمعت ابا حاتم السجستاني يقول كتب
سبعة مصاحف وارسل الى مكة والى الشام والى اليمن والى
البحرين والى البصرة والى الكوفة وحبس بالمدينة واحدا واحرق
عثمن رضي الله عنه ما سوى ذلك وانما امر باحراق ما سوى المصحف
الذي استكتبه وكذا المصاحف التي نقلت منه والصحف التي
كانت عند حفصة ام المومنين رضي الله عنها خشية ان يقع لاحد
منها توهم ان فيها ما يخالف المصحف الذي استقر عليه الامر فان
كتابتهم لهذه المصاحف باجماع منهم على اللفظ الذي استقر في
العرضة الاخيرة التي قراها رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبريل
عليه السلام عام قبض دون ما اذن فيه وعلى ما صح مستفاضا
عنه صلى الله عليه وسلم دون غيره قطعا لمادة الخلاف فصار ما يخالف
خط المصحف في حكم المنسوخ والمرفوع كسائر ما نسخ ورفع فليس
لاحد ان يتعدى الرسم واعتمد قرا كل مصر على ما في مصحفهم واخذوا

ما فيه عن الصحابة الذين اخذوه من في رسول الله صلى الله عليه وسلم
فالذي جمع في المصحف هو المتفق على انزاله المقطوع به المكتوب
بامر النبي صلى الله عليه وسلم ثم ان المعتمد ما وافق لفظه خط مصحف من
المصاحف العثمانية كما في النشر وغيره ويدل على ذلك نحو جنات تجري
من تحتها الانهار في سورة التوبة بزيادة من في المصحف المكي دون
غيره وبالزبر وبالكتاب المنير بزيادة البا في الاسمين في المصحف
الشامي دون غيره والا لزم ان يكون موافقا للمصحف الذي كان عند
امير المومنين عثمن بن عفان رضي الله عنه حين قتل وقول المصنف
ولا تقرا به الان اقول ان هذه القراة شاذة وليست بقران لانها
احاد والقران لا يكون الا متواترا وكل قراة شاذة لا تجوز القراة بها
قال ابن عبد البر اجماعا قال النووي في شرح المهذب لا في الصلوة
ولا في غيرها ولذا قال في فتاويه فان قراها في الصلوة وغيرت المعنى
بطلت صلاته ان كان عامدا عالما قال ابو الحسن السبكي وهي
لا تجوز القراة بها لخروجها عن اجماع المسلمين وعن الوجه الذي
يثبت به القران وهو التواتر وان كان موافقا للعربية وخط المصحف
وتقييد المنع من قراتها بقوله الان يستفاد منه رد اشكال ورد على
المنع من قراتها بل قراة كل قراة شاذة تقريره ان الذين قراوا بهذه
القرات كابن مسعود وابي والحسن البصري كانوا ائمة اجلاء وكانوا
يقرون بها بل يصلون بها ولم يكن احد من الصحابة ولا من التابعين ينكر ذلك

القراة الشاذة

عليهم

عليهم وكانوا يرقمونها في مصاحفهم على انها قران بل ينكرون على من نفى
قرانيتها كما نقل في خبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه وتقرير الجواب
ان المنع من قراتها انما هو الان في هذه الاعصار وذلك لاشتراط
التواتر فيما هو قران وهذه ليست متواترة واما اعتداد السلف بها
وعدهم لها من القران فلانها كانت في ذلك العصر متواترة ورب متواتر
عند قوم غير متواتر عند اخرين فان قلت اذا لم يقراها الان فلم ذكرها
المصنف محتجا بها على ان نبينا صلى الله عليه وسلم اب للمومنين قلت
لان الصحيح ان القراة الشاذة اذا صح سندها يحتج بها لانه اذا بطل
خصوص كونها قرانا لعدم التواتر يبقى كونها خبرا صحيحا وقد اطلق
الشافعي رضي الله عنه فيما حكاه البويطي عنه في باب الرضاع وفي باب
للجمع الاحتجاج بها وعليه جمهور اصحابه كالقضاة الحسين وابي الطيب
والروياني وكذا الرافعي وقد احتجوا على قطع اليمين من السارق بقراة
ابن مسعود والسارقون والسارقات فاقطعوا ايمانهم ونقل
ابن الحاجب عن ابي حنيفة رضي الله عنه حيث احتج على وجوب
التتابع بما نقل عن مصحف ابن مسعود فصيام ثلاثة ايام
متتابعات بعد ان اختار تبعا للامدي ونسبه للشافعي رضي
الله عنه انه ليس بحجة وكذا قال الابياري في شرح البرهان انه
المشهور من مذهب مالك والشافعي رضي الله عنهما وقال النووي
في شرح مسلم انه مذهب الشافعي رضي الله عنه قال لان ناقلها

لم ينقلها الا على انها قران والقران لا يثبت الا بالتواتر واذا لم تثبت
قرانا لم تثبت خبرا ولكن زعم امام الحرمين فى البرهان ان الشافعي
رضي الله عنه انما لم يقل بالتتابع كابي حنيفة رضي الله عنه لان عنده
ان الشاذ لا يعمل به وتبع امام الحرمين فى ذلك ابو نصر القشيري والغزالي
فى المنخول والكيا وابن السمعاني ولكن المذهب انما هو ما
سبق عن نص البويطي وغيره فهو الارجح ومسئلة التتابع حكى
الماوردي فيها قولا بالوجوب احتجاجا بقراة متتابعات ولكن
الارجح لا يجب لا لكون القراة الشاذة غير حجة بل لانها انما نقلت
تاويلا لا قراة او لمعارضة ذلك بقول عائشة رضي الله عنها نزلت فصيام
ثلاثة ايام متتابعات فسقطت متتابعات اخرجه الدارقطني
وقال اسناده صحيح وقال تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة
الاية الحكمة فى الاصل المنع يقال احكمت الرجل عن كذا اي منعته عنه
وسميت الكلمة الواعظة حكمة لانها مانعة عن التورط بالجهل
ومن ثم سميت به حكمة الدابة قال الشاعر

من الكامل

ابني حنيفة احكموا سفهاءكم ۝ اني اخاف عليكم ان اغضبا

والكتاب هو القران والحكمة ما فيه من وجوه التحليل والتحريم ومعرفة
الشريعة كلها وسمي ذلك حكمة لانه يمنع عن الوقوع فى المحظور ويجوز
ان يراد بالحكمة هنا النبوة كما ريت من قوله عز وجل واتينا آل ابرهيم
الكتاب والحكمة يعنى النبوة والقضا الذي يفصل به بين المتخاصمين

يعني النبوة وكما ريت
من قوله عز وجل واتيناه
الحكمة وفصل الخطاب

وهذه

وهذه الاية من الايات التى كلها انزلت فى قصة واحدة وذلك ان رجلا من
الانصار يقال له طعمة بن ابيرق احد بني ظفر بن الحرث سرق درعا من
جار له يقال له قتادة بن النعمان وكانت الدرع فى جراب فيه دقيق فجعل
الدقيق ينتثر من خرق فى الجراب حتى انتهى الى الدار وفيها اثر الدقيق
ثم خباها عند رجل يهودي يقال له زيد بن السمير فالتمست الدرع عند
طعمة فلم توجد وحلف لهم بالله عز وجل ما اخذها وما له بها من علم فقال
اصحاب الدرع بلى والله قد ادلج علينا فاخذها وطلبنا اثره حتى دخل
فراينا اثر الدقيق فلما ان حلف تركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهوا الى
منزل اليهودي فاخذوه فقال دفعها الي طعمة بن ابيرق وشهد له ناس
من اليهود على ذلك فقالت بنو ظفر قوم طعمة انطلقوا بنا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فكلموه فى ذلك فسالوه ان يجادل عن صاحبهم
وقالوا ان لم تفعل هلك صاحبنا وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يفعل حتى انزل الله عز وجل هذه الايات المتضمنة
لامر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم ان يحكم بين الناس بما انزل الله
عز وجل فى كتابه وان لا يذب عن الخائنين ويخاصم وامره ان يستغفر
الله عز وجل مما هم به ونهاه عن ان يجادل عن الذين يختانون انفسهم
واخبر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم انه سبحانه لا يحب من كان
خوانا اثيما حتى روي ان طعمة عوقب فسلب الله عز وجل منه خيري
الدنيا والاخرة الدارين فانه هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بها

ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله كذا في تفسير البيضاوي لكن الذهبي
ذكره في الصحابة ولا يذكر فيهم من مات مرتدا وفي الزمخشري ان سقوط
الجدار عليه كان بخيبر بعد ان هرب من مكة ايضا لكن لم يذكر خبر ردته
سوى القشيري والبيضاوي تبعه في ذلك وقال الضحاك ان السارق
كان بشيرا ويكنى ابا طعمة وكان رجلا منافقا وكان يهجو اصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم وكان المسلمون يقولون والله ما هو الا شعر الخبيث ثم انه تعالى
قال لنبيه صلى الله عليه وسلم ولولا فضل الله عليك ورحمته اي حيث
اعلمك بما هم عليه لهمت طائفة من بني ظفر ان يضلوك وذلك ان قوم طعمة
عرفوا ان صاحبهم هو السارق ثم سالوا النبي صلى الله عليه وسلم ان يدافع
عنه ويجادل وينزهه عن السرقة وينسب تلك السرقة الى اليهودي
فقال تعالى وما يضلون الا انفسهم بسبب تعاونهم على الاثم والعدوان
وشهادتهم بالزور والبهتان وما يضرونك من شيء قيل معناه اي في
المستقبل فالله عز وجل وعده بالعصمة وبادامتها وقيل ان باطلهم الذي
هو باطل بالنسبة اليهم لا يضرك شيء لانك بنيت الامر على ظاهر الحال والله
عز وجل لم يامر نبيه صلى الله عليه وسلم الا ببناء الامر على الظواهر ثم انا اذا
فسرنا قوله عز وجل وما يضرونك من شيء بان المراد انه تعالى وعده بالعصمة
في المستقبل كان قوله تعالى وانزل عليك الكتاب والحكمة موكدا لذلك
الوعد يعني لما انزل عليك الكتاب والحكمة وامرك فيهما بتبليغ الشريعة
الى الخلق فكيف يليق بحكمته ان لا يعصمك عن الوقوع في الشبهات والضلالات

وان فسرنا قوله وما يضرونك من شيء بان النبي صلى الله عليه وسلم كان معذورا
في بناء الحكم على الظاهر كان المعنى لا يضرونك من شيء والحال ان الله عز وجل
انزل عليك الكتاب والحكمة اللذين اوجب فيهما بناء احكام الشرع على
الظاهر واما قوله عز وجل وعلمك ما لم تكن تعلم فقال القفال في تفسيره
يحتمل وجهين احدهما ان يكون المراد ما يتعلق بالدين كما قال تعالى ما كنت
تدري ما الكتاب ولا الايمان وعلى هذا الوجه تقدير الاية انزل الله عليك
الكتاب والحكمة واطلعك على اسرارهما واوقفك على حقائقهما مع انك ما
كنت قبل ذلك عالما بشيء من ذلك فكذلك لا يقطع فضله عنك في مستأنف
ايامك فلا يقدر احد من المنافقين على اضلالك ولا ازلالك عن الحق
الثاني ان يكون المراد علمك ما لم تكن تعلم من اخبار الاولين فكذلك
يعلمك اخبار المنافقين الذين يريدون بك كيدا ولا يصل اليك شيء من
كيدهم ولا من مكرهم قال شيخنا الرضي ابن الناذي المعروف بابن الحنبلي
في هذه الاية لا يقال ذكر مفعول التعليم مستدرك لان تعلقه بغير
المعلوم معلوم لانا نقول لو قيل ما لم تعلم اي ما كان مجهولا عندك علم
لافاد ذكره فائدة حسنة هي التصريح بانه تعالى صانه عن ظلمة الجهل كما
زانه بنور العلم فكيف وقد قال ما لم تكن تعلم بمعنى ما لم تعلمه بقوة نفسك
واجتهادك قال ولقد سئل بعض محققي شيوخنا عن نكتة ذكر الكون
في هذه الاية وتركه في قوله عز وجل علم الانسان ما لم يعلم لا سيما على القول بان
الانسان هو محمد صلى الله عليه وسلم وحده فاجاب بان الثاني انما ورد في مقام

خال عن اعتبار القوة والاجتهاد فلا يناسب ذكر الكون المؤذن باعتبارهما
فناسب ذكره وما روي عن التفتازاني مما يقتضي ان ما لم يذكر فيه الكون محل تأمل
كالذي ذكر فيه في معناه فضعيف انتهى واقول لا يخفى ان نفي كونه يعلم
اخص من نفي انه يعلم لان تكن هنا بمعنى ينبغي ويليق ويناسب فمآل
فالتقدير حينئذ علم ما لم ينبغ ان تعلم لان بشريتك من حيث هي بشرية
عاجزة عنه لا قوة لها عليه ولا قدرة بخلاف ما لم تعلم وحاصله يرجع الى
نفي امكان ان يعلم بالنظر الى القوة البشرية واما ما لم تعلم فهو نفي الاطلاق
العام اي لم يقع علمك به بالفعل ولا يخفى ان الامكان العام اعم من
الاطلاق العام ونفي الاعم اخص من نفي الاخص فكل ما لم يكن يعلمه لم يعلمه
وليس كل ما لم يعلمه لم يكن يعلمه فكأنه قال علمك شيئا لم تحط به قبل ذلك
علما بل لا يمكن ان تحيط به علما ولله در الابوصيري حيث قال

فان من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

وقال صلى الله عليه وسلم في حديث الاسرا فعلمت علم الاولين والاخرين
واما اية العلق فهي اول سورة انزلت وكان النبي صلى الله عليه وسلم
خالي الذهن من العلوم فوعده الله عز وجل انه يعلمه في المستقبل ما لم
يعلمه بنا على ان المراد بالانسان هنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة
وان الماضي هنا بمعنى المستقبل عبر به لتحقق وقوع ما وعده الله عز وجل
به وانما لم يعلمه اولا بالمقام الاعلى وهو انه تعالى يعلمه ما لم يكن يعلم لان نعم
الله عز وجل قد جرت سنة الله عز وجل فيها ان تكون تدريجية واول الغيث

قط

مصراع من البسيط

قطر ثم ينهمل ومما قررنا يظهر وجه ضعف ما قاله التفتازاني قيل فضله
العظيم بالنبوة التي هي اكمل النبوات فان جميع الانبيا يشتركون في
الدعوة والهداية والتصرف في الخلق وغيرها مما لا بد منه في النبوة ويمتاز
كل منهم عن الاخر في المرتبة بحسب الحيطة التامة كاولي العزم من
المرسلين عليهم الصلوة والسلام وغير التامة كانبيا بني اسرايل فالنبوة
دائرة تامة مشتملة على دوائر متفاوتة في الحيطة والنبي الحقيقي والقطب
الازلي الابدي اولا واخرا ظاهرا وباطنا هو الحقيقة المحمدية صلى الله عليه
وسلم كما اشار اليه صلى الله عليه وسلم بقوله كنت نبيا وادم بين الماء والطين
وقيل بما سبق له في الازل قيل ما من تقدير اعطاه الى الابد وقيل مما
اعطاه اليه على ان التقدير بما سبق تقديره وفي الاول سلامة من تقدير
التقدير واقتضا لكون الامتنان عليه صلى الله عليه وسلم بالتقدير صريحا
وبالمقدر ضمنا لان وقوعه لا يتخلف عنه فليتأمل كذا قال شيخنا الرضي
ابن الحنبلي واقول معنى كلامه ان الذي سبق له في الازل ان الله عز وجل
قدر في الازل ما الله يعطيه في الابد فالذي سبق له في الازل هو تقديره
تعالى ان يعطيه ما اعطاه في الابد ويمكن ان يراد بما اعطاه في الازل
نفس الذي اعطاه من الازل الى الابد فيحتاج حينئذ الى تقدير مضاف
محذوف وهو تقدير ما سبق له من الازل الى الابد غير ان التفسير
الاول اولى لعدم افتقاره الى تقدير مضاف وفيه تصريح بالامتنان
بالتقدير وبالمقدر ضمنا لان الله عز وجل اذا قدر شيا لا يتخلف بل لا

به من وقوع مقدوره ولكن هذا الكلام لا يحتاج اليه وفيه من التكلف ما لا يخفى
فان المراد بالازل القدم وقد من الله عز وجل على نبينا صلى الله عليه وسلم
بنعم قديمة صارت نعمة اذ ذاك كثبوت النبوة له وادم بين الماء والطين
فان المراد بها انه دعي بعنوان النبوة اذ ذاك واشتهرت في ذلك العصر
نبوته وكتب الله عز وجل اسمه على العرش فسكن بعد ان اضطرب
وانه تعالى كتب على ساق العرش محمد رسول الله خاتم الانبيا وانه تعالى
حين اسكن ادم وحوا الجنة كتب اسمه صلى الله عليه وسلم على ابوابها
واوراقها وقبابها وخيامها وان ادم قال بحق محمد اغفر لي خطيئتي
ويروى تقبل توبتي ولله در ابي عبد الله الحسين بن رواحة حيث قال

من الطويل

• دعيت نبيا قبل تكوين ادم • ولما دعا الرحمن باسمك سرددا •
• ولو كان ابليس يرى انك ابنه • لما كان يابى ان يطيع فيسجدا •

وان الطينة التي خلق منها محمد صلى الله عليه وسلم غمست في انهار الجنة كلها
وطيف بها في السموات والارض والبحار فعرفت الملائكة محمدا صلى الله
عليه وسلم وفضله قبل ان عرفت ادم عليه السلام وان انواره كانت بجبهة
ادم وحوا عليهما السلام وغير ذلك من النعم التي من الله عز وجل بها عليه قبل
وجوده في هذا العالم واشار الواسطي هو الولي العارف العلامة ابو بكر

ترجمة الواسطي رحمه الله تعالى

محمد بن موسى الواسطي اصله من فرغانة وكان يعرف بابن الفرغاني من
قدما اصحاب الجنيد والنوري وهو من اجل مشايخ القوم لم يتكلم احد في
اصول التصوف مثل كلامه وكان عالما باصول الدين والعلوم الظاهرة دخل

خراسان

خراسان واستوطن كورة مرو ومات بها بعد العشرين وثلاثمائة
وكلامه عندهم وليس بالعراق منه شي لانه خرج منها وهو شاب ومشايخ
في حال الحيوة فتكلم بخراسان في أبيورد واكثر كلامه بمرو ومعنى كونه
اشار انه ذكر كلاما يودي الى ذلك ولم يصرح بهذه المقالة وعبارته
نقلها السلمي في كتابه الحقائق فقال قال الواسطي انما عظمت نعمة
الله عليه بالمباشرة فاحتمل الذات بعد ما احتمل الصفات وموسى
عليه الصلوة والسلام احتمل الصفات ولم يحتمل الذات انتهى ومعنى
هذه المقالة مشير الى ان الله عز وجل من على نبيه صلى الله عليه وسلم
بان يراه بعد ان سمع كلامه والكلام صفته من صفاته فثبت نبينا
صلى الله عليه وسلم لسماعها ثم من عليه برؤية ذاته المقدسة التي تحصل
لعباد الله المومنين في الجنة جعلنا الله عز وجل واحبابنا منهم بمنه
وكرمه فقد اشار الواسطي بذلك الى انها اي هذه النعمة المعبر عنها بقوله
عز وجل وكان فضل الله عليك عظيما اشارة الى احتمال الروية اي روية
الله عز وجل بعين راسه اي قدرته صلى الله عليه وسلم عليها التي لم يحتملها
موسى صلى الله عليهما وسلم لان موسى عليه السلام طلب من الله عز وجل ان يراه
فقال رب ارني انظر اليك والله عز وجل قال له لن تراني اي لن تطيق
رويتي وبين عدم الطاقة لها بتعليقها على استقرار الجبل مكانه فقال
له انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني واما نبينا صلى الله
عليه وسلم فان الله عز وجل اقدره على روية ذاته المقدسة وسياق الكلام

عليه في محله ان شا الله تعالى قال الجنيد في قوله تعالى وعلمك
مالم تكن تعلم اي عرفك قدر نفسك وقال ايضا العلوم اربعة علم
المعرفة وعلم العبادة وعلم العبودية وعلم الخدمة جعل حظك يا محمد
منها اوفر الحظوظ وقال ابو يزيد العلم علمان علم بيان وعلم برهان
وقال سهل العلما ثلاثة عالم بالله لا عالم بامر الله ولا بايام الله
وهم المومنون وعالم بالله عالم بامر الله عز وجل لا عالم بايام الله فهم
العلما وعالم بالله عالم بامر الله عالم بايام الله عز وجل هم النبيون
والصديقون وقيل علمتك من مكنون اسراري مالم تكن تعلم الا
مني وقال ابو محمد الحريري الادلة ثلاثة العلما والحكما والاكابر
فالعلما يرون ظاهر الاشيا ومنافعها والحكما يرون باطن الاشياء
وغيوبها والاكابر يرون عيون الاشيا وحقايقها كذا قاله
السلمي في حقايقه ❁ منه ❁ سفر ❁ ❁

وهو الى الثاني عشر

وافق الفراغ من نسخ هذا السفر يوم الاربعا رابع عشرين شهر ربيع الاول
من شهور سنة اثنتين وثلاثين بعد الالف وكان ذلك بحلب المحميه
على يد العبد الضعيف زين الدين بن احمد بن علي بن الحسين بن علي الحلبي
الحنفي المعروف بالاشعفي وبالشعيفي والحمد لله وحده وصلاته
وسلامه على من لا نبي بعده محمد سيد الاولين والاخرين وعلى اله واصحابه
وازواجه وذريته وعلى التابعين وتابعيهم باحسان الى يوم الدين امين

وقد كتبت هذا الجزء والذي قبله
بعد ما تم العشرة التي بعدها
٥ على ذلك

عدد ورقه
٢١٨